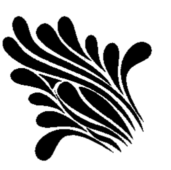
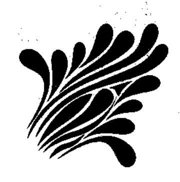



فوائد الارتحال ونتائج السفر
في
أخبار القرن الحادي عشر

تأليف

العلامة مصطفى بن فتح الله الحموي

المتوفى سنة ١١٢٣ هـ

رحمه الله تعالى

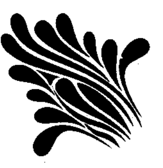
المجلد الأول

تحقيق

عبد الله محمد الكندري

دار النوادر ®




بسم الله الرحمن الرحيم







دار النوادر ®

فوائد الارتحال ونتائج السفر

في

أخبار القرن الحادي عشر

(١)







الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

ردمك: ٦ - ٩٤ - ٤١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨: ISBN





سورية - لبنان - الكويت

مؤسسة دار النوادر م.ف - سورية * شركة دار النوادر اللبنانية ش.م.م - لبنان * شركة دار النوادر الكويتية ذ.م.م - الكويت
سورية - دمشق - ص. ب: ٣٤٣٠٦ - هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)
لبنان - بيروت - ص. ب: ١٤/٥١٨٠ - هاتف: ٦٥٢٥٢٨ - فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)
الكويت - الصالحية - برج السحاب - ص. ب: ٤٣١٦ حولي - الرمز البريدي: ٣٢٠٤٦
هاتف: ٢٢٢٧٣٧٢٥ - فاكس: ٢٢٢٧٣٧٢٦ (٠٠٩٦٥)
www.daralnawader.com info@daralnawader.com

أسسها سنة: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م نور الدين طالب المدير العام والرئيس التنفيذي







إهداء ووفاء

روى الإمام الطبراني رحمه الله تعالى في «معجمه الكبير»، عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله وملائكته حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر، ليصلون على معلم الناس الخير».

لذا أحببت أن أختم عملي في هذا الكتاب، بأن أهديه إلى «معلم الناس الخير» أستاذي ومعلمي الأستاذ «أحمد درماز» اختصاصي المخطوطات بجامعة الكويت، راجيا الله ﷻ أن يبارك له في علمه، ويتقبل منه صالح عمله، اللهم آمين.

المحقق: أبو يحيى عبد الله الكندري

❑ ❑ ❑






شكر وتقدير

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، أحقُّ من حُمد، وأعظمُ من شُكر، وأعزُّ من ذُكر، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد عند الرضا، ولك الحمد بعده، حمداً يوافي نعمك، ويكافئ معروفك وقديمَ إحسانك، فلله الحمد والشكر والثناء كله، على ما يسر من خير ورَزق وفضل، والعلمُ جزء من الرزق، فالحمد لله ربِّ العالمين.

وأحقُّ الناس بالدعاء له بكل خير على هذا العمل: مصنفُ هذا الكتاب، **الشيخُ مصطفى بن فتح الله الحموي ـ رحمه الله تعالى ـ، ومن بعده: مَنْ نسخها مثل الشيخ محمد بن قناوي بن محمد ـ رحمه الله تعالى ـ.**

والدعاء موصول لمن تفضَّل بإهداء النسخة المخطوطة من الكتاب إلى مكتبة المخطوطات بجامعة الكويت، **الأخ المفضال الشيخ أبو عايض صلاح عايض الشلاحي**، ولقد كان ـ حفظه الله ورعاه ـ من أول الداعين للعمل بهذا الكتاب، بالإضافة لما يتكرم به كعوائده الجميلة، من إعارة للإخوان للمراجع والمصادر، من مكتبته الزاهرة، فشكر الله له ما تفضل به، وجعله في ميزان حسناته، اللهم آمين.

وإذا ذكرنا أهل الفضل والمعونة على الخير، فلا بد لنا أن نجدد الدعاء

للشيخ الفاضل أبي ناصر محمد ناصر العجمي، والشيخ الفاضل والأخ الكريم أبي الحارث فيصل يوسف العلي، وما كان لمشورتهما في النظر في هذا الكتاب، والتشجيع على العمل به أعظم الأثر، فشكر الله لهما، وأجزل لهما المثوبة في الدارين، اللهم آمين.

ولا أنسى أخيراً ـ وبالخير تختم الصالحات ـ ما كنت أتلقاه من لطفٍ وحسن مناصحةٍ، من الإخوة الأفاضل بمكتبة المخطوطات بجامعة الكويت، **بدايةً من رئيس قسم المجموعات الخاصة، الأخِ الكريم أبي عبد الرحمن حسن عبد الرحمن الحيدر، والأستاذ الفاضل أحمد دورماز، والأستاذ الفاضل أبي أنور عبدالله راشد العازمي، المختصين بالمخطوطات بجامعة الكويت**، بدايةً من تيسير تصوير المخطوط، إلى تسهيل استعارة المراجع الخاصة بالبحث والدراسة، بالإضافة إلى التشجيع الدائم، والذي لولا الله ﷻ، ثم تشجيعهم، لتقاصرت الهمم عن هذا العمل المضني، فشكر الله ﷻ للجميع ما تفضلوا به، وجعل ذلك في ميزان حسناتهم، اللهم آمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

❐ ❐ ❐




ترجمة المصنف رحمه الله تعالى

مصطفى بن فتح الله الحموي

(ت/١١٢٣هـ)

يعد الكتاب الذي بين أيدينا **«فوائد الارتحال ونتائج السفر في أعيان القرن الحادي عشر»** مصدراً مهماً ومرجعاً خاصاً لحياة المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ، فالأعلام المذكورون فيه من معاصري المصنف وأصحابه ومشايخه، زارهم في ديارهم، وشاركهم في أخبارهم.

وتنقل في البلاد، من الشام والحجاز واليمن، حتى بلغ القسطنطينية، يسجل ويدون أحوالَ من يلتقي بهم، فقد راسلهم وكاتبهم، وردوا عليه، وأثنوا على صحبته، واطلعوا على كتابه هذا بخاصة، وأفادوه في كثير من تراجمه، وكما دون هو أخبار من سبقوه، فقد كان هو ـ نفسه ـ خبراً في كتب من جاؤوا بعده.

ومن ألطف من ترجم له من المتأخرين: محمد بن محمد بن يحيى زبارة الصنعاني ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «نشر العَرْف لنبلاء اليمن بعد الألف»؛ فقد جمع ترجمة المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ من المصادر التي ذكرتها، وصاغها بأسلوب جامعٍ لطيف، فقال: الشيخ، العلامة الرحالة، المؤرخ، الأديب، مصطفى بن فتح الله الحموي المكي، ثم اليمني، ولد في

حماة، ورحل منها إلى دمشق، وأخذ عمن بها من العلماء، ثم رحل إلى مكة فاستوطنها.

ومن مشايخه: إبراهيم الكوراني، وشاهين الأرمناوي، والشهاب أحمد البشبيشي، والعجمي، والبابلي، والنخلي، والثعالبي، والبصري، والشبراملسي، والمزاحي، ومحمد الشلبي ـ رحمهم الله تعالى ـ، ونحوهم من أكابر علماء عصره بالحجاز والشام. انتهى. «وكل هؤلاء ترجم لهم المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه الذي بين أيدينا».

وترجمه السيد إبراهيم الحوثي الصنعاني ـ رحمه الله تعالى ـ في «نفحات العنبر»، فقال: كان عالماً أديباً مؤرخاً، وفد صنعاء في سنة (١١٠٨هـ) بتجارة، فعاشر أهلها، وصاحب أعيانها، وطارح أدباءها، وتكاتب هو والقاضي علي بن محمد العنسي، والسيد عبدالله بن علي الوزير، والسيد محمد بن الحسن الحمزي الكوكباني ـ رحمهم الله تعالى ـ، وغيرهم من الفضلاء، واعترفوا بفضله، ولم يبق أحد ممن يشار إليه إلا كاتبه وصاحبه.

وكان حسن المروءة والعشرة، طيب الأخلاق، فخف على القلوب، ولبث بصنعاء اليمن برهة، ولم يزل يتردد إلى الخضراء برداع على حضرة صاحب المواهب، وعاد إلى وطنه مكة، ثم رجع إلى اليمن، ونزل بمدينة ذمار، فمات بها في سنة (١١١٧، أو ١١١٨هـ)، وله تاريخ سماه: **«فوائد الرحلة والسفر في أهل القرن الحادي عشر»**، ترجم فيه لفضلاء اليمن والعراق والشام، الذين لقيهم في أسفاره إلى تلك البلدان، ومن شعره قوله في قصيدة:

أَوْدَى بــه العــشقُ وأشــجانُه ... والحــبُّ لا يمكــنُ كتمانُــهُ

وذابَ قلبـي مـن هَـوَى شـادِنٍ حَـلَّ بـصنعا عَـزَّ سُلوانُـهُ
يوسـف حـسن بـي مـن هَجْـره بكـاءُ يعقـوبَ وأحزانُـهُ

وترجمه السيد محمد خليل المرادي الدمشقي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر»، فقال: الشيخ العالم الفاضل، الأديب البارع، المتفنن الأوحد، الشافعي، مؤرخ مكة، له التاريخ الحافل الذي سماه: «فوائد الارتحال ونتائج السفر في تراجم فضلاء القرن الحادي عشر»، وهو تـاريخ حافـل في ثلاثـة مجلـدات، ولـه غير ذلك، وكانـت وفاته في سنة (١١٢٣هـ).

وترجمه أيضا الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الحنفي المصري ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «عجائب الآثار في التراجم والأخبار»، فقال: الإمام المحدِّث الإخباري، الحنفي المكي، له رحلة إلى اليمن، توسع في الأخذ عن أهلها، وألف كتاباً في وفيات الأعيان سماه: «فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر»، توفي سنة (١١٢٤هـ)، حدث عنه السيد عمر بن عقيل العلوي.

وذكر القاضـي أحمـد بن محمد قاطن ـ رحمـه الله تعالى ـ في كتابه «دمية القصر»: أن السـيد محمد بن الحسـين الحمـزي الكوكباني كتب إلى صاحب الترجمة الشيخ مصطفى الحموي هذه القصيدة:

نصحْتُ ولكن أين من يقبلُ النُّصحا وحاولتُ إرشادَ العميدِ فما أَصْـحَى
وهَبْ أنه قـد صـحَّ عنـدَك رشـدُه أفي وسعِه أن يملكَ الدمعَ إن سَحَّا؟
فيا طالَما أضحى من الشوق سـاكباً مدامعَ عينيهِ وأمسى كمـا أَضْـحى

يحــنُّ إلــى نَجْــدٍ فيبكــي صــبابةً فها هو في الحالين قد أَلِفَ السَّفْحا
لَحا اللهُ من يلحو فتـىً ظَـلَّ وقتَـهُ صريعاً بكأس الحبِّ ما مثلُهُ يُلْحى

ومنها:

هجرتُ القوافي إذ تصدَّى بـصدِّه فؤادي فلم أنظِمْ نـسيباً ولا مَـدْحا
وقد كان سَدُّ الباب أولَى فمذْ أتـى إلينا ابنُ فتحِ الله لـم نتـركِ الفَتْحـا
فقد سـاعدَتْني عنـد نـشر مديحِـه قوافٍ كأني ما طويتُ لهـا كَـشْحا
وشرَّفَ صَنْعا حـين وافـى يؤمُّهـا فزادتْ به رحباً ونالـت بهـا رِبْحـا

انتهى ما اخترته من كتاب «نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف» لابن زبارة الصنعاني ـ رحمه الله تعالى ـ.

وذكره المحبي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة»، فقال: ولقد لقيته بمكة، جوار الركن والحطيم، وهو مفحِمُ قُسٍّ وقيسِ بنِ الخَطيم، وذكر لي من حديث فراقه لمحله، وتنكُّبه لشد مطيته ورَحْله: أنه كان في حجْر خـاله وهو دون التمييز، وقدر الله له المهاجرة، فأصحبه في كنفه الحَريز.

ثم رحـل في شـبابه واغترب، ونَـقَّب في الحجـاز واليمن للتحصيل واضطرب، حتى اسـتقر بالحرم المكـي، فامتزج بقُطَّانه، واشـتغل بذخائر فضائلهم عن أهله وأوطانه، وله عندهم منزلة تليق، ومرتبة هو بها خليق.

وقد جمع تاريخاً سال فيه من طبعه مَعينُه، وطلعت في قصور طُروسه أبكاره وعِينُه، وكنت سمعت به ولم أظفر منه بالعِيان، فلما رأيته، اتضح

لي في حينه صدقُ البيان، ورأيت جمعاً يجمع من دَبَّ ودَرَج، حتى يقول من رآه: حدِّثْ عن البحر ولا حرج، ما شئت من ترتيب غريب، وتطريب من بنان أريب، إلى جزالة مشـرَبَة بحلاوة، وسهولة متدفقة بطلاوة، إذا قال، لم يترك مقالاً لقائل، ونفسه فيه تطويل، إلا أنه لا يخلو من طائل، لا يقتصر على ما ينبغي، ولا يمنع من الذكر المبتغي.

وبالجملة: فشكر الله عليه سعيَه، وتولى بعض عناية حراسته ورعيه، وكان أوقفني على مجاميعَ بخطه، فاقتطفت منها ما حلا وطاب، وملأت من بدائع ذخائرها النفيسة الوِطاب.

وجاء ذكر المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ عند البغدادي ـ رحمه الله تعالى ـ في «هدية العارفين»، و«إيضاح المكنون»، فقال: الأديب المؤرخ الشافعي، سـافر إلى اليمن، وسكن ذمار، ومات بها سـنة (١١٢٣هـ)، صنف **«الديمة الوطفا في مراجعة المصطفى»** على قصيدة السوسي عجيبة، **«وفوائد الارتحال ونتائج السفر في تراجم فضلاء القرن الحادي عشر»** ثلاث مجلدات.

وذكره الزركلي ـ رحمه الله تعالى ـ في «الأعلام»، فقال: مؤرخ من أدباء عصره، أصله من حماة، رحل منها إلى دمشق، فقرأ على بعض علمائها، وسافر إلى اليمن، فتوسع في الأخذ عن أهلها، واستقر بمكة، وتوفي بذمار من أرض اليمن، عن نحو ثمانين عاماً.

مصادر ترجمة المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ: «نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة» للمحبي (١/ ٣٦٨) (٤٥)، «سلك الدرر» للمرادي (٤/ ٢٠٦)، «تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار» للجبرتي (١/ ١٢٥)، «نشر العرف

لنبلاء اليمن بعد الألف» لمحمد زبارة الصنعاني (٣/ ٢٢٩) (٥٢٥)، «إيضاح المكنـون» للبغدادي (١/ ٤٨٣)، «هديـة العارفين» للبغدادي (٣/ ٤٤٣)، بروكلمـان ـ مترجـم (٨/ ٨١)، «الأعـلام» للزركلي (٧/ ٢٣٨)، «معجم المؤلفين» لكحالة (١٢/ ٢٦٧)، «علماء دمشق وأعيانها في القرن الثاني عشر» د. محمد مطيع الحافظ، ود. نزار أباظة.

❑ ❑ ❑




مُقَدِّمَةُ ٱلتَّحْقِيْق

الحمد لله رب العالمين، حمداً يوافي نعمه، ويبلغ رضاه، ويكافئ معروفَه وسابق جميله ومنّه، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، محمد النور المبين، حجة الله تعالى على الخلق أجمعين، وعلى آله الغر الميامين، أهل بيته الصفوة المكرمين، وصحابته سادة الأمة المعتبرين، وحملة هذا الدين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعَنَّا معهم بفضلك ومَنِّك يا رب العالمين، اللهم آمين.

فإن موضوع الرحلة والارتحال، والسفر والاغتراب عن الأهل والأوطان، موضوعٌ استغرق كتب المصنفين، وامتلأت به صحائف المدوِّنين، تصف ترحالهم من بلد إلى بلد، واجتهادهم بين أيدي العلماء على الركب، فتنوعت أخبارُهم، وتعددت أساليبهم، حسب ما قصدوه من ترحالهم، حتى أصبح في عصرنا الحديث، نوع خاص من الأدب، يسمى: أدب الرحلات.

ومن أشهر أسباب الرحلات والتنقل في بلاد المسلمين: ما كان للحج والتجارة، فهما متلازمان دائماً، وهذا النوع من الرحلات شمل بلاد المسلمين، من أقصى بلاد المغرب والسودان وأفريقيا مروراً بمصر، ومن أقاصي بلاد

المشرق فارس وبلاد ما وراء النهر إلى العراق، ومن الهند وبلادها مروراً بموانئ اليمن إلى الحجاز، ومن أطراف بلاد الغرب من عاصمة المسلمين القسطنطينية مروراً بالشام وبلادها؛ ليلتقي الجميع حول البيت العتيق.

ومنهم من رحل في طلب الحديث وأهله ورواته، وبهذا صنف الإمام العلامة الخطيب البغدادي ـ رحمه الله تعالى ـ كتابه **«الرحلة في طلب الحديث»**، ليذكر فيه آداب وفنون هذا النوع من الرحلات.

ومن هذه الرحلات ما اتخذ طابعاً علمياً؛ مثل: ما نجده في ترجمة عالم النبات ابن البيطار ـ رحمه الله تعالى ـ؛ فقد قام بعدة رحلات شملت بلاد اليونان وأوربا القديمة «بلاد الإفرنج»، وسواحل البحر المتوسط، مروراً ببلاد الشام ومصر والجزيرة العربية، متتبعاً أنواع النبات في هذه البلاد؛ ليضيف في مصنفاته عدة آلاف من أسماء النبات، لم تُعرف قبل عصره؛ كمادة علمية لـ: «الأدوية المفردة».

ومن هذه الرحلات ما يكون ذا طابع سياسي، وبتكليف من أعلى المستويات في الدولة؛ مثل ما كلف الخليفة المقتدر بالله العباسي الرحالةَ المسلم أحمدَ بن فضلان ـ رحمه الله تعالى ـ بالقيام بثلاث رحلات إلى بلاد البلغار، فكان أول من سجل مشاهداته عن تلك البلاد في كتابه المشتهر **«رحلة ابن فضلان»**.

ومن ذلك: الرحلات الجغرافية لكثير من علماء المسلمين، ومؤلفاتهم بذلك معروفة مشتهرة؛ مثل: كتب المسالك والممالك، ومعاجم البلدان، وكتب اشتهرت بأسماء مدونيها، مثل: **«رحلة ابن بطوطة»**، **«ورحلة ابن**

جبير»، «ورحلة العياشي»، وسواها كثير.

وعلى هذا، فمسألة الرحلة والارتحال، والتنقل في بلاد المسلمين، وتدوين أخبار البلاد والعِباد، وتتبع أحوال الملوك والأمراء والزهاد والعُبّاد، ووصف ما يكون في أسواق العامة وأعراسهم وأعيادهم وأحزانهم وأتراحهم، ومتابعة رحلة محمل الحج الشامي والمصري إلى البيت العتيق، فكثير متداوَل مشهور مذكور، في كل مصنفات المسلمين على جميع فنونهم واهتماماتهم.

ومن هذه المصنفات الكتاب الذي بين أيدينا **«فوائد الارتحال ونتائج السفر في أعيان القرن الحادي عشر»**؛ فقد تتبع مصنفه الحموي ـ رحمه الله تعالى ـ أحوال هذا القرن، وارتحل معهم، عبر مائة عام ويزيد، مدوناً أخبارهم، عن مشايخه بدايةً، ثم عمن عاصرهم والتقى بهم؛ ليشمل في مدوناته: أهل الشام والحجاز ومصر، والعراق وفارس، واليمن والهند، وأطرافاً من أخبار المغرب الأقصى، وسواحل أفريقية الشرقية.

وكثيرٌ من هذه الأخبار عبارةٌ عن مشاهدات المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ الخاصةِ، ومراسلاتٍ ومكاتبات مع أهل عصره، ونقُولاتٍ عن مصنفات مَنْ قبله عن هذا القرن الحادي عشر.

ولعل المطلع على هذا الكتاب يجد فيه ما لا يجده في غيره؛ من اهتمام المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ وتفصيله لأحوال اليمن؛ لكثرة اتصاله بأهله، ودقة وصفه لأخبار الحرم الشريف وأشرافه، ومن أشهر ما ذكر من أحوال الحرم الشريف: خبر السيل العظيم الذي وقع سنة تسع وثلاثين ومائة وألف،

وما كان فيه من انهيار جدار البيت الحرام، ووَقْعِ ذلك على الأمة الإسلامية، بدايةً من أهل الحرم وعلمائه وأشرافه، حتى بلوغ الخبر لسلطان المسلمين في القسطنطينية، وقيامه بالأمر أتم القيام.

ومن الأمور التي اهتم لها المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ: أحوال العلماء الرحالة، الذين ما توقفت رحلاتهم بين موانئ اليمن والحجاز والهند وممالكه الإسلامية، واصفاً أخبار هؤلاء العلماء، وما كان من أحوال تلك الممالك الهندية، ومن أقصى الشرق الهندي، يتنقل بقلمه ليصف أحوال العلماء في المغرب من أقصاه، مروراً بسواحل أفريقيا ومصر والشام، ولا يغفل أحوال السلاطين العثمانيين، وعلاقاتهم مع بلاد النصارى من حروب ومعاهدات، واهتمامهم بأحوال المسلمين، خاصَّتِهم وعامَّتِهم.

وآخر ما يقال: ما تلطف به الإمام العلامة ابن عساكر ـ رحمه الله تعالى ـ في مقدمة كتابه «تاريخ دمشق»: فمن وقف على تقصير أو خلل، أو عثر فيه على تغيير أو زلل، فليعذر أخاه متطوِّلاً، وليصلح ما يحتاج إلى إصلاح متفضِّلاً.

ومثله ما ذكره الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ رحمه الله تعالى ـ:

يا سيداً طالَعَهُ ... إن راقَ معناه فَعُدْ
وافتحْ له بابَ الرضا ... وإن تجدْ عيباً فَسُدْ

راجياً من الله ﷻ قبول العمل، والتجاوز عن الزلل، فما كان من خير وبر ومعروف، فمن فضل الله ﷻ ومنّه وكرمه، وما كان من نقص وخلل، فمن نفسي المقصرة والشيطان.

وصلِّ اللهم أولاً وآخراً على النبي الأمي محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم آمين.

وكتب: أبو يحيى عبد الله محمد الكندري

الجمعة: ٤ صفر/ ١٤٣٠هـ الموافق: ٣٠ يناير/ ٢٠٠٩م

الكويت ـ الفحيحيل الزاهرة

تنبيه مهم: إن ما سيُورده المؤلف ـ رحمه الله ـ من أشياء متعلقة بالأوراد والأذكار المقروءة للحفظ والستر وغيرها، مما لم يرد دليل عليه من الكتاب والسنة، إضافة إلى أن بعضها يحتوي على أشياء من الشرك بالله، أو الطلاسم غير المفهومة، أو الاستغاثة بغير الله، أو الاستعانة به، فليحذر المسلم على دينه من ذلك، وإنما أثبتناه كما هو حفاظاً على أمانة إخراج التراث كما ورد ونُقل. والله المستعان.

□ □ □






وَصفُ النُّسخةِ المخطوطةِ

كان من فضل الله ﷻ وتيسيره: أن اطلعتُ على نُسخ هذا الكتاب الجليل، المحفوظ بمكتبة المخطوطات، بجامعة الكويت، والنسخة الكاملة منه، من ضمن إهداءات **الشيخ الفاضل والأخ الكريم أبي عايض صلاح عايض الشلاحي**، وليس هذا أول أفضاله في نشر العلم وخدمة أهله، ولقد كان ـ حفظه الله تعالى ـ من أهم أسباب تشجيعي على العمل بهذا الكتاب وتحقيقه.

والمخطوط يقع في نسختين، كلاهما محفوظ في دار الكتب المصرية بالقاهرة، إحداهما منسوخةٌ من الأخرى، كما يذكر ذلك **ناسخها محمد قناوي محمد، النساخ بدار الكتب المصرية** في ختامها، والنسخة الأولى عبارة عن ثلاثة أجزاء، والنسخة الثانية عبارة عن الجزء الثالث فقط من الكتاب، لكنها متميزة بقربها من المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ؛ فقد كتبت بعده بست سنين، وأنها الأصل الذي نقلت منه النسخة الأولى.

*** النسخة الأولى من المخطوط:**

وتقع في ثلاثة أجزاء، الجزء الأول منها يقع في (٦١٣) ورقة، في كل ورقة منها صفحتان، في كل صفحة منها (٢١) سطراً، والورقة الأولى،

من مقدمة الكتاب ساقطة.

ويشتمل الجزء الأول على المُحَمَّدين، ثم الأَحْمَدين من المترجمين، وأولهم ـ بعد مقدمة الكتاب ـ ترجمة الشيخ محمد صفي الدين بن محمد نجم الدين الزهيري الدمشقي ـ رحمه الله تعالى ـ، وينتهي الجزء بترجمة السيد أحمد بن مسعود الشريف الحسني ـ رحمه الله تعالى ـ، ورقمها بدار الكتب المصرية: تاريخ ٣١٨٧، وهي محفوظةٌ بمكتبة المخطوطات، بجامعة الكويت برقم ٧٧٥٦.

الجزء الثاني: ويقع في (٤٦٧) ورقة، في كل ورقة منها صفحتان، في كل صفحةٍ منها (٢١) سطراً، وهناك أربعة مواضع في هذا الجزء في كل موضع منها سقط قدر ورقة، ويبدأ من حرف الهمزة، من ترجمة الشاعر إبراهيم بن محمد بن مشعل العبدلي السالمي المكي ـ رحمه الله تعالى ـ، وينتهي بترجمة الشيخ طعيمة الصعيدي ـ رحمه الله تعالى ـ، ورقمها بدار الكتب المصرية: تاريخ ٣١٨٧، وهي محفوظةٌ بمكتبة المخطوطات، بجامعة الكويت برقم ٧٧٥٥.

الجزء الثالث: ويقع في (٥٨٩) ورقة، في كل ورقةٍ منها صفحتان، في كل صفحةٍ منها (٢١) سطراً، ويبدأ من حرف الظاء، من ترجمة ظاهر بن مدلج البغدادي الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ، وينتهي بترجمة الشيخ يونس ابن يونس بن عبد القادر الرشيدي ـ رحمه الله تعالى ـ، ورقمها بدار الكتب المصرية: تاريخ ٣١٨٧، وهي محفوظةٌ بمكتبة المخطوطات، بجامعة الكويت برقم ٧٧٥٧.

وجاء في آخرها قول الناسخ ـ رحمه الله تعالى ـ: **«تم نقل هذا الكتاب**

في يوم الأربعاء ٢٦ ذي القعدة سنة (١٣٤٦هـ، ١٦ مايو ١٩٢٨م)، وذلك من النسخة المخطوطة المودَعة بدار الكتب المصرية تحت رقم: ١٠٩٣، محمد قناوي محمد، النساخ بدار الكتب».

* النسخة الثانية من المخطوط:

وهي عبارةٌ عن الجزء الثالث من الكتاب فقط، وتقع في (٤٤٢) ورقة، في كل ورقةٍ منها صفحتان، في كل صفحةٍ منها (٢٥) سطراً، تبدأ من حرف الظاء، من ترجمة ظاهر بن مدلج البغدادي الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ، وتنتهي بترجمة الشيخ يونس بن يونس بن عبد القادر الرشيدي ـ رحمه الله تعالى ـ، وهي نسخةٌ مصححةٌ، وعلى هوامشها تعليقاتٌ وفوائد للناسخ، خاصةً فيمن تكون وفاته من المترجمين بعد المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ.

وجاء في آخرها: «قال كاتبه: هذا آخر ما وجد من هذا التاريخ بخط مؤلفه، وقد كتبنا من مسودة المؤلف، ورتبناه على هذا الوجه المطابق لغرض المصنف، ووافق الفراغ من هذا التاريخ ظهر يوم السبت الثالث والعشرين من شهر رجب الحرام، من شهور سنة تسع وعشرين ومائة وألف، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم»، وهي محفوظةٌ بدار الكتب المصرية برقم: ١٠٩٣ ـ تاريخ، ولها نسخةٌ مصورةٌ بمكتبة المخطوطات، بجامعة الكويت برقم: ٢١٢٦، وأما الجزءان الأول والثاني من هذه النسخة، فمفقودان، والحمد لله الذي صان الكتاب وحفظه بإعادة نسخه.

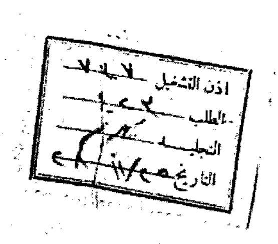
ملاحظة عامة: والواضح أن المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ لم يتمم العمل النهائي لكتابه؛ لوجود عدد من البياضات في عدة مواضع من الكتاب، والتكرر

الذي وقع لعدد من التراجم، اختصرها في موضع، واستفاض فيها في موضع آخر، وكأن المراد أن يعود إليها ليتمم ترتيبها، ويُستشف ذلك من قول الناسخ في نهاية النسخة الثانية: «وقد كتبنا من مسـودة المؤلـف، ورتبناه على هذا الوجه المطابق لغرض المصنف»، وقد حرص الناسخ محمد قناوي محمد، على التعليق على مواضع هذه البياضـات، فنجده يقول مثلاً: «بياضٌ قدر سبعة أسطر»، والله أعلم.

وصلِّ اللهم أولاً وآخراً على محمد وآله.

□ □ □

الجزء الأول
من فوائد الارتحال ونتائج السفر
في أخبار أهل القرن الحادي عشر
للعلامة المجيد الشيخ مصطفى
فتح الله الحموي عليه
سحائب الرحمة والرضوان
ونفعنا به



ورقة الغلاف للنسخة الأولى

الورقة الاولى مفقودة والموجود من اول الورقة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

... والاجدرون بان تؤثر مآثرهم وتخلد وينا
ونشر الكونهم حفظة الدين الذى هو أس السعادة
الباقية ونقلة العلم الذى هو المرقاة الى المراتب العالية
وقد روى مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح فيما نقله
عنه الامام النووى رحمهما الله تعالى فى ديباجة
طبقاته انه قال اول ما يجب على مبتغى العلم وطالبه
ان يعرف مراتب العلماء فى العلم ورجحان بعضهم على
بعض قلت وكان الاصل فيه قوله صلى الله عليه
وسلم انزلوا الناس منازلهم ولا ريب ان المعرفة
بالخواص اصرة ونسب وهو يوم القيامة وصلة
الى شفاعتهم وسبب والعالم بالنسبة الى مقتبس علمه
بمنزلة الوالد بل افضل فاذا كان جاهلا به فهو كالجاهل
بوالديه بل اضل وقال امام الائمة محمد بن ادريس
الشافعى رضى الله عنه من علم التاريخ زاد عقله
وقال مصعب الزبيرى ما رأيت احدا اعلم بأيام الناس
من الشافعى وروى عنه انه اقام على تعلم ايام
الناس والادب عشرين سنة وقال ما اردت بذلك
الا الاستعانة فى الفقه قال الحافظ شهاب الدين
ابو شامة وذلك عظيم الفائدة جليل العائدة وفى
كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
من

الورقة الأولى من النسخة الأولى

ويلاحظ النقص من بداية الكتاب

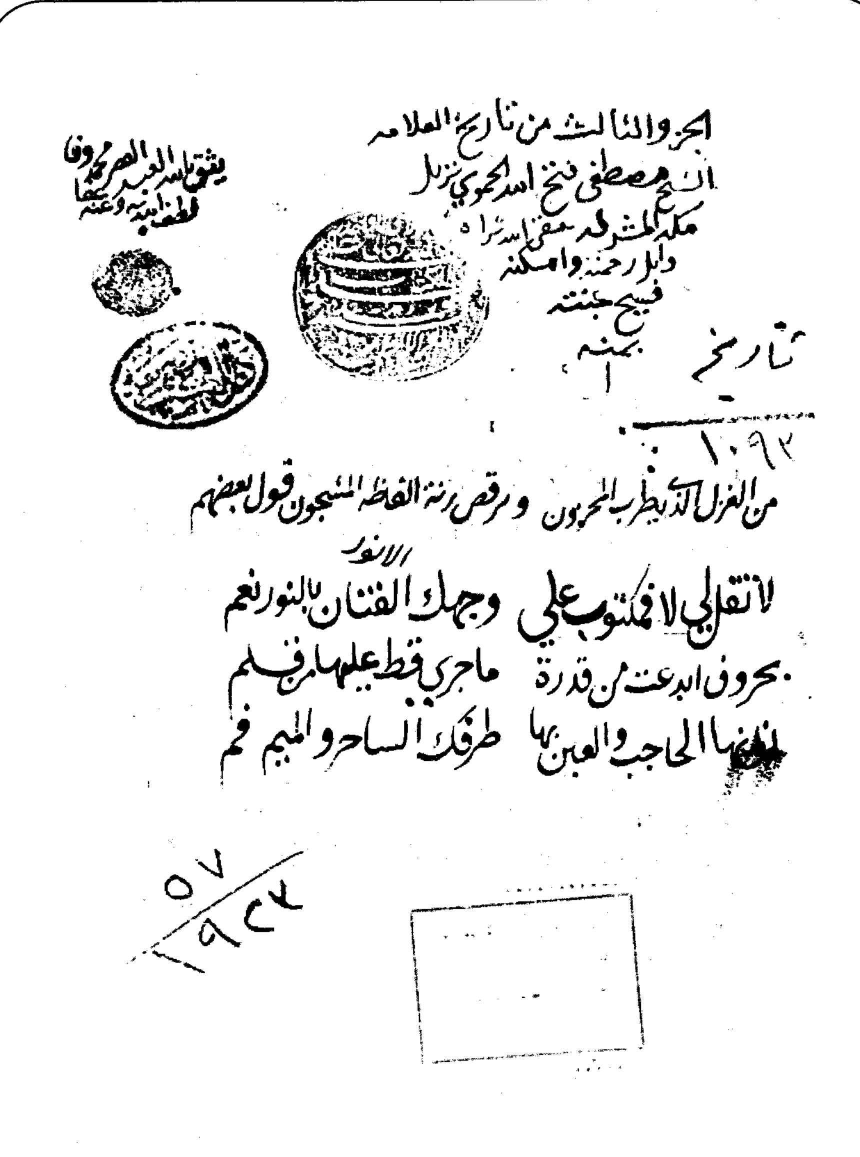
١١٧٧

النحوي الحنفي كان اماما عالما بارعا في العربية له شرح ممزوج على الفية ابن مالك مفيد الفه بالقسطنطينية بمحلة محمود باشا وارخ اكماله في غرة ربيع الثاني سنة ثمان عشرة والف وله شرح على السراجية سماه المقاصد السنية الحنفية الفه لما قدم الى الروم سنة احدى عشرة بعد الالف

انتهى

تم نقل هذا الكتاب في يوم الاربعاء ٢٦ ذي القعدة سنة ١٣٤٦ ﻫ ١٦ مايو سنة ١٩٢٨م وذلك من النسخة المخطوطة المودعة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٩٣ ح محمد قناوي محمد الناسخ بدار الكتب

الورقة الأخيرة من النسخة الأولى


يقول العبد الفقير محمد وفا لطف الله به وعنه عفا

الجزء الثالث من تاريخ العلامه
الشيخ مصطفى شيخ اسد الحموي نزيل
مكه المشرفه سقى الله ثراه
وابل رحمته واسكنه
فسيح جنته

١٠٩٢

من الغزل الذي يطرب المحزون ويرقص رنة الفاظه المسجون قول بعضهم

لا تقل لي لام مكتوب على ... وجهك الفتان بالنور نعم
بحروف ابدعت من قدرة ... ما جرى قط عليها قلم
نونها الحاجب والعين بها ... طرفك الساحر والميم فم

غلاف النسخة الثانية وهو الجزء الثالث من الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

حرف الثاء المعجمة المثلثة

ثامر بن ... الفاضل ابن مدلج البغدادي كان في احد اكابر
فضلاء العصريين بالعراق ولد بعد نحو عام خمس وخمسين والف ونشا
ببغداد واخذ بها عن والده واخذ علم ... عن ... الموجود
ثامر ... العاني كان مفتي عانة والحديثة من ارض العراق
قال النجم الغزي قدم الشام وحج منها واجتمعنا به مع شيخنا العيثاوي
للسلام عليه وكان فقيها [illegible] وله مشاركة تامة في العلوم
ورجع الى بلاده فتوفي بها سنة عشر بعد الالف

حرف العين المهملة

عامر بن محمد الصباحي الذماري نسبة الى بيت صباح قرية مشهورة
في مشارق اليمن تقرب من قرن المنسوب اليها اويس القرني رضي الله عنه
على نحو مرحلتين ذكره العلامة احمد بن صالح بن ابي الرجال في تاريخه
فقال القاضي العلامة المذاكر شيخ العلامة ولسان الفقه وانسان
عينه كان وحيد وقته فريد عصره اليه المنتهى في تحقيق الفروع ينقل
عنه الناس ويقررون عنه قواعد المذهب رحل في مبادي امره الى
ذمار ولقي شيوخها المحققين وحصل على تقشف في العيش وشدة
في الامر يروى عنه انه كان لا يملك الا ... من خلوص الصابون
وكان اذا احتلم غسله للتطهر ثم يلبسه اخضر لانه لا يجد غيره وكان
مواظبا على العلم اشد المواظبة ايام [illegible] وكان
ابوه من اهل الثروة والمال لكنه حبس ما ورثه في الدرس
فقال لا تركته [illegible] اهل البيت ثم رحل القاضي الى صنعاء واقام بها
ودرس ... ورحل الى شيخ الزيدية امام الفروع والاصول
ابراهيم بن مسعود الحجري الى الظهرين وكان اذ ذاك بقية العلماء
وله بالتذكرة خصوصا فرط الثقة فطلبه القاضي عامر ان يقرئه
فيها فاجابه ولم يستعد لتدريسه لظنه انه من عامة الطلبة علما

الورقة الأولى من النسخة الثانية

الروم سنة احدى عشرة بعد الالف

قال كاتبه وهذا آخر ما وجد من هذا التاريخ بخط مولفه
وقد كتبناه من مسودة المولف ورتبناه
على هذا الوجه المطابق لغرض المصنف
ووافق الفراغ من هذا التاريخ
ظهر يوم السبت الثالث
والعشرين من شهر رجب
الحرام من شهور
سبع وعشرين ومائة
والف ولا حول
ولا قوة الا بالله
العلي العظيم
وصلى الله على
سيدنا محمد

الورقة الأخيرة من النسخة الثانية




فوائد الارتحال ونتائج السفر
في
أخبار القرن الحادي عشر

تأليف

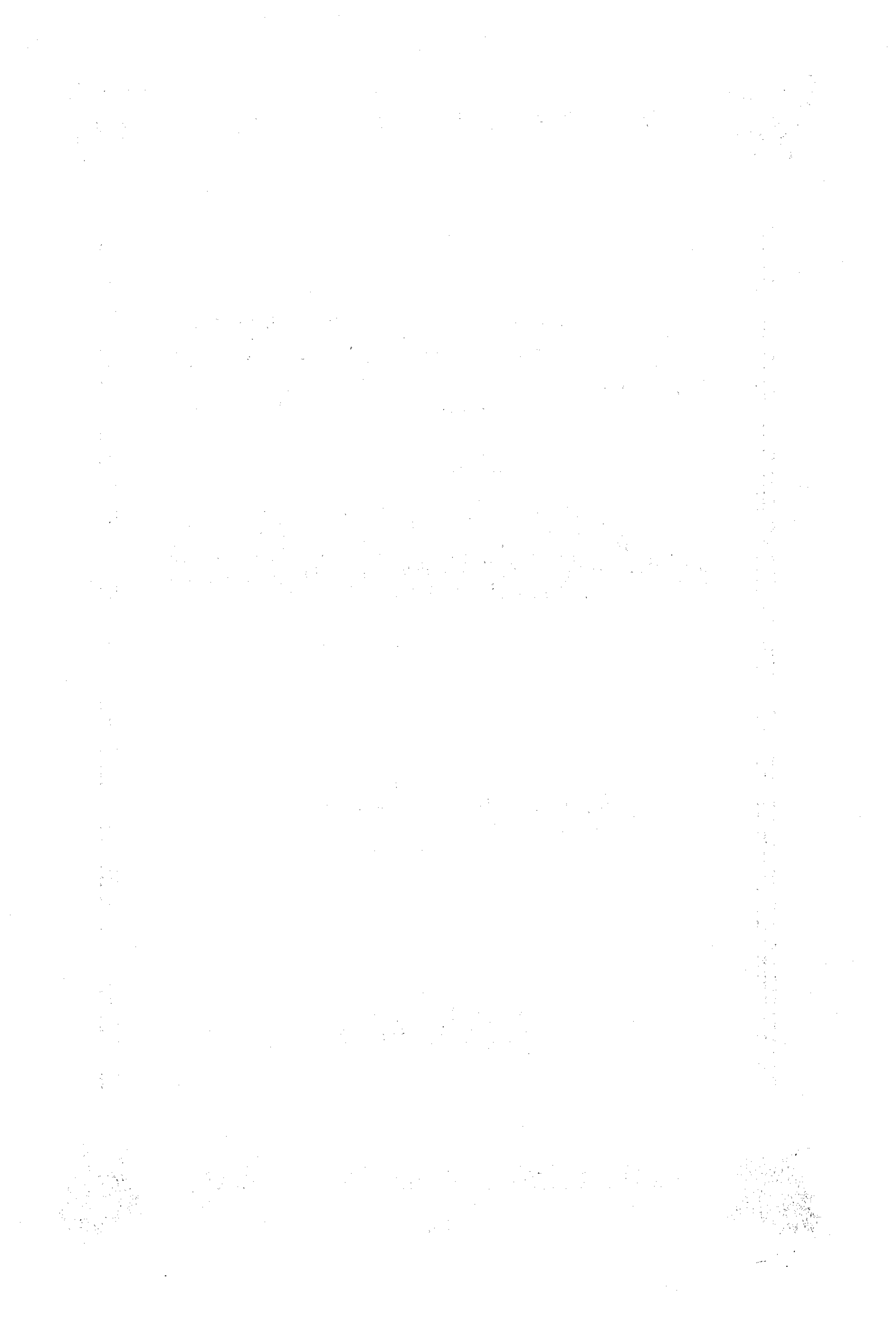
العلامة مصطفى بن فتح الله الحموي

المتوفى سنة ١١٢٣هـ

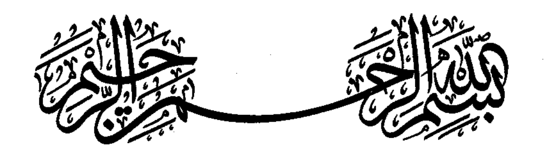
تحقيق

عبد الله محمد الكندري







[مُقَدِّمَةُ ٱلمؤَلِّفِ]

. . .(1) والأجدَرون بأن تُؤثَر مآثرُهم، وتخلد تدويناً ونشراً؛ لكونهم حفظةَ الدين، الذي هو أُسُّ السعادة الباقية، ونَقَلَة العلم، الذي هو المِرْقاة إلى المراتب العالية، وقد روى مسلمُ بنُ الحجاج، صاحب «الصحيح»، فيما نقله عنه الإمام النووي ـ رحمهما الله تعالى ـ في ديباجة «طبقاته»: أنه قال: أولُ ما يجب على مبتغي العلم وطالبِه، أن يعرف مراتب العلماء في العلم، ورجحانَ بعضهم على بعض.

قلت: وكان الأصل فيه، قوله ﷺ: «أنزلوا الناس منازلهم»، ولا ريب أن المعرفة بالخواص آصرةٌ ونسبٌ، وهو يوم القيامة وُصْلَةٌ إلى شفاعتهم وسببٌ، والعالم بالنسبة إلى مقتبس علمه، بمنزلة الوالد بل أفضل، فإذا كان جاهلاً به، فهو كالجاهل بوالديه بل أَضَلّ.

وقال إمام الأئمة محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه: من عَلِم التاريخ، زاد عقلُه.

---

(1) جاء في الحاشية في أعلى الورقة: «الورقة الأولى مفقودة، والموجود من أول الورقة الثانية».

وقال مصعب الزبيري: ما رأيت أحداً أعلمَ بأيام الناس من الشافعي.

وروي عنه: أنه أقام على تعلُّم أيام الناس والأدب عشرين سنة، وقال: ما أردت بذلك إلا الاستعانة في الفقه.

قال الحافظ شهاب الدين أبو شامة: وذلك عظيم الفائدة، جليل العائدة، وفي كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، من أخبار الأمم السالفة، وأنباء القرون الخالية، ما فيه عبرة لأولي الأبصار.

وحدّث النبي ﷺ بحديث أُم زَرْع وغيرِه، مما جرى في الجاهلية، والأيام الإسرائيلية، ولم تزل الصحابة والتابعون فمَنْ بعدَهم، يتفاوضون في حديث مَنْ مضى، ويتذكرون ما سبقهم من الأخبار، وذلك بيّنٌ من أفعالهم، لمن اطلع على أحوالهم، وهم السادة القدوة.

وقال صاحب «التهذيب»: لولا التاريخ، ما تميز ناسخ من منسوخ، ومتقدم من متأخر، وما استقر من الشرائع وثبت، مما أُزيل ورُفع، ولا عرف ما كان أسبابها، وكيف مست الحاجة إليها، وحصلت وجوه المصلحة فيها، ولا عرفت مغازي رسول الله ﷺ، وحروبه وسراياه وبعوثه، ومتى قارَبَ ولايَنَ؟ وكم ساتر وخافَتَ؟ وفي أي وقت جاهر وكاشف، ونبذ إلى أعدائه وحارب؟ وكيف دبر أمر الله الذي ابتعثه له، وقام بأعباء الحق الذي طوقه ثقله، وأي ذلك قدم، وأيها أخر، وأيها بدأ، وبأيها ثنى وثلث، وأن الولد البر، ليتفقه ذلك من آثار والده، والصاحب الشفيق، ليعن بمثله من شأن صاحبه، حتى يعد ـ إن أغفله ـ مستهيناً به، مستوجباً لعتبه، فكيف بمن هو رحمة الله المهداة إلينا، ونعمته المفاضة عليه؟.

وطوّل القول فيه حتى قال: وفي الازدياد منه تذكير بآلاء الله؛ وتنبيه على نعم الله؛ بما اختص به من أنباء الأولين، وأبث من أخبار الآخرين، وبيّن من الآيات التي أمر الله تعالى بالمسير في الأرض لأجلها، وبعث على الاعتبار بها، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[الروم: ٩].

فحث العاقل على استبقاء نعمة الله عنده ـ بالشكر الذي ضيعه ـ من سلب الله تلك النعم، ويتحرز من غوائل الكفر، الذي أحل بهم تلك النقم، وأيُّ أمر أقبح، وحالة أشنع، من أن يحل الرجل محل المشارك فيه، المأخوذ عنه، ثم يسأل عن الغزوتين من مشهور غزواته، والأثرين من مستفيض آثاره، فلا يعرف الأول من الثاني، ولا يفرق بين البادي والتالي؟!.

قال المحدث الحافظ عبد الرحمن الربيعي الزبيدي في كتابه «بغية المستفيد في أخبار زبيد»: لولا التاريخ، لقال من شاء ما شاء.

وقال حسان بن يزيد: لم يُستعن على الكذابين بمثل التاريخ.

حُكي لنا: أن بعض اليهود أظهر كتاباً، ادعى فيه: أنه كتاب رسول الله ﷺ بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادة جمعٍ، منهم الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ، منهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وسعد بن معاذ رضي الله عنهم.

فعرضوا ذلك على الحافظ الخطيب أبي بكر البغدادي، فتأمله وقال: هذا زور، فقيل: من أين لك هذا؟ فقال: فيه شهادة معاوية، وهو أسلم عام الفتح، وكان فتح خيبر في سنة سبع، وفيه شهادة سعد بن معاذ، ومات سعد يوم بني قريظة، قبل خيبر بسنتين. فأي منقبة أشرف من هذا؟.

وذكر الحافظ عبد العزيز بن عمر بن فهد الهاشمي المكي، في تذكرته التي سماها: «نزهة الأبصار لما تآلف من الأفكار» وقد ملكتها ـ ولله الحمد ـ بخطه، في ثمان مجلدات كبار، ومن خطه نقلت ما نصه: مما نقله الوالد من مجاميع الميورقي: سمعت من أثق بدينه وعلمه يقول: إن الاشتغال بنشر أخبار فضلاء العصر ـ ولو بتواريخهم ـ من علامات سعادة الدنيا والآخرة؛ إذ هم شهود الله في أرضه، ويذكر الله ينزل الرضوان، ويذكر رسوله تنزل المحبة، وبذكر الصالحين تنزل الرحمة، وهم في السعادة جلساء مَنْ ذكرهم، ومن أحبَّ شيئاً أكثرَ من ذكره، ويرجى لمن أرخ جماعةً، أن يشفع السعيد منهم في الشقي، وفي الخبر الصحيح: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى». انتهى كلامه.

وقد جعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ، في كل قرن سابقين من هذه الأمة إلى ورد مناهل ميره، واختص من كل عصر مقربين من الأعيان والأئمة، أطلعهم على لطائف سره، وأخبر عنهم، ونوه بمقامهم الفائق، في قوله تعالى في كتابه المكنون: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر: ٩].

وقال ﷺ: «لكل قرن سابق»، وقال ﷺ: «لكل قرن من أمتي سابقون» أخرجهما أبو نعيم في «الحلية»، وقال ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر، لا يُدرى أولُه خير أم آخره» أخرجه الترمذي.

ولا شك أن العلماء مظنة الخيرية، وأحق الناس بالتفضيل لوجود الأهلية، والخير لا يُنزع من هذه الأمة في حين من الأحيان، وهذه الأحاديث مصرحَة بأن السبق لا يختص بالقرون الأولى خاصة، وأن سبق سابقي كل زمان باعتبار ذلك الزمان، وقد قام أهل الحديث، وغيرهم من أكابر العلماء في القديم

والحديث، شكر الله صنيعهم ومساعيهم، بالاعتناء بهذا الشأن، فألفوا التواريخ العديدة الحسان، على اختلاف أعصارهم، وتباعد أمصارهم.

وإني لم أزل ـ منذ زمن الحداثة ـ ذا عناية شديدة به، أتطلبه من مظانه وغيرها، وأصيد أوابده، وأقيد شوارده، وأتتبعه من معاجم الشيوخ وفهارسهم، وأتلقى ذلك من أفواههم ومجالسهم، ولم أجد لأحد من أفاضل العصر لأهل القرن الحادي عشر، تاريخاً بسيطاً، وبأخبار علمائه محيطاً، مع ما فيه من الأئمة الأعلام، والأولياء العظام.

ثم وقفت على «ذيل كتاب الكواكب السائرة في أخبار المائة العاشرة» لشيخ الإسلام حافظ الشام نجم الدين محمد بن بدر الدين محمد الغزي، وعلى تاريخ العلامة القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال اليمني الصنعاني الذي سماه: «مجمع البحور» في مجلدات، ذكر فيه جماعة من أهل اليمن، وعلى تاريخ صاحبنا المرحوم العلامة محمد أمين بن فضل الله المحبي الدمشقي في مجلدين، وهو تاريخٌ لطيف.

واعتنى شيخنا السيد العلامة محمد بن أبي بكر الشبلي باعلوي الحسيني، بجمع وفيات أعيان هذه المائة، من الشيوخ الحضرميين، والسادة العلويين، واليمنيين، في تاريخ سماه: «عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر»، وأضاف إليه مما جمعه من أخبار المصريين والشاميين وغيرهم، وأراد تبييضه، واخترمته المنية، وبيضه بعض تلامذته بعد موته ـ رحمه الله ـ.

فعنّ لي أن أجمع ما يسره لي الله، من تراجم علماء هذا القرن، وأوليائه وكبرائه وأمرائه، وأهل البيت النبوي الطاهرين، والشعراء المجيدين، وشيوخي الذين لقيتهم أو عاصرتهم، ممن سمعت منه، أو أجاز لي الرواية عنه، وما دار

بيني وبين فضلاء عصري، والأئمة الذين يجب أن تكتب محاسنهم بالذهب المصري، مما بدأت فيه وراجعت، وقلدت فيه وتابعت؛ ليكون ذلك في هذه الأوراق مجموعاً، وتشبيب طائره في غضون الغصون منها مسموعاً.

واستخرت الله تعالى في تأليف ذلك، وإبـرازه لطالبيه، وحفظه على مبتغي العلم وحافظيه، ورتبته على حروف المعجم؛ ليكون أسهل للكشف عن شيخٍ في هذا الكتاب مترجَم، وكنت عزمت أن أرتبه على الطبقات لا على الحروف، من حيث إن ترتيبه على الحروف يلزم منه أن يقع المفضول والآخِر، قبل الفاضل والأول.

ثم نظرت، فإذا ذلك هينٌ في جنب ما يحصـل بترتيبه على الحروف، من التيسـير على أكثر الناس، إذ الغالـب أن أحدهـم إذا طلب الوقوف على ترجمة واحد منهم، وقد عرف اسمه، لم يدر من أي طبقة هو حتى يطلبه في المسمَّين باسمه.

وقدمت المحمَّدين، ثم الأحمدين؛ تبركاً باسم نبينا محمد سيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وإقتداءً ببعض المؤرخين، ثم أعود بعدهم إلى الترتيب المذكور، وأذكر من حال كلٍّ والتعريف به ما تنشرح به الصدور، وتتم به فائدة الكتاب، ويستحسن بين أولي الألباب.

وأُورد من كرامات الأولياء ما رواه عدلٌ متيقظ ضابطٌ عن مشاهدة، أو عمن يُقبل خبره كسائر الأخبار، ولا أثبتها بمجرد الاشتهار؛ فإن الكذب يقع فيها كثيراً، إلا أن أكثر العوام يجهل شروط النقل، وبعضهم مغفل، يروي كلَّ ما سمعه، ويحسن الظن بناقله، كائناً من كان.

ولم أتتبع عثرات العلماء ليقال، ولكن لأستقيل في تـداركها عثراتي

فتقال، وأسلك مسلك الاعتدال، وإن كان المترجم من أهل الاعتزال[1]، وإني لا أعتقد أن قولي في مدحهم مقرب، ولا عن بعض محاسنهم معرب، وإنما حُمْتُ حول حَرَمهم، ولذت بجميل كَرَمهم؛ لعلي بجميل كَرَمهم لعلي أُعدّ من الواصفين لجلالهم، المتمسكين بأذيالهم؛ فإني من محبيهم، ومن أحب قوماً، رجا أن يكون منهم، أو يكون معهم؛ كما جاء في الحديث الشريف، وهذا هو علالة الضعيف.

لي سادةٌ من عِزِّهم ... أقدامُهم فوقَ الجباهْ
إنْ لم أكنْ منهم فلي ... في حبهم عزٌّ وجاهْ

وربما يفوِّق منتقدٌ نحوي سهام العتاب، بذكري بعضَ المبتدعة في هذا الكتاب، فجوابه: أني لم أخترع ذلك من تلقاء نفسي، بل سلفي في ذلك كثير من المؤرخين؛ إذ مقصود المؤرخ: ذكرُ خيار العلماء والناس من حيث هم، مع قطع النظر عن مذاهبهم.

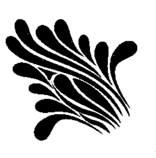
وأدخلت فيه من الفوائد العلمية المنقولة عن المترجمين؛ رجاء أن يكون ديوان علم، تشرح له صدور الطالبين، وسميته: **«فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر»**، والله أَسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، ومقدماً في جنات النعيم، وأن يحسن المعونة على إتمامه بجوده العميم، وإنعامه الجسيم، إنه ولي ذلك، وهو على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وهو حسبي ونعم الوكيل.

❐ ❐ ❐

---

(١) من المعلوم أن الاعتزال بدعةٌ مذمومة، وقد جانب المصنف الصواب في مدحهم، رحمه الله وغفر له.






المُحَمَّدُونَ

[١] محمد صفي الدين ابن القاضي محمد نجم الدين الزهيري الدمشقي(١).

أحدُ العدول بمحكمة الباب بدمشق، كان مقيِّداً للوقائع، مشهوراً بالنظافة والأمانة، منفرداً في عصره بصناعة الإنشاء، وله اطلاعٌ واسعٌ على الفروع الفقهية، وبراعةٌ في العلوم الأدبية.

مات بدمشق سنة إحدى بعد الألف، نقلت من خطه، في مجموعة له عن بعض شيوخه: البشر أفضلُ من الملَك، ولكن لا يجب على المكلف اعتقادُ ذلك، ولو لقي الله ساذجاً من هذه المسألة، لم يسأل. انتهى.

[٢] محمد بن محمد محيي الدين سبط الرجيحي القاضي العلامة، شمس الدين الدمشقي الحنبلي(٢).

كان من أعيان دمشق، والمعوَّل عليهم فيها، وكان ماهراً في علوم القضاء،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر للغزي» (١/ ٤٧) (٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٣٢)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٣٧٢) (٢٩).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٢٦) (٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٤٣).

مشهوراً فيها، وله محاضرة حسنة.

مولده في شوال، سنة سبع عشرة ـ بتقديم السين ـ وتسعمائة، كان أولاً يخدم قاضي القضاة وليَّ الدين بن الفرفور، ثم طلب العلم، وأخذ عن شيخ الإسلام الرضيِّ الغزي، وتفقه بموسى الحجّاوي، وشهاب الدين بن سالم، وحصل في دمشق فتنة، فسافر بسببها إلى مصر، واجتمع بالأستاذ الشيخ محمد البكري، وأخذ عنه، ولما همدت الفتنة، رجع إلى دمشق، ورُدَّ إلى منصبه قضاء الحنابلة بكبرى دمشق إلى أن مات في شوال ليلة الجمعة سنة اثنتين وألف.

ورآه شيخ الإسلام النجم الغزي في المنام، بعد موته بسنتين، فقال له: ما فعل الله بك؟ فضحك، وقال: يا مولانا الشيخ! أما علمت أني مت ليلة الجمعة؟ ـ رحمه الله ـ.

قلت: وفيه إشارة إلى الأمن من عذاب القبر وفتنته لمن مات يومها وليلتها، قال السيوطي في كتابه «اللمعة في خصائص الجمعة»: أخرج أبو يعلى عن أنس ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «من مات يوم الجمعة، وُقي عذاب القبر».

وأخرج البيهقي في كتاب «عذاب القبر»، عن عكرمة بن خالد المخزومي، قال: «من مات يوم الجمعة، أو ليلةَ الجمعة، خُتم بخاتم الإيمان، ووُقي عذابَ القبر».

وأخرج الترمذي وحسنه، والبيهقي، وابن أبي الدنيا، وغيرهم، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو

ليلة الجمعة، إلا وقـاه الله فتنة القبر»، وفي لفظ الآبري: «من فتنة القبر»، وفي لفظ: «إلا وُقي الفتان».

قال الحكيم الترمذي: وحكمته: أنه انكشـف الغطاء عما له عند الله؛ لأن جهنم لا تُسجر في هذا اليوم، وتُغلق فيه أبوابها، ولا يعمل فيه سلطانها، ما يعمل في سائر الأيام، فإذا قبض الله فيه عبداً، كان دليلاً لسعادته وحسن مآبه، وإنه لم يقبض في هذا اليوم العظيم إلا من كتبت له السعادة عنده، فلذلك تقيه فتنة القبر؛ لأن سببها إنما هو تمييز المنافق من المؤمنين.

وقال اليافعي في «روض الرياحيـن»: بلغنا أن الموتى لا يعذبـون ليلة الجمعة؛ تشريفاً لهذا الوقت، قال: ويحتمل اختصاص ذلك بعصاة المؤمنين دون الكفار. انتهى.

وقال السـيوطي أيضاً في كتاب «أبواب السعادة في أسباب الشهادة»: أخرج حميد بن زنجويه، في فضائل الأعمال، من مرسـل إياس بن بكير، أن رسول الله ﷺ قال: «من مات يوم الجمعة، كتب له أجـر شـهيد، ووقي فتنة القبر». انتهى.

[٣] محمد بن معروف بن محمد شريف الرومي الحنفي.

كان إماماً، عالماً، نحريراً، صوفياً، متبحراً في الحقائق، له شرح بديع على تائية العارف بالله الشيخ عمر بن الفارض، ولي قضاء مصر غرة شهر رجب سنة إحدى وألف.

وعرض له فالجٌ عطله عن الحركة، حتى مات يوم الاثنين ثـاني عشـر جمادى الأولى، سنة ثلاث وألف، وكان له مشهدٌ عظيمٌ، وصلى عليه بسبيل

المؤمنين برميلة مصر، إماماً بالناس العلامةُ محمد أفندي آلتي برمق، وحضر الصـلاة عليه حافظ أحمد باشـا وزير مصر ومن دونه، ودفن بالقرافة، تجاه مقصورة سيدي الشيخ عمر بن الفارض.

وكان من القائلين بوحدة الوجود، التي عليها مدار علم التحقيق والشهود[1]، ونقلت من خطه ـ رحمه الله تعالى ـ: إن من القائلين بوحدة الوجود، من يعلم أن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ حقيقة جميع الموجودات وباطنها علماً يقيناً، ولكن لا يشاهد الحق ـ سبحانه وتعالى ـ في الخلق.

ومنهم من يشاهد الحق في الخلق، شهوداً خالياً بالقلب، وهذه المرتبة أولى من المرتبـة الأولى، ومنهم من يشـاهد الحـق في الخلق، والخلق في الحق؛ بحث لا يكون أحدهما صانعاً من الآخر، وهذه المرتبة الأخيرة أولى وأعلى من المرتبتين السابقتين، وهي مقام الأنبياء، والأقطاب بمتابعتهم.

ومن المحال أن تحصل المرتبة المتوسطة من تلك المراتب الثلاث لمن خالف الشريعة والطريقة، فضلاً عن المرتبة الأخيرة التي هي أعلى مما سواهما من المرتبتين. انتهى.

[٤] محمد أبو البركات بن محمد البزوري الدمشقي.

الشيخ العارف بالله تعالى، تلميذُ القطب الغوث، محمدِ بنِ علي بن عبد الرحيم بن عراق، اجتمع به بمكة، فسأله عن اسمه، فقال له: بركات،

---

(١) القول بوحـدة الوجـود قـولٌ باطلٌ مردود، إن اعتقده صاحبه تمام الاعتقاد أفضى به إلى الكفر بالله تعالى، وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى هو عين الحلولية، نعوذ بالله من الخذلان.

فقال: بل أنت محمد أبو البركات، ثم صافحه، ولقنه الذكر، وحرضه على قراءة قصيدته اللامية، الجامعة للأسماء الحسنى، التي أولها:

بـدأْتُ ببسـمِ اللهِ والحمـدِ أَوَّلا   على نِعَمٍ لم تُحْصَ فيما تَنَزَّلا

قال: في كل ليلة، أحسبه قال: بين المغرب والعشاء.

قال النجم الغزي في «الكواكب السائرة»: قلت لشيخنا أبي البركات: هذه القصيدة اللامية التي أشرتم إليها، هي من نظم سيدي محمد بن عراق؟ قال: نعم، هي من نظمه، وأنا أخذتها عنه، فلازمْ على قراءتها؛ فإنها نافعة، وأجازني بها، قال: وكانت وفاته في أوائل جمادى الأولى، سنة ثلاث وألف، وهو آخر من أخذ عن ابن عراق ـ فيما أعلم ـ. انتهى كلام النجم.

قلت: وكون القصيدة اللامية لابن عراق خلاف المشهور أنها للدمياطي، فليحرر، وابن عراق المذكور عالم كبير، وولي شهير، خصوصاً بالحرمين، وذريته فيهما موجودون، ومن الشائع بين المكيين: أن الدنيا لا تزال بخير ما دامت ذرية ابن عراق موجودين.

[٥] محمد بن محمد، السيد الشريف، كمال الدين بن عجلان، الميداني الشافعي(١).

شيخ مشايخ الحِرَف بدمشق، ووالد محمد نقيبِ الأشراف، الآتي ذكره، الرفاعي طريقة.

قال النجم الغزي، في ذيل الكواكب السائرة بأخبار المائة العاشرة الذي

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٦٩) (١٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٤٤).

سماه: «لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر»: كان سيداً جليلاً، حسن الأخلاق، من أولياء الله تعالى، كنت يوماً جالساً في الجامع الأموي، فدخل من باب العنبريين، وصلَّى ما تيسر، فأسرع في الأركان، فخطر لي فيه أنه عامِّي لا يحسن الطمأنينة، فسلم من صلاته، ثم قام من مجلسه، وأقبل عليَّ وصافحني، وقال لي: يا سيدي! لا تؤاخذني؛ فإني عامّي، وصلاة العامي لا تعجب العلماء، فعلمت أنه كشفٌ منه، فاعتذرتُ إليه، وزاد اعتقادي فيه[1]، وكان أثرُ الصلاح ظاهراً على وجهه.

توفي يوم الثلاثاء، سابع جمادى الآخرة، سنة أربع بعد الألف، وصلى عليه إماماً بالناس، شيخُ الإسلام أحمد العيثاوي، بجامع مَنْجَك، ثم حمل فدفن بالجورة ـ رحمه الله تعالى ـ.

ومن فوائده ـ نفع الله به ـ: سخاء النفس عما في أيدي الناس أعظمُ من سخاء النفس بالبذل، وكان المترجَم ممن اشتهر في عصره بالسخاء والحياء، فأنفذ جميع ما بيده على وجوه البر، ولم يطلع أحداً على حقيقة حاله؛ حياء وشهامة، نفع الله به.

والميداني: نسبة إلى ميدان دمشق محلة معروفة بها.

[٦] حاجي محمد بن محمد الرومي.

كان ساكناً بقصبة أولوبورلي، وكان شيخاً صالحاً ديناً، صاحب أحوالٍ

---

(١) لا يعلم الغيب إلا الله تعالى، وهو سبحانه يُطلع من شاء من أنبيائه ورسله على بعض الغيب، أما دعاء الكشف فغير صحيح.

وكراماتٍ خارقةٍ، توفي سنة أربع بعد الألف.

[٧] محمد بن محمد السيواسي.

من خلفاء الشيخ شعبان دده القسطموني، كان شيخاً عالماً صالحاً، صاحب تصرفاتٍ وأحوالٍ، وتوطن «أدرنه»، وكانت له حلقة ذكرٍ، في جامعها المعروف بأوج شرفه، توفي سنة أربع وألف.

[٨] محمد دده بن محمد الأدرنوي.

من خلفاء الشيخ حسام الدين العشاقي، كان شيخاً صالحاً، صاحب أحوالٍ ومقاماتٍ، توفي سنة أربع وألف.

[٩] خواجه محمد يحيى بن محمد النقشبندي.

من أحفاد خواجه عبيدالله أحرار، كان من أكابر أولياء الله، ابتلي بمنصب الوزارة، عند سلطان الهند، جلال الدين الأكبر، وكان صاحب أحوالٍ وكراماتٍ، توفي سنة أربع وألف.

[١٠] محمد بن محمد الغوث، والعوام يسمونه: ممي دده.

وُلد بقلعة «بجينه» ببلغراد، وكان من أهل الكد، ثم لحقه جذبة إلهية، فاشتغل بحاله مدة، منجمعاً عن الناس، ثم برز واختلط بالناس، وصدرت منه كشوفات، وأحوال وكلمات عجيبة، وأفعال غريبة[١]، توفي سنة خمس وألف ببلده.

---

(١) الصوفية يتبعون كل من جُن واختبل، ويدعونه ولياً!! ويصنعون له الكرامات والخرافات وهو مجنون!! سبحانك هذا بهتان عظيم.

[١١] محمد بن محمد المغربي.

الساكن ببلده «بجينه»، كان عالماً فاضلاً، كاملاً صالحاً، صاحب كرامات كثيرة، وخوارق ظاهرة، معتقد، ومن كراماته: أنه جاءت سفائن الكفار المعروفة بدوقة، على «بجينه»، فسمع المسلمون ببلدة «بجينه»، وهجموا عليهم وهزموهم، فهرب منهم شاب أمرد، واختفى بحانوتٍ خاليةٍ، بعث الشيخ رجالاً وقال: حظُّنا من الغنيمة في الحانوت الفلاني، فدخلوا وأخرجوا الشاب، وأحضروه بين يدي الشيخ[١]، **توفي** سنة خمس وألف.

[١٢] محمد المعروف بمعيمع[٢].

ذكره الشيخ عبد الرؤوف، في ذيل طبقاته «الكواكب الدرية في تراجم الصوفية»، فقال: كان والده حائكاً، فنشأ له هذا مجذوباً، وظهرت له أحوالٌ صادقةٌ، وأنفاسُ أنوارِ صبحها دافقة، ومكاشفاتٌ وكراماتٌ، باهراتٌ فائقةٌ.

منها: ما حكاه الولد ـ أي: ولد المناوي، وهو زين العابدين، وتأتي ترجمته في حرف الزاي ـ: أنه كان إذا همَّ بشيء من المخالفات، أتاه صاحب الترجمة، ودفع له عمامته، وأمره أن يحلها ويعيدها كما كانت، فيفعل، فينصرف ذلك عنه.

وكان إذا قال له أحد: الفأرة في عُبِّك، قلع جميع حوائجه، وكان يضفر الخوص، ويتقوَّت منه، وربما ذهب إلى الغيطان ومحل المزارع، فيأكل من الطين.

---

(١) لا يُمكن لأحدٍ أن يكشف المستور ويعلم مخفي الضمائر والصدور إلا الله تعالى، ومثل هذا ربما يكون أخبره من رأى الغلام، والله أعلم.

(٢) «الكواكب الدرية» للمناوي (٤/ ١٥٦) (٨٩١).

قال حشيش الحمصاني: وكان لا يذكر ولدك باسمه، لا غيبةً، ولا حضوراً، بل بلفظ القاضي، ويقول: هو قاضي الفقراء. وسمعته مرة يقول: إنما أنت الروح، وكل ما في العصر الجسد، أقول ذلك لا لعلة ولا حسد.

مات بمصر، في أوائل هذا القرن.

[١٣] محمد الباقاني[١].

نسبةً لبلدة بقرب حلب، ذكره المناوي أيضاً، فقال: ملكٌ باصر، وصوفيٌّ بأحوال الطريق سائر، أخذ طريق البيرمية، عن جماعة من الأعيان، وقدم مصر في زمرة من الفقراء، وصارت له الوجاهة التامة، من الخاصة والعامة، ثم خرج منها ليلاً إلى الديار الرومية، ثم عاد لمصر منجمعاً منفرداً، فأقام مدةً، ثم رجع إلى بلاده، واجتمعت به، وأخذت عنه.

وحكي: أنه لما خرج من الخلوة، وقع بصره على فأرة، فاستحالت - بنظره لها - نوراً، فجاءت هرة، فأطلقها له، فلم تقربها، ولا سطت عليها، فتعجب الحاضرون من ذلك، فقلت: من أشرق عليه نور الجلال، لاتضره جناية[٢].

وكان له اليد الطولى في تعبير الوقائع، قال له ولده: رأيت أن القمر طلع من الأرض، وضرب بروقه عليّ، فقال له: لا بد من ولايتك القطبية.

[١٤] محمد بن محمد الشرمساحي.

نسبةً لبلدة من أعمال «منفلوط»، المجذوب الأقطع، ذكره المناوي

---

(١) «الكواكب الدرية» للمناوي (٤/ ١٥٧) (٨٩٢).

(٢) هذا كله من هراء المتصوفة، نسأل الله السلامة والعافية.

أيضاً، فقال: نشأ محترفاً بخدمة الدواب، وتزوج، وجاء له بعدة أولاد، فجنى عليه بعض الجند، فقطع يده، فجذب، ونزع ما عليه من الثياب، وصار عرياناً، صيفاً وشتاءً، ولبدنه بريقاً ولمعاناً، وليس في جسده ولا لحيته شعرة واحدة، بحيث لم ير في زمانه مثله[1].

ثم تحول من بلده، واستوطن بولاقاً، فظهرت له كراماتٌ وخوارقُ وإشاراتٌ، منها: أن الولد كان بباب الإمام الشافعي، فقدم عليه صاحب الترجمة، فقال في نفسه: ألهذا حال يحميه؟ فصاح عليه، وقال: مالك بي؟ ما فعلت معك؟ ما ذنبي؟.

ومن مزاياه الفاضلة: أنه مواظبٌ على زيارة القرافة كل جمعة، يجمع من البولاقية.

قال الحمصاني: لقيه ولدك مرةً، فقال له: أنت بالطريق أحرى، وإن لم تمدنا نعرى، في الدنيا والأخرى.

[١٥] محمد المغربي القاطن بالقلعة[2].

ذكره المناوي أيضاً، فقال: صوفيٌّ مجذوبٌ، لكن الغالب عليه الصحو، فظهر له من الأحوال ما تقصر عن استيفائه العبارة، ومن كراماته: أنه لما فَحُشَ أمر جند مصر، شكوا له ذلك، فقال: سيأتيهم رجل يكون زوال سطوتهم على يده، ويريق دماء بعضهم، ويُذل آخرين، فكان كذلك.

---

(١) تعري هذا الرجل دليل جنونه لا ولايته، علم ذلك كُل من كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد، سامح الله المصنف وغفر له.

(٢) «الكواكب الدرية» للمناوي (٤/ ١٥٨) (٨٩٤).

وهو ممن يتحمل عن أهل مصر، وإذا بدا ما سيقع من المكروه في الظهور، طاف على أهل الحوانيت، ويقول: هل معكم إحسان للوالدة؟ ويأخذ منهم الدراهم، ويفرقها على محاويج الفقراء، فتندفع وتنحل.

قال الحمصاني: ودأبه أنه إذا وقع بصره على ولدك، قال: أدام الله هذا المدد، وربما قبل يده، ووقف تجاهه مطرق الرأس، ويقول: ما أقول في حق سلطاننا؟ يا سيدي! إن ترض عني، فلا أبالي، وإلا، فلا قال لي ولا موالي.

[١٦] محمد الصعيدي القاطن بالديوان(١).

وهو من بلدةٍ قريباً من أعمال أبريم، ذكره المناوي أيضاً في «الذيل»، فقال: صوفيٌّ قُصد للتبرك به من الآفاق، واشتهر صلاحه، وبيمنه حصل الارتفاق، وظهر له من الكرامات الباع، ونحا له ظهر الانتفاع.

فمن كراماته: أن الأسد سُخِّر له يركبه متى شاء، ومنها: أن بعض الظلَمة جنى عليه، فقال للبحر: خذه، ولا تهمل، فصعد الماء حتى غرق الظالم، ثم عاد كما كان.

قال حشيش الحمصاني: سمعته يقول لولدك لما اجتمع به: أنا خلفك تابع، أَغترف من هذا الماء النابع، وقد رأيت المصطفى ﷺ يخصك من بين أصحابه بالخطاب.

[١٧] محمد المجذوب القاطن بقليوب(٢).

ذكره المناوي أيضاً في «الذيل»، فقال: ذو حالٍ وجلال، ومهابةٍ وكمال،

---

(١) «الكواكب الدرية» للمناوي (٤/ ١٦١) (٨٩٧).

(٢) «الكواكب الدرية» للمناوي (٤/ ١٦٢) (٨٩٨).

والغالب عليه السكر والجلال، مديمٌ لمحاسبة النفس في كل الفعال، وأَخبر بعزل عدد من الباشات، وبولاية آخرين مسميات، فلم يخطئ.

قال حشيش الحمصاني: لقي ولدك، فقال: ما عليك لو صيرت لي من حالك أمره، وأكون كالعبد والمرأة؛ فإنك مرآة الوجود، وحالُ كل فقيرٍ عندك شاهدٌ موجودٌ.

[١٨] محمد بن محمد بن بركات، الشيخ ولي الدين بن الكيال الشافعي الدمشقي[١].

كانت له فضيلةٌ تامةٌ، وانجماع عن الناس، ولي نيابة النظر بالشامية البرانية، ثم تولى الظاهرية، فبقيت معه إلى أن مات غروب يوم الثلاثاء، رابع وعشرين شوال، سنة خمس بعد الألف، وهو في عشر الثمانين، وصلى عليه الشهاب أحمد العيثاوي، بعد ظهر يوم الأربعاء، ودفن بتربة بيت الكيال بباب الصغير ـ رحمه الله ـ، ذكره النجم الغزي في «ذيله».

قلت: واستوصاه بعض تلامذته، فأوصاه بقوله: مصلحات الدين: العلم، والحلم، والزهد، والورع، واليقين، وإكرام العشيرة، وذكر الله ﷻ. ومفسدات الدين: الجهل بالله ﷻ، وبأوامره سبحانه، وعدم الوقوف عند حدوده، والاقتداء بالمضلين. وأمهات الأخلاق الذميمة: الكبر، والحسد، والرياء، والعجب، والبخل، والحقد، والطيش، وحب الرياسة. انتهى.

قلت: وفي هذا كفاية لمن طلب الهداية، والله الهادي.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٤٣) (٧)، و«خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٤٥).

[١٩] محمد بن محمد اليمني القادري الشهير بفُقَيِّه ـ بالتصغير ـ.

كان ساكناً ببلده «تعز»، وكان شيخاً، جليلاً، مرشداً، نبيلاً، عالماً، فاضـلاً، كامـلاً، بارعاً في أسـرار الحروف، وخواص الأسـماء، والوفق، والجفر، والتصرفات بها، وله كراماتٌ كثيرةٌ، وحالاتٌ عظيمةٌ.

انتهت إليه رياسة هذا الشأن، واجتمع عليه الأحباء والمريدون، وكان يأكل طعامَه كل يوم نحوُ ثلاثمائة، أو يزيدون، قال الشـيخ محمد بن عطا الواعظ بالسليمانية بالقسطنطينية: صحبته مدةً، فأجازني، وقال: يا محمد! قد حفظنـي الله لحفـظ هذه الأمة التي أودعتـك إياها، وبعد هذا سأموت. قال: فمـات بعد ثمانية أيام، صـبحَ يوم الجمعة، من شـهر رمضان، سـنة خمس بعد الألف، وله ثمان وتسعون سنة. انتهى. كذا نقلته من «طبقات الأستاذ الشيخ محمد الشناوي» ـ قدس سره ـ.

[٢٠] محمد بن محمد اليمني القادري، الملقب بالشَّداد ـ بفتح الشين المعجمة ـ.

كان سـاكناً بجبل ثور، قريباً من بلدة «تعز»، وبنى به زاويةً، ومسجداً على أربع قباب، يقال: إنه اجتهد أولاً في العبادات، والرياضات والمجاهدات؛ كالمشـايخ السـابقين، ووصل إلى مقاماتهم وحالاتهم، وصار مرشداً كاملاً مكملاً، في الشريعة والطريقة، وله أصحاب وأحباب، وكان يتعيش بالرفاهية والحضور، مستغنياً عن الناس، ولم يكن له شيء من أسباب الدنيا.

روي: أنه لما بنى مسـجده أولاً على قبةٍ واحدةٍ، وكان حسين بك بن حسن باشا أميراً ببلاد تعز، وكان شاباً حدث السن، فقيل له: إن خازن أبيك

يحب الشيخ، وبعث إليه مالاً جزيلاً من مال أبيك، بنى به المسجد، فغضب الشاب، وأمر بهدم المسجد.

فذكروا ذلك للشيخ، فسكت، فلما هدموا، دخل الشيخ إلى داره، ثم خرج، وفي يده خرقة فيها خمسة عشر ديناراً، وقال: هذا الذي بعث به إلي الخازن، فعلمت أن يكون الحال على هذا المنوال، وحفظتها، فادفعوها إلى الأمير يبعثها إلى أبيه، فمات الشاب بعد أيام، فقالوا له: أيها الشيخ! هذا شاب لا يعلم شيئاً، فكيف تدعو عليه، وأنت أعلم به؟ فقال: ما دعونا عليه، ولا نحتاج إلى الدعاء، لكن غيرة الله باقية، فينتقم في مثل هذا، إن رجا صاحبه أو لم يرج، ثم توفي سنة خمس وألف ـ رحمه الله ـ. كذا نقلت أيضاً من «طبقات الشناوي».

[٢١] محمد بن محمد كليبولي.

كان عارفاً كاملاً، توطن بقرية «مسرابة» من أعمال المرج بدمشق، ويجيء كل جمعةٍ إلى دمشق لصلاة الجمعة، ثم يرجع إلى قريته، وكان شيخاً صالحاً مجاهداً، وربما تصدر منه الخوارق، صحب الشيخ المعروف بالقطناني، وتوفي سنة خمس وألف.

[٢٢] محمد بن محمد صلاح الدين بن محمد بن أحمد بن إسماعيل ابن داود، الشهير بالداودي المقدسي الشافعي، نزيل دمشق، الشيخ الإمام الحافظ، شمس الدين[1].

قال النجم الغزي في «ذيل الكواكب السائرة»: مولده سنة اثنتين وأربعين

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٤٥).

وتسعمائة، قرأ بالقدس على محمد بن أبي اللطف المقدسي، ثم رحل إلى مصر، وأخذ عن النجم الغيطي، والناصر الطبلاوي، ويوسف [بن] شيخ الإسلام القاضي زكريا، والخطيب الشربيني، والشمس الرملي.

وأخذ بدمشق عن شيخ الإسلام البدر الغزي، وأعاد للشيخ إسماعيل النابلسي بالشامية، وأخذ عنه العلوم العقلية والنقلية، وكان له مشاركةٌ جيدةٌ في الفقه، ومسايرةٌ تامةٌ في المعاني والبيان، وسائر علوم العربية، واستحضار جيد للشواهد والأمثال، ودرايةٌ الحديث.

ولما دخل دمشق سنة ثمانين وتسعمائة، نوى على الإقامة بها، ثم رحل إلى الروم، في منتصف ربيع الأول، سنة ست وثمانين وألف، ووجهت إليه مدرسة العزيزية، ثم تزوج بدمشق، وسكن بتربة كيكندي، قريباً من المدرسة النورية، ثم ولي مشيخة الحافظية، خارج دمشق، وكان يقرئ بعد البدر الغزي، في الحديث وغيره، بالجامع الأموي.

وقرأ «البخاري» بجامع بني أمية، تحت قبة النسر، إلى أن وصل إلى باب: «كان النبي ﷺ إذا صلى، لا يكف شعراً ولا ثوباً»، ودرَّس بعده الشمسُ الميداني، من ذلك الباب إلى «مناقب عمار بن ياسر»، ودرس بعده النجم، إلى أن أكمله في ثلاث سنوات، ثم افتتحه وختمه، وأعاد قراءته، إلى أن وصل إلى باب «البكاء على الميت»، وتوفي ـ رحمه الله ـ.

وقرأ «شرح المنهاج» للمحلي، بقراءة محمد، فعمل دعوة حضرها جماعة حين ختمه من العلماء، فمما قيل في ذلك:

ويومٍ قد قطعناهُ سعيدٍ لجيدِ الدهر قد أضحى مُحَلِّي

بــروضٍ زاهــرٍ جنبــاتِ نهــرٍ ومــأكولٍ ومــشروبٍ مَحَلِّــي

قطعنــــاهُ بقـــرآنٍ وذكــــرٍ وإخــوانٍ حَــوَوْا أســنى مَحَــلٍّ

وكــانَ ختامُــه مــسكاً فقــالوا كــذلكَ فلــيكنْ خَــتْمُ المَحَلِّــي

وكان يعظ الناس في يوم الأحد والخميس، وولي إفتاء الشافعية بدمشق، ولازم الفتوى والوعظ والحديث، وحصل كتباً كثيرة نفيسة، وولي آخر الأمر تدريس الأتابكية بالصالحية، وله شعر لا بأس به، منه قوله:

لــولا ثــلاثٌ هُــنَّ مــن وردي ما كنتُ أخشى الرمسَ في لَحْـدي

أَنْ أنــشرَ الــسنَّةَ أَبغــي بهــا نــصراً علــى الحاســدِ والــضِّدِّ

وأَتلـــوَ القـــرآنَ لـــيلاً إذا نـامَ الـوَرَى فـي الفُـرْشِ والمَهْـدِ

وأَن أُرى فــي عملــي مخلِـصاً لــذي الجـلالِ الواحـدِ الفَـرْدِ

فهــنَّ ثــلاثٌ أرتجــي فــي غَــدٍ أَرقــى بهــا فــي جنــةِ الخلــدِ

وقوله مقيداً لأسماء من حفظ القرآن على عهد رسول الله ﷺ:

لقــد حفــظَ القــرآنَ عهــدَ نبيِّنــا ثمانيةٌ عن سيرةِ الحـقِّ مـا مـانوا

أُبَــيٌّ أَبــو الــدَّردا مُعــاذٌ عُبَــادَةٌ تَمــيمٌ أَبــو زيــدٍ وزيــدٌ وعثمــانُ

ومات بعلة الاستسقاء، يوم الأربعاء، ثالث شعبان، سنة ست بعد الألف، وصلى عليه بالجامع الأموي، إماماً بالناس، الشيخُ محمد حجازي، وحضر جنازته قاضي دمشق، يحيى أفندي بن زكريا، في جملة من العلماء، وكانت حافلةً، ودفن بتربة باب الصغير.

واتفق للمترجَم أنه كان جالساً في درسه، فجاء إليه بعض أكابر طلبته،

فقبل يديه ورجليه، فقال له بعض الحاضرين: هذا مَلَقٌ مذمومٌ إلا في طلب العلم؛ فإنه ينبغي أن يُتملق للأستاذ وشركائه، ليستفيد منهم. انتهى.

ومن فوائده قال: أخبرنا شيخ الإسلام بدر الدين بن رضي الدين الغزي، قال: أخبرنا شيخنا الكمالُ بن أبي الشريف بن المرحل لنفسه:

وقائلةٍ إقرأ كتاباً مُطَوَّلاً ... من النحوِ تُرغِمْ أنفَ من هو لائِمُ

فقلتُ لها ما قال قبلُ كُثَيِّرٌ ... لعزةَ لما أَنْ عَرَتْه العظائمُ

وَدِدْتُ ـ وما تُغني الودادةُ ـ أَنني ... بما في ضميرِ الحاجبيةِ عالِمُ

[٢٣] محمد بدر الدين بن محمد بن محمد، الكرخي، الشافعي[1].

نزيل مدرسة السلطان حسن بالقاهرة، الشيخ الإمام العلامة، ملحق الأصاغر بالأكابر، ومثقف علوم الأوائل في الدفاتر، بركةُ المسنِدين، وخاتمة المحدِّثين، كان عالماً عاملاً، وفاضلاً كاملاً، وفقيهاً مفسراً، ومحدثاً نيراً، **مولده** سنة عشر وتسعمائة.

وأخذ العلم عن جماعة:

منهم: شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: قرأت عليه سورة الفاتحة، وأجازني بجميع مروياته ومؤلفاته.

ومنهم: الشهاب أحمد الرملي، وولده الشمس محمد.

ومنهم: الشمس محمد بن إبراهيم التتائي المالكي.

قال: ومن جملة ما قرأته عليه، في سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة: شرحهُ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٥٢)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٦١).

على القصيدة التي في مصطلح الحديث، التي أولها:

غرامي فيكَ[1] صحيحٌ والرجا فيك مُعْضَلُ
وحُزْني ودمعي مرسَلٌ ومسلسَلُ

وله مؤلفات، منها: حاشيتان على «تفسير الجلالين»: كبرى في مجلدات، سماها: «مجمع البحرين ومطلع البدرين»، وصغرى في مجلدين ضخمين، سماها: «عرف النسرين تلخيص مجمع البحرين»، وله حاشيتان على «شرح المنهاج» للجلال المحلي.

توفي في ذي القعدة، سنة ست وألف، ودفن بجوار الإمام الشافعي، وذكر في بعض دروسه مسألةَ أن الضمائر ترد الأشياء إلى أصولها، فرد عليه بعض تلامذته: مثل: يدك، ودمك، وفيك، فأجاب على البديهة: إن الضمائر ترد الأشياء إلى أصولها التي استعملت على غير الأصل إلى أصوله المستعملة، وما ذكر من اليد وأخويه أصله غير مستعمل. انتهى.

[٢٤] محمد بن محمد الوسيمي الشافعي[2].

الشيخ العلامة المُعَمَّر، كان من أجلاء العلماء العاملين بالديار المصرية،

---

(١) «فيك» زيادةٌ ليست على المشهور من متن القصيدة.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٨٥)، وقال المحبي: رأيت ترجمته بخط صاحبنا الفاضل مصطفى بن فتح الله المصنف، قال في وصفه ـ رحمه الله تعالى ـ، وكأنه نقل هذه الترجمة من نسخة أخرى غير التي بين أيدينا؛ لأن فيها زيادة ذكر وفاته بقوله: وكانت وفاته يوم الاثنين، ثالث جمادى الأولى، سنة ست بعد الألف بمصر، ثم يقول المحبي: وعلى روايته عن الحافظ يكون عُمّر فوق المائة والخمسين سنة، وهذا غريب جداً، والله تعالى أعلم.

منعكفاً في بيته عن الناس، مقيداً بقول من قال:

لقاءُ الناسِ ليس يفيدُ شيئاً ... سوى الهذيانِ من قيلٍ وقالِ
فَأقْلِلْ من لقاءِ الناسِ إلاَّ ... لأخذِ العلمِ أو إصلاحِ حالِ

أخذ عن شيخ الإسلام زكريا، ولازمه سنين، وأدرك الحافظ ابن حجر العسقلاني، وله عنه رواية، وبلغني: أن شيخ الإسلام كان يجله لذلك، كعادته مع كل من أدرك الحافظ المذكور.

ونقل لنا عن شيخنا البابلي عنه: أنه كان يقول في شأن الحافظ ابن حجر: الحديث فنه، والشعر طبعه، والفقه يتكلف فيه.

روى عنه: النور الزيادي، وسالم الشبشيري، وإبراهيم اللقاني، وعلي الأجهوري، وكثير، وكان أكثر إقرائه في منزله، ولا يترك قراءة الحديث صيفاً وشتاء ـ رحمه الله، ونفع به ـ.

[٢٥] محمد أبو السرور بن محمد بن محمد بن أبي الحسن، الملقب تاج العارفين بن جلال الدين، محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد ابن محمد بن أحمد بن محمد بن عوض بن عبد الخالق بن عبد المنعم بن يحيى بن يعقوب بن نجم الدين بن عيسى بن داود بن نوح بن طلحة بن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، سبط آل الحسن ﷺ[١].

الشيخ الإمام، الجامع بين علمَي الظاهر والباطن، محلل مشكلات

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١١٧)، ورتبه باسم أبو السرور بن محمد، «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٧١) (١٨)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٦١).

غوامض العلوم، وموشح رياض المنثور بجواهر المنظوم، ومرشح المعارف القدسية بوشائج الفصاحة القبسية.

ولد بمصر، وبها نشأ في حجر والده، وتمتع منه بطريفه وتالده، وأخذ عنه، وعمن عاصره من أكابر العلماء؛ كالشمس محمد بن أحمد الرملي، والشهاب أحمد بن قاسم العبادي، وعبد القادر النطروني الشافعي، حتى طلعت شمس علومه بالقاهرة، واختفت نجوم فضائها والأشعة قاهرة.

هو الشمسُ علماً والجميعُ كواكبٌ إذا ظهرتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

أخرس ببلاغته فصحاء العرب بأنحائها، بعد ما هدرت شقاشِقُها في سرة بطحائها، وبذَّ بمنطقه الأواخر والأوائل، وسحبَ به ذيلَ العِيِّ سَحبانُ وائل، وكان مقيماً ببيت على بركة الفيل، المشرقة من آفاقها كواكبُ النيل.

بِأَمواهٍ تَصِلُّ به حَصَاها صَليلَ الحَلْيِ في أيدي الغَواني

وكان يتفيأ ظلال ذلك المقيل، إذا جرى على لجين الماء ذهب الأصيل، في هواء رق كأيام الهوى، وماء رقَّ كدمعة السرور بعد النوى، كما وصف بعض الشعراء للصاحب بن عباد داره بقوله:

هَواءٌ كأيامِ الهَوَى فَرْطَ رقَّةٍ وقَدْ فَقَدَ العشاقُ فيها العواذِلا
وماءٌ على الرضراضِ يَجْري كأنه صفائِحُ تبر قد سُبِكْنَ سَلاسِلا
كأنَّ بها من جِرْيَةِ الماءِ جُنَّتي وقد ألبستْهُنَّ الرياحُ سَلاسِلا

وله ذوقٌ صحيحٌ في معارف الصوفية، وبلاغةٌ كاملةٌ في إلقاء الدروس البكرية، وكان يدرس في الجامع الأزهر، وله اتساعٌ في الدنيا، ومداخلةٌ في

أمور كثيرة، وكان ـ فيما بلغني ـ أمثلَ من أخيه زين العابدين، وكان متقيداً بالعلوم النقلية والعقلية، وملازماً بالتدريس العلوم الشرعية.

وكانت تسعى لمنزله الأماثل، لعلمه الكامل، وكرمه الشامل، ونفعه للخاص والعام، واتفق أن الشمس الرملي حضر درسه في الفقه عند ختمه بدعوة منه، وجرى بينهما أبحاث لطيفة، ودرس بالخشابية، بعد شيخه الشمس الرملي.

قال النجم الغزي: لما سافر أخي أبو الطيب إلى القاهرة، سنة اثنتين وألف، صحبه، وكان المترجم يبالغ في إكرامه. انتهى.

قلت: وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها: «تفسير سورة الأنعام» في مجلد مختصر، و«فضل ليلة النصف من شهر شعبان» من «كتاب النبذة» لجده الشيخ أبي الحسن وشرحه، وسماه: «فيض المنان بشرح مختصر نبذة ليلة النصف من شعبان»، وقرظه له الشيخ العلامة عبدالله الدنوشري، فقال:

هذا كتابُ منازلِ العِرْفانِ ... ومَنارةُ الألبابِ والأذهانِ

فالزمْ قراءتَه ولازمْ درسَهُ ... إذْ ذاكَ فيضُ الواحدِ المَنَّانِ

تلميذُ مولانا وحافظُ عصرِنا ... من نسل صدِّيقِ النَّبِي العدنانِ

لا زال يرقى في جنانِ سيادةٍ ... ما غردَ القُمْري على الأغصانِ

وله في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾[الفتح: ٤] الآية، اعترض فيها على الفخر الرازي، وبيّن أبحاثاً غريبة التفسير، وأبان فيها عن كامل فضل وعلم غزير.

وقال الطالوي في «السابحات»: وعمل رسالةً رشيقة الألفاظ، دقيقة

المعاني، تتعلق بمباحث آيات السبع المثاني، حاك بُرودَ طُروسها على منوال التحقيق، وطرز حواشي سطورها ببيان التدقيق، وبعث بها من الديار المصرية، إلى دار السلطنة السنية، لا برحت دارَ عدل وأمان، ما اختلف المَلَوان، تتضمن طلب منصب إفتاء الشافعية بالقاهرة المعزية، وقد كان يومئذ منوطاً بشيخها على الإطلاق، وعلامتها المشهور في الآفاق، صاحبِ التصانيف العديدة، والتآليف المتداوَلة المفيدة، شمسِ الملة والدين محمد الرملي، وعُدّ ذلك الطلب منه على المحبة ذنباً واحداً، لكنه شنيع، وخَطْبٌ عند فضلاء الأمصار والأعصار فظيع، على أن لسان حاله أنشد معتذراً، مبرزاً من الضمير ما كان مستتراً.

وإذا المُحِبُّ أتى بذنبٍ واحدٍ ... جاءت محاسِنُه بألفِ شفيعِ

وإنما تم له ذلك بشفاعة يحيى أفندي بن كمال الدفتري.

لما كتب له صاحب الترجمة رسالة صورتها:

لو أَذِنْتم لِطَيِّبٍ من نسيمِ ... بسلامٍ يُحيي فؤادَ السليمِ
لتلقَّاه من ودادي قَبولٌ ... قانعاً من شَذاكم بشَميمِ
أو لو ان الرسولَ وافى برَقْمٍ ... لمحبٍّ من شوقِه في جحيمِ
كانتِ النارُ مثلَ نارِ خليلٍ ... تنطفي بالسَّلامِ والتسليمِ
حينَ وافى الإخوانَ منكم طروسٌ ... نظمُها فائقٌ كدرٍّ نظيمِ
ثم جاءَ الأنام نحويَ سعياً ... يسألوا الصَّبَّ عن نباك العظيمِ
هل تناسى الأميرُ منكم وداداً ... وثناهُ الحُسَّادُ بالتلويمِ

قلــتُ كــلاَّ فــإنَّ ودي أميــري		محكــمُ النـصر كالكتـابِ القـديمِ
إنَّ يحيــى الأميـرَ أعظـمُ مــولًى		لا يبـــالي بعـــاذلٍ وزَنـــيمِ
إنَّمــا الكتــبُ للمباعــد معنًــى		يكتفــي بــالرقومِ أهــلُ الرســومِ

ثم أعقب هذه القطعة البديعة بنثرٍ، هو لطراز حلة الأدب وشيجة، وهو قوله: خلده الله تعالى لدولة المجد والسعادة، وعدة الفخر والسيادة، وسمو مراتب، يعتذر عن لحاقها طائر الجو، وعلو مناقب، تَكِلُّ عن بلوغها رياحُ الدَّوّ، وسبوغ نعم لو أن سكان الجنان سمعت نبأها، لطاب إليها الخبر، وبلوغ آمال هي العين بل إنسانها وسوادها. . . سيدنا ومـولانا وحبيبنا، المقر الكريم العالي، فخر أرباب الرتب العوالي، عين أعيان أمراء الدولة السلطانية، وكبراء الخلافة الخاقانية، حضرة مولانا يحيى أفندي، حرسه المُعيد المبدي، ولا زال يُسدي لأحبائه ويُهدي.

فأجاب على لسان المكتوب إليه، أبو المعالي درويش محمد الطالوي الدمشقي بقوله:

أســلامٌ مــن قــولِ ربٍّ رحــيمٍ		نعــمَ الــرَّوح منــه رَوْحُ نــسيمِ
جازَ بانَ الحِمَـى وكثـبَ المـصلَّى		واللِّــوى وانثنــى بعَــرْفٍ نَمــومِ
فيــه مــن بــانتَيْ زَرود وحــزوى		مهجــةٌ شــمُّها شــفاءُ الــسقيمِ
فكـأنَّ الـصَّبا ثنـت مـسكَ داريـنَ		إليــه فــي جُــنحِ ليــلٍ بَهــيمِ
أو حظـتْ مطلـعَ الغُـوَيْرِ فمـرَّتْ		بــين بانــاتِ روضــةِ الموهــومِ
أو مشتْ بالأراكِ ممن سفحِ نجـدٍ		فانثنــت مــن عَــرَارِهِ بــشَميمِ

بل أتتْ بسِقْط اللِّوى حيثُ ريَّا　　سَفَرَتْ فيه عن مُحَيّاً وسيمِ

فإذا ما انثنتْ فعن غُصنِ بانٍ　　وإذا ما رَنَتْ فعن لَحْظِ رِيمِ

أمْ رياضٍ باتَ الشمالُ يعاطي　　ثغرَ أزهارها كؤوسَ الغيومِ

فَغَدَتْ كالسماءِ غبت سماء　　زهرُها النجم مثل زُهْرِ النجومِ

وكأنَّ الغصونَ في الدار صبٌّ　　حارَ بين الوداعِ والتسليمِ

فرّعتها وُرْقُ الحمائمِ تشدو　　فوقَ أغصانها بشوقٍ رخيمِ

أذكرتْنا بشجوها رنةَ العو　　دِ تغنَّتْ عليه بالمَزْمومِ

بين ربعي فُسطاط مصر ومجرى　　نيلِها العذبِ راقَ كالتَّسنيم

ألبسته الصَّبا مضاعَفَ بُرْدٍ　　نسجَتْه باللطف أيدي النسيم

حيثُ شَرْخُ الصِّبا إلى العِين عَوْني　　وشفيعي إلى ظباء الصريمِ

والهوى قائدي إلى روضةِ الـ　　ـمقياسِ مَغْنَى الهوى مقرِّ النعيمِ

مع سُعْدى وزينبٍ وربابٍ　　وسُليمى وَفرْتَنى وظَلومِ

كلُّ خَمْصانة الوشاح رَداحٍ　　كرشا الرومِ بالحشا المهضوم

يا خليليَّ والهوى غيرُ خافٍ　　عنكما والمحبُّ غيرُ ملومِ

خَلِّياني ووقفةً في الرسومِ　　أقضِ من بعضِ بَثِّيَ المكتومِ

كم أُسَلِّي الفؤادَ عن ساحةِ الـ　　ـقصرينِ والقلبُ فيه نارُ الحميمِ

فَصِفا لي تلكَ الربوعَ لعلِّي　　أَجتليها بطرفِ قلبٍ كليمِ

واذكرا لي ريحانةَ العمرِ فيها　　فهواها رُقْيا لقلبي السليمِ

يا سقاها دنوُّ عهديَ منها　　صادقَ النوءِ من ودادٍ قديمِ

ورعـى مَـنْ بهـا لعهـدي يرعـى　　　　مـن ولـيٍّ وصـاحبٍ وحمـيمِ

سِـيَّما ذاكَ الجنـابُ المفـدَّى　　　　عمـدةُ الفاضـلينَ شـيخُ العلـومِ

منتهاهـا أبـو الـسرور أخـو الـ　　　　ـمجد ومـولاهُ والنـوالِ الجسيمِ

صدْرُ مـصرَ البهـاءُ وبـدرُ سـماها　　　　مـستعيذُ العـداةِ مُـرْدي الخـصومِ

والإمـامُ الـذي لـه الـرأيُ مـا　　　　زال منيراً في الخَطْبِ كُـلَّ بهـيمِ

هَـذَّبَ المـذهبَ الجديـدَ وأحيـا　　　　لابـن إدريـسَ قولَـه فـي القـديمِ

وأزالَ الخـلافَ عنـه بفكـرٍ　　　　منـتجٍ للـصوابِ غيـرِ عقـيمِ

محرزُ السبقِ من بني الصدقِ فضلاً　　　　وقـد اسـتَجْمَعوا مكـارمَ خِـيمِ

جـاء منـهُ مـع الرسـول كتـابٌ　　　　قابَلتْـه الأكـفُّ بـالتعظيمِ

وفضـضنا ختامَـه فدُهـشنا　　　　بـين دُرِّيِّ نثـرِه والنَّظـيمِ

وشـهدْنا سـحرَ البلاغـةِ يبـدو　　　　مـن حواشـي مـسطورِهِ والـرقيمِ

فامتَثَلْنـا لِمـا بـه قـد أُمرنـا　　　　وابتـدَرْنا للـسعي فـي التتمـيمِ

وسـلامٌ مـن خـالصِ الـودِّ يحيـى　　　　منـه عهـد علـى الجنـابِ الكـريمِ

أيد الله أصول الشريعة النبوية، وأيد بنيان فروعها المصطفوية، لا برحت أعلامها مرفوعة اللواء، منصوبة المحل من غير استثناء، جارية أحكامها في الخافقين، باقية على الدهر بقاء الفرقدين ببقاء سيدنا المولى بحرِ العلوم الزاخر، فخرِ الأوائل والأواخر، الذي زهر به جامع الفضل وأنار، وأشرق برأيه المنير معلم العلم واستنار، وأطلع من سماء الإفتاء نجمَ الأحكام زاهرة، فأضحت بين علماء القاهرة لأعدائه قاهـرة، ولأودَّائـه باهرة، منهج الطلاب وبهجة الأصحاب.

فيا له مولًى بذَّ بمنطقه الشافي العِيّ، كلَّ من ناظرَه من أصحاب الشافِعيِّ، ولهذا أصبح حظُّه من العلوم سيما الدينية موفور، العلامة الشيخ أبو السرور، حرس الله مهجته، وضاعف سروره مدى الأيام وبهجته. آمين.

ولما تم ذلك المراد، طبقَ ما تمناه من قبلُ وأراد، كتب له العلامة درويش محمد الطالوي، على لسان حامل تلك الرسالة، مستهلاً بهذه المقالة، وهو قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾[النساء: ١٧٦] إذ بيّن لكم بعلم الشرائع حرامه وحلاله؛ حيث جعل العلم في الدنيا نوراً، وفي الآخرة بهجة وسروراً، ورفع الذين أوتوا العلم درجات، وجعلم أئمة يهدون إلى سبيل النجاة، وخص الفقهاء الأعلام، بخلاصة الفتاوى والأحكام، وتمييز الحلال من الحرام.

لينتظم بذلك أمد المعاش بين الآنام، لإرادة جلت، وحكمة دقت، لا يعلم ذلك إلا الراسخون في العلم، والكاشفون عن حقائق الأشياء كما هي، فمن ثم لم يخل عصر وأوان، ولا مِصْرٌ في جميع الأزمان، من قائم لله بحجته، وموضحٍ لعباده نهجَ محجته؛ اعتناء بشأن هذا الإنسان، وإيماء إلى أنه العين المقصودة من الأكوان.

وكان ممن فاز بأوفر حظ من ذلك الظهور، وأحرز قصبَ السبق في مضمار تلك الحَلْبة من أولئك الجمهور، فريدُ زمانه، ووحيد عصره وأوانه، بل شيخ مشايخ عصره، وعميد أفاضل مصره، مولانا وسيدنا محمد أبو السرور، مفخر سبط آل الحسن، فرعُ دوحة الفصاحة واللَّسَن، بحر البيان الزاخر، فخر الأوائل والأواخر.

قرةُ عين أصحاب الإمام محمد بن إدريس، والحالُّ من تلك العصابة

محل الرئيس، والجوهر القاني النفيس، فهو الذي زركش مذهب الشافعي، بمنطقه الحاوي البلاغة والشافي العي، فلله منطقٌ ملكَ آية الإعجاز، وملك استعارته جانبي الحقيقة والمجاز، يصوغ المعنى الوجيز كالذهب الإبريز، وإذا حرر مسائل الخلاف، أزرى بزهر الروض الميناف، أو قررها بحسن لهجته، فيا خجلة ابن الوردي ببهجته.

فهو العالم الذي باهت به الأيام، وتاهت في يمينه ألسنة الأقلام، لذا أصبحت عيون المذاهب إليه ناظرة، وثمرة الخلاف في روضته ناضرة، كيف لا وهو غصن هاتيك الدوحة البكرية، وفرع شجرة تلك الشجرة الطيبة الصدِّيقية، فيا لها شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، فقد نما ـ وأيم الله ـ على سائر فروعها وسما:

قومٌ لهم في سماءِ المجدِ منزلةٌ زُهْرُ الكواكب منها النورَ يقتبسُ
من كلِّ أزهرَ بادي البشرِ غُرَّتُه كأنها في دياجي ظُلمةٍ قَبَسُ
أبو السرور سما من بينهم فغدا سماءَ فضلٍ وهم من حولِه حَرَسُ

شعر:

يا أسرةَ الصدقِ والصدِّيقِ إنَّكُمُ في كل عصرٍ لعينِ المجدِ إنسانُ
طِبْتُم ولكنَّ بعضَ الشيءِ يفضُلُه ألا ترى أن بعضَ القولِ برهانُ

هذا، والمنهى لتلك الحضرة العالية الشان، الضاربةِ سُرادِقَ مجدها على هامة كيوان، بعد عرض أشواق لا يكاد يحصيها قلم كاتب، ولا يستقصيها رَقْمُ حاسب: أنه لما سار بنا الفلك السيار، وألقينا بمحروس قسطنطينية عصا التسيار، مرسى الفُلْك، ودارِ المُلْك، وأشرفنا على تلك المشارق السعدية،

وتشرفنا بهاتيك المواقف السنية، أسبغ الله على كافة الخلق ظِلالَها، وضاعفَ كلَّ حين جلالها وإجلالها، عرضنا عليها أمانتكم، وأدينا إليها رسالتكم، فكان السعدُ طالعَها، بأن السعدُ طَالعَها، فزادت بذلك حسناً وبَها، وحلَّت من الشرف حيثُ السُّها، فعند ذلك وُجد محب القول مجال، وأطلق عِنانَ الوصف وجال.

ولم يزل في ذلك المقام يوشح بفضلائكم أعطافَ الكلام، تقريباً للمرام، وتبعيداً من الملام، حتى إنه انعطفت عليكم العواطف السعدية، وأنعمت عليكم بمنصب إفتاء الشافعية، بعد عرضها على السدة السنية المرادخانية، والعَتَبة العلية الخاقانية، خلد الله خلافتها على مر الدهور والأعوام، وربط سلطنتها بأوتاد الخلود والدوام.

وقد أخرجنا لكم البراءة السلطانية، من السدة المحفوفة بالقدرة الصمدانية، حيث الأوامر فيها تُطاع، وهي في غاية الحسن ونهاية الإبداع، وجهزت إلى ذلك الجناب، المضمخةِ سوحُه بالإناب، على يد قاصدكم فلان، بلغكم الله مآربكم ومقاصدكم في كل آن، بالنبي وعترته(١)، ومن اقتفى أثرهم من أسرته. انتهى.

قلت: وكانت وفاته بعد عصر يوم الأحد، بمنزله المطلِّ على بركة الرطلي، ودفن يوم الاثنين، تاسع شهر ربيع الثاني، سنة سبع ـ بتقديم السين ـ وألف، وعمره نحو ست وثلاثين سنة، ودفن عند والده، بجوار الإمام الشافعي رضي الله عنه.

---

(١) لا يجوز التوسل بالنبي ﷺ وآل بيته عليهم السلام، وهو من التوسل المحرم.

[٢٦] محمد بن محمد بن عبد الرحمن مؤذن باجمال الحضرمي[١].

صاحب الأحوال، والمهابة والجلال.

وُلد سنة خمس وخمسين وتسعمائة، بعد وفاة والده، فسمي باسمه، وتربى في حجر ابن عمه، الفقيه عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الرحمن.

وحفظ القرآن، وقرأ على المذكور العلمَ الشريف، وقرأ الفقه على الفقيه عبد الرحمن بن سراج، وعلى والده محمد، وصحب جماعة من العلماء الأكابر؛ كالفقيه عبدالله بن سراج، والفقيه علي بن محمد بامهيد.

وحصل كتباً كثيرة، ووقفها على طلبة العلم الشريف، وكان صحيح القلب والجسم، معافًى من الأمراض، معاشراً بالمعروف والقيام بحقوق الإخوان، والمحبين في الله تعالى من الإكرام، وصلة الأرحام، له صبر شديد، وعقل سديد، شكوراً لله تعالى على نعمه الباطنة والظاهرة، له همة عالية، ومروءة نامية، في جميع أحواله، في لباسه ومخالطته، ووقف على عمارة كتبه وقفاً كثيراً، ووقف سقايتين، ووقف عليهما ما يقوم بهما.

وكانت **وفاته** عام سبع بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[٢٧] محمد تركي بن محمد بن عبيد الشهير والده بالصبان الخلوتي[٢].

ذكر الشيخ عبد الرؤوف المناوي في ذيل طبقاته «الكواكب الدرية في تراجم الصوفية»، فقال: كان شيخاً صالحاً، متعبداً متواضعاً مهدياً، ريض الأخلاق، حسن الشمائل على الإطلاق، جيد الخبرة بطريق التصوف، مشاركاً

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٥٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٥٨).

(٢) «الكواكب الدرية» للمناوي (٤/ ١٦٠) (٨٩٦).

في الحقائق لأهل التعرف.

ومع رفعة محله، وإرغامه لمن تصدى في عصره للأخلاء، لو فرض أنه من أهله، كان الجمهور لا يلتفتون إليه، ولا يعولون في كشف المنازلات عليه، والحظوظ لا تعلل، والدنيا لا تتوقف على تاج بالفضائل مكلَّل.

أخذ عن الشيخ كريم الدين الخلوتي، ثم عن أخيه عبدالله، وكان على الأول رَضاعه، وعلى الثاني فِطامه، وكان مع تخلقه بأخلاق القوم، وتمكنه في الطريق، لا يأكل إلا من عمل يده، فكان يعمل المناخل ويبيعها، وهو مع ذلك ملازم للجد والاجتهاد، بحيث لا يكاد يغفل طرفة عين.

وكان محمديَّ الصفات، إن ذكرتَ الدنيا، ذكرها معك، وإن ذكرتَ الآخرة، ذكرها معك، ولم يكن للغضب عليه سبيل، فقد لازمته سنين، فما رأيته غضب قَطّ، وقد كان انتهى إلى حالة يسمع فيها نطق الحيوانات والجمادات بالتسبيح، وكان إذا اشتغل بالذكر، شاركته الموجودات[1].

وأخبرني: أنه أقام ثلاثة عشر عاماً، لا يضع جنبه على الأرض بل يصلي الصبح بوضوء العشاء. وقال لي: إنه أقام بمكة سنين، يفتصد في كل أسبوع مرتين؛ لشدة حر القطر، وشدة حرارة لزوم الذكر، وهذه كرامة.

ووقع له أنه دخل بيتاً ليس فيه مصباح، فأضاء بدنه، وكان يتأسف على اندراس أهل الطريق، واختفاء آثارهم، ولم يزل ملازماً على الاشتغال، وتلقين الذكر والتربية، حتى حج وجاور، ثم عاد مريضاً إلى القاهرة، **فانتقل فيها إلى**

---

(١) قال سبحانه وتعالى: ﴿. . .وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[الإسراء: ٤٤] وكفى بكتاب الله شاهداً ودليلا.

الآخرة، سنة سبع وألف، بعد نحو شهرين من قدومه، وقال في مرضه: قد فتشت مصر، وطفت الحجاز، فلم أر أحداً من الظاهرية، فيه أهلية التسليك.

وطريق الخلوتية الآن شاذلية، ودفن بجانب أخيه عبدالله الآتي ذكره، ولم يخلف بعده في طريقتهم أحد، وإنما هي دعاوى وهذيان، مع خلو عن علمي الظاهر والباطن، حتى صار الآن عقلاء فضلاء العلماء، يتضاحكون من هذه الطائفة، ويهزؤون بهم، وتضرب بجهلهم الأمثال، ومن يظهر منهم غير ذلك، فإنما هو لعلة أو نفع دنيوي، ولا قوة إلا بالله. انتهى.

[٢٨] محمد بن محمد بن خصيب، السيد الشريف، شمس الدين المقدسي، الشافعي، المعروف بالشام، بالسيد المقدسي(١).

مدرس العذراوية، كان له نظمٌ ونثرٌ، وهمةٌ عليةٌ، سافر إلى الروم، قال النجم الغزي في «ذيل الكواكب السائرة»: سمعته يقول: أول ما قرأت: «صفوة الزبد»، وكنت أسمع العلماء ببيت المقدس يقولون: من قرأ هذا الكتاب، لا بد أن يلي القضاء، قال: وكنت لا أرغب فيه، وكنت أقول: انخرمت العادة، فلما كنت بالروم، احتيج إلى قاضٍ شافعيٍّ؛ لأجل فسخ نكاح، فوليت القضاء في تلك القضية، فقلت: هذا تأثير ما قيل فيمن قرأ «صفوة الزبد».

ثم عاد إلى دمشق، وكان يزاحم أكابرهم على المناصب العلمية، ويكثر مداخلتهم، وانتهى أمره إلى أن ولي قضاء الشافعية، نيابة بالباب، بعد موت الكنجي، بنحو سنة، ثم عرض له فالج، منعه عن الحركة، حتى توفي

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٦٦) (١٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٥٤).

بالإسهال، يوم السبت ثالث عشر جمادى الآخرة، سنة ثمان وألف، ودفن بتربة باب الصغير ـ رحمه الله ـ.

[٢٩] محمد بن محمد بركات بن أبي الوفاء[١].

الشيخ القانت، مربي المريدين، أبو الفضل، الموصلي الأصل، الميداني الشافعي، الصوفي القادري، كان كأبيه جواداً سخياً، حسن الخُلق، تتردد إليه أكابر الناس وعلماؤهم، كريماً مضيافاً معظماً، وممن تتجمل به دمشق، ويرجع إليه فيها الخاص والعام، وكان بيته مورد الواردين، ورزق الحظ والجاه، والولد والعمر.

توفي أواخر ليلة الجمعة، رابع عشري شعبان، سنة ثمان بعد الألف، وصلى عليه إماماً بالناس، أحمدُ العيثاوي، بجامع منجك، بميدان الحصا، ثم دفن بتربتهم، بجوار المسجد الملاصق للمصلى، عن نحو ثمانين سنة، أو يزيد عليها، وتأسف الناس عليه ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٠] محمد بدر الدين بن محمد بن يحيى بن عمر بن يونس، الشهير بالقرافي، المالكي[٢].

القاضي بمحكمة الباب بمصر، القاضي الفاضل، والعالم الكامل، كان فريد زمانه، ووحيد وقته وأوانه، لا يضاهيه أحد من أقرانه، وكانت الحجة التي تصدر عنه لا يمكن نقضُها بحال.

رأيت في تأليفه المسمى بـ: «توشيح الديباج» في ترجمة جده لأمه،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٠٩) (٣٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٠٢)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (٢/ ١٠٤) (١١٠).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٥٨)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٤١).

القاضي محمد بن عبد الكريم الدميري المالكي ما نصه: وجدي هذا هو الذي لقبني بدر الدين، وذلك أني ولدت ليلة السابع والعشرين، من رمضان، سنة تسع وثلاثين، كما وجدته بخط والدي، وبلغني من طريق: أن السنة إنما هي سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة، وتكلم الناس في الليلة أنها ليلة القدر، فقال: لا ألقبه إلا بدر الدين. انتهى بحروفه.

وتولى القضاء بالباب، سنة ست وستين وتسعمائة، من حسن أفندي ابن عبد المحسن، واستمر إلى حين وفاته.

وتوفي في العشر الأخير من رمضان، سنة ثمان وألف، وصلِّي عليه بالجامع الأزهر، ودفن بتربته التي أنشأها مع الضريح، بجوار القبة المعلقة المدفون بها بالقاهرة، فيما يقال بقرب البيت الكبير، الذي ينزل به قضاة العسكر، وهو محكمة مصر الآن.

وذكر في كتاب «التوشيح» أيضاً: أنه أخذ عن والده، وعن عبد الرحمن ابن علي الأجهوري، وعن الشيخ زين بن أحمد الجيزي ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣١] الأستاذ محمد أبو الفضل الوفائي الشاذلي المالكي[1].

شيخ السالكين، ورأس العلماء العاملين، وأحد سادات السادات، الذين لهم بمصر مجد تقصر عنه الغايات، وصاحب النفس القدسية، المفاض عليها العلوم اللدنية، من بني وفاء، مَن بيتُهم بمصر معمور، ولواء فضلهم على كاهل الدهر منشور، ولهم مساعٍ ومآثر، ورثوها كابراً عن كابر، ما منهم إلا صاحبُ ديوان، نافذٌ في سبيل البلاغة بسلطان.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٨٦).

توفي بمصر، ثاني عشري جمادى الثانية، سنة ثمان بعد الألف، وهو كهل، وله نظم ونثر، وفضلٌ طيبُ النشر، ومن شعره: قوله من قصيدةٍ:

ألا صاحبٌ كالسَّيفِ حُلْوٌ شمائِلُهْ يُسائِلُني عن فتنتي وأسائِلُهْ

يدورُ غرامٌ بيننا كلَّما انقضَتْ أواخرُه عادَتْ علينا أوائِلُهْ

وقوله:

على وجنتيه جنةٌ ذاتَ بهجةٍ تَرى لعيونِ الناس فيها تزاحُما

حمى وردَ خديه حُماةُ عِذارِه فيا حسنَ ريحانِ العِذارِ حما حما

والحَماحِمُ: نوع من الريحان، معروف لغةً وعرفاً.

وقوله أيضاً:

يا مَنْ يُبالغُ في سقايةِ خَدِّهِ ماءَ الحياءِ ولذاكَ قيلَ مُوَرَّدُ

في خَدِّكَ الراحُ التي بكؤوسِها أسكرتَ لحظَكَ فهو فِيَّ يعربدُ

سُدْتَ الأنامَ غداةَ خدُّكَ أبيضٌ واليومَ خدُّك بالعِذار مسوَّدُ

نسخَ العذارُ ملاحةً بملاحةٍ قلمٌ بخدِّكَ لا يزال يجوِّدُ

قلبٌ يميل إلى حديثِكَ بل له فيما يؤمِّل من وفائِك مسندُ

عكفت على مغناك أرواح الغناء له[1] فلأنتَ للطرفِ المحركِ معبدُ

فعلى مُحَيَّاك السلامُ فديتُه بالنفسِ بل بالعينِ فهو مؤكَّدُ

وعلى فؤادِ المستجير تحيةٌ ما طارَ نحو ربى الرياض مغرِّدُ

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: أرواح الغنا؛ حتى يستقيم الوزن.

وفيه مع التورية مراعاةُ النظير، التي ليس لها في الحسن نظير؛ لما فيه من الجمع بين التبييض والتسويد، المعروف بين المصنفين، وكذا التجويد؛ فإن معناه التحسين، ويطلق في العرف على حسن الخط، وفي عرف أهل الأداء: تحسين مخارج الحروف وهيئاتها. انتهى.

[٣٢] محمد بن محمد الغوث الرومي، والعوام يسمونه: محمد بن محمد دده المجذوب، المعروف بديوان دلوسي.

كان شيخاً مقيماً بالقسطنطينية، مجذوباً، مكاشفاً، له خوارق مشهورة.

توفي سنة ثمان وألف.

[٣٣] محمد بن محمد الجنيد.

المقيم بالمدينة المنورة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ، كان صاحب سمت حسن، وإقبال على الخاص والعام، وله أولاد وفقراء، وزاوية عامرة بالطلبة.

توفي ليلة الخميس، حادي عشر رمضان، سنة عشر وألف، وخلف ولدين: قاسم، وصديق، وقام بعده الكبير قاسم ـ رحمهم الله ـ.

[٣٤] محمد بن نجم الدين محمد بن شمس الدين محمد الصالحي الهلالي الدمشقي[1].

الشيخ العلامة، على فضله الإتقان[2]، شعره في أعلى طبقات الحسن،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٦٢) (٥٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٣٩)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ٢٧) (٢)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٢٣).

(٢) كذا في الأصل.

لم يصرف لمدح كريم، ولا تغزل بمليح كريم، وحظه كذلك، وعلمه فوق ما هنالك.

ولد بدمشق، ورافق الشيخ إسماعيل النابلسي، والعماد الحنفي، في شيوخهما، وحضر دروس البدر الغزي، ولازم ولده أحمد، ثم رحل إلى القاهرة، واجتمع بالأستاذ الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري.

وجاور بمكة، وأخذ بها عن القطب المكي، وعرض عليه ستة عشر كتاباً، وأجازه نظماً، ووقفت عليه بخطه، وأثنى على المترجم كثيراً، وقال: إنه من محاسن دمشق، بل من محاسن الدنيا.

وكان ديناً خيراً صالحاً، عالماً عاملاً، يميل إلى العزلة، ويشتغل في عزلته بالكتاب، وتلاوة القرآن، وكانت له حجرة في العزيزية، ولازم في آخر أمره دروس النجم الغزي، إلى أن توفي تاسع عشر صفر، سنة اثنتي عشرة وألف، ودفن بالصالحية، وله مؤلفات، منها «التذكرة الصالحية»، جمع فيها من كل علم فوائد سنية، وطرزها بأخبار ونكات أدبية.

وله ديوان سماه: «صدح الحمام في مدح خير الأنام»، قال في خطبته: وبعد: فإني لما نشأت بمكة المشرفة، والأماكن التي هي بالجوزاء ممنطقة، وبالثريا مشنفة، وقد كساني الزمان قشيب بروده، فطفقت أرفل فيها ما بين عقيق الحمى وزَروده، وغصنُ الصبا بأيام السعادة مورق، وبدر الشباب في سماء الكمالات مشرق.

خلي البال، منفي البلبال، لا دأب لي إلا توسم وفود العلوم في سوق عكاظها، ولا شغل لي إلا استكشاف وسائم وجوه المعاني المخبأة تحت براقع

ألفاظها، أستمرئ من أخلاق الأئمة المشايخ درر الفهوم، وأستخرج من بحر كلِّ حبرٍ راسخ دررَ العلوم، أفاضل امتطوا من سائر العلوم غرائر الأنتاج، وأماثل فاضت بحارُ علومهم كما يفيض البحر المتلاطم الأمواج، اغترفوا من حياض المعارف نمير الحقائق، واقتطفوا من رياض الآداب ثمرات اللطائف والرقائق، لو سمع قُسٌّ فصيحَ لغاتهم، لأدركه العيُّ بسوق عكاظ، ولو شاهدهم سَحْبان، لولى يسحب ذيله خجلاً من جزالة المعاني ورقة الألفاظ.

شموسُ فضائلهم لم تزل دائمة الطلوع، ومُزن أدبهم ما انفك بقطار النثر والنظم هموع، وقى الله من بقي إلى هذا الآن حوادثَ دهره، وصبَّ سجالَ الرضوان على من درج منهم إلى وكر قبره.

ثم لما قضى الله بحمل عصا الرحال، وحلول انتياج الأجمال، وبطلت حركة ذلك الدور، وتنقل الزمان من طور إلى طور، وحكم بمفارقة تلك الأرجاء الشريفة، والأقطار المعظمة المنيفة، فأعملْنا حروف النجائب بنا البيداء في سراها، ولطمنا خد الأرض بأخفافها إلى أن بر السرى في بُراها[1].

فكم جاوزنا جبالاً شوامخَ زاحمت بمناكبها أكنافَ السحاب، وذرعنا بأذرع الناجيات قفراً فلم تُطو إلا بأيدي الركاب، وكم جسرنا بالجاسرات على ملاقاة زنجي الظلام، وكم راعنا أشرعنا إليه من الكواكب أسنة، وسللنا من البرق حسام، إلى أن بدت لأعيننا قباب المصلى كالقوانس، وشاهدنا عروس الشام تجلى في سندسي الملابس، وحق للمسافر أن ينشد المثل السائر، شعر:

فألقَتْ عصاها واستقرَّ بها النوى ... كما قَرَّ عيناً بالإيابِ المسافرُ

(١) كذا في الأصل، والصواب: برى السُّرى براها.

فنزلنا بأرض دمشق المحروسة، وحللنا رحابها المقدسة المأنوسة، فعكفتُ على ما كنت بمكة عليه، وفوّقْتُ سهم عزمي إلى غرض كان مرماي قديماً إليه، من اقتناص الشوارد، وتقييد الأوابد، وصادفت بها سادة أئمة، وقادة يهتدى بنورهم في ليالي الجهل المدلهمة، أعيان مجد يشار إليهم بالأصابع، وأقران فضل لا طاعن فيه ولا مدافع، وصدور علم تتجمل بهم المجالس إذا التقت عليهم المجامع، وآساد بخت يتضاءل لصوتهم كلُّ معاند منازع، وفرسان كلام، في ميدان نثر ونظام.

أشرقت شموس فضائلهم في أفلاك السعود، ونظموا في سلك الفضائل كنظم الدر في أسلاك العقود، رياض آداب كلها أزاهر، وبحار علم كلها لآلي وجواهر، شعر:

قَدِ انتظموا في سِلْكِ فضلٍ قادة وكلُّهم وُسْطى فناهيك من عقدِ

فصحبتُهم برهة من الزمان، ونظمت من منثور فضائلهم قلائد العقيان، ثم إن غالب هؤلاء أخيراً ذكرتُهم، وحلبت أشطرهم في حال الصحة وخبرتهم، راسلتهم وراسلوني برائق شعرهم وسجعهم، وأداروا واردات كؤوس قوافي شعري على أفواه سمعهم، ومنهم من مدحته لا رغبة في نواله، ولا طمعاً في الارتواء من سَجْله يوم سِجاله، بل تلوت عليه غرائب أسماري استقداحاً لزناده، ورفعت إليه عرائس أفكاري استجلاباً لوداده، شعر:

فهن عَذارى مهرُها الودُّ لا النَّدَى وما كُلُّ من يُعزى إلى الشعر يستجدي

ثم عنّ لي واردٌ رباني، وخاطر إلهي رحماني، سار بفكري في مجاز الحقيقة، وأشهدني بنور عقلي عقبى الأمور السحيقة، فرأيت أن كل قول

لا ينفع صاحبه غداً فهو من زخرف القول الفاني، وعلمت يقيناً أن هذه الشقاشق لا تعقب في الآخرة سروراً ولا تَهاني.

وقـوي العزم على أن أقـدم بين يدي مقدمةً من نتائج الفِكَر، وحجة يقضي العقلُ بصـحة ثبوتها؛ لتضمنها مدحَ خير البشـر، عسى أنها إذا قُبلت تكون وسـيلة إلى الفوز بالنجاة، وكفارة لذنوب اكتسـبتها، وجرائم اقترفتها أيام الحياة، وظني أنها من القصائد المنتجة، وأن أبواب القبول مفتوحة لها غير مُرْتَجَة.

وهذه تسع وعشرون قصيدة، مرتبة على حروف الهجاء، تتضمن كل قصيدة نسيباً، والنصف الآخر الثناء، ومجموع عدد أبيات القصائد ألف وخمسمائة بيت وافية، ويتخللها للغير زيادة على العدد المذكور، سبعة عشر بيتاً مضمنة ضمنتها القافية، وقد ميزتها بقلم مخالف؛ ليعلمها إذا وقف عليها الواقف.

ومن عثر في نظمي على شيء للغير لم أقف عليه، ولم أُثْنِ عنان القلم لأجل التمييز إليه، فليعلم أنه ربما تتفق الخواطر، ويرد الواردُ منهلاً نهلَ منه ذلك الصادر، أو ربما كان في ذكري وأتت عليه السنون، فلا ينبغي لأحد أن يسيء بي إذا عزيته إلى الظنون، وما أظن أن هذا اتفق لي في هذا النظم، وإنما ذكره من باب الفرض والتقدير، والعطف على الوهم، وسميته: «صدح الحمام في مدح خير الأنام».

فهـاك الآن عقودَ الـدراري لا عقود النحور، ودونك مصوناتِ أبكار الأفكار، لا مصونات أبكار الخدور، وأَصِخْ إلى صدح الحمام في السحر، ومِلْ نحو شادٍ يُغْنيك بغنائه عن نغمات مواقع الوتر، وارتشف كؤوساً قد روق فيها مدامُ الكلام، واقطف ثماراً دانية القطوف على الدوام.

عقـوداً لولا من نُظمت له، لوقعـت فيها يد التفريط، وأبكاراً لولا من نضت إليه، لطُمسـت فيها وجوه المحاسـن، ومُحي من صدرها التخطيط، وحَماماً لولا صـدحه في مدح خير البشـر، لنـاح ولكن بالحزن لا بالسرور والبشر، وشادياً[1] لولا زمزمته في أبزة زمزم والحطيم، لما أصغى أحد إلى حسن صوته الرخيم، وكؤوساً لولا ساقي الأمة من حوضه في القيامة، لمجت أفواهُ الأسـماع ما فيها [من][2] مُدامـة، وثماراً لولا من حنَّ الجذعُ إليه، لصارت صاباً وحنظلاً لايعرج عليه.

ولعمري! لقد سهوت عليه، فأطنبت في هذا المقام، وذهلت، فنطقت بهذيان الكلام، وإلا، فما مقدار مدحي فيمن كان جبريلُ والملائكة له يخدمون، بعد ما مدحه الله في براءة ونون؟! وما مثلي إلا كمن يهدي إلى هجر الحشف البالي، والصدفَ إلى البحر الطامي، يقذف بالجواهر واللآلي، لكن من شأن الموالي أن يقبلوا من مواليهم القليل، ويروا تفضلاً منهم أن الشيء الحقير لديهم جليل.

والله أسأل أن لا يجعل صنيعي وسعيي هباءً منثوراً، وأن يقبل ما نظمتُه فيمن أرسله للعالمين بشيراً ونذيراً، إنه من سائله قريب، ولداعيه مجيب، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

قلت: ومما اخترته من المدائح النبوية: قوله ـ رحمه الله تعالى ـ:

أبـارقُ الثغـرِ تُبديـه الثنيَّـاتُ ... أم ضـوءُ نـارٍ تجلِّيهـا الثنيـاتُ

---

(١) في الأصل: وشادٍ، والصواب ما أثبت.

(٢) زيادة ليست في الأصل.

أم البروقُ بأكنافِ السحابِ هفتْ أم السيوفُ المواضي المشرفياتُ

وذاكَ نبلُ الحنايا قد رشقن به أم وُبلُ قَطْرٍ له في الأرضِ رشقاتُ

كسا الوهادَ بروداً من صنائعه وتُوِّجت منه بالأزهار هضباتُ

وأطلع الروضُ أنواعاً منوعةً من الزهور فكلُّ الأرض زهراتُ

إذا انتشينا عبيرَ الروض فاحَ لنا من عطرِهِ نفحاتٌ عنبرياتُ

وشبب الريحُ لما صفقتْ سَحَراً أوراقَ غصنٍ له بالرقصُ ميلاتُ

ودار بالروح خمرُ القطرِ فارتشفت تلك الرياض وللأغصان نشآتُ

وهز للنهر ما بين الرياض لنا سيفٌ جلته جلاءَ القينِ نسماتُ

كأنه إذ تلوَّى في ترقرقِهِ أيمٌ له في خلالِ الروحِ عطفاتُ

يا ربَّ يومٍ يهاتيك الرياض مضت لنا بكلِّ رضيع المجدِ أوقاتُ

تجرُّ أذيالَ أبرادِ الصِّبا مَرَحاً والدهرُ يومٌ إذا الأعوامُ ساعاتُ

يقتادُنا للتصابي كلُّ ذي هَيَفٍ تحلو الصباباتُ فيه والخلاعاتُ

أغنُّ أحورُ ممشوقُ القوام له تُعزى الرقاقُ العوالي السمهرياتُ

إذا تخطَّر في مَوْشي غِلالته هفت بقلب الذي يهواه خَطْراتُ

كم قد أراشَ من الأهدابِ أسهُمَه وكم له بسيوفِ اللحظِ فَتْكاتُ

إذا انتضاها من الأجفان مرهَفَةً فكلُّ قلب به منها جراحاتُ

كم وردةٍ في رياضِ الخدِّ قد سُقيتْ ماءَ الحيا فلها بالسقي نضرات

بمنهلِ الثغر ريقٌ ريّقٌ خَصِرٌ حصيبات(١) تلك الثنايا اللؤلئياتُ

(١) كذا في الأصل، والصواب: حصباؤه، فبها يستقيم الوزن.

والهفتاهُ على بَرْدِ الرُّضابِ لها ... في القلبِ منه وفي الأحشا حراراتُ

نادمتُه وعيونُ الدهرِ غافلةٌ ... وللزمانِ وصف العيش عقلاتُ

وقد أدرنا حديثاً كالعقيق لنا ... به مدى الدهر صبحاتٌ وغبقاتُ

وقد وقانا هجيرَ الشمسِ مذ لفحتْ ... تلك الوهاد من الأزهارِ خيماتُ

ومدّ مما تسديه القِطارُ لنا ... فوقَ البسيطة بُسْطٌ سُندسياتُ

وغردتْ فوقَ غصنِ البان صادحةٌ ... لها بأعلى غصونِ الدوحِ سَجْعاتُ

حِرنا فلم ندرِ هل ناحت مطوّقَةٌ ... أم رَدَّدَتْ لأغاني اللحن قَيْناتُ

حفَّت وأنّتْ على إلفٍ به رُزِئَتْ ... واعتادَها منه في الأحشاءِ لوعاتُ

في كل يومٍ لها درسٌ تكرره ... من الحنينِ وأَنَّاتٌ ورَنَّاتُ

كأنها مذْ رأت صباً حليفَ ضَنًى ... واستأثرته الظِّباءُ الحاجرياتُ

وصار نِضْواً يعاني النوحَ ذا قلق ... له إلى الباب من نعمان حاءآت

رامَتْ تحاكيه من نَوْحٍ على غُصُن ... وفي اشتياقٍ له في القلب جمراتُ

ولا عجيبَ إذا رامَتْ حكايتَه ... فأكثرُ العشقِ في الدنيا حكاياتُ

هيهاتَ تحكي مُحِباً شَفَّهُ سَقَمٌ ... له على الخدِّ من جفنيه عَبْراتُ

مبلبلَ البالِ مسلوبَ الرقادِ له ... لا هل يبلغ[1] مدى الأنفاس صَبْواتُ

مشوقَ قلبٍ إلى خير الأنام ومن ... لولاه لم توجدِ السبعُ السمواتُ

ولا جبالُ ولا أرضٌ ولا فَلَكٌ ... ولا نجومٌ ولا نارٌ وجَنَّاتُ

محمدٌ خيرُ من يمشي على قَدَمٍ ... وخيرُ من حملَتْه الأَرْحَبِيَّاتُ

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: لأهل سَلْع.

فـــردٌ تجمَّـــع فيـــه كـــل مَنْقَبَـــةٍ لمـــا أتتـــهُ المعـــالي والكمـــالاتُ

لاحت علـى الكـون أنـوارٌ ببعثتـه واستحكم البِـشْرُ فيـه والمـسراتُ

دنـــا مـــن الله تـــشريفاً وقَرَّبـــه ولا تقدَّمَـــهُ وعـــدٌ وميقـــاتُ

نصت إليه مـصونات العلـوم ومـا كانـت لترفـعَ لـولاه الـستاراتُ

حوى الجمالَ وكلَّ الحسنِ أجمعَه فاستمل بعض الذي تبدي الإشارات

فـالفرعُ ليـلٌ إذا تبـدو غياهِبُـه والفـرق نـورٌ لنـا منـه اقتباسـات

إذا رنـا قُلْـتَ ذا سـحرٌ يخامرنـا أم حانـةٌ روقَـتْ فيهـا المُـدامات

ترمي القلوبَ سهاماً غيـرَ طائـشةٍ تلك الجفونُ الكسيرات الكحيلات

راقـت بخديـه أمـواهُ النعـيم وقـد رقَّت بجنـات ذاك الخـد وَجْنـاتُ

لم تدرِ مَنْ شامَتِ الأبصارُ رونقَـه هـــل ذاك خَـــزٌّ وإلا ذاك مـــرآةُ

إذا انثنـى تنثنـي الألبـابُ حـائرةً وتُخجل القُضْبَ من عِطْفيه هَزَّاتُ

رامَتْ لتحكيه قضبٌ في النقا فبدا منها وقـد هـز للأعطـاف وقفـاتُ

يـستوقف الطـرف مـرآه وشـاءته وتعتريـه لفـرط الحـسن دهـشاتُ

إذا تكلـم فـج الـسحر مـن كلـم وتلقـط الـدرَّ هاتيـك العبـاراتُ

كأن منطقَه العـذبَ الفـصيح كمـا تـــردد اللحـــنَ وُرْقٌ أعجميـــاتُ

يُرجى ويُخشى لَدَى يومَي ردًى ووغًى كأنـــه الزهـــر[1] تـــاراتٌ وتـــاراتُ

إذا سـخا أخجـلَ الأنـواءَ نائلُـه وسَـحَّ بـالجود أيـدٍ هاشـمياتُ

فمـا إذا جـادَ كعـبٌ أو مـضارعُه وما الهبات الضواري الكسروياتُ

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: الدهر.

ما زالَ مغرًى بإسداءِ الجميلِ وكم قد أتعبتْ بالعطايا منه راحاتُ

وإن سطا بحسامٍ يوم معركةٍ فغمدُه من كُماة الحرب هاماتُ

كم أشكلَ الخطبُ يومَ الحرب واتصلَتْ بحكمه الفصلِ هاتيك القضياتُ

ما أظلم النقعُ واسودَّتْ غياهبُه إلا وضاءت له فيها شعاعاتُ

لا تدفعُ الدرعُ طعناتٍ لذابله إذا غدا وله فيها انسياباتُ

ينساب فيها ولو كانت مضاعفةً كمثلِ ما انساب في الغدران حيات

كأنما حينَ تجتاب الضلوع له بين الجوانح والأحشاء حاجاتُ

يا سيدَ الرسلِ يا أزكى الأنامِ على له الجودُ والمعروفُ عاداتُ

كنْ لي شفيعاً إذا ما قمتُ مندهِشاً من مرقدي يومَ لا تُغني القرابات

من لي سواكَ أُرَجِّيه إذا نشرتْ مطويَّ ذنبيَ هاتيك الصحيفاتُ

صلى عليك إلهُ العرش ما تُليت في فضل ذاتِك أخبارٌ رواياتُ

كذا على الآلِ طابَتْ مغارسُهم ومن لهم في ذوي[1] العليا مقاماتُ

من كل أَرْوَعَ ما زالت عزائمُه بها إلى المجدِ والعلياء لَفْتاتُ

كذا على الصحب من شيدَت مناقبُهم ومن همُ الأنجمُ الزُّهْرُ المنيراتُ

من كلِّ ليثٍ حديدِ النابِ مفترسٍ لها ثَباتٌ وفي الهيجاء وَثْباتٌ

ما أنشد الصب مذ لاحَتْ قِبابُ قُبا هي المنازلُ لي فيها علاماتُ

وكتب إلى العلامة درويش محمد الطاوي قوله:

حذارِ فؤادي فالظباءُ فوارسُ وما غيرُ آساد العرين فرايسُ

---

(١) في الأصل: ذي، والصواب ما أثبت.

وإياكَ والإقدامَ في حَلْبَة الردى ... فخيلُ المنايا للنفوس تُخالِسُ

فلله من قلبٍ عصاني كأنه ... خصيمٌ لطرد القولِ مني يعاكسُ

فيا قلب كم هذي الغوايةُ في الهوى ... فحتى متى في الموت هذا التنافسُ

ألم يأن من سُكر الغرام إفاقةٌ ... فيصحو فؤادٌ للهموم مجالِسُ

ويا ظبيُ ما هذا النفارُ إلى متى ... أما آن أن تعطو الظباء الكوانسُ

سرى الطيف في وهنٍ من الليل يبتغي ... طروقَ عليلٍ أقلقته الوساوسُ

فهوّم جفنُ الصبِّ ساعَة قربه ... يظن بأن الطيفَ ضيفٌ مؤانسُ

ودارت عليه للعتاب وأينعت ... قطوفُ الأماني والظنونُ الهواجسُ

فما دامَ إلا أن أفاقَ إفاقةً ... إذ الدار شتى والقفار اليابس

لقد أبلَتِ الأيامُ فينا بَلاءَها ... وصارتْ صروفٌ بينهنَّ تجانسُ

وقائع أنستنا حروباً بوائلٍ ... وأربت على أضعاف ما جَرَّ داحِسُ

أما علمَتْ أني وإن كنتُ عاجزاً ... لينصرُني شهمٌ من الترك فارسُ

طويلُ نجادِ السيفِ يومَ كريهةٍ ... إذا قصرت عنها الكماةُ العوابسُ

إذا حققتْ في البحث راياتُ فكره ... تلتها جيوشٌ للطعان تداعسُ

كثيرُ رمادِ القِدْرِ دانٍ نوالُه ... وليس على أبوابه الدهر حارسُ

إذا عصفت نحوَ القفار رماحُه ... سقاها الحيا والهاطلاتُ البواجسُ

فيا بنَ الكرامِ الأقدَمين ومَنْ له ... عُلاً على هامِ السماكَيْن جالسُ

نظمتُ عقوداً من علاك استفدتُها ... وأقبسني من نور وصفك قابسُ

فدونكها كالزهر تُجلى لناظر ... كما جُليت في الروض منها عرايسُ

فإن صادفَتْ منك القبولَ فحسبُها ... فخاراً به طولَ الزمان تنافسُ

عسى السيدُ المولَى يكاتبُ عبدَه ... ليرتاضَ دهرٌ بالأحبة شامسُ

وشرق بنظمٍ قد حكته أزاهرٌ ... نواضِرُ لم يقطِفْ جناهن لامِسُ

فأنت حياةُ الفضل تنشُرُ ميتَهُ ... إذا ما عَفَتْ تلك الدروسُ الدوارسُ

ولا زالتِ الآدابُ منك نواظراً ... مدى الدهرِ لا تذوي لهن مغارسُ

فأجاب الطالوي بقوله:

أتت تنثني كالغصن والغصنُ مايسُ ... وترنو بطرف أوطفٍ وهو ناعسُ

رداحٌ بخوط البان تزري نشاطه ... وتهزأ بالخطيِّ حين تقايسُ

من القاصراتِ الطرفَ مهضومةُ الحشا ... لطيفةُ طَيِّ الكشحِ هيفاءُ آنِسُ

يفوقُ سناها البَدْرَ ليلةَ تَمِّهِ ... ويأوي لداني أفقه وهو يائسُ

إذا ما رَنَتْ نحوَ الحليم استفزَّه ... هوًى واستمالَتْهُ ظنونٌ هواجسُ

أتت منزلي تختالُ والليلُ دامسٌ ... كما زارني وَهْناً حبيبٌ مؤانسُ

فما الروضُ بالأزهار كلّله الندى ... كما كللت تيجانهن العرايسُ

بكاه الحيا حتى تضاحَكَ نَوْرُهُ ... وحَلَّت عِزالَيْها عليه الهواجسُ

كسته يدُ الوسميِّ بُرداً كأنما ... حبته بأنواع التصاوير فارسُ

فأصبح غِبَّ القطرِ يزهو لحبه ... جنيُّ جَناها لم يصافحه لامِسُ

به الزهرُ في الأكمام يسطع نورُه ... لمزهىً به سيفُ المجرةِ حارسُ

يطوف به واشي النسيم فتنثني ... غصونُ رباه الهيفُ وهي قوانسُ

وقام خطيبُ الدوح فيها مغرِّداً ... عليه قميصٌ حالكُ الطلِّ دارسُ

يجاوبـــه وُرْقٌ بألحـــان معبـــدٍ   وتشدو على الأغصان وهي أوانـسُ
تـذكرني عهـدَ التـصابي فـأنثني   وفي القلب من فرط الغرام وساوسُ
بأحسنَ منها بهجـةً حيـت أقبلـتْ   وحيـتْ كمـا حيـت البـا كـوانسُ
فكيفَ ومن وَشَّـى معاطفَهـا فتًـى   نمتْه إلـى نحـو المعـالي مغـارسُ
رقى من ذُرا الآدابِ أرفـعَ هـضبةٍ   فمن ذا يـضاهيه ومـن ذا يجـانسُ
فيا بن الأُلى شادوا الفخارَ بعزمِهم   وليس لهم في غيـر مجـدٍ تَنـافُسُ
بعثـتَ عقـوداً بـل جُمانـاً منظَّمـاً   حكى درَّ دمعي حين بان المجالِسُ
وكلفتنـي رَدَّ[1] الجـوابِ وحبـذا   سـؤالٌ ولكـن أيـن منِّـي تجـانسُ
فـإن يـكُ منـه مـا يـروقُ لنـاظر   فإني لـه مـن نـور وجهـك قـابسُ
فدونَكَها تمـشي الهوينـا وتنتـشي   حياء وطرفُ العـين منهـا يخـالسُ
فإن صادفتْ منك القبولَ فحـسبُها   فخـاراً بـه طـول الزمـان تنـافسُ
عسى السيدُ المولى يكاتـب عبـدَه   ليرتـاضَ دهـرٌ بالأحبـةِ شـامسُ
إلى بـابكم ترجـو القبـولَ تفـضُّلاً   عساها بقربٍ منكَ تحظى وتـأنسُ
فلا زلْت بالآداب تُتحـف صـاحِباً   مدى الدهرِ ما طنت بعلمٍ مدارسُ
ومـا نـاح قُمـرِيُّ الريـاضِ مغـرِّداً   فحـنَّ مـشوقٌ نـازحُ الـدار آنـسُ

ومن شعره قوله:

وتجردت بِيضُ الصفاحِ وألبـست   علـقَ النجيـعِ كحلَّـةٍ حمـراءِ
والشمسُ مذ سقتِ الدماء زِجاجَها   أضـحت ثمـاراً أرؤس الأعـداءِ

---

(١) في الأصل: عند، ولعل الصواب ما أثبت.

وقوله من أخرى:

كأنما الخيل في الميدان أرجلُها ... صوالجٌ ورؤوسُ القوم كالأُكَرِ

ومن قصيدةٍ:

لا تحسبنَّ المجدَ شيئاً هيناً ... من لم يذق طعمَ الصبابةِ ما دَرَى

وقد تبع فيه قول الأول:

لا تحسبِ المجدَ تمراً أنت آكِلُه ... لن تبلغَ المجدَ حتى تلعقَ الصَّبِرا

[٣٥] محمد بن محمد بن سالم، الشيخ شمس الدين ابن الشيخ أبي البقاء، المعروف بالقصير الشافعي(١).

كان حافظاً لكلام الله تعالى حفظاً متيناً، عارفاً بعلوم القرآن، خطيباً واعظاً، ويحفظ غالب خطب الطيبي، وأخذ القراءة عنه، وعن ولده أحمد، وكان حريصاً على مصنفات الطيبي، ومناظيمه.

وكان ملازماً للجماعة في المسجد الأموي، وقت الظهر والعصر، وكان يصلي الجماعة أربع مرات، فليم على الزيادة عن مرتين، فلم يدع ذلك، وولي خطابة النورية، ومات في جمادى الثانية، سنة خمس عشرة بعد الألف، ودفن بمرج الدحداح، كذا نقله النجم الغزي في «الذيل».

أقول: الذي تحرر عندنا ـ معاشر الشافعية ـ أن شرط صحة المعادة: أن تفعل مرة فقط، وأن تقع في الوقت، ولو ركعة، وأن يكون جميعها جماعة،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٦٨) (١٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٥٩).

فلا تكفي الجماعة في بعضها، ولا بد من نية الفرضية فيها على المعتمد، وأن يكون فيها فضيلة من حيث الجماعة. انتهى. والظن بالمترجم أنه لا يعيدها أكثر من مـرة عبثاً، فيمكن أن عليه صـلوات يقضيها جماعـة، وحسن الظن يبلغ الغايات، والله أعلم.

[٣٦] محمد بن محمد جانك القاضي شمس الدين الشافعي المعروف بالكنجي الدمشقي[١].

أخذ العلوم عن علاء الدين بن عماد الدين، وعن نور الدين النسفي، وناب في القضاء عن علي أفندي قنالي زاده، سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة، بمحكمة قناة العوني، ثم بالميدان، ثم بالصالحية، ثم بالكبرى بعد القاضي عمر بن المرقع، وعزل وأعيد، توفي سنة ست عشرة وألف، عن بضع وسبعين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٧] محمد بن محمد الاضطراري المغربي المالكي[٢].

كان عالماً بالتوحيد، له معرفةٌ تامةٌ بكتب السنوسي، وكان يجتمع الناس إليه بالجامع الأموي وغيره، ويأخذون عنه، ويحدثهم بالحقائق، وكان ينكر هو وجماعته إيمان المقلد، ويرتبون عليه أن الناس كلهم مقلدون، حتى علماء الظاهر.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٥٩)، «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٤٧ ١٠).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٨٧)، «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٨٩ ٥٨).

وسئل عنه الشيخ العارف بالله تعالى علي بن عمر العقيبي، فقال: هو ينظر بإحدى عينيه، يشير إلى أنه يتكلم على الحقيقة، ولا يعرف الشريعة، وقطن بدمشق أكثر من ثلاثين سنة، وكان للناس فيه اعتقاد كبير، ووقعت له مكاشفات كثيرة، وكانت **وفاته** في أواسط رمضان، سنة ست عشرة بعد الألف، وعمره ثمانون سنة أو أزيد ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٨] محمد القاضي العلامة محب الدين أبو الفضل العلواني بن تقي الدين محمد الحموي الشافعي ثم الحنفي(١).

ذكره النجم الغزي في «الذيل»، فقال: كان أبوه كاتباً بحماة، بين يدي القضاة، **ومولده** سنة إحدى وخمسين وتسعمائة، وحمله والده بعد ولادته إلى الشيخ العارف بالله تعالى محمد ابن الشيخ علوان، فحنكه، ودعا له، ولما مات سيدي محمد بن علوان، كان عمره دون سبع سنين، قال: وأنا محقق أني نظرت إليه ثلاث مرات، وفي مرة أطعمني شيئاً من الصنوبر.

ثم لازم أخاه الشيخ أبا الوفاء بن علوان، وقرأ عليه فقه الشافعية، حتى وصل إلى قراءة «شرح البهجة»، وتحول بعد ذلك حنفياً، وكان أكثر تعبده على مذهب الإمام الشافعي، وأخذ عن شيخ الإسلام البدر الغزي الحديث والتفسير، وحضر دروسه كثيراً، وعن إسماعيل النابلسي، واختص به، وزوجه الشيخ إحدى بناته، وأولدت له الفاضل محب الله.

ولما سافر إلى الروم، مر على حلب، وأخذ عمن بها من علمائها، ولم

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١١٤) (٣٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣٢٢)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٥٩).

يلحق ابن الحنبلي، وأخذ بالقسطنطينية عن جماعة، ولازم محمد أفندي جوي زاده، وعاد في صحبته إلى دمشق، ثم سافر معه إلى بيت المقدس، ثم إلى مصر، وأخذ بها عن الناصر الطبلاوي، وعلي المقدسي، وغيرهما، واجتمع بالأستاذ الشيخ محمد البكري، وحضر دروسه، وتولى بجهات مصر قضاء فوة، ثم ولي بعد ذلك قضاء القدموس من بلاد حماة.

ثم بعد موت ختنه شيخ الإسلام إسماعيل النابلسي، سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة ـ بتقديم التاء فيهما ـ، صار وصياً على أولاده، وقبض متروكاته، من كتب وأمتعة وغلال وعقار ودواب وغيرها، وصار أولاده من عياله، وأحسن تربيتهم، ثم أثرى، وصار من رؤساء دمشق، وعامل أهل الشام بالمواساة والإكرام، وكان يقوم مقام القضاة عند الانفصال.

وولي تدريس الشامية البرانية، وبقيت بيده إلى أن مات، وكان آيةً في حسن الخلق، والرعاية والإكرام والإجلال وعموم النوال، مع سائر أهل العلم ووجوه الناس، علامةً نهايةً محققاً مدققاً، غواصاً على المسائل، طويلَ الباع في المنقول، قويَّ الساعد في المعقول.

ومؤلفاته محررة، أمة في النظم الرائق، والنثر الفائق، والاقتباسات التي لا نظير لها، والاستخدامات العجيبة، والتواري الغريبة، مستحضراً لمسائل الفقه، حافظاً لعبارات المتون، قادراً على التدريس والإفتاء، وخطه في غاية الحسن، ويعرف التركية والفارسية.

ويدرس في «تفسير البيضاوي»، مع مراجعته «الكشاف»، والحواشي، وتجتمع عنده أفاضل العلماء؛ كالشيخ تاج الدين القطان، والشمس محمد الميداني، وبدر الدين الموصلي، ومحمد الجوخي، وتقي الدين الزهيري،

وعبد الرحمن العبادي، ومحمد الحمامي، وأبو الطيب الغزي، وأحمد بن قلاق سيز، وعبد اللطيف القردير عرف بالجالقي، وأبي بكر المغربي مفتي المالكية، في آخرين.

قال النجم الغزي: وأنا لازمته، وقرأت عليه شرحه على «منظومة ابن الشحنة»، قال: وكنت أنظم شرحه، درساً بعد درس، فلما ختمت عليه الكتاب، جئته بالمنظومة كاملة، وقرأت عليه قطعة من «المطول»، وربع «البخاري»، وحملت عنه مسائل كثيرة.

وله تأليفات وتحريرات، منها: كتاب «عمدة الأحكام ومرجع القضاة في الأحكام»، وهي أرجوزةٌ ألفها في الرد على بعض المتعصبين على بيت الغزي، والمتعرضين لهم، سماها: «السهم المعترض في قلب المعترض»، وأخرى في المعنى المذكور سماها: «الرد على نجر وضح النجم بإلقامه الحجر»، وله شرح لطيف على شواهد الكشاف، وتحقيقات كثيرة، وتحريرات منيرة، ونظم في غاية الحسن والبلاغة، منه قوله:

فإنَّ مُداراةَ العدى ليس تنفعُ ... إذا أمكنت يوماً من اللَّسع تلسَعُ

توفي سحر ليلة الأحد، ثالث عشري شوال، سنة ست عشرة بعد الألف، ودفن بباب الصغير، بقرب تربة الشيخ إسماعيل النابلسي ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٩] الدرويش محمد بن محمد المشهدي الرومي الحنفي.

نزيل دمشق، ذكره النجم الغزي في «الذيل»، قال: وإنما سمي بالمشهدي؛ لأنه كان مجاوراً بالمشهد الشرقي البراني، من مشاهد دمشق الأربعة، المعروفة بمشهد زين العابدين قديماً، والآن بمسجد المحيا، وكان

له في جـواره حجرة ينام فيها، وأكثر مجاورته في نفس المشاهد، معتكفاً صالحاً صامتاً.

وكان كل منهما يعتقد ولاية الآخر، وكان نظيف الثياب، بشوشاً، لطيف الذات، وللناس فيه مزيد اعتقاد، ويتردد إليه أكابر الدولة، ولا يتردد إليهم، وهو منجمع عنهم، غير مستشرف إلى شيء منهم.

وأقام بدمشق نحو خمسين سنة، وكان وقوراً مهاباً، حسن الخلق، وله ذوق تام في فهم كلام الصوفية ـ نفع الله بهم ـ ومعرفة تامة بالطب، وكان إذا خرج من الحمام، يصـب على رأسـه الماء البارد، ويقول: إنه يحفظ صحة الدماغ، وقلده في ذلك غالب أهل دمشق.

توفي يوم السبت، ختام رجب، سنة سبع عشرة بعد الألف، وقد قارب مائة سنة، ودفن بباب الفراديس ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٠] محمد بن محمد بن محمود بن محمد بن علي بن شمس الدين، البصروي العاتكي(١).

أحد الشـهود بمحكمة القسمة، والكاتب بالتبريزية بدمشـق، كان من أعيانها وأدبائها، وله اليد البيضاء في كتابة الوثائق، بحيث يضرب به المثل، في ضبطها على القوانين الشرعية، لكمال معرفته بالفقه، والتبحر فيه، والإحاطة بفروعه وأصوله، مع التواضع، وعدم الدعوى، وكمال النصيحة، حتى إنه لم يخلـق بعده مثلـه في ذلك، **توفي** يوم الاثنيـن، غـرة ربيـع الأول، سـنة ثمان عشرة وألف، بدمشق.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٧٢) (١٩).

[٤١] **محمد بن محمد بن محمود بن عبد الحق الغمري، الشافعي الخلوتي، الطرابلسي.**

كان من أكابر فضلاء طرابلس الشام، ولم يكن بها في عصره من الشافعية أعلم منه بعلم الحلال والحرام، إلى ما حواه من الفنون العقلية، وسلوك طريق الصوفية، معتقداً مهاباً، لا يخاف في الله لومة لائم، مرجعاً لأهل بلده في المهمات الجزئية والكلية، ولما قدم الأمير منجك إلى طرابلس، اختص به، ومدحه بقصيدة مطلعها:

طَرابُلُسٌ هي الدنيا جميعاً إذا كان ابنُ عبدِ الحقِّ فيها

توفي سنة ست وثمانين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٢] **محمد أمين بن محمد دفقه أردمشقي العجمي، الشهير بالدفتري**[١].

كان فاضلاً محققاً، له اطلاع على علوم المعقول والعربية، وكان كثير المطالعة، واشتغل ـ لما قدم دمشق ـ بمطالعة كتب الأدب والتاريخ وأخبار الناس، وكان في أول خروجه من بلاده سالكاً طريق التجرد، ودخل دمشق، فضمه إليه ملا آغا العجمي، وسافر إلى بلاد الروم، وولي بعض الأنظار.

ثم عاد إلى دمشق، وتزوج بنت ملا آغا، ثم رجع إلى الروم، وخدم المولى سعد الدين الخوجة، وصار من جماعته، ثم رجع إلى الشام، متولياً دفتر داريتها، وسلك فيها مسلكاً حسناً؛ من التلطف بأهلها، وإكرامهم وقضاء حوائجهم، وكان حسن المحاضرة، يحب مجالسة العلماء، منصفاً في المذاكرة،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٩٧) (٦٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٩٠).

رجاعاً عند البحث، ورغب في الكتب، واشترى منها كثيراً.

مات بدمشق يوم الأربعاء، تاسع ربيع الأول، سنة تسع عشرة ـ بتقديم التاء المثناة ـ بعد الألف، ودفن من الغداة، بعد أن صلى عليه بعد صلاة الظهر قاضي الشام السيد محمد بن معلول، بالجامع الأموي ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٣] محمد بن ناصر الدين محمد بن علي البُلْيَنِي الشافعي[١].

أديبٌ طرازُ فضلِه بالأدب مذهب، وشمال لطفه وثمال لطفه، سلسبيل ماء براعته رائق للشرب، ومن القوم الذين هم في طرق الخير ساعون، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون، وشعر حسن، إلا أنه يتجاوز عن رقة النسيب إلى كثرة التجنيس والوحشي الغريب.

مولده ـ كما رأيته بخطه ـ سنة أربعين وتسعمائة، **ووفاته** بمصر، يوم الخميس حادي وعشرين شوال، سنة تسع عشرة ـ بتقديم التاء ـ بعد الألف، ومن شعره قوله من قصيدة:

أهــلاً بــه ملكــاً فــي زي إنــسانِ ... أهــلاً بـدر أتـى فـي شـهر نيـسان

وانتاشني بالـسنا البيـضاءِ سـؤدده ... من أسودِ الخطب لما أن تخطـاني

قد كنتُ غَصَّانَ بالماءِ الزُّلال فهل ... يجري سوى الماءِ في ثغرٍ لغصانِ

وهذا المعنى كثير في كلامهم؛ كقول بعضهم:

من غصّ داوى بشربِ الماء غـصته ... فكيف يصنعُ من قد غـص بالمـاء

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٣٦).

والبليني ـ بضم أوله، ثم لام ساكنة، بعدها تحتانية مفتوحة ـ: نسبة لبلينة: بلد من الصعيد بحري.

[٤٤] محمد بن محمد العزي الحنفي.

نزيل المدرسة الأشرفية بمصر، الشيخ العلامة، شمس الدين، كان إماماً عالماً، له مؤلفاتٌ في فنونٍ كثيرةٍ، منها: «شرح على الأندلسية» في العروض، أخذ عن كثيرٍ من فضلاء عصره، منهم: السيد محمد بن موسى الجماري، ونقل عنه: أنه كان متقناً للعلوم الحرفية، وسمعه مرة يقول: علمُ التكسير أحسن من علم الإكسير، فرغب في أخذه عنه، ثم لم تطل مدته، فلم يتيسر له الأخذ عنه، **توفي** سنة تسع عشرة بعد الألف بمصر، ودفن بالقرافة، والعزي: نسبةً لمنية العز، بناحية فاقوس، من شرقية مصر.

[٤٥] محمد بن محمد بن أحمد الحمصي الأصل، المعروف بحمص بابن سماقة، وبدمشق بالحجازي[١].

لمجاورته بمكة بضع عشرة سنة، الشافعي، الشيخ الإمام العلامة، **مولده** تقريباً سنة سبع وثلاثين وتسعمائة، وأخذ طريق القوم، عن الشيخ الانبلاقي اليمني القاطن بالمدينة.

ثم عاد إلى دمشق، وصحب بها منصور بن عبد الرحمن خطيب السقيفة، وأخذ عنه علم الزايرجة، والرمل، والكيمياء، والأوفاق، وأخذ الطب عن يونس بن جمال الدين رئيس الأطباء بدمشق، وحصل منه طرفاً صالحاً، ثم

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٣٠) (٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٦٢).

قرأ الفقه والنحو على عبدالله المصطكاوي المصري، ودخل مصر، وأخذ عن بعض علمائها، ثم قرأ بدمشق «المنهاج» وغيره، على نور الدين النسفي، وأخذ قديماً عن موسى الكناوي.

واشتهر بمعرفة الأرصاد، والاستخراج من الجفر، والخط بالرمل وغيره، وكان الحكام يحبونـه لذلك، وحظي عند قاضي القضاة بدمشق محمد بن معلول، وبشره بأن زوجته تحمل وتلد ذكراً، وأمره أن يسميه محمداً، وبشره بأن يلي قضاء العسكر، فيكون فيه سبع عشرة سنة، فلما ولي قضاء العسكر الروم ايلي، كان المترجَم معه في القسطنطينية، فأعطاه تدريس التقوية، عن شيخ الإسلام البدر الغزي، ثم بعد سبعة عشر يوماً، عرض له عارض سوداوي، فانفصل به عن قضاء العسكر، وأعيدت المدرسة للنجم الغزي.

وكان ذا ثروةٍ ومالٍ واسـع، وكان يصوم العشـر الأخيـر، من جمادى الآخرة، ورجب، وشعبان، ورمضان، ولا يأكل اللحم في صومه، ولا يأكل عند الفطر، إلا من الحمص والزيت، ويعد الناس ذلك منه رياضة؛ لأجل التوصل إلى ما هو فيه؛ من استعمال الأسماء، وتوفيق الأوفاق، وهو في نفسه كان متضلعاً من العلوم الفقهية والعربية، علامةً فيها، وله استحضار للأبحاث والشواهد.

ولما كان أواسط شعبان، سنة تسع عشرة ـ بتقديم التاء المثناة ـ بعد الألف، نزل عليه عارضٌ، منعه من الكلام والطعام والشراب، حتى توفي يوم الاثنين، لأربع وعشرين شعبان، ودفن بتربة باب الصغير، بالقرب من الشيخ ناصر الدين المقدسي، ولم يعش بعده ولده الشيخ عبد الحق، إلا قليلاً ـ رحمهما الله تعالى ـ، ذكره النجم في «الذيل».

[٤٦] محمد اليماني، شيخ اليمانية بجامع دمشق[١].

أقام بدمشق سنين، يتبرك الناس به، ويعتقدونه، ويجمع جماعته على ذكر الله تعالى، وإنشاد كلام القوم ـ على عادتهم ـ بألحانهم، وأخذ عن ولي الله الشيخ بكر اليماني.

توفي يوم الأربعاء، سادس عشر محرم، سنة تسع عشرة ـ بتقديم التاء المثناة ـ بعد الألف، ودفن بوصية منه في الروحة، التي عند قبر سيدي جوشن، بالسويقة الممروقة خارج دمشق، عند قبر سيدي تقي الدين القربي، وكانت جنازته حافلة ـ رحمه الله تعالى ـ ذكره النجم في «الذيل».

[٤٧] محمد بن أحمد بن إسماعيل بن الأكرم الحنفي، المعروف بدمشق بغطا البر[٢]، عطفاً على تلقيب أبيه بغطا البحر.

كان من المشتغلين بالعلوم على أنواعها، قرأ على البدر الغزي «الإحياء» للغزالي، وولي تدريس المقدمية بعد أبيه، وكانت سكنَه، وسكنَ أبيه، وهم ينتسبون إلى واقفها.

وتوجه إلى الروم، ولما عاد منها، عاد بهيبة عظيمة، ولقب بشيخ الإسلام، وكان يجمع الفقراء على الذكر عنده بالمدرسة، ويتردد إليه الصالحون، وتترنم في ذكره المنشدون، حتى يتواجدون، وكان يتظاهر بإنكار المنكرات،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٩٦) (٦٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٩٠).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٨٩) (٢٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٥٤).

وإذا مر على المقامرين، أمر بتكسير آلاتهم، وكان قليل الحظ من الدنيا.

توفي مبطوناً في وقت الغداء، من يوم الثلاثاء، ثالث عشري ذي الحجة، سنة تسع عشرة بعد الألف، وعمره يوم مات خمس وخمسون سنة، ودفن عند أبيه بمقبرة الفراديس ـ رحمه الله تعالى ـ، ذكره النجم في «الذيل».

[٤٨] محمد شمس الدين بن موسى شرف الدين بن عفيف الدين القابوني الشافعي[١].

سبط شيخ الإسلام الشيخ شهاب الدين أحمد بن أحمد بن بدر الدين الطيبي، عرف بجَدّي؛ لأنه كان يلازم جده الطيبي، فيقول له: جدي، جدي، فغلب عليه ذلك.

كان خطيب جامع منجك، المعروف بمسجد القصب، ومسجد الأقصاب، خارج دمشق كأبيه، ثم ولي إمامة الشافعية بالمقصورة، من الجامع الأموي، بعد موت الطيبي المذكور، سنة أربع وتسعين وتسعمائة.

وكان له معرفة تامة بالقراءات والتجويد، حسن القراءة، وعرضت له لثغة يسيرة بسبب ذهاب كثير من أسنانه، وكان بعض الناس يعترض عليه، وربما يمتنع بعض من الصلاة خلفه لذلك، ويقول: إنه يبدل سين المستقيم ثاءً مثلثة، قال النجم في «ذيله»: وكان شيخنا العيثاوي يقول: ليس في قراءته إبدال حرف بحرف، ولكن سينه ناقصة صغيرة، والاقتداء به صحيح.

توفي يوم الأحد، خامس عشر صفر، سنة تسع عشرة ـ بتقديم التاء ـ

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٥٩) (٥٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٣٣).

بعد الألف، ودفن من الغد، يوم الاثنين، بمقبرة باب الفراديس، عند قبر جده وخاله الطيبين، وقد قارب سنه تسعين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٤٩] محمد بن محمود بن يوسف بن كريم الدين[١].

أحد العدول بمحكمة دمشق، كان فاضلاً، له معرفةٌ بالكتابة، وذكاءٌ وفهمٌ، توفي شاباً ليلة الجمعة، ثاني عشري شوال، سنة تسع عشرة ـ بتقديم التاء المثناة ـ بعد الألف، ودفن عند أهله، بتربة الشيخ أرسلان ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٥٠] محمد بن محمد بن حسين بن حسين، الشهير بابن الشيخ سعد الدين الجباوي الدمشقي الشافعي[٢].

ذكره النجم في «الذيل»، فقال: الشيخ العارف بالله، المربي الجواد، تولى مشيخة بني سعد الدين، سنة ست وثمانين وتسعمائة، وتصدى لتلقي الصوفية، والزوار، والرواد المتبركين، واستعد للناس، بنفائس الأطعمة، وشفعه في ذلك أخوه إبراهيم، وكان المترجم يستمر بالزاوية، ويستنيب أخاه المذكور في حلقة الذكر، بالجامع الأموي، يوم الجمعة.

وكانا إذا ترددا على الحكام ووجوه الناس للسلام عليهم، كانا معاً، وعلت كلمتهم بمحلة القبيبات، وسائر أهاليها، بل في دمشق.

ثم مات إبراهيم، واستقل المترجم بالأمر والنهي والمشورة، وزاد في

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٥٢) (٤٨).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٥٦) (١٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٦٠).

الاستعداد للناس، وفتح وأخوه في الكرم باباً أغلق من بعدهما، وكان يعم الناس بنواله، وكل من يتردد عليه، يقدم له مائدة في أي وقت، وبعد ذلك الفاكهة إن كانت، والطيب.

وبالجملة: فقد كان من أفراد الدهر، ومحاسن العصر، وأعيان العلماء، ورؤساء الجند يلازمون مجلسه، وكان عيده أبداً أربعة أيام، وكل من أتاه فيها بالغ في إكرامه، ولا يخرج من عنده إلا مكتفياً راضياً.

ومن الملازمين لمجلسه: الشيخ علاء الدين بن المرحل، مفتي المالكية بدمشق، والعلامة الحافظ الشمس محمد الميداني، والقاضي تقي الدين الزهري، والسيد القاضي شهاب الدين الجعفري، والعلامة الشيخ أبو الطيب الغزي، وعبد الرحيم الأسطواني، والشيخ قطب الدين بن سلطان، وآخرون.

ورأس في آخر أمره بالشام؛ بحيث كان صدر المجالس، ومرجع الناس، وجدد زاويتهم، وعمل مجلساً آخر للضيافة، وعمر بيته عمارة الملوك، وكانت الهدايا تترادف عليه من سائر الأطراف، وملك دوراً كثيرة بالقبيبات، ومزارع، وأراضي، وبساتين، وحمامات، ودكاكين.

وكان ـ مع ذلك ـ محافظاً على تلاوة كتاب الله، والأوراد بكرةً وعشيةً، مبادراً إلى الصلوات في الجماعة، في أوائل الأوقات، مقيماً للذكر في زاويتهم، وبالجامع الأموي، ولا يثني رجله عن جنازة معروف له، ولو كان من آحاد الناس، ولا عن أفراحهم إذا دعي، زائد الاعتقاد في أهل الذكر دائماً، مكرماً للعلماء، راجعاً إلى قولهم، موقراً للكبير، محسناً للفقراء، جواداً سخياً متواضعاً، يحب المترددين عليه، ويعظمهم.

مرض يوم السبت عاشر صفر سنة عشرين بعد الألف، وكان مرضه ذات

الجنب، **ومات** في ثلث الليل الأول، من ليلة ثالث عشري الشهر، وجعلت جنازته بحيث إنها كانت كجنازة أخيه إبراهيم، وما حصلت بينهما جنازة كجنازتهما، وحضر جنازته قاضي الشام، وأمراؤها، وعلماؤها، وصلى عليه إماماً بالناس أحمد العيثاوي، خارج باب الله، غربي التربة المعروفة بتربة الحصين، ودفن عند أهله، وعمره يوم مات إحدى أو اثنتان وسبعون سنة، ومكث في مشيخة بني سعد خمساً وثلاثين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٥١] محمد بن محمد بن سليمان، الشيخ العلامة ناصر الدين الأسطواني الحنبلي[١].

أحد العدول بدمشق، كان من أمثل الكُتّاب بمحكمة الباب، قال النجم الغزي: وكان شيخنا أحمد العيثاوي يثني عليه كثيراً، ويعدِّله، ويقول: هو أحسن الشهود كتابةً، وأدينُهم، وكان صامتاً، قليل الكلام، لا يدخل إلا فيما يعنيه، مكباً على المطالعة، والإفادة والاستفادة، **توفي** في رجب، سنة عشرين بعد الألف، والأسطواني نسبة إلى دير أسطوانة، من قرى بيت المقدس.

[٥٢] محمد شمس الدين بن محمد المهدوي المالكي الأزهري[٢].

كان من كبار النحويين بالديار المصرية، مع التضلع من العلوم المتداولة، حسنَ السمت، كثيرَ الصمت، ملازماً للتدريس، في الجامع الأزهر، انتفع به

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٦٥) (١٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٦٢).

(٢) «خلاصة الأثر للمحبي» (٤/ ١٦٠)، «الأعلام للزركلي» (٧/ ٦٢)، وذكر وفاته في ١٠٢٦هـ.

كثير من العلماء، وبه تخرجوا.

وله مؤلفات منها: «شرحان على الآجرومية كبير وصغير»، ذكر فيهما إعراب كل شاهد ذكره، والكبير في تسعة عشر كراساً في نصف القطع بخط مضموم، سماه بـ: «التحفة الأنسية على المقدمة الآجرومية» رأيته بخطه.

توفي يوم الاثنين، ثالث عشر محرم، سنة عشرين بعد الألف، وصُلي عليه بالجامع الأزهر، ودفن خارج باب النصر، بالقرب من حوض اللفت، بجوار العارف بالله سيدي إبراهيم الجعفري، نفع الله به.

ومن فوائده: أنه سئل عن مضاف إلى معرفة، لا يتعرف بالإضافة، والإضافة معنوية، وليس المضاف منقولاً في الإبهام، ولا إلى المضاف إليه معرفاً باللام الجنسية، ولا مصدراً، ولا أفعل التفضيل، فأجاب: بأن «أَيّاً» الموصولة، إذا أضيفت إلى معرفة؛ نحو: اضرب أيهم قام؛ أي: الذي قام، كان تعريفها بالصلة، لا بالإضافة. انتهى.

ومن فوائده، مما نقلته بخطه: من غريب الجمع: «بَنُون»، جمع ابن؛ فإنه جمع مذكر سالم، ومع هذا يجوز أن تلحق فعله بتاء التأنيث الساكنة، فيقال: قامت البنون، باتفاق من النحاة؛ بخلاف غيره من جمع المذكر السالم، فإنه لا يجوز عند البصريين، وهو الصحيح.

وزعم الكوفيون أنه يجوز أيضاً، قولاً بأن الجمع بمعنى الجماعة، فعلى مذهبهم يجوز إلحاقها فعلَ كل جمع مذكر، سالماً أو غيره، وسواء كان الجمع المذكر بنين، أو غيره، ولله در القائل:

إنَّ قوماً تجمَّعوا وبذمي تحدثوا

لا أبـــــالي بجمعهـــــــم   كـــــلُّ جمـــــعٍ مؤنـــــثُ

والسير على مذهب البصريين: أن «بنين» لما تغير فيه بناء الواحد بحذف همزته، شابه الجمع المكسر لفظاً، فأعطى من أحكامه خطاً، فجاز إلحاق التاء بفعله؛ كما في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[يونس: ٩٠]، وبه يتجلى قول القائل:

أيـا فاضـلاً قـد حـازَ كـلَّ فـضيلةٍ   ومَـنْ عنـدَه حـلُّ العـويص يُـرادُ
أَبِنْ جمعَ تـذكيرٍ يجـيءُ مُـصَحَّحاً   وفــي فعلِـه تــاءُ الإنــاثِ تُــزادُ

[٥٣] محمد أمين بن صدر الدين محمد الشرواني(١).

من أعاظم المحققين المشهورين في سائر الأقطار، بفنون العلوم وقوة الأنظار، إلى خلق عظيم، وطبع كريم، كانت له في الروم رياسةٌ عظيمة، ومكانةٌ بين الموالي جَسيمة.

أخذ عن الملا حسين الخلخالي، وبه تخرج، وفاق في العلوم الحكمية أهل عصره، ثم ألف «حاشية على شرح العقائد العضدية» للملا جلال الدين الدواني، فعرضها على شيخه المذكور، فزيفها له، ثم لم يزل يعرض عليه مؤلفاته، إلى أن شهد له بأنه أفضل منه، ومن مؤلفاته: كتاب ألفه باسم السلطان أحمد، سماه: «الفوائد الخاقانية»، يشتمل على ثلاثة وخمسين علماً عدد اسم أحمد، وله «حاشية عظيمة على تفسير القاضي البيضاوي»، وله رسائل وتعليقات، على أماكن من تفسير البيضاوي، ومؤلفات أخرى، وكلها مفيدة.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٧٥)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٤١).

توفي سنة إحدى وعشرين وألف، بالقسطنطينية، وأعقب ذرية صالحين، ومن أحفاده: المولى صادق أفندي، صار شيخ الإسلام بالقسطنطينية مرتين، وهو من أعيان الفضلاء المحققين المشهورين، موجودٌ ـ سلمه الله تعالى ـ.

[٥٤] محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد ابن أحمد بن محمد بن الفرفور الحنفي الدمشقي(١).

قال النجم في «الذيل»: أقرأه في العلوم، القاضي شمس الدين بن المغربي المالكي، وحضر دروس القاضي محب الدين الحموي الحنفي، وكان فاضلاً، له هيئة حسنة وظرافة، وشعره لطيف، منه قوله:

إذا أرادَ الإلـــــهُ أمـــــراً ... قـــضاؤه فـــي النفـــوذ مبـــرَمْ
فوضـــتُ أمـــري وقلـــت خيـــراً ... مـــا دفـــع الله كـــانَ أعظَـــمْ

وكان ممن صحب الأمير محمد بن منجك، واختص به، إلى أن مات يوم الجمعة، حادي عشري شعبان، سنة اثنتين وعشرين بعد الألف، عن أربع وثلاثين سنة، وصُلي عليه بالجامع الأموي، ودفن بتربتهم، بجوار ضريح الشيخ أرسلان ـ نفع الله به ـ.

[٥٥] محمد بن محمد بن الجوخي الدمشقي الشافعي(٢).

مدرس الغزالية، الشيخ العلامة، شمس الدين، لزم الشيخ إسماعيل

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٤٤) (٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٦٦).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٥٠) (١١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٦٥)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٣٤٢) (٢١).

النابلسي، وأحمد العيثاوي في الفقه وغيره، وأخذ العربية والبيان عن عماد الدين الحنفي، والشمس محمد بن المنقار.

وسافر إلى مصر، فأخذ عن شيوخها، وملك كتباً كثيرة، كان رفيقاً للقاضي بدر الدين الموصلي، في الاشتغال بالعلم، وبينهما صداقة كلية، وكان فاضلاً ذكياً، له مشاركة في فنون كثيرة، وكان أبوه تاجراً متمولاً، وبقي ماله في يده، وفي يد أخيه محيي الدين، يتعاونان في تنميته، وكان له انزواء عن الناس، واشتغال بما يعنيه، ومع ما كان عليه من تقليب الأموال، لا يترك الاشتغال بالعلم.

وأخذ عنه جماعة من الفضلاء، وانتفعوا به، منهم: الشيخ محمد بدر الدين بن النجم الغزي، ومن ألطف ما وقع للنجم معه: أن الشيخ العلامة الملا أسد بن معين الدين التبريزي كتب للشيخ حسن البوريني لغزاً في اسم منقوص تخفى علامة نصبه، فأجابه في أبيات كتبها إليه، بأنه الاسم المنقوص المضاف إليه ياء المتكلم؛ فإن علامة نصبه تخفى، فلما بلغ النجم ذلك، كتب إلى البوريني قوله:

يا حسنَ القولِ جميلَ الفِعالْ ... وسيداً فاق سَراةَ الرجالْ
يا مفرداً في العصر يا مَنْ غدا ... في العلم والفضلِ كمثلِ الجبالْ
قد قيل لي إنك ألغزتَ في ... رأيتُ راجي بغير احتفالْ
نظمته عقداً يتيماً لقد ... راقَ وفاقَ عقودَ اللآل
أرسلته إلى العالم المجتبى الـ ... ـمولى الذي شدت إليه الرحالْ
أبدى جواباً جيداً واضحاً ... كالسحر في لفظ حلا كالزلالْ

والآنَ يـا مـولايَ قـد بـانَ لـي ... مـسألةٌ أجبـت عنهـا الـسؤالْ
فقلـتُ لمـا أن بـدأت بهـا ... الحمـد لله علـى كـلِّ حـالْ
ما اسمٌ هو المنقوصُ لكن غـدتْ ... فتحتُـه خفيفـةً لا تـزالْ
ولـم يـضف إليهـا يـا سيدي ... بيِّنْه لـي وابسطْ بحسنِ المقـالْ
يـا كـاملاً وبالوصـفِ فاضـلاً ... لـيس لـه بـين الـورى مـن مثالْ
لا زلـتَ فـي عـز وفـي نعمـةٍ ... وصـحبةٍ لا يعتريهـا اعـتلالْ

فلما وقف عليه صاحب الترجمة، كتب للنجم هذه الأبيات:

رقيتَ المجـدَ مـن غـررِ الحجـالِ ... وحزتَ الفضلَ فـي غُـرَرِ الكمـالِ
أضـاء لنـا بـنجمِ الـدين ليـلٌ ... ولـولا الـنجمُ مـا ضـاءَتْ ليـالي
سـألتَ ومـا رشـيقُ القـدِّ أحلـى ... شـمائلَ مـن . . .[1] هـذا السؤالِ
عـن اسمٍ عُـدَّ منقوصـاً وتخفـى ... علامـةُ نـصبه فـي كـل حـالِ
فـذاك محـصل فـي كـلِّ اسـم ... مركـبٍ مثـل معـدى فـي المثـالِ
فهـا قـد بـانَ لغـزُكَ فهـو دُرٌّ ... معادنُـه علـت رأسَ الرجـالِ

فكتب إليه النجم بديهاً كالشاكر لصنيعه قوله:

أشمـساً قـد تبـاهى بالجمـال ... وبـدراً قـد تنـاهى فـي الكمـالِ
ويـا مـن غـاصَ لجَـة كـلِّ فـنٍّ ... وأضـحى منه فهمـي فـي شِكالِ
أمـا هـذا الـذي أهديتَنيـه ... أبـدرٌ قـد أضـاء بـه الليـالي

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل، وعليها خط صغير.

فـإن الـشمس قـال النـاسُ قـولاً غــدا مــن نورهــا نــورُ الهــلالِ
أم الخـودُ التـي تحكـي عروسـاً فأمــسى حبُّهــا فــي كــل بــالِ
أم الــسحرُ الــذي أبـدى عجيبـاً أم الـــدرُّ المنـــضدُ مـــن لآلِ
بلـــى والله كـــشاف لمعنًـــى يَـدِقُّ الفهـمُ عنـه بـلا اختيـالِ
إذا مـــا ركبـــوا تركيـــبَ مـــزجٍ كـــلا جزأيـــه بـــالإعراب حـــالي
وأُولـى الكلمتـين بهـا انتقـاصٌ كمعــدي فــي مثالــك أو كقــالي
يكـون النـصبُ فيهـا غيـرَ بـادٍ محافظــةً علــى أصــل المثــالِ
وكنـــتَ ســـألتَ البـــدرَ لكـــنْ ضـياءُ الـشمس يغنـي عـن هـلالِ
جـــزاكَ الله عنـــا كـــلَّ خيـــرٍ ورُقِّيـــتَ المـــدارجَ والمعـــالي
ولا عجــبٌ إذا مــا الــنجمُ أثنــى على شمسِ الهـدى بـينَ المـوالي

توفي ـ رحمه الله ـ في أوائل شعبان، سنة اثنتين وعشرين بعد الألف، ودفن بتربة باب الصغير ـ رحمه الله ـ.

[٥٦] محمد بن شمس الدين بن كمال الدين محمد بن عجلان[1].

نقيب الأشراف بدمشق، كان كأبيه شيخَ مشايخ الحرف والصنائع، وكان صاحبُ هذا المنصب قديماً يعرف بسلطان الحرافيش، ثم كني عنه احتشاماً بشيخ المشايخ.

ولما مات السيد محمد بن حسين النقيب، سنة ست عشرة بعد الألف،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٦١) (١٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٦٩).

بحماة قافلاً من حلب، وكان الشيخ محمد بن سعد الدين إذ ذاك بحلب، طلب النقابة عنه للمترجم، من مراد باشا، فوجهها إليه، وعرض له فيها، وتمت له، فوليها، وسلك فيها مسلكاً حسناً، وتلطف بالأشراف، وعاملهم بالإكرام، والمساعدة لهم في الأمور التي تنوبهم، وعف عن أموالهم، وأموال غيرهم، وتصدى لهم وللناس بالكرم وحسن الخلق، مع صغر سنه، وكان من أحسن الناس خلقاً وخلقاً، إلى صفات سنية حواها تدل على صحة الشرف والنسب؛ من حسن الموافقة، والحياء والسخاء، والإقبال على العبادة.

توفي يوم السبت، ثامن عشري رجب، سنة خمس وعشرين بعد الألف، بعد أن تمرض خمسة أيام، بحمى محرقة، ولم يبلغ أربعين سنة، ودفن بتربة الجورة، من ميدان الحصى، بالقرب من دارهم ـ رحمه الله تعالى ـ.

ودخل على قاضي دمشق مرةً، فلم يعطه حقه من زيادة تعظيمه، فقام من مجلسه وأراد الذهاب، فقال له ذلك المولى: اجلسوا ساعة، حتى يأخذ المجلس حقه من الحديث، فقال له: كيف اجلس عند رجل يحقرني، وأنا من آل محمد، وينبغي لك أن لا تنظر إلى السادات والشرفاء بنظر الحقارة، وإن خالفوا ظاهر الشريعة، فلعله يكون المخالف منهم من أهل البلاء، وسيؤول إلى طهارته الأصلية، مع أن في ذلك رعاية لحرمة جدهم، محمد ﷺ، فاعتذر إليه، وقبل يديه، وسأله العفو عنه.

[٥٧] محمد بن محمد، الشهير بزيرك زاده.

أحد علماء القسطنطينية وكبرائها، كان عالماً نحريراً، فقيهاً متبحراً، له «حواشٍ على الأشباه والنظائر»، أرخ إتمامها سنة ألف، **توفي** بعد العشرين وألف، بقسطنطينية.

[٥٨] محمد بن شمس الدين محمد[١].

أحد الموالي الرومية، ولي قضاء الشام سنة خمس وعشرين، ورأى أهل الشام في غاية التعب، لسبب النزول الوارد من قبل محمد باشا الوزير من حلب، وكان قد شتى بها مع العساكر؛ لأجل قتال قزل باش، فاستنهض شيخ الإسلام أحمد العيثاوي وغيره، واستعان بأكابر البلد؛ كالأمير محمد منجك وغيره، للذهاب للوزير، فذهب، وذهب معه جماعة آخرون، منهم شيخ الإسلام النجم الغزي، والسيد محمد بن عجلان نقيب الأشراف، والشيخ إبراهيم بن مسلم الصمادي.

فلما وصلوا إلى الوزير محمد باشا بحلب، أكرمهم غاية الإكرام، وخفف عن المسلمين النزول، ثم عاد إلى دمشق، وسار بالناس أحسن سيرةٍ سارها قاض في هذه الدولة العثمانية، وكان له صلابة في دينه، واستقامة وعفة، وتحرير في الأمور، وفضيلة تامة.

ثم عزل عن دمشق، وسافر إلى القسطنطينية، فمات بها في شعبان، سنة ست وعشرين بعد الألف، وصُلي عليه غائبةً بدمشق، تاسع عشر شوال، من السنة المذكورة، وأسف الناس عليه ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٥٩] محمد بن محمد بن أبي اليمن بن أبي السعادات بن المحب بن الرضي محمد بن المحب محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الحسيني، الطبري المكي الشافعي[٢].

إمام المقام الشريف، قال الإمام عبد القادر الطبري في تاريخ الطبريين

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٢٩) (٣٩).

(٢) «إنباء البرية بالأنباء الطبرية» مخطوط، الورقة: ١٢.

الذي أسماه: «إنباء البرية بالأنباء الطبرية»: **ولد** في يوم الأربعاء، سادس شهر ربيع الأول، سنة ست وثمانين وتسعمائة، ونشأ في حجر أبويه، وحفظ القرآن العظيم، وصلى به التراويح في المقام، وصلى الفرائض بالناس، وهو آخر من بقي من نسل الإمام أبي السعادات بن محمد. انتهى.

قلت: وكانت **وفاته** ثامن ذي الحجة، سنة ثلاث وثلاثين وألف، وصُلي عليه ضحًى بالمسجد الحرام، ودفن بترب أسلافه، ولم يعقب ـ رحمه الله ـ.

[٦٠] محمد بن محمد، المعروف بالْتي برمق الرومي صاحب السيرة النبوية التركية، أصله من بلدة أسكوب، ويعرف بابن الحقزقجي؛ أي: الخراط[١].

كان نادرة الزمان، عذب البيان، طلق اللسان، حلو المحاورة، لطيف المجاورة، شديد النفس، عظيم الجاه، مشهوراً في العالم بعظم القدر، مفرد زمانه، علامة محققاً، ونحريراً مدققاً، له قوة في العلوم العقلية.

قرأ فنون العلوم ببلاده، وأخذ طريق البيرامية عن السيد جعفر، المدفون بمدينة أسكوب، وحصل طرفاً عظيماً من العلوم والمعارف، ثم قدم قسطنطينية، ووعظ بها بجامع السلطان محمد، وحدث وفسر، واشتهر صيته.

ثم رحل إلى القاهرة، وألقى بها رحال الإقامة، وأحرز جرايات، وجهات وعظ، ومشيخة، وحج منها، ورجع وأقام بها موفور الجاه، محبوباً عند عامة الناس وخاصتهم، خصوصاً الأمراء، له في الوعظ يد طولى، ملازماً للطاعات، حسن السيرة، حتى **توفي** سنة ثلاث وثلاثين وألف، ومن آثاره: «ترجمة

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٧٤).

المطول» بالتركية والسيرة التركية، وهي «المعارج النبوية»، وكتاب نكارستان غفاري، سماه: «نزهة الجان»، وغير ذلك ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٦١] محمد بن محمد بن حُبيقة ـ مصغراً ـ الدمشقيُّ الميدانيُّ، الطبيب[١].

كان طبيباً حاذقاً، له معرفةٌ تامةٌ في الطب، ومشاركةٌ في غيره من الفنون، أخذ الطب عن عمه يحيى وغيره، وعالج الناس كثيراً، وانتفعوا به، وكان مبارك اليد، لا يباشر أحداً في طب إلا عوفي غالباً، مع العفة والأدب والنزاهة، وحسن الخلق والبشاشة والتواضع، وتطييب نفس المريض، وإدخال السرور عليه.

وهذه الخصال هي رأس مال الطبيب، وما سلكها أحد من الأطباء خصوصاً، إلا عظم شأنه في بابه، وكان يداوي المرضى في معالجتهم، ويقول: لأن أترك المريض مع الطبيعة، وأكله البسيط، أحب إلي من أن يتولاه جهال الأطباء.

ومع تمام معرفته، ابتلي بالحمى سنتين أو ثلاثاً، حتى قال: ما رأيت أعجب من هذه الحمى التي تأخذني، ومات بها في شعبان، سنة ثلاث وثلاثين وألف، وقد جاوز السبعين، ولما أيس من الحياة، كان كثيراً ما ينشد:

بقراطُ مفلوجاً مضى لسبيله ... ومُبَرْسماً قد ماتَ أفلاطونُ
وأبو عليٍّ قد قضى من شَجَّة ... يوماً وليس يفيدهُ القانونُ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٦٩)، «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ٧٢) (٢٠).

[٦٢] محمد بن ناصر الدين محمد الأسطواني الحنفي[١].

رئيس الكتاب، بمحكمة الباب، بدمشق، كان من رؤساء دمشق وفضلائها، بارعاً في العلوم الأدبية، مفرداً في صناعة التزويق، مرجعاً لأهل الشام في ذلك، ناصحاً في كتابة الوثائق، بحيث إن ما كتبه من ذلك، لا يمكن الحيلة في دفعه.

إلى ما حواه من تقوى وعفة، شهد له بها الخاص والعام، من أهل الشام، توفي بدمشق، في شهر محرم، سنة أربع وثلاثين وألف، ورثاه الفاضل عبد الكريم الطاراني بقوله:

أوحشْتَ يا شمسُ أفقَ فضلٍ ... وخيرَ خِلٍّ مضى وخِدْنِ

غالتك أيدي المنون حتى ... قرحت بالبينِ كلّ جَفْنِ

وعاد أهلوك في اكتئابٍ ... لعظيمِ رُزءٍ وفرطِ حزنِ

تبكي على فقدكِ البواكي ... حزناً بدمع كفيض مُزْنِ

لكنْ تبوأتَ خيرَ دارٍ ... بها ثمارَ الجِنان تَجْني

فإن تكنْ عن حمى شقيقٍ ... رحلتَ أو عن ذويكَ وابنِ

فقد سمِعْنا بشرى توالَتْ ... من هاتفٍ بالمنى يهني

إن قال أرخ (حباكَ ربٌّ ... من الأماني جناتِ عدنِ)

إليك مني السلام يُهدى ... ما ناح طيرٌ شدا بغصن

وتقدم وجهُ النسبة في ترجمة محمد بن محمد بن حسين بن سليمان الأسطواني.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣١٢).

[٦٣] محمد حجازي بن محمد بن شرف الدين السنديوني، الأحمدي العباسي الخلوتي.

أحد أكابر محققي الصوفية، أخذ عن أحمد العباسي الشناوي، من مؤلفاته: شرح على تائية ابن الفارض سماه: «الطراز المحبوك في شرح نظم السلوك» في مجلد كبير، نقلت منه: أن من حفظ التائية بنية، أعطيها، فمن حفظها للدنيا، أعطيها، ومن حفظها للسلطنة، أعطيها، ومن حفظها للمعرفة بالله، أعطيها، قال: وقد وقع لي ذلك بحمد الله.

ومن شعره: قوله في الوحدة المطلقة الوجودية[1]:

يا وحدةً في كثيرٍ حيرتْ ملأً	من الحجابِ سروا بالحجب في وجل
ويا كثيرةَ عينٍ [و]هي واحدةٌ	لأهل حقّ بالنور في خللِ[2]
تلونت من لباس النور في خِلَع	من الجمالِ إلى العشاق من طللِ
فلطفتهم بها في الكائنات سروا	بسرها فارتقوا حقاً على زُحَلِ

وقوله:

طريقنا مخبورة	وبالولا مشهورة
وكل من أنكرها	فما له بصيرة
وذات من يسلكها	مضيئة منيرة
فاسلك إليها واتبع	مسالكاً معمورة

---

(١) مضى التنبيه على شناعة بدعة الحلولية، فانظره فيما سبق.

(٢) كذا في الأصل، والشطر الثاني غير موزون.

ولا تكـــــــن تجحـــــــدها تعـــــش بعـــــين عـــــورة

توفي سنة أربع وثلاثين وألف.

[٦٤] محمد بن محمد الزبيدي الشافعي، ابن العلامة إبراهيم بن إسماعيل بن عبدالله بن عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن عمر العلوي، الزبيدي الشافعي.

وله ولدٌ اسمه محمد أيضاً، وقد يميز عن أبيه بالصغير.

كان إماماً علامةً في فنونٍ عديدةٍ، واحد زمانه في العلوم الفلكية، أخذ عن عمه عبد الغفار العلوي، شارح «الجامع الصغير» في النحو، للعلامة ابن هشام، وكان محققاً في علم الكلام، عارفاً بكلام الصوفية، معتقداً للوحدة الوجودية، مداوماً على مطالعةِ «الفتوحات المكية» لابن عربي، وما شاكلها من كتب القوم[1].

وله في الأدب وفنونه اليدُ الطولى، وكان كثير الاستحضار للشواهد، ويوردها أحسنَ إيراد حالَ القراءة والمذاكرة، قرأ عليه كثير من العلماء الأعاظم؛ كالسيد أبي بكر بن أبي القاسم الأهدل، مؤلف «نفحة المبذل في أخبار السادة بني الأهدل»، وكان في سنة ثلاث وثلاثين وألف موجوداً.

والعلويون جماعة كثيرون بزَبيد، فيهم الفقهاء والوزراء في الدولة الرسولية اليمنية، نسبة إلى بني علي بن راشد بن ثولان العكي.

---

(١) «الفتوحات المكية» ملئها ابن عربي بعقائد الزندقة، وهو كتابٌ ضارٌ غير نافع، وقد حذر منه ومن كتابه جماعةٌ من علماء الإسلام، فوجب التنبيه.

ومن كلامه ـ نفع الله به ـ: من اعتقد أولياء الله والصوفية، كان في بحبوح حضرتهم، وهو لا يشعر. انتهى.

[٦٥] محمد حجازي بن محمد بن عبدالله، الشهير بالواعظ الأنصاري، الشعراني الشافعي[1].

الشيخ الإمام، العلامة شيخ الإسلام، وخاتمة العلماء الأعلام، كان من أكابر العلماء الراسخين، وأجلاء أئمة الدين، وممن جمع الله له بين العلم والعمل والتمكين، وحققه بحق اليقين.

واشتهر بالمعارف الإلهية، والكرامات الباهرة السنية، وبلغ في العلوم الحرفية، إلى الغاية القصوى العلية، ومع كونه كان الأغلب عليه حب الخمول، وكراهة الظهور، كما عليه الفحول.

مولده بأكرة، بطريق الحاج المصري، وضعته أمه وهي متوجهة إلى بيت الله الحرام، في الليلة السابعة عشرة، من ذي القعدة، سنة سبع وخمسين وتسعمائة، ونشأ بمصر، وحفظ القرآن وَجوَّده، وحفظ عدة متون في النحو والقراءات والفقه، وعرضها على علماء عصره.

وأخذ عن جماعة، منهم: محمد بن أركماس التركي، الساكن بغيط العدة، محلة بمصر، تلميذ الحافظ ابن حجر العسقلاني، وعن أحمد بن أحمد بن عبد الحق السنباطي، وعن الشيخ عبد الوهاب الشعراني، والشيخ كريم الدين الخلوتي، والشمس محمد الرملي، والنجم الغيطي، وجمال الدين ابن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وشحادة اليمين، والشمس محمد العلقمي،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٧٤) «الأعلام» للزركلي (٧/ ٦٢).

وأخيه إبراهيم، والشريف يوسف الأريموني، وغيرهم.

وبلغت شيوخه الذين أخذ عنهم فنون العلوم ثلاثمائة شيخ، جمعهم في فهرس لهم، وقفت عليه عند ولده شيخنا موسى بن حجازي.

وعنه أخذ شيخنا محمد البابلي، وعلي الشبراملسي، وسلطان المزاحي، وكانوا يثنون عليه، ويصفونه بالخير والصلاح، وكان مقيماً بحارة الأزبكية من القاهرة، مرجعاً لأهلها في المهمات، معتقداً عند عامة الناس وخاصتهم، مجللاً عند الكبراء، مهاباً في العلماء.

وحج سنة ثمان عشرة وألف، وأخذ عنه بمكة كثير، منهم: محمد بن علان، وعقد مجالس بالحرم المكي عند المنبر للكلام، على قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤]. وحضره فيها غالب علماء الحرم.

وله المؤلفات النافعة المفيدة، منها ـ وهو أجلها ـ: شرح على «الجامع الصغير» للسيوطي، في اثني عشر مجلداً، خمسون كراساً، سماه: «فتح المولى النصير بشرح الجامع الصغير»، وهو شرح جامع مفيد، جمع فيه لباب النقول، وقفت عليه بالقاهرة.

و«شرح على ألفية الحديث للحافظ السيوطي»، و«سواء الصراط في بيان الأشراط»، وأوصلها إلى ثلاثمائة، و«القول الشفيع في الصلاة على الحبيب الشفيع»، و«شرحٌ على الطيبة الجزرية»، و«نظم طيبة على روي الشاطبية»، و«شرحها»، و«ثلاثة شروح على المقدمة الجزرية»، و«شرحٌ على الأربعين» المضاهية «للأربعين النووية للحافظ السيوطي»، و«شرحٌ على القواعد والضوابط النووية»، و«قطعة على مختصر البخاري» لابن أبي جمرة، و«قطعة على نظم التحرير للعمريطي».

ورسالة سماها: «القول المشروح في النفس والروح»، و«كشف اللثام عن آية: أحل لكم ليلة الصيام»، و«القول المقبول في كفارة ذنب المقتول»، و«وثوق اليدين بما يجاب عن حديث ذو اليدين»، و«الرقيم المسطور في علم الموتى بمن يزور القبور»، و«معترك الخلاص في تكرير سورة الإخلاص».

و«الجواب الشفيع عن الجناب الرفيع»، و«القول العلي في رؤية الملك العلي»، و«السراج الوهاج في إيضاح: رأيت ربي وعليه التاج والجلالة»، و«الموارد المستعذبة بمصادرة العمامة والعذبة»، و«البرهان في أوقاف السلطان»، و«الاستعلام عن رؤية النبي في المنام».

و«الجواب المصون في آية: إنكم وما تعبدون»، و«إتحاف السائل بما لفاطمة من الفضائل»، و«إطلاق العنان في رؤية الله في العيان»، و«تنبيه اليقظان في قول سبحان»، و«القول المثبوت في قصة هاروت»، و«كشف النقاب في حياة الأنبياء إذا تواروا بالتراب»، و«المجالس الوعظية»، وغير ذلك مما يطول ذكره.

وكانت **وفاته** بمصر، بعد أذان عصر يوم الأربعاء، سادس عشر شهر ربيع الأول، سنة خمس وثلاثين وألف، ودفن عند والده، بتربة فيها ولي الله تعالى الشيخ محمد الفارقاني، داخل جامع يعرف بالشيخ المذكور، بسويقة عصفور، بالقرب من المدابغ القديمة.

وأعقب ولدين، أكبرهما عبد الرحمن، كان عالماً جليلاً، خيراً تقياً، والثاني شيخنا موسى، كان من أفاضل عصره، ومن جمع بين العلم والعمل، إلى أخلاق رضية، ومكارم علية، قرأت عليه كثيراً في الفقه وغيره، ولازمته، وانتفعت به، وكنت لا أفارقه في غالب الأوقات، حتى نقله الله إلى دار كرامته،

سنة خمس أو ست وثمانين وألف بالقاهرة، وصلى عليه بالجامع الأزهر، شيخُنا خاتمة المحققين، علي الشبراملسي - رحم الله الجميع بمنه وكرمه -.

[٦٦] محمد حجازي بن محمد الأنبابي.

من أجلاء الشافعية وصدورهم بمصر، أخذ عن محمد الوسيمي، والنور الزيادي، وانتفع به خلق، منهم: الأستاذ الشيخ أبو الإسعاد بن وفاء، وشيخنا أحمد العجمي.

كان عالماً عاملاً خاشعاً، تاجاً على مفرق الزمان، إماماً تقاصر عن وجود مثله المَلَوان، توفي في حدود سنة خمس وثلاثين وألف، والأنبابي - بفتح الهمزة، وسكون النون، فموحدتان بينهما ألف -: نسبة إلى أنبابة: قرية بالبر الغربي بالجيزة، من أرض مصر.

[٦٧] محمد أبو المواهب ابن الأستاذ الشيخ محمد البكري[(١)].

وتقدم رفعُ نسبه في ترجمة أخيه محمد أبي السرور، كان - نفع الله به - منبع الكرم والجود، وبحر الإفضال والعطاء الممدود، أخلاقه رضية، ومحامده مرضية، في الذروة العليا من الأدب، والشعر والإنشاء، والعلوم الدينية، خصوصاً فن التفسير والأصول العربية، أوحد الزمان، ليس له في كلامه مُشابه ولا مُدان.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٤٥)، ورتبه المصنف المحبي - رحمه الله تعالى - باسم: أبو المواهب بن محمد، «ريحانة الألبا» للخفاجي (٢/ ٢٢٣) (١٥١)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٠٠)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٦٣)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٨٩).

وُلد بمصر، سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة، وأخذ عن والده، حتى حظي من العلوم الإلهية بأعلى المراتب، وحاز من المعارف أسنى المناقب، وتخرج في العلوم الشرعية بالشيخ العلامة علي الحلبي، وكان بينه وبينه مودةٌ أكيدةٌ، إلى حسن سجايا، وطيب شمائل كزهر الرياض ونور الخمائل، وأدبٌ يروق كماء انساب في محيا، وسيمٌ إذا رأيته تعرف فيه نضرة النعيم:

أدب يروقــــك نــــضرةً فكأنــــه عــــصرُ التــــصابي
أو شــــرخُ أيــــام الــــصِّبا فــــي ظِــــلِّ أفيــــاءِ الــــشبابِ

وكان هو وإخوته أعيان عصرهم، وأئمة مصرهم:

إذا ركبــوا زانــوا المراكــبَ هيبــةً وإن جلسوا كانوا صدورَ المجـالسِ

خلف أخاه زين العابدين في مشيخة البكرية، فأورق روضه وأثمر، ونادم العيش والعيش أخضر، وولي بعدَ والدِ زوجته شيخ الإسلام الشمس محمد الرملي تدريسَ المدرسة الأشرفية الصلاحية المشروطة لأعلم علماء الشـافعية، وكانت له رفعة عظيمة بالديار المصرية، ومن سعادته: أنه إذا تغير خاطره على أحد ـ في الغالب ـ لا يزال ذلك المغضوبُ عليه في خمول وخمود وتعسرٍ ونكسٍ إلى أن يموت.

وكان كثير الاشـتغال بالعلم، محباً لأهله، خصوصاً لأهل الحديث، مشـاراً إليه في العلم، حسـن الخلق والمحاضـرة، يأخذ الفائـدة من أصغر تلامذته، ويُعرض عن أكبرهم إذا لم يحسـن السؤال والكلام، جمع مجامع بخطه وقفتُ على كثير منها فيها من كل غريبة، وكانت بركته شاملة للصغير والكبير، فهو إمام يقتـدى به وبهديـه في كل حـال، ذو جود ونوال وإجابـة

للسؤال، ومحاسن ومفاخر ومكارم ومآثر، وكان بفعل الخير موصوف، وبالميل إلى جهات البر معروف.

توفي ليلة السبت سابع شوال سنة سبع وثلاثين وألف، ودفن صبيحة يوم الأحد بتربة آبائه بالقرافة، وكان ابتداء مرضه من سابع عشري شعبان بمرض الصرع، وكان له مشـهد حافل لم يشاهد مثله من كثرة العالم، مشى به العلماء والكبراء، ووزير مصر وقاضيها، وقضاة القضاء، وشيوخ الإشارات، وغيرُهـم من الأمم التي لا يحصي عددهم إلا ـ الله سبحانه وتعالى ـ، ورثاه الجم الغفير من أكابر الأفاضل، وأعيانِ الشعراء والأماثل.

وممن أرخ وفاته: الشمس محمد الخطيب الشافعي بقوله:

يحقَّ لنا أن نبكي على خير عـالِمٍ ... وخيرِ ولـيٍّ حـازَ أسـنى المراتـب

محمـدٍ البكـريُّ مـاتَ فـأرخوا ... (فجاسر بالجنان أصل المواهـب)

وله شعرٌ لطيفٌ، منه قوله:

عبـــد النبـــي قـــاتلي ... بعينـــــه وحاجِبِـــــهْ

واعجبـــــاً لعبـــــده ... يقتـــلُ نجـــلَ صاحبِـــهْ

وكتب إلى الشيخ، عبد الرحمن المرشدي المكي، مفتي مكة، كتاباً صورته:

أرومُ الصَّفا والقربَ من خيرةِ المسعى ... وأَجعلُ أجفاني لأقـدامهم مـسعى

فنارُ[1] الغضا في مهجتي وأضـالعي ... هي المنحنى والعين أرسلت الدمعا

---

(١) في الأصل: فزاد، ولعل الصواب ما أثبت.

ألا يا حمامَ الأيكِ هَيَّجْتَ لـوعتي | إلى جانب الجَرْعا ومن حَلَّ بالجَرْعا
بلـى وعلـى أفـقِ الـسماءِ محلُّهـا | أحنُّ إليها والذي أخـرجَ المرعـى
وفيهـا إمـام عـالم عامـل عــلا | تقـيٌّ نقـيٌّ أتقـن الأصـلَ والفرعـا
ذخيرةُ أهل العلمِ كنزُ أولي النُّهـى | له يا إله الحـقِّ فـي نعمـة فـارعى
فمـا هـو إلا مرشـدٌ وابـنُ مرشـدٍ | به ربُّنـا للنـاسِ قـد أوجـدَ النفعـا
فيـا عابـدَ الـرحمنِ يـا خيـرَ سـيدٍ | بإتقانـه والله قـد أحكـم الـشرعا
يراعُكَ علـمَ النحـو أصبح متقِنـاً | فلا عجبَ إذ يعمل الخفضَ والرفعا
ووالله شــوقي لازمٌ ومــضاعَفٌ | وحبي لكم بين الورى لم يزلْ طبعـا
بعثتم مـع الخِـلِّ الكـريم بمهجـةٍ | ولا برحَتْ كلُّ الوفود لكم تـسعى
ويحفـظ ربُّ العـالَمين كـريمَكم | لكمْ ربُّنا الرحمنُ من فَضلِه يرعى
بجاهِ رسولِ الله[1] أشـرفِ مرسـلٍ | ترى الأسدَ في الغاباتِ من خوفِه صرعى
عليــه صــلاةُ الله ثــم ســلامُهُ | وأصـحابِه والآلِ أجمعِهـم جمعـا

وبعدها نشر الإخلاص، فيما بيننا فاتحة الكتاب والاختصاص، أشهر للناس من فلق الصبح الظاهر لأولي الألباب، فوالعصرِ إنك مفرده وسعده، وعضده وزنده[2]، تَبَّت يدُ أعدائِك فهم الكافرون للنعم، وويل لكل في موقف الحشر من التغابن عند زلة القدم.

---

(١) التوسل بجاه النبي ﷺ من التوسل المحرم، وانظر للاستزادة: «قاعدةٌ جليلة في التوسل والوسيلة» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

(٢) في الأصل: وسيده، والصواب ما أثبت.

تبارك الذي جعلك الإنسان الكامل، وأظهر لك. . . الذي خليت به من عموم العامل، وخصوص أبناء طه وياسين في صدور المحافل، واختارك للطالبين مرشدًا، وأنت المستعان المستغاث في حالة الندى.

أُهديك تحياتٍ إعرابُها مبني على الضم والجمع، وتسليماتٍ تحرك سواكن الأشواق، وتطلق عواملَ الدمع، كيف لا، وأنت المولى الذي لم تتخذ القلب عن عطفك بدَلا، وأصبح تأسيس تأكيد الحب الصادق عندك يجتلى.

أبقاك الله راقياً في معارج مدارج المجد، وتأجج مناهج مباهج السعد، ومروضاً روضَ الأدب بوابل فضلهِ، وجامعاً في البلاغة كلَّ شكل إلى شكله، مع عمر مديد يطاول الأبد، ومنح تستغرق العدد.

في عزة تتقاصر عنها مقاصر العلماء، ومجد تتطامن له رؤوس العظماء، وعلم مشتق القنا، مشحوذ القواضب، وفهم يختط فوق فرق السها، معاقد المجد، ومقاعد المراتب، حيث تخفق بنود العلوم، وتقذف أنوار الفهوم، ويتضح المنطوق والمفهوم، وينفخ إسرافيل، اللوح الإلهي في أصوار الأسوار أرواح الإلهـام، ويتلـو جبريل التنزيـل على الأعـلام في ذلك المقـام آيات الإعلام.

فيا أيها البحـر الذي ملك زمـام اليراعـة، وانقادت بيده أزمة البراعة، المشحونة بالمعقول والمنقول، والمفتي الذي فتواه جامعة للفروع والأصول، والفصيح الذي سـد على ذوي الفصحاحة الطرق، وجاء بالنجم مصعداً من الأفق، والبر الذي لم تبرح في شمائل أخلاقه العاطرة تتأرج، وعقائل أوضاعه الفاخرة تتبرج.

وصل إلي كتابكم المرقوم، ورد خطابكم المنظوم، الذي هو نور النبراس، ومدارك الحواس، ولذة السمع، أو مقلة الدمع، أو نفحة النَّدّ، أو صَبا نجد، أو نسيم السحَر، أو بلوغ الوطر، أو عقود اللآل، أو السحر الحلال، جمع لمنشئه فنون الأوائل والأواخر، وشنف الأسماع وحَلّى الأجيادَ بقلائد العِقيان والجواهر.

وكتب إليه أيضاً، منه قوله:

ما غصونٌ قد رَنَّحتها شَمولُ ... فهي نَشْوى وما أُديرت شَمولُ

ما رداحٌ قد أشرقَتْ بجمالٍ ... ما سعادٌ وعَزَّةٌ والشمولُ

ما رياضٌ أغصانُها مزهراتٌ ... صحَّ فيها النسيمُ وهو عليلُ

مثلَ أسنى تحيةٍ وسلامٍ ... لإمامٍ له مقامٌ جليلُ

عالم العصر والزمان بحقٍّ ... مولى[1] والعروض نعمَ الخليلُ

هو شمسٌ قد أَشرقت وأضاءت ... هو بدرٌ وما اعتراه أُفولُ

هو كشافُ مشكلاتِ المعاني ... ببديعٍ في ضمنه التأويلُ

هو فخرُ الورى والسعد فاض ... ما لشخصٍ إلى عُلاه سبيلُ

هو عبدُ الرحمن خيرُ إمام ... قد تسامَتْ فروعُه والأصولُ

علمُه كاملٌ بسيطٌ مديدٌ ... فضلُه وافرٌ سريعٌ طويلُ

وله منطقٌ بديعُ المعاني ... ببيانٍ حديثُه مقبولُ

حسنٌ مسنَدٌ صحيحٌ قديم ... بالأمالي إسنادُه موصولُ

---

(١) كذا في الأصل، وعليها خط.

يـا فريـدَ الزمـان فـي كـلِّ علـم	أنـا فـي حـب ذاتكـم لا أَحـولُ
وغرامـــي بكـــم يزيـــدُ وإنـــي	إن شـكوتُ الهـوى فمـاذا أقـولُ
وثنـــائي لا ينقـــضي ودعـــائي	وإلهـــي بمـــا أُريـــد كفيـــلُ
دمـتَ بالنجـلِ بالغـاً كـلَّ قـصد	مـا تـوالى الرجـا وجـاءَ الأصـيلُ
وصـــلاةٌ مـــصحوبة بـــسلامٍ	لنبـــيّ لمجـــدِه التفـــضيلُ
وعلـــى آلِـــه الكـــرام وصـــحبٍ	مـا غـصونٌ قـد رَنَّحَتْهـا شَـمولُ

[٦٨] محمد أمين بن محمد الجرجاني.

صاحب «الفوائد المدنية»، كان من أعاظم علماء العجم، جاور بمكة سنين، وتوفي بها سنة سبع وثلاثين بعد الألف، والجرجاني نسبة إلى جرجان: بلد بالعجم مشهورة، وأهلها يغلب عليها اللؤم، أنشد القالي في أماليه:

قـال لـي القـائلون زُرتَ حبيبـاً	لا يُـزار الكـريمُ فـي جرجـانِ

يريد أنها لا كريم بها فيزار، وإن زرت بها، إنما تزور لئيماً، كذا في شرح الأمالي المسمى بـ: «اللآلي على أمالي القالي» لأبي عبيد البكري.

[٦٩] محمد بن محمد بن عبد القادر بن أحمد ابن القاضي تقي الدين ابن محمد بن عبد السلام بن محمد بن روزبة بن محمود بن أهيم بن أحمد الكازروني، المدني الزبيري[1].

إمام الشافعية بمقام المصطفى، ومفتي المدينة ومدرسها بروضة الشفا، كان في العلوم بحراً زاخراً، وعلماً ظاهراً، ساهم في الفضائل، فأدرك ما أدركه

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٧٧).

الأواخر والأوائل، وتخرج على يديه الفضلاء والأكابر، وتعطرت به الطروس والمحابر، مع عذوبة اللسان، وسعة الصدر وقوة الجنان، وحسن حظٍ أحق أن يقال: سبحان.

وكان مبتلى بالشك في الطهارة، مع كبر سنه وشيخوخته، وكانت رياسته في الصدور لا تجهل، ومحله فيهم المحل المبجل، أخذ عن الطاهر بن علي ابن الشيخ محمد بن عراق، ولازمه، وبه تخرج، ونزل له عن إمامته دون ولديه، وأشرك معه فيها محمد مكارم البنا، ثم إنهما فرغا لولدي شيخهما، محمد وأخيه علي بالثلث، بطيب نفس منهما، وانشراح صدر، فكان مقام الشافعية بطيبة خاصاً بهذه الثلاث وظائف، وهي الوظائف القديمة، فلم يكن لأحد سواهم فيه وظيفة.

وأخذ عن أكابر لا يحصون كثرة، منهم: ابن عمه أبو السعود الكازروني، وأحمد الصالحي، وعبدالله باولي، وكان ذا دنيا متسعة، بحيث إن ورثته تقاسموا النقد بالطاس، كما أخبرني بذلك من أدركه من الناس.

وكان **وفاته** يوم الجمعة، ثاني عشر ذي القعدة، سنة سبع ـ بتقديم السين ـ وثلاثين بعد الألف، بالمدينة الشريفة، وصُلي عليه بالمسجد النبوي، ودفن بالبقيع الغرقد، مدفن آبائه وأجداده ـ رحمهم الله تعالى ـ.

والكازروني ـ بفتح أوله وثالثه ـ: نسبة لكازرون ـ بفتح الكاف، وسكون الألف، وفتح الزاي، وضم الراء، وسكون الواو، وفي آخرها نون ـ: مدينة بفارس، بين البحر وشيراز، ويقال: هي دمياط الأعاجم، يعمل بها من الكتان على شبه القصب، وهي كلها قصور وبساتين، ونخيل ممتد عن يمين وشمال،

بينها وبين شيراز ثلاثة أيام، والزبيري ـ مصغر ـ: نسبة إلى الزبير بن العوام ﵁؛ لأنه من ذريته.

[٧٠] محمد بن محمد العلمي المقدسي الحنفي.

ذكره النجم في «الذيل»، فقال: طلب العلم حتى فضل وبرع، فسافر إلى الروم، وأراد أن يسلك طريق التدريس والقضاء، قدم دمشق بعد التسعين والتسعمائة وعليه زي العلماء والقضاة متظاهراً بتحصيل الدنيا، فلم يلبث أن تزهد، وخرج عن الدنيا، وصدق في الخروج.

وأخذ طريقة التصوف عن العارف بالله الشيخ حسن القطناني، وترك العمامة الكبيرة والأكمام الكبار، ولف عمامة صغيرة من صوف، ولبس لباس الصوفية، وقعد في زاوية بدمشق يسلِّك الفقراء ويربيهم، ونشأ له ولد اسمه عبد الصمد بارع الشمائل، فاستخلفه أبوه بعد الألف، وكان يجلس في الحلقة وحده، وأقبل الناس عليه، ثم حج، فعاد معهما جماعة من الفقراء سنة إحدى عشرة بعد الألف، ورجع عبد الصمد، وجاور والده المترجم بمكة، ثم رجع في السنة الثانية، ولم يلبثا بدمشق، بل رحلا إلى بيت المقدس، وبقي المترجم على حاله من التصدر للفقراء والواردين، وملازمة الأوراد والدروس.

قال النجم: وهو الآن من بركات الوقت، وللناس فيه مزيد اعتقاد، وله منظومة في الطريق بديعة، وخلفاء وفقراء، ومات ولده وهو حي، ثم توفي في حدود سنة أربعين بعد الألف ببلده ـ رحمه الله تعالى ـ.

ذكره الأديب عبد البر الفيومي في «نزهة العيون والألباب في بعض المتأخرين من أهل الآداب»، فقال: ولي الله تعالى بالعرفات، مكتسي شرفت

شمس معارفه بالإقليم المقدسي، فانتشرت فضائله، واشتهرت فواضله، وانكب عليه الناس، وأقبلت عليه أرباب الباس، فنفذت كلمته، وزادت حرمته، وله ديوان مشهور، وتائية في السلوك درها منثور على النحور، فافتتحها بقوله. . . لابن حبيب في تائيته:

باسمِ الإلهِ ابتدائي في مهماتي ... فذاك حصنيَ في كُلِّ المُلِمَّاتِ

والحمدُ لله ربي دائماً أبداً ... حمداً تُنال به أعلى المبراتِ

ثم الصلاةُ على المختارِ سيدِنا ... محمدِ المصطفى عز الموجودات[1]

كذا سلام من المولى يضاعفه ... منِّي إليه بأنواع التحياتِ

في كل حينٍ وآنٍ لا انقضاءَ له ... من رحمة الله يأتي بالمسراتِ

كذا الآل والصحب الكرام ومَنْ ... للدين قد أيدوا في كل حالاتِ

وهي كبيرة تشتمل على قواعد أهل الطريقة والحقيقة. انتهى.

[٧١] محمد بن محمد المنياوي الشافعي.

كان من علماء الشافعية المعمَّرين، ومن أكابر المحدِّثين، له الأسانيد العالية، والنفس السامية، متبرعاً بالإفتاء والتدريس في العلوم النافعة، صارفاً أوقاته فيها، وكان في عصره من المتفق على ولايته، وكمال معرفته بالحقائق، والإيمان بالوحدة الوجودية، والاشتغال بكتب الصوفية.

أخذ الفقه، والحديث، والعلوم الشرعية عن الشمس محمد الرملي، وأبي النصر الطبلاوي، والنجم الغيطي، وعنه شيخنا أحمد العجمي، وعبد القادر

---

(١) كذا في الأصل، والشطر الثاني غير موزون.

الصفوري، الشافعيان، وعبد الباقي الحنبلي، توفي بمصر، في نيف وأربعين بعد الألف، ودفن بتربة المجاورين.

[٧٢] محمد زمان بن محمد جعفر الرضوي المهدي.

كان من عظماء علماء العجم في عصره، توفي سنة إحدى وأربعين وألف.

[٧٣] السيد محمد باقر بن محمد الرضي الشهير بالداماد الحسيني[١].

قال السيد علي بن معصوم في «سلافته»: باقر العلوم[٢] ونحريره، الشاهد بفضله وتقريره وتحريره، إن عددت الفنون، فهو منارها الذي يهتدى به، أو الآداب، فهو موئلها الذي تتعلق بأهدابه، أو الكرم، فهو بحره المستعذب المنهل والعلل، أو الشيم، فهو حميد ما الذي يدب منه نسيم البر[٣]، وفي العلل، أو السياسة، فهو أميرها الذي تَجِمُ منه الأسودُ في الأَجَم، أو الرياسة، فهو كبيرها الذي هاب تسلُّطه سلطانُ العجم.

وكان الشاه عباس أضمر له السوء مراراً، وأسر له حيل غيلته مراراً؛ خوفاً من خروجه عليه، وفرقاً من توجه قلوب الناس إليه، فحال دونه ذو القوة والحول، وأبى إلا أن يتم عليه المنة والطَّوْل، ولم يزل موفر العز والجاه، حتى دعاه داعي أجله فلباه، فتوفي سنة إحدى وأربعين وألف بأصبهان.

ومن مصنفاته في الحكمة: «القبسات»، و«الصراط المستقيم»، و«الأفق المبين»، و«الإيماضات والانشراقات»، و«الحبل المتين»، وفي الفقه: «شارع

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣٠١)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٤٨).

(٢) كذا في الأصل، والصواب: العلم.

(٣) كذا في الأصل.

النجـاة»، وله «حواش على الكافي في الفقه»، و«الصحيفة الكاملة»، وغير ذلك، وبينه وبين الشيخ بهاء الدين محمد العاملي مراسلات ذكرها صاحب «السلافة».

[٧٤] محمد بن محمد العلامك[١] البوسنوي الحنفي.

كان عالماً كبيراً متقشفاً، وفيه عُجب واحترام للعلم والعلماء، وسكينة وتودد بين الكبراء، تولى قضاء حلب، وسـافر منهـا وهو قاض، وقام مقام السـيد أحمد النقيب، فلما وصل إلى أسكدار، تألم منه الوزير السلحدار، وخاف عليه أن يبلغ خبره إلى السلطان، فيحصل له ضرر، فوبخه، ثم سيره إلى الحصـار، فأمـره بلزوم الخلوة، ووجهـت عنه حلـب بعد أيام، وأشاع أنه أصيب بالنقـرس، وحكي أنه جاءه رسول من جانب الوزير المذكور، ومعه منشـور بقضـاء الإسكندرية، فقال للرسـول: قل له: وجادَتْ بوصْلٍ حيث لا ينفع الوصلُ، فلم يمض إلا ثلاثة أيام ومـات، وكانت وفاته سـنة إحدى وأربعين وألف.

وكان يجري بينه وبين قضاة حلب أيام قضائها محاورات لطيفة، منها: أنه قال يوماً للنجم الحلفاوي: ابنُ النقيب يقول لك: إنك دونه في الفضل، فقال: صدق، هو أدقّ نظراً مني، وقال لابن النقيب مثل هذه المقالة، فقال: لا غرو؛ فإنه أستاذي، والأستاذ ألبتة له فضيلة السبق.

ومثل هذا يحكى أن السلطان تيمور قال يوماً للسعد: إن السيد له معنا صحبة، وهو نديم لنا، ويركب مثل هذه الفرس المبتذلة؟! فقال له: السيد

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: العلامة.

جبل من جبال العلم، فالعجب لدابة تحمله كيف لا تهزل؟! وقال للسيد: السعد يركب مثل هذه الفرس العظيمة، فكيف يسوغ له إظهار العظمة وهو من العلم بمكانته؟ فقال: يريد إظهار نعمة الله عليه.

وللمترجم مؤلفات منها: «حاشية على الزهراوين»، و«حاشية على شرح الشمسية للقطب»، و«حاشية على شرح المفتاح» و«حاشية على شرح الكافية للجامي»، كتب عليها السيد أحمد بن النقيب الحلبي مقرظاً:

حواشي إمامِ العصرِ بكرٌ عطارد ... محمد السامي على هامِ بهرامِ
صوارمُ أفكار إذا هز متنها ... نبا كلُّ هندي وكلُّ حُسامِ
وأبحُرُ تحقيقٍ إذا طم موجُها ... فهيهاتَ منها عاصِمٌ لعصامِ
وخمرة دقيق زكت فتسارعَتْ ... إلى حانِها أهلُ الفضائل بالجامِ[1]

ومثله قول صاحبنا الفاضل الأديب يوسف بن علي الكوكباني اليمني، مخاطباً شيخه خاتمة المحققين بصنعاء حسن بن محمد المغربي، وطالباً منه قراءة الجامي عليه:

أيا كعبةَ الفضلِ التي ليس دونَها ... حجابٌ عن الطلابِ مُنَّ بإكرامِ
وإقراءِ ضيفِ السمعِ مني وسقيهِ ... سلافةَ نحوٍ يشتهيها من الجامِ

[٧٥] السيد محمد بن محمد أبي الخير الطحان.

أحد علماء مصر المشهورين بالعلوم الغريبة؛ كالجفر، والأوفاق، والزايرجة، والرمل، له فيها اليد الطولى، وفي علم الميقات والنجوم، إمام

---

(١) كذا في الأصل، والشطر الأول غير موزون.

لا يشق غباره، وبحر لا يخاض تياره.

أخـذ عن أحمـد بن عبد الغفار المالكي تلميـذ سـبط المارديني، وله مؤلفات نافعة في هذه الفنون، توفي بمصر سنة خمس وأربعين وألف، وممن أخذ عنه وانتفع به: شيخنا العلامة عبد المنعم النبتيتي الحنفي، إمام الحسين بمصر.

[٧٦] محمد شمس الدين بن محمد جلال الدين ابن الشيخ القطب محمد بن أبي الحسن البكري.

عالم متبحر، وإمام متبصر، وشـيخ جليل، وفاضل أصيل، ومدرس ملازم، ورئيـس لعقد المجـد ناظم، ذكرُه مستطير، ونجم سعده مستنير، وقواعد بيته مرفوعة، وأقواله بخطبه مسموعة.

أتقن العلوم الشرعية والعقلية، واشتهر ذكره بالديار المصرية، ونفع بفوائده، وحلى الطروس بفرائده، ودرس بالجامع الأزهر أعوام، ثم انتقل إلى رحمة الملك العلام، سنة اثنتين وخمسين وألف.

[٧٧] محمد بن محمد الكفوي الرومي.

عالم كبير، له بمصر شهرة عظيمة، قرأ بالروم، ثم قدم مصر، وأقام بها، على خير وعبادة، حتى توفي سنة اثنتين وخمسين وألف، وصُلي عليه بالجامع الأزهر، ودفن بتربة المجاورين، وله نيف وثمانون سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٧٨] محمد بن محمد أبو حميدة المدني.

شاعرٌ مجيدٌ، وأديبٌ يقلد النحر والجيد، إلى رقة طبعٍ كأنفاس النسيم،

وحسن خلق كغرة الوجه الوسيم، له شعر هو السحر، إلا أنه الحلال، وأدب هو البحر، إلا أنه الزلال، منه قوله مؤرخاً داراً بناها أحد قضاة المدينة:

صاح بين النقا وبين المصلى ... منزلٌ في حلى المفاخر يُجلى

مجلس من أتاه يسمعُ منه ... مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلا

فيه حبر وَهمتُ بل فيه بحرٌ ... جامعٌ للعلوم نقلاً وعقلا

جاء سهل التاريخ (من غير عيب ... هكذا من أراد يبني وإلا)

[٧٩] محمد بن محمد بن سلامة الأحمدي الشافعي البصير الشهير بسيبويه.

كان إماماً عالماً........(١).

[٨٠] السيد محمد بن الحسين بن يحيى بن أحمد بن محمد بن الحسين ابن صلاح بن عبدالله بن يحيى بن أحمد بن الإيادي بن عز الدين بن شمس الدين ابن الإمام عبدالله بن حمزة الجواد بن سليمان البر التقي بن حمزة النجيب بن علي العلم الزاهد بن حمزة النفس الزكية بن أبي هاشم الحسن الإمام الرضى بن عبد الرحمن الفاضل بن يحيى نجم آل الرسول بن عبدالله العالم بن الحسن الحافظ بن القاسم ترجمان الدين بن إبراهيم الغمر بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشبه بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب المرتضى ﷺ، الحمزي الكوكباني.

درة تاج الشَّرف، الذي لا يحيط سجاياه الكاملة مَنْ وَصَف، نظمُه الدرُّ

---

(١) يلاحظ أن الترجمة لم تتم.

المصون المُرَصَّف، ونثره كالزهر النضر المُفَوَّف، فمن نظمه الذي يلحق بالنسيم لطافة، وتفعل ما لا تفعله السلافة: قوله يمدح السيد إبراهيم بن زيد الحجاف:

خَبِّــروها أنــي قتيــلُ هواهــا — إن تنــاءت دنوهــا أو نواهــا
ما عليها لو حَمَّلت نسمةَ الصبـ — ـحِ سلاماً يطيب منه شذاها
لو سرت في الصباح نحوي نسيمٌ — بسلامٍ منها حَمِدْتُ سُراها
آه مــا لــي وغــادة أنحلتنــي — وَقَلَــتْ مهجتــي بنــارِ قِلاهــا
تركتهــا علــى شــفا وشــفاها — شــفتاها أو الحــديث شــفاها
مــا رأينــا لغــادة قَــطُّ عهــداً — تحسب الغدر من عظيم وفاها
تركــت درَّ مــدمعي ونظــامي — كلمــا غــابَ عقــدها ولماهــا
إن أحبــت كانــت أشــدَّ وداداً — وإذا أبغــضت تنــاهى جفاهــا
غيــر أن الهــوى تحكــم فــي الــ — ـمهجة من وقت صبوتي وصباها
إن بينــي وبــين صــبريَ عنهــا — مثــلَ مــا بــين مقلتــي وكَراهــا
أبغــضتني ومــا هويــتُ ســواها — وتــسلَّت ومــا سَــلَوت هواهــا
قــد غــدت آيــةَ الجمــال ولكــنَّ — فــؤادي لَمَّــا نــأت مــا تلاهــا
وكــساها الجمــالُ أفخــرَ وشــيٍ — فتناهَــتْ فــي لطفهــا وحُلاهــا
خَلِّ ذكــرَ الــشموسِ مهمــا تبــدى — حــسنُها فــيم أنــتَ مــن ذكراهــا
صــانَها اللهُ كيــف تُقْــرن بالــشمس — لإفــــراط نورهــــا وحَماهــــا
قــد حَمَتْهــا عنــي الفــوارسُ لكــنْ — أنا وحــدي بكــل مــن قــد حَماهــا

إن حمتهـــا ذوابـــلٌ وصـــفاحٌ لـــم أخـــفْ غيـــرَ قـــدّها ورَناهـــا
آهِ لـــو ينفـــع التمنِّـــيُ نفـــساً لم تنـلْ فـي الغـرام أقـصى مُناهـا
مـــن رأى ليـــلَ فرعِهـــا فوقَـــه صـبحُ سـناها عـشيةً أو ضـحاها
فينـــل مـــن أبـــان أن منـــاه يلـــثمُ الـــوجنتين منهـــا وفاهـــا
ثـــم يطـــوي ذاك العتـــابَ وإن كـــان بـــه الـــود بيننـــا ببناهـــا
وإذا مـا انطـوى نـشرت لـواء الــ ــفخر للماجـد الـذي لا يُـضاهى
العظـيمِ المكـرَّمِ الحبـرِ إبـرا هـــيمَ بـــن سَـــاد عتـــرة طَـــهَ
نجـلِ زيـدٍ مـن زاد قـدراً وعلمـاً وفخـــاراً فـــي العـــالمين وجاهـــا
إن تبـاهى الزمـانُ بالبـدر فـيهم فهـــو قـــد زاد بهجـــةً وانتباهـــا
عتـرةٌ قـد غـدت نجـومَ المعـالي وهـــو مـــن بيـــنهم كبـدرِ سَـماها
صـــغروا عنـــه زهـــي المعـــاني وبهـــــاه إذا أردتـــــم بهاهـــــا
أورع أروع نقـــــــــــــــــــي حـــرسَ اللهُ ذاتَـــه ووقاهـــــا
وســـلام عليـــه مـــن قـــال مـــن تـــم قـــصيدٌ هنـــا يكـــون انتهاهـــا

[٨١] القاضي محمد بن محمد بن الحسن الحيمي.

خطيب جامع شبام، وسليل مستنبط الأحكام، الشاب الظريف، الماجد اللطيف، الذي ما بلغ العشرين إلا وصنف، وقرظ آذان العلوم وشنف، فهو غصن دوحة الوفاء، وزهرة عنصر أهل الصفاء، مقلد جيد الزمان بقلائدِ عقيانِ آدابه، وملبسُ شخوصِ تلك الأسجاع لطائفَ آدابه ونقابه.

صـاحب الفكرة الوقادة، والقريحة المنقادة، ولعمري! إن ما وصفته

به هو بعض سجاياه، وأقل مما في كثير مزاياه، مع جبين كالهلال، ووقار عليه سيما الجلال، حماه الله من عين الحسود، وحرس ذاته عن الأسواء بطوالع السعود، ومن شعره ـ سلم الله قوله ـ:

عِقدٌ على عُنق الحسناءِ منضودُ ... أمِ المدامةُ أبدَتْها العناقيدُ
أم النسيمُ سرى وهناً فكان له ... بينَ الجوانح للمشتاق تبريدُ
وأذكرَ الصبَّ أيامَ النقاءِ روى ... عن معهدٍ هو بالأفراحِ معهودُ
فها أنا وحيد النازحين معا ... بما طوى النشر مسرورٌ ومسرودُ
قد هيجَتْ لي صَبا نجدٍ قديمَ هوى ... له ببالي على الأيام تجديدُ
أذكرتني يوسف الحسن البديع ومن ... له فؤادٌ كقاسي الصخر جلمودُ
وكيف أنساه إن جارَ البعادُ وفي ... سجن الفؤادِ له واللهِ تخليدُ
من ثغره إن تبدَّى كالعقود علا ... بديده فلدرِّ العقدِ تبديدُ
وإن بَدتْ في دجى الأسحارِ طلعتُه ... فلي وللطرفِ تسهيدٌ وتسهيدُ
وإن رنا لحظُه أو لاحَ عارضُهُ ... فالسيفُ والروضُ مشهورٌ ومسهودُ
لا غرو أن تضحك الأزهار معجبة ... في خده ولشعر الصدغ تجعيدُ
لسيف ألحاظه حدٌّ وليس له ... في الحسن حدٌّ تراه وهو محدودُ
ما زال مجتهداً في صدِّه فله ... من دُرِّ دمعي وظلمي فيه تقليدُ
كشفت حالي عسى يرثي إذا وصفت ... والعطفُ عند حذا الغزلان مفقود
فجردَ السيف يهوي قتلتي فلهُ ... كما علمتُ على الكشافِ تجريدُ

[٨٢] محمد بن يحيى، الشهير بابن شرف الشافعي[١].

أحد أجلاء الفضلاء، وأعيان النبلاء، وممن برع في الفقه وجدّ فيه، وفاق فيه من يماثله من معاصريه، أخذ عن الشمس محمد الرملي، ولازمه سنين، واستفاد من فوائده، وأجزل عليه من فضائل عوائده، وأجازه بمروياته، ومستنداته، ومؤلفاته.

وجمع بين التقرير والتحبير، وألف «حاشية لطيفة على شرح التحرير» لشيخ الإسلام زكريا، وكانت **وفاته** بمصر، يوم الثلاثاء، سابع عشري ذي الحجة الحرام، سنة سبع بعد الألف، وهو شاب في عشر الثلاثين ـ رحمه الله ـ.

[٨٣] محمد بن أحمد المرداوي ـ نسبةً إلى مَرْدا من قرى نابلس ـ الحنبلي[٢].

نزيل مصر، شيخ الحنابلة في عصره بمصر، أخذ عن التقي الفتوحي، وعن عبدالله الشنشوري الفرضي، وعنه: مرعي المقدسي، وعثمان الفتوحي، ومنصـور البهوتي الحنبليون، والشـمس محمد الشـوبري، وأخوه الشهاب أحمد، وشيخنا سلطان المزاحي، وكثير، **توفي** بمصر، سنة ست وعشرين وألف، ودفن بتربة المجاورين، بالقرب من السراج الهندي.

[٨٤] محمد بن مصطفى، الشهير بكتخدا زاده.

عالم بالروم مشهور، له «تكملة شرح عمه سنان الدين يوسف على

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٥٨).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٥٦).

شرح المفتاح»، توفي سنة تسع وثلاثين وألف.

[٨٥] محمد بن خضر الأماسي.

صاحب مختصر التلخيص، الذي سماه: «أنبوب البلاغة»، توفي سنة مائة وألف.

[٨٦] محمد بن خليفة بن سعد الدين بن علي بن محمد المرحومي.

شيخنا، مات في نيف وثمانين وألف، بمصر.

[٨٧] محمد البيروتي، نزيل دمياط.

أحد أكابر المحققين، أخذ بدمشق عن الشمس الميداني، والشهاب العيثاوي، وقدم مصر، وأخذ بها عن الحلبي، والزيادي، وأجيز سنة أربع عشرة وألف، وأقام بدمياط إلى أن مات في نيف وستين وألف.

[٨٨] السيد محمد بن حمزة بن أحمد بن علي بن الحافظ شمس الدين أبي المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة بن محمد بن ناصر بن علي ابن الحسن بن إسماعيل بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين المجتبى بن علي المرتضى بن أبي طالب بن عبد المطلب، الحسيني، الدمشقي، الشافعي.

يعرف بالسيد كمال الدين بن حمزة...[١].

---

(١) يلاحظ أن الترجمة لم تتم.

[٨٩] صاحبنا السيد محمد القبع بن مكين صاحب بندار الصليف بن المقبول بن الهادي بن أبي القاسم بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن عمر ابن العزب.

وينتهي نسب بني القبع جميعهم، إلى العزب المذكور . . .[١].

[٩٠] السيد محمد بن مكين القَبَع بن حسن القيع بن المقبول بن المكين بن أبي بكر.

توفي السيد مكين سنة خمس وخمسين وألف بجدة، وبها دفن، وسبب تلقيبه بالقبع: أن أهله كانوا كرداً، ويتعاطون الزراعة، فتعلق صاحب الترجمة بأهل البحر، وطلب من والده أن يجعل له زعيمة صغيرة، يتعاطى فيها الصيد، فأبى عليه، فألح عليه.

ولم يزل حتى اقتضى الحال أن يعرض والده ذلك على أحد بني عمه، السيد أبي بكر بن حسن، وكان من أولياء الله، فلما قدما عليه، عرض عليه والده ذلك، فنظر إليه، وناداه إلى جنبه، ورفع ثيابه عن بدنه، حتى بقي بمحزم، ثم رفع عمامته عن رأسه، ومكث ساعة ينظر إليه، ويضرب بيده رأسه، ثم مكث ساعة وقال: لا تعترض ولدك فيما يرومه؛ فإن الله مكنه من مكانه هذا إلى مكة ـ شرفها الله ـ.

وألبسه قَبَعاً، وقال: هذا صاحب القبع، فاشتهر من حينئذ بالقبع ـ بفتح أوليه ـ، ثم تعاطى البحر، فجعل له جلبة، يسافر بها من اليمن إلى جدة، وكانت جلبته مطلقة عن المكس، من بيت الجلاب؛ إجلالاً له، وهي كذلك لولده

(١) يلاحظ أن الترجمة لم تتم.

سيدنا محمد ـ سلمه الله تعالى ـ.

[٩١] السيد محمد بن عبد الواحد بن محمد الغرب، صاحب القنفذة[1].

[٩٢] محمد بن أحمد بن الهادي الشهير بالعبّادي.

نسبة لجده لأمه الشيخ محمد البكري العبادي، نسبة إلى عبادة: بلدة من بلاد مصر، وكان من كبار الأولياء، الآخذين عن الشيخ بدر الدين العادلي، ووالده أحمد، يلقب بابن عَصَبَة، وهو من ذرية الشيخ إسماعيل الحضرمي، موقف الشمس، المعروف في بلدة الضحى، بقرب زَبيد من اليمن.

وُلد صاحب الترجمة في سنة ثمان وعشرين بعد الألف تقريباً، في حجر والده، إلا أنه نشأ أمياً، وظهرت له في أواخر عمره خوارق عادات، مع أنه كان يسلك طريق الملامية، في تخريب الظواهر، بشرب الحشيش، إلا أن كثيراً ممن يتعاطى شربها عنده، أخبر بأنها ما أثرت فيه، مع أنه أكثر منها جداً، واستدل بذلك على انقلاب عينه، أو بطلان ضرره.

ومن كراماته، ما أخبرني به ثقة: أن جماعة وفدوا عليه للزيارة، فأمره أن يصب لهم قهوة من إناء معين، وقد تحقق خلوه من القهوة، ولم يستطع أن يواجه أمره بإبائه عن صب القهوة، فأمره ثانياً، فامتثل أمره، وأخذها، وإذا بها قد أوجد الله فيها قهوة، فصب لهم ما كفاهم.

ومنها: أن شخصاً أخبره بأنه رآه يطير في الهواء.

ومنها: أن شخصاً آخر قد رآه تصرف من الغيب في مال أنفقه، ولم يكن

---

(١) يلاحظ أن الترجمة لم تتم.

عنده قبل، إلى غير ذلك من الكرامات التي يحفظها أصحابه[1].

وقد رأيته، وكان له إلي ميلٌ كثير، حتى إنه كان يحثني على المجيء إليه، فأعدُه وعداً معلقاً بالمشيئة، ثم لم آته؛ لسلوكه مسلك التخريب، ولم يزل على كماله، إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر ربيع الثاني، من سنة ثلاث وثمانين بعد الألف، ودفن في بيته الذي كان يسكنه، ملاصقاً لقبر أبيه وجده لأمه ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٩٣] محمد بن عبد الرحمن الخياري المدني الشافعي[2].

الأديب الأريب، واللوذعي اللبيب، مولده بالمدينة، في شعبان، سنة أربعين بعد الألف، وبها نشأ، وحفظ القرآن، وأخذ عمن بها من العلماء الأعيان، رحل إلى مصر والروم والشام.

واجتمعت به بمصر كثيراً، وحصل بيني وبينه الود التام، وكان لا يفارقني في غالب الأيام، ثم رجع إلى المدينة الشريفة، فتوفي بها في شهر رمضان، سنة ثلاث وثمانين بعد الألف، وحضرت مشهده ومدفنه بالبقيع بها، ودفن بالبقيع ـ رحمه الله ـ.

وله شعر وسط، منه: قوله يمدح شيخ الإسلام يحيى المنقاري مفتي الروم:

في كل قُطر حيث ذكرُك يُنشر ... يبدو الثناء عليك مسكٌ أَذْفَرُ

---

(١) مثل هذه الكرامات لا تقع إلا لخيار عباد الله، لا لمن أظهر الفسق وتعاطي الحشيش، والله المستعان.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٩٣).

وتـــودُّ أربـــابُ المقـــام بأنهـــا ... مـــن تـــربِ نعلِـــك دائمـــاً تتعطَّـــرُ
شَـــرُفَت بهـــا الأيـــامُ حتـــى إنهـــا ... وَدَّتْ تـــراك الماضـــياتُ الأَعْـــصُرُ
وأتـــى الزمـــانُ إليـــك عبـــداً طائعـــاً ... يُـــصغي لمـــا تنهـــاهُ عنـــه وتـــأمرُ
وقد اقتصرتُ على امتداحِ جنابِكم ... إذ مـــدحُ خيـــرِ الخلـــقِ فـــيكم أكبـــرُ
في قولِـه العلمـاءُ ورثـة قـد كفـى ... الـــصادق المـــصدوق فيمـــا يخبـــرُ
وإذا أردت بـــأن أصـــوغَ مـــدائحاً ... فـــيكم فـــإني مـــا حييـــتُ مقـــصِّرُ
من أجل هذا قال قبلي مـن مـضى ... بيتـــاً وذاك البيـــتُ فـــيكم أشـــهرُ
وعلـــى تفـــنن واصـــفيه بحـــسنه ... يفنى الزمـان وفيـه مـا لا يحـصرُ
فإليـك يـا مـولاي صـغْت دراريـاً ... تُهدى إليـك وأيـنَ منهـا الجـوهرُ
ضـــمنتها أوصـــافَك الغُـــرَّ التـــي ... مـــا شـــامها الـــثقلانِ إلا كَبَّـــروا
لا ترتجـــي إلا القبـــولَ إجـــازةً ... وإجـــازةُ الـــشعراءِ أبـــيضُ أصـــفرُ
وأنـــا محمـــدُ عبـــدُكم ومُحِـــبُّكم ... العبـدُ الاصـغَرُ والمحـبُّ الأكبـرُ

[٩٤] محمد بن عبد القادر الجعد اليمني.

سلك عند أبيه مدة، ثم رباه الشيخ محمد فُقيه، إلى أن كمل الطريقة، وتزوج ابنته، ثم قام مقام أبيه بعد أبيه، وله تصرفات، وأحوال عجيبة.

[٩٥] محمد دده المجذوب المعروف بديوان دلوسي.

كان ساكناً بالقسطنطينية، وكان شيخاً مجذوباً مكاشفاً.

[٩٦] محمد دده، المعروف بتاج زاده.

كان ساكناً بقلعة يقال لها: أبو غادي، من مضافات لواء، كان في

أول حاله تاجراً، يتردد إلى بلاد المغرب، ثم ترك التجارة، وسلك عند الشيخ المعروف بالكاتب، في مصر . . .[1].

[٩٧] حاجي محمد.

كان ساكناً بقصبة أولوبوري، وكان شيخاً صالحاً ديناً، صاحب أحوال، مات بعد الألف.

[٩٨] محمد بن أبي بكر الصهيوني الدمشقي، المعروف باليتيم.

ـ بضم الياء المثناة، وكسر الياء المشددة ـ، أخذ الطريق عن الشيخ محيي الدين الذهبي القيمري، كان شيخاً صالحاً، توفي سنة ست عشرة بعد الألف.

[٩٩] محمد دده بن محمد السيواس.

من خلفاء الشيخ شعبان دده القسطموني، شيخ عالم صالح، صاحب تصرفات وأحوال، توطن بأدرنة، وله حلقة الذكر في الجامع المعروف بأوج شرفه لي.

[١٠٠] محمد بن حسين النقشبندي.

من خلفاء الشيخ عبد اللطيف بن فتح الله النقشبندي، سكن بحجرة في الجانب الشرقي، الملاصق للحائط القبلي، بجامع آيا صوفيا بالقسطنطينية، نحو عشرين سنة، فلما اشتهر، وأقبل عليه الناس، ارتحل منها إلى خارج البلد، واتخذ مكاناً عند الماء الذي يقال له: أجمه صوبي، وهو ساكنٌ بها

---

(١) يلاحظ أن الترجمة لم تتم.

الآن، شيخ صالح عابد، صاحب كشف، وإشراف على الخواطر.

[١٠١] محمد بن علي المكتبي الدمشقي الشافعي(١).

كان من علماء دمشق، المشهورين بها بالصلاح، وحسن السمت، **مولده** منتصف ذي القعدة، سنة عشرين وألف، وختم القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفظه في سنة واحدة، وحفظ الشاطبية، وقرأ بالروايات على عبد الباقي الحنبلي وغيره، وأخذ علم الحديث عن النجم الغزي.

وحج سنة اثنتين وثمانين بعد الألف، واجتمعت به بمكة، وتأكدت بيني وبينه الصحبة، وأخذ بالحرمين عن عبدالله بن الطاهر العباس، وعلي العصامي، وعلي الأيوبي، وعن شيخنا إبراهيم الكردي، وعن السيد محمد البرزنجي، والسيد محمد الشلي، وكتبوا له إجازات سنية.

ورجع إلى بلده، وأقام بها على خير وفي خير، إلى أن **توفي** يوم السبت، ثاني عشري جمادى الآخرة، سنة ست وتسعين وألف.

[١٠٢] محمد غضنفر بن جعفر بن إمام الحسيني البخاري.

القاضي، نزيل المدينة الشريفة، كان من أعاظم المحققين، قرأ ببلاده، وأخذ عن ملا محمد سعيد، تلميذ ملا حنفي، وعن الخطيب الكازروني، جد هبة الله بن عطاء الله الحسيني الحسني، وممن أخذ عنه: السيد العارف بالله، صبغة الله بن روح الله الحسيني، وأحمد بن علي الشناوي، وكثير.

وله مؤلفات، منها: «حاشية مفيدة على شرح النخبة» للحافظ ابن حجر،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٧٣).

أرخ إتمامها بالمدينة، سنة ألف واثنتين ـ رحمه الله ـ، وله «أنموذج العقول في امتحان الفحول»، وغير ذلك من المؤلفات النافعة.

[١٠٣] السيد محمد بن يحيى الوزير.

كان سيداً فاضلاً، براً تقياً، اشتغل بخويصة نفسه، وتعلم القرآن وتعليمه، وكان إمام مسجد جده، وعمّر نحو تسعين سنة، **وقبضه الله إلى جواره** سنة اثنتين وخمسين وألف.

[١٠٤] محمد بن عبدالله بن أحمد.

وبقية نسبه في ترجمة السيد عثمان بن علي الوزير، كان بقيةً في آبائه، وإماماً في معرفة أحوال سلفه، حميد الأوصاف، نسابةً لجميع الأشراف، فقيهاً في دينه، قويماً في رأيه، سريع الجواب، مع إصابة مليح الخطاب، ذا رشاقة ودعابة، إلى دين صحيح، وورع شحيح.

قرأ على عمه السيد صلاح أحمد كثيراً من كتب الحديث والسير وغيره، وقرأ في الفقه على السيد الإمام محمد بن عز الدين المؤيدي المفتي، وصحب السيد العلامة المجاهد شرف الدين الحسن ابن الإمام القاسم في كثير من أسفاره، أيام جهاده للترك، مثل أيام زَبيد وتَعز وغيرهما، وأبلى بلاءً حسناً، وأقام آخر مدته بالسر، في مغارب صنعاء، **ومات** به في أحد الربيعين، سنة ثمان وخمسين وألف، وقبره بصرح مسجد الحديدة.

ومن كراماته: ما نقله ولده السيد علي بن محمد الغدير، قال: لما طال حبس والدي، مع من حبس من الأشراف بقاهرة تعز، في دولة الأروام، وضاق حاله، وتشوش باله، وكان بسبب رواتب يعتادها، يسر الله له رؤيا صالحة

مضمونها: أنك اخرج من القلعة، ولا يريبك تبعُ السجانِ لك؛ فإنه سيهلك على يدك، وكان هذا السجان أحدَ الظلمة، كم أوذيت على يده حشاشة، وهلك بظلمه جماعة من الأشراف هنالك.

قال: فخرجت عشية ذلك اليوم، الذي رأيت في صبيحته تلك الرؤيا، فما زلت أتوكأ على عصا بيدي، في أثناء مدرج القلعة، وقد دهم الليل، وولدي علي بن محمد منتظرٌ لي في أسفلها.

فلم أشعر إلا بالآغا ناظرِ الحبس، فلما وصل إلي، لم أشكَّ أنه لا يريد بإرجاعي إلا إزهاق روحي، فقلت له: يا آغا! تقدم حتى تدلني على الطريق، وتأخذ بيدي في مضايقها، فتقدمني وهو ينفث نفثاتٍ يفصح مكنونُها عن خبث طويته.

فلما انتهينا إلى مضيق في الطلوع، قلت: ليتقدم الآغا قبلي حتى يأخذ بيدي، فلما أهوى للتقدم، وكان إلى جهة الفضاء الواسع الذي يهلك الرجل في أثنائه إذا سقط قبل أن يصل إلى الأرض، فغرزت تلك العصا في ظهره مع نهوضه، ثم دفعته دفعةً طارت به بلا جَناح، وقلت له: لا بأس عليك ولا جُناح، فخر في أثناء ذلك الهوى، وتبددت منه الأوصال والقوى.

ثم انثنيت نازلاً إلى ولدي، فوجدته بأسفل المدرج، فقطعت البلاد لوجه الليل، ولم نصبح إلا بالبلاد التي وطئتها إمامية.

وصاحب الترجمة هو: محمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن أحمد ابن إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن الهادي بن إبراهيم الوزير بن علي بن المرتضى بن المفضل بن المنصور بن العفيف بن المفضل بن الحجاج بن علي

ابن يحيى بن القاسم بن يوسف بن يحيى بن أحمد بن يحيى بن الحسين ابن الإمام الترجمان القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ.

[١٠٥] محمد بن يونس، الملقب: عبد النبي القشاشي، الشهير بالمدني.

توفي خامس عشر شعبان، سنة أربع وأربعين وألف بصنعاء.

[١٠٦] الشمس محمد بن محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد الحموي الأصل، الدمشقي المولد والمنشأ، الشهير بالميداني.

أخذ «صحيح البخاري» عن البدر الغزي، وأخذ بمصر عن الشمس الرملي أحمد بن أحمد الرملي، وعن أبي الحسن علي نور الدين القرافي، تلميذ السيوطي، وأخذ بدمشق عن العلامة أحمد بن أحمد بن بدر الصالحي.

[١٠٧] محمد بن حمزة بن أحمد بن علي بن الحافظ شمس الدين أبي المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة بن محمد بن ناصر بن علي ابن الحسن بن إسماعيل بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن المجتبى بن علي المرتضى بن أبي طالب بن عبد المطلب، الحسيني، الدمشقي، الشافعي.

يعرف بالسيد كمال الدين بن حمزة. . .[١].

---

(١) يلاحظ أن الترجمة لم تتم.

[١٠٨] شيخ الإسلام محمد نجم الدين ابن شيخ الإسلام محمد بدر الدين ابن شيخ الإسلام محمد رضي الدين بن محمد بن عبدالله بن بدر بن عثمان بن جابر بن تغلب بن ضوء بن شداد بن عاد بن مفرج بن لقيط بن جابر ابن وهب بن ضباب بن جحيش بن معيض بن عامر بن لؤي بن غالب الغزي الأصل، الدمشقي المولد والمنشأ والوفاة، العامري القرشي الشافعي[1].

مفتي دمشق ومحدِّث الشام، وخاتمةُ مَنْ بها من الحفَّاظ الأعلام، وممن بوأه الله في الحديث منزلةً علية، وجمع له بين جميع العلوم السَّنِية، وممن استجيبت فيه دعوة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام والتحية، في قوله: «نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها، فأداها كما سمعها»، فكان وجهه كالبدر في النورانية.

وممن افتخرت به دمشق على سائر البلاد، مع ما في ذلك العصر من العلماء الأمجاد، وأجمع على جلالته أهل المشرق والمغرب، وانفرد في عصره بعلو الإسناد، الذي هو للعالم أجل منصب.

وسمعت شيخنا شيخَ الإسلام محمد بن علاء الدين البابلي يثني عليه كثيراً ويعظمه؛ فإنه اجتمع به بمكة ـ شرفها الله ـ، ويكفيه شهادة هذا الحبر العظيم، الذي أجمع الناس على علمه الفخيم.

ولد سنة سبع وسبعين ـ بتقديم السين فيهما ـ وتسعمائة، ومات والده، وعمره سبع سنين، وأجازه بمروياته، وقرأ القرآن على الشيخ يحيى بن العماد

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٨٩)، وذكر وفاته في ١٠٦١هـ، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٦٣).

ولازم العلامة شهاب الدين أحمد بن جمال الدين العيثاوي وغيره من شيوخ دمشق، حتى برع في العلوم، وتصدر للإفادة والتحديث في مسجد بني أمية، وانتهت إليه في عصره رياسة العلم السنية، وتولى تدريس قبة النسر، بعد الشمس الميداني.

وعرض له في آخر عمره سكتةٌ في الدرس فقط، سببها: أن الشيخ العارف بالله حسين بن فرفره، كان يأتي إلى درسه، فيجلس في وسطه، ويتكلم بكلام لا يفهمه أحدٌ على طريقة المجاذيب، فأكثر يوماً الكلام في الدرس، فغضب منه الشيخ، وقال له: اسكت، فقال له: اسكت أنت، فسكت الشيخ من ساعته، واستمر ساكتاً لا يتكلم في الدرس بشيء.

وكان يأتي بعدها إلى الدرس، فيقرأ عليه القارئ الحديث إلى أن يتمه، فيتكلم الطلبة عليه بعضهم مع بعض، وهو ساكت، إلى أن يتم الدرس، وكان إذا ذهب لبيته يطالع الدرس، ويفهم العبارات، على ما كان عليه، ولكنه إذا سئل عن عبارة، لا يستطيع التكلم عليها، ولم يزل على هذا الحال، إلى أن توفي سنة إحدى وستين بعد الألف[1]، ودفن بتربة آبائه المعروفة ثَمَّ.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ تنيف على ثمانين مؤلفاً، منها: «الكواكب الزاهرة في أخبار المائة العاشرة» في مجلدين ضخمين، و«تاريخ آخر كبير ذكر فيه أهل عصره»، و«شرح على لامية ابن الوردي» التي أولها: اعتزلْ ذكرَ الأغاني والغزل، و«شرح بديع على ألفية ابن مالك»، وكتاب جمع فيه أشراط الساعة، وأوصلها إلى ألف، في مجلد ضخم، وسماه: «تحبير العبارات في تحرير

---

(١) سبق التنبيه على مثل هذا، ولا يخفى ما فيه من مبالغات الصوفية.

الأمارات»، و«عقد النظام لعقد الكلام»، و«شرح على ألفية جده الرضي الغزي في التصوف».

وكان يميل لفن الأدب، ومفاكهة أهله، ويمزج للطافته وحسن أخلاقه جدَّ القول بهزله، تارةً ينظم في الغزل ما تصبو إليه القرائح، وطوراً يجتني ثمار الوعظ والنصائح، فمن شعره الدري، ونفثه السحري قوله:

أعاطيه كؤوساً من لُجَيْنٍ ... فيجعلُ لي من الذهبِ الأداءَ
ولستُ مرائياً في ذا ولكنْ ... خيارُ الناسِ أحسنُهم قضاءَ

وقوله:

بلغتُ من الجوى ما ضقتُ عنه ... فخلِّصْني بفضلِك رَبِّ منهُ
إلهي إنَّ حبك في فؤادي ... فأنقذْهُ من البلوى وصُنْهُ

وقوله:

قال صحبي عن الدخانِ أجبنا ... هل له في كتابنا إيماءُ
قلتُ ما فرط الكتابُ بشيء ... ثُمَّ أرخت يومَ تأتي السماءُ

وقوله:

عن النبيِّ أتانا من رأى امرأةً ... أحل في قلبي للحسن توقعها[1]
فليأتِ زوجَتُه فليقضِ حاجَتَه ... إنَّ الذي مَعَها مثلُ الذي مَعَها

وقوله:

---

(١) كذا في الأصل.

تُلِـمُّ المعـاني بـالقلوب كأنهـا	عرائسُ تُجلى في عقودٍ مـن الـدُّرِّ
وتذهبُ حتى لا تراهـا فـإنْ تجـدْ	لها لَمماً بالقلبِ تخلجُ في الصدرِ
فبـادرْ إلـى تقييـدِها بكتابـةٍ	فذلكَ ذخرٌ وهي من أنفعِ الـذخرِ
فكـمْ لاحَ لـي أمـرٌ وراحَ وعنـدَما	أطالِعُـه ألقـاهُ مـن أعجـبِ الأمـرِ
ومـا العلـمُ إلا روضـةٌ مـستنيرةٌ	فطوراً إلى نـورٍ وطـوراً إلـى ثمـرِ
وما زلتُ في تلك الرياض مُعاطياً	نفائسَ ما تحويـه مـن أول العمـرِ

وقوله:

انظـر إليـه كأنـه متبـرمٌ	ممـا تُغازلُـه عيـونُ النـرجسِ
فكـأنَّ صـفحةَ خـدِّه ياقوتـةٌ	وكـأن عارضَـه خميلـةُ سـندسِ

وقوله:

لنـا نفـوسٌ إذا هـي انـصدعَتْ	بلحـظِ طَـرْفٍ تقـومُ سـاعتُها
عَـزَّتْ فعاشـت بفقرهـا رغـداً	وفـي اعتـزالِ الأنـام راحتُهـا

وقوله:

يـارب........[1]

[١٠٩] محمد بن يحيى الشهير بابن شرف الشافعي[2].

أحد أجلاء الفضلاء، وأعيان النبلاء، وممن برع في الفقه وجدّ فيه،

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحة ونصف بياض بالأصل».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٥٨).

وفاق فيه من يماثله من معاصريه، أخذ عن الشمس محمد الرملي، ولازمه سنين، واستفاد من فوائده، وأجزل عليه من فضائل عوائده، وأجازه بمروياته، ومستنداته، ومؤلفاته.

وجمع بين التقرير والتحبير، وألف «حاشية لطيفة على شرح التحرير» لشيخ الإسلام زكريا، وكانت **وفاته** بمصر، يوم الثلاثاء، سابع عشري ذي الحجة الحرام، سنة سبع بعد الألف، وهو شاب في عشر الثلاثين - رحمه الله -.

[١١٠] محمد بن محمد بن سلامة الأحمدي الشافعي البصير، الشهير بسيبويه[١].

كان إماماً عالماً، نحريراً محققاً، عارفاً للعلوم النقلية، والعقلية، متقناً لها، ولكنه اشتهر بالعربية؛ لغلبتها عليه، وكثرة إقرائه لها، وكان مرجعاً لحل المشكلات العلمية، وإذا قرر المسائل، تظهر للطلبة بأدنى إشارة، وتنطبع في قلوبهم، وذلك لأنه جمع الله له بين العلم والولاية، وكل من قرأ عليه نفعه الله، وكل من خدمه خدمة ما، أسعده الله ديناً ودنيا، وما بشر أحداً بشيء، إلا ناله ألبتة.

وكان عزباً لا يخرج من الجامع الأزهر، إلا إذا تعطلت فسقية الجامع، فيخرج لأقرب مكان لقضاء الحاجة، وكان ملبسه في الصيف والشتاء جبةً حمراء، وكان من الزهد في الدنيا، بحيث لا يأخذ من أحد شيئاً إلا بقدر الضرورة، ويأكل من الشربة المرتبة في الجامع الأزهر، ظهراً وعصراً.

وكان يعتريه في بعض أوقاته سكوت، فلا يقدر أحد أن يبتدئه بكلام،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٧٥).

حتى يكون هو البادي، وكل من بدأه بكلام متعمداً، حصلت له متعبةٌ دنيويةٌ بالتجربة، وعرف ذلك عنه غالب الناس.

وكان الغالب عليه الجمال، لا يُرى متكدراً، بل منشرح الصدر، متبلجاً متداعباً، ولا تُذكر الدنيا عنده بحال، ولا يعرفها، ولا يعرف أحوال أهلها، والغالبُ عليه سلامة الصدر، فلا يظن بالناس إلا خيراً، وإذا قرأ عليه أحدٌ ـ ولو درساً واحداً ـ يسأله عن اسمه واسم أبيه، ولا يزال يذكره، ويسأل عنه، وإذا غاب عنه سنين، وجاء إليه، يعرفه بمجرد تكلمه معه، ولا يغيب عنه ذهنه.

وكان إذا فرغ من الدرس، يشتغل بتلاوة القرآن، ولم يتخلف في سائر أوقات الصلاة من صلاة الجماعة، في الصف الأول بالجامع الأزهر، ويقوم فيه من النصف الآخر، ولا يزال يتهجد، حتى يصلي الصبح مع الجماعة، وبعدها يقرأ الناس عليه في القراءات إلى طلوع الشمس، فيذهب حينئذ إلى فسقية الجامع الأزهر، ويتوضأ، ويجلس للتدريس إلى قبيل الظهر.

هذا دأبه طول عمره، إلى أن نقله الله إلى دار كرامته، فتوفي إلى رحمة الله ورضوانه، في نيف وخمسين بعد الألف، ولم يخلف ديناراً ولا درهماً، إلا ثيابه التي عليه، ودفن بتربة المجاورين.

ولما مات، سمع الناس قائلاً يقول وهم في جنازته: مات العلم الخالص لوجه الله، وذهب الزهد فيما عند الناس بعد محمد، إنا لله وإنا إليه راجعون، فضج الناس، وصاحوا وبكوا.

وقال لنا شيخنا محمد البابلي: ما رأينا في شيوخنا أثبتَ قدماً في الزهد منه، وجميع ما نحن فيه من بركاته، وقال بعض شيوخنا: إنه أمةٌ قد خلت.

قرأ في بدايته على شيوخ كثيرين، منهم: العلامة أحمد بن قاسم العبادي، وأبو بكر الشنواني، وعنه أخذ أكابر شيوخ عصرنا؛ كشيخنا محمد البابلي، وعلي الشبراملسي، ويحيى الشهاوي، وشاهين الأرمناوي، وشيخنا محمد المنزلاوي، ومنصور الطوخي، ومحمد بن عتيق الحمصي، وعلماء كثيرون، ولم يمت أحد ممن أخذ عنه إلا بخير، وكراماته كثيرةٌ شهيرةٌ، نفعنا الله به في الدارين[1].

[١١١] محمد كمال الدين بن محمد الشهير بطاش كُبري الحنفي[2].

ممن شاع فضله حتى ملأ الآفاق، وعلى فضله وكماله وقع الاتفاق، تقلب في المناصب العلية، بالديار الرومية، تولى قضاء العسكر باناظولي، وولي قضاء العساكر بروم ايلي، ثلاث مرات، وكان في العلم طوداً راسخاً، لا يكاد يوجد له ضريب بين موالي الروم، سيما في فن الفقه والمعاني والبيان، وولي قضاء دمشق سنة خمس وألف.

ومن مؤلفاته كتاب سماه: «عمدة أرباب البداية في تحرير مسائل الهداية» أكمل تحريره سنة أربع وعشرين وألف، وقال في ذلك:

أحمدُ اللهَ الذي من فضلِه ... تَمَّ هذا الجمعُ لي والانتخابْ
قد بذلتُ الجهدَ في تحريرِه ... وتحرَّيْتُ له محضَ اللبابْ

---

(١) ينتفع المرء في الآخرة بأعماله الصالحة، لا بفلان وفلان، والله أعلم.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٥٦)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٨)، وفي الخلاصة اسم والده أحمد، وهنا أثبت المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ اسم والده محمد.

غُـــرر الفقـــه غـــدتْ ســـافرةً ... فيـه حتـى مـا عليهـا مـن نقـابْ

فاجعــل اللهــمَّ ســعيي خالــصاً ... لـك مـشكوراً إذا قـامَ الحـسابْ

واكـــسُهُ ثـــوبَيْ قبـــولٍ ورِضًـــا ... من أولي الفضلِ وأصحابِ الصوابْ

فلكَـــمْ أســـهرتُ عينـــي متعِبـــاً ... فيه فكـري أبتغـي حسنَ الثـوابْ

إن تـــرمْ تـــاريخَ إتمـــامٍ لـــه ... كـاملاً أرخـه (قبـل تـم الكتـابْ)

توفي بالقسطنطينية سنة ثلاثين وألف، وأرخ وفاته العلامة إبراهيم بن عبد الرحمن العمادي:

ألا إنمـــا الـــدنيا غـــرورٌ نعيمُهـــا ... ينغِّـــصه تكـــديرُها وزوالُهـــا

قضى اللهُ للمولى الكمال بأن قـضى ... فأرخ (ديارُ الـروم مـاتَ كمالُهـا)

سنة ثلاثين وألف.

[١١٢] الدرويش محمد الهريري الحلبي.

نزيل دمشق، كان من فضلاء وقته، وكان نساخاً للكتب، وخطه في غاية الصحة، وكتب كتباً كثيرةً، وله أشعار كثيرة، منها: قوله محاجياً في مقراض، وأرسل بها إلى عبد الكريم الميقاتي، سنة أربع عشرة وألف:

يـــا أيهـــا البحـــرُ الـــذي ... منـــه الأفاضـــلُ تـــستفيدْ

يــــا فاضــــلاً أقلامُــــه ... قــد ذكــرتْ عبــدَ الحميــدْ

ومـــن لـــه فـــي المـــشكلا ... تِ الفهـــمُ والقـــولُ الـــسديدْ

أوليــــت كــــل مكمــــل ... مــن وفــرك البحــر المديــدْ

مـــا مثـــل قولـــك للـــذي حاجيتـــه أحبـــبْ مريـــدْ

فأجابه بقوله:

يـــا مـــن تَبـــينُ المـــشكلا تُ بفهمـــه العـــالي الـــسديدْ
ومـــن ابتنـــى بيـــتَ المعـــا لـــي ســـامياً وغـــدا فريـــدْ
وحـــلا بحـــلِّ الغامـــضا تِ محليـــاً بيـــتَ القـــصيدْ
بجـــواهرِ الـــدررِ التـــي يعنـــو لهـــا ابـــنُ أبـــي الحديـــدْ
ولهـــا يَـــدينُ أبـــو نـــواسٍ والمُفَـــضَّلُ مـــع لَبيـــدْ
يـــا كـــاملاً أســـفارُه مـــن دونهـــا الـــدرُّ النـــضيدْ
أذكرتَنـــي ببلاغـــةٍ نمقتَهـــا عبـــدَ الحميـــدْ
مـــستفهِماً عـــن آلـــةٍ للقَـــصِّ يَـــدريها المريـــدْ
فطربـــت مـــن لفـــظ غـــدتْ منـــه الأفاضـــلُ تـــستفيدْ
وفهمـــتُ منـــه لفـــظَ مقـــراضٍ ومعنـــاه أجيـــدْ
لا زلـــتَ تُحيـــي ميـــتَ الـــ آداب بالفـــضلِ المريـــدْ
وبقيـــتَ ترفُـــلُ فـــي ثيـــاب الـــ ـــعزِّ والعـــيشِ الرغيـــدْ
مـــا نـــاحَ قُمـــرِيٌّ فهـــا ج بلابـــلَ الـــصبِّ العميـــدْ

[١١٣] بير محمد المعروف بمفتي أسكوب[1].

كان أبوه مملوكاً، وولد هو بقسطمون، والتحق أولاً بطائفة البكتاشية،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٤٥٦).

من الدراويش، ثم طلب العلم، وبرع ولازم ملا جوي زاده، ثم صار مفتياً بمدينة زغرة، ودرس بمدرسة إبراهيم باشا المقتول، ثم أعطي فتوى أسكوب، وبقي بها مدةً مديدة.

واشتهر صيته، وكان فقيهاً فاضلاً مطلعاً، وقد جمع ما وقع في زمان إفتائه من المسائل، وأضاف إليها نقولها، ورتبها على أبواب الفقه، وهي الموسومة بفتاوى الأسكوبي، وهي مشهورةٌ عند الروميين، وكانت **وفاته** في رجب، سنة عشرين وألف.

[١١٤] محمد علي بن محمد علان بن إبراهيم بن علان بن عبد الملك ابن علي ـ مجدد المائة الثامنة كما هو مشهور على الألسنة والأفواه، شيخ المحقق الطيبي، والخطيب التبريزي صاحب «المشكاة»، علي مبارك شاه بن أبي بكر بن محمد بن طاهر حَشْمَوَيه ـ **ابن علان بن حسين بن يونس بن يوسف ابن إسحاق بن عمران بن زيد بن محمد بن أبي بكر الصديق** رضي الله عنه، **الصديقيُّ، الأشعري، الشافعي، المكي، البكري، سبط آل الحسن**[١].

مفسر كتاب الله، وخاتمة المفسرين بالديار المكية، وخادم الآثار النبوية والسنن، المخصوص بحكمة الله، بإقراء «صحيح البخاري» وختمه بجوف كعبة الله، الشافعيُّ الأشعري.

من مؤلفاته: شرح أخلاق النبي ﷺ، لحافظ أصبهان أبي محمد عبدالله

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٨٤)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١١١) (٢٨٠)، «لفت النظر» للجيلاني (٥٨٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٧١)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٩٣).

ابن محمد بن جعفر بن حيان ـ بالمهملـة المفتوحة، والتحتية المشـددة ـ، سماه: «البناء العظيم المبني بشرح أخلاق النبي»، ومنها: تفسير القرآن العظيم الذي سماه: «ضياء السبيل إلى معالم التنزيل»، و«رفع الالتباس ببيان اشتراك معاني الفاتحة وسورة الإخلاص».

و«شـرح أذكار النووي»، و«شرح رياض الصالحين» للنووي، و«نظم أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب للسيوطي»، و«شرحها»، و«شرح منظومة السيوطي، في موافقات عمر ﷺ للقرآن»، ونظم أم البراهين، وسماه: «العقد الثمين»، و«شرحه»، ونظم عقيدة النسفي سماه: «العقد الوفي»، و«شرحه».

و«نظم مختصر المنار في أصول الحنفية»، و«شرحه»، و«نظم إيساغوجي»، و«شرحه»، و«شرح الهمزية»، و«شرح الزبد»، و«شرح الإيضاح في المناسك» للنووي، و«نظم القطر»، و«شرحه»، و«نظم الآجرومية»، و«شرحها»، و«حاشية على شرحها لخالد».

و«طيف الطائف في فضل الطائف»، و«عيون الإفادة في أحرف الزيادة»، و«داعي الفلاح شرح الاقتراح» في أصول النحو للسيوطي، ونظم قواعد الإعراب وشرحها، وسماه: «فتح الوهاب»، و«شرح أم البراهين»، و«نظم الاستعارات»، و«شرحها»، وغير ذلك مما يطول ذكره في فنون عديدة.

وله المؤلفات الكثيرة الفاخرة، التي هي كالبحر الزاخر، لا يعرف لها أول من آخر، وكان إذا سئل عن مسألةٍ، ألف رسالةً في الجواب عنها، سارت بتصانيفـه الركبان، من قاص ودان، وملأ علمـه الآفـاق، ووقـع على فضله الاتفاق.

قـرأ «صحيح البخاري»، وختمه بجوف كعبة الله، قال ـ رحمه الله ـ: وما أعلم أن كتاباً من كتب العلوم، خُتم في جوف بيت الله، فقد شرفني الله بالتخصيص، بمظهر ذلك أبداه من فضله علي، فختمته عام أربعين بعد الألف.

انتهى إليه في قطر الحجاز فنُّ التحديث، فكان سباقَ غايته، وحامل رايته، وحافظه الذي ملك جلَّ روايته، فحدث إذا حدث عن البحر ولا حرج، وانظر روضة من رياض الجنة طيبة الأرج، إلى ما حوى من فنون أربى فيها على نظرائه، وحسن حال ألحقه بأتقياء الله وأوليائه.

ولد بمكة ليلة الجمعة، عشـري صفر سـنة سـت وتسعين وتسعمائة ـ بتقديم التاء فيهما ـ، وقرأ على أجلاء شيوخ مكة، منهم: العلامة المحدث محمد بن محمد جار الله بن فهد المكي، والسيد عمر بن عبد الرحيم البصري، وعبد الملك العصامي، والصدر السعيد كمال الإسلام عبيدالله الخجندي.

وروى «صحيح البخاري» وغيره من كتب السنن، إجازةً عن كثير من الشيوخ الوافدين إلى مكة؛ كالشيخ العارف بالله الولي جلال الدين عبد الرحمن ابن محمد الخطيب الشربيني العثماني، وعالم الشام حسن البوريني، ومفتي الحنفية بمصر عبدالله النحريري، ومحـدث الديار المصـرية محمد حجازي الواعظ، إجازةً منه سنة عشرين بعد الألف.

وتصدر للتدريس والإملاء بالمسجد الحرام، وانتفع به الخاص والعام، كانت قراءته على أسلوب السلف، من إنشاء خطبة أول الدرس، تناسب ذلك الباب المقروء.

وكان حليماً وقوراً، له اطلاع على النقول الغريبة، وحفظ الفوائد العجيبة،

مرجعاً لعصره في المسائل المشكلة، في سائر الفنون، وإذا سئل عن مسألةٍ، ألف رسالة في الجواب عنها.

أخبرني صاحبنا الفاضل محمد بن عبد الوهاب النبلاوي الدمياطي: أنه اجتمع به، فقال له: رأى النبي ﷺ في المنام، وهو يعطي الناس عطايا، فقال له: يا رسول الله! وابن علان؟ فأخذ يحثو له بيده الشريفة حثيات، وقال له عصريُّه الشيخ عبد الرحمن الخياري نزيل المدينة: أنت سيوطيُّ زمانك، وكفى بذلك شرفاً.

وقال المترجَم: أخبرني بعض الصالحين عن بعضهم، في عام سبع وثلاثين وألف: أنه رأى النبي ﷺ، ليلة السادس والعشرين من رجب، على ناقته عند الحجون، سائراً إلى مكة، فقبل يده الكريمة، وقال: يا سيدي يا رسول الله! الناس قصدوا حضرتك الفخيمة للزيارة، فلماذا وصلت؟ قال: لختم «صحيح البخاري»، أو لختم ابن علان، شك الراوي.

ثم يوم الختم، الثامن والعشرين من رجب ذلك العام، حضر بعض الصالحين، فحصلت له واقعة، رأى خيمةً خضراء بأعلى ما بين السماء والأرض، فسأل، فقيل له: هذا النبي ﷺ، حضر لختم البخاري[1].

ومات بمكة، يوم الثلاثاء، حادي عشري ذي الحجة، سنة ثمان وخمسين وألف، ودفن بالمعلاة، وله شعرٌ، ربما أجاد فيه، فلم يحك مثاله من الزلال العذب صافيه، **فمنه قوله:**

وزمزمُ قالوا فيه بعضُ ملوحَةٍ ... ومنهُ مياهُ العين أحلَى وأملَحُ

---

(١) سبق التنبيه على مثل هذا، والعاقل ينكره فضلاً عن العالم.

فقلتُ لهم قلبي يَراها ملاحةً فما برحَتْ تحلُو لقلبي وتملُحُ

وقوله:

يا ربِّ أنتَ حبستَ الحسَن في قمرٍ حلوِ الشمائل لا يرثي لمن عشقَهْ

أكاد أدعو عليه حينَ يهجُرني لكنْ لفرطِ غرامي تمنع الشفقهْ

وقوله:

يا مالكاً رِقَّ قلبي رفقاً بنفسِ رفيقِكْ

اللهُ بيني وبين السوا ك في رَشْفِ ريقِكْ

وقوله مضمناً:

يا من يلم في هواه ولا يرعى الجمالا

بالله دَعْني فإني لقد فتنت انتحالا

وقوله:

كتبتُه ولهيبُ الشوق في كبدي والدمعُ منسكبٌ والبالُ مشغولُ

وقلتُ قد غابَ مَنْ أهواه وأسفي بانت سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ

وأنشد بعضهم قوله:

الموتُ بحرٌ موجُه طافحُ يغرق فيه الماهرُ السابحُ

ويحَكِ يا نفسُ قفي واسمعي مقالَةً قد قالَها ناصحُ

ما ينفعُ الإنسانَ في قبرِه إلا التقى والعملُ الصالحُ

ومثله قول أبي نواس:

أيـــةَ نـــارٍ قـــدحَ القـــادُح — وأيُّ جِـــدٍّ بلـــغَ المـــازحُ
للهِ درُّ الـــشيبِ مـــن واعـــظٍ — وناصـــحٍ لـــو قبـــل الناصـــحُ
يـــأبى الفتـــى إلا اتبـــاعَ الهـــوى — ومـــسلكُ الحـــق لـــه واضـــحُ
فاعمـــدْ بعينيـــك إلـــى نـــسوةٍ — مهـــورُهن العمـــلُ الـــصالحُ
لا يجتلـي الحـوراءَ مـن خـدرِها — إلا فتًـــى ميزانُـــه راجـــحُ
مـــن اتقـــى اللهَ فـــذاك الـــذي — ســـيق إليـــه المتجـــرُ الـــرابحُ
فاغـدُ فمـا فـي الـدين أغلوطـةٌ — ورُحْ لِمـــا أنـــت لـــه رابـــحُ

ومن شعره قوله:

مـــن حـــلَّ فـــي مكـــة لا ينبغـــي — لـــه ســـوى زمـــزمَ أن يـــشربا
ولا يُزيـــل الـــشعرَ مـــن رأسِـــه — إلا إذا مـــا نُـــسكا قَرَّبـــا
وكـــلَّ يـــومٍ فليطُـــفْ مـــرةً — بحـولِ بيـتٍ فـي الهـدى ذا نبـا
لمـــن يكـــن يفعـــل هـــذا الهنـــا — وغيـــره أعـــرض لمـــا أبـــى

وقوله:

خَفْ من الله لا تخفْ من فلانِ — مـا فـلانٌ مـع التقـى بفـلانِ
وادْرِ أن المقـضي يمـضي ومـالم — يقـضِـه الله لـم يكـن بزمـانِ

وقوله:

لله جـــل جلالـــه فـــي خَلْقِـــه — نفحاتُ لطـفٍ لـم تـزل متواصِـلَهْ

فالجـــأْ لـــه متعرِّضـــاً لنوالِـــه فعـسـاكَ تظفـرُ بالهِبـات الواصِـلَهْ

وقوله:

ولا عــذرَ للمكّـي إذا كـان آمِنـاً على نفسِه فيها وقد نـالَ مـا كفـى
ويرحــلُ عنــا طالبــاً بــدلاً لهــا فـلا عـذرَ يلفيـه إذا هـو قـد لفـى

وقوله:

ولا عـــذرَ لـــذي أمـــنٍ مقـــيمٍ بمكــةَ لــو يكــونُ بــضيقِ عــيشِ
بترحـــالٍ إلـــى بلـــدٍ ســـواها لخفضِ العيش إلا محـض طـيشِ

والأصل فيه قول جار الله الزمخشري:

وما عذرُ من أمسى بمكـةَ رحلُـه على غير بؤسٍ لا يجوعُ ولا يعرى
ويرحــلُ عنهــا يبتغــي بــدلاً بهــا وحَقِّك لا عذراً وحَقِّك لا عذرا...[1]

[١١٥] محمد بن محمود بن يوسف بن كريم الدين.

أحد العدول بمحكمة دمشق، كان فاضلاً له معرفة بالكتابة، وذكاء وفهم، توفي شاباً، ليلة الجمعة، ثاني عشري شوال، سنة تسع عشرة ـ بتقديم التاء المثناة ـ بعد الألف، ودفن عند أهله، بتربة الشيخ أرسلان ـ رحمه الله ـ.

[١١٦] محمد بن أحمد أبي عصبة بن الهادي.

من ذرية الشيخ إسماعيل، موقف الشمس، المدفون ببلدة الضحى، بقـرب بيت الفقيه ابن عجيـل، واشـتهر بالعبادي نسـبة لجـده لأمه الشيخ

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا بياض نصف صفحة بالأصل».

العارف بالله محمد البكري العبادي، نسبة إلى عبادة، من قرى مصر، وكان جده المذكور من أكابر الأولياء الآخذين من الشيخ القطب بدر الدين العادلي المشهور، قبره بمكة.

كتب لي شيخنا الحسن العجيمي المكي: أن صاحب الترجمة **ولد** بمكة سنة ثمان وعشرين بعد الألف تقريباً، ونشأ أمياً، وظهرت له في أواخر عمره خوارق عادات عجيبة، مع أنه كان سالكاً طريق الملامية، في تخريب الظواهر، بشرب الحشيش والإكثار منه، إلا أن كثيراً ممن تعاطى شربها عنده، أخبره بأنه ما أثرت فيه، مع أنه أكثر منها جداً، واستدل بذلك على انقلاب عينه، أو بطلان ضرره.

ومن كراماته، ما أخبرني به ثقة: أن جماعة وفدوا عليه للزيارة، فأمره أن يصب لهم قهوة من إناء معين، وقد تحقق المأمور من خلوه من القهوة، ولم يستطع أن يواجه أمره بالإباءة عن صب القهوة، فأمره ثانياً، فامتثل أمره، فتناولها ليصب منها، فوجدها ملآنة قهوة، فصب لهم منها ما كفاهم، وبقيت بحالها.

ومنها: أن شخصاً صادقاً، أخبر بأنه رآه يطير في الهواء.

ومنها: أن كثيرين شاهدوا منه الصرف من الغيب فيما ينفقه، في بعض أوقاته.

ومنها: أن شخصاً كان يحب آخر لغرض فاسد، فذهب معه إلى محل ليختلي به، فمرّ من تحت بيت المترجم، فرآه، فناداه فطلع عليه، فأمره بالجلوس مع صاحبه بقية يومه عنده، ومنعهما من الذهاب، وجلسا عنده

ذلك اليوم إلى آخر النهار، فأمرهما بالانصراف، وقال للمحب: يا فلان! ذهب عنك الحال الذي كنت فيه اليوم، قال: فزال ـ والله ـ من ذلك الوقت عني جميع ما كنت أجده من تلك المحبة المذكورة، وتبت إلى الله توبة خالصة.

وله من هذا القبيل كرامات كثيرة لا يمكن استقصاؤها؛ لكثرتها.

ومن غريب ما اتفق له: أن ثلاثة من أصحابه زاروه يوماً سنة موته، فتذاكروا الموت، فقال لهم على سبيل المداعبة: قد قربت وفاتي جداً، وأنت يا فلان تلحقني بسرعة، ثم فلان، ثم فلان، فصاحوا عليه، وقالوا له: ما كان لنا حاجة بهذا الكلام، فقال: لا بد من ذلك، فما مضت أيام قليلة، حتى مات، ولحقه المذكورون كما ذكر واحداً بعد واحد.

وكانت **وفاته** في يوم الأربعاء، ثالث عشري شهر ربيع الثاني، سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف، ودفن ببيته الذي كان يسكنه، ملاصقاً لقبر أبيه وجده لأمه ـ رحمهم الله ـ، بقرب جبل شظا، على طريق الذاهب إلى المعلاة ـ رحمه الله ـ.

[١١٧] محمد بن أحمد الأحسائي الحنفي ببغداد[١].

كان من العلماء المحققين في فنون كثيرة، قرأ ببلاده على إبراهيم الإحسائي الحنفي، وببغداد على مفتيها مدلج، وبرع وفاق أقرانه، وألف مؤلفات منها: «حاشية على شرح الألفية للسيوطي»، و«كتاب في التفريعات»، توفي ببغداد، سنة ثلاث وثمانين وألف.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣١٣)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٢).

[١١٨] السيد محمد بن أبي بكر بن محمد بن عفيف بن الهادي بن جَحْربة ـ بتقديم الجيم مع الباء الموحدة المتأخرة ـ ابن أبي القاسم بن أحمد ابن عبد الرحمن الشريعي ـ بضم الشين المعجمة وفتح الراء ـ ابن أبي بكر ابن عبد الرحمن بن أبي بكر ابن الشيخ علي الأهدل[١].

كان على قدمٍ عظيم من العبادة والزهادة، عاكفاً في مقصورة من مقاصير الجامع الظافري بزبيد، ولا يخرج إلا للحاجة، وكان عالماً عاملاً ورعاً، مقصوداً للقراءة عليه في الفقه غالباً.

أدركه السيد محمد بن الطاهر البحر سنة اثنتين وعشرين وألف، وقرأ عليه بعض «المنهاج»، وممن أخذ عنه أيضاً: السيد أبو بكر بن أبي القاسم الأهدل، توفي شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وعشرين بعد الألف، وترك جملةً من كتب وقفها هو، وكتب على أكثرها بخطه ـ رحمه الله ـ.

[١١٩] محمد أبو النصر بن أبي بكر الحلبي الحنفي المعروف بحليم زاده.

القسام العسكري، بالديار المصرية والجيزية، الناظم الناثر، الكاتب الشاعر، توفي يوم الأربعاء، ثالث عشري جمادى الأولى، سنة خمس وعشرين بعد الألف، بمصر.

[١٢٠] محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم بن محمد بن أحمد بن موسى المشرع العُجيل.

كان من الصالحين، القائمين بحقوق الوافدين، من الساعين في مصالح

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٣١).

الأمة المرشـدين للسالكين، **توفي** يوم الاثنين، ثاني عشر ربيع الآخر، سنة اثنتين وثلاثين وألف ـ رحمه الله ـ.

[١٢١] محمد بن نجم الدين بن أحمد بن محمد بن علي بن حسـين ابن أحمد بن موسى بن خفاجة بن حسـين بن محمد بن عليان بن يهوذا بن رحليل بن برور بن يوسف بن بنيا ميرا دينا[١] بن سليمان بن خالد بن الوليد ﷺ، الشهير بالخفاجي، الشافعي المدني.

كان عالماً كبيراً، أدرك الشهاب أحمد بن قاسم العبادي، وأخذ عنه، ولازمه، وكتب أكثر مؤلفاته بخطه، وكان حسن الخط صحيحَه، وكان ملازماً للخلوة، منقطعاً عن الناس، مشتغلاً بما يعنيه من أمور دينه، مواظباً للقراءة والتدريس في بيته، ولا يخرج إلا لصلاة الجماعة، **توفي** في نيف وثلاثين بعد الألف، بالمدينة الشريفة، ودفن بالبقيع.

[١٢٢] محمد بن أحمد صاحب العُدين ابن الإمام المؤيد الحسن بن علي بن جبريل[٢].

كان من أعيان فضلاء اليمن وأدبائه، وأجلاء أهله وأمرائه، عالماً فاضلاً، اشتغل في شبيبته بالفقه، والنحو، والبيان، والمنطق، وغيرها حتى بلغ الغاية في التحصيل، وصار من أهل الكمال والتكميل، وتصدَّر للتدريس، في كل علم نفيس.

ولم يزل كذلك، حتى ولاه الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم

---

(١) هكذا وجدت في النص.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٨٤)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٤٨).

بندرَ المخا، فأقبلت عليه الدنيا من كل جانب، وعم إحسانه الأقارب والأجانب، وكان كريماً حليماً، لا يترك حقاً لوافد من التجار وغيرهم، محسناً للغرباء، كثير المداراة في أحكامه وشؤونه، مع العزة الشامخة، والمنزلة العلية الراسخة.

ولم يزل على تلك الحالة الحميدة، والإمارة السديدة، حتى أدركه أجله، ولم يصف له من الحياة ما أمله، فتوفي بالمخا، يوم الاثنين ثالث عشر ذي الحجة، سنة اثنتين وستين بعد الألف، ونقل منها إلى حَيْس، ودفن بتربته التي أعدها له قبل موته؛ عملاً بوصيته، ويقال: إنه مات مسموماً. وله نظم رائق منه قوله:

طرباً يهيج اليَعْملاتِ سباني	وجوًى بأطباق الفؤاد ذواني
وتعللي بخلت به ريق الصبا	وتصبري كرست به أجفاني
إن الحبيب وقد تناءت داره	أغرى فؤاد الصبِّ بالأحزان
لو زارني طيفُ الكرى متفضِّلاً	بجمالِه وحديثه لشفاني
أو لو تفضَّل بالوِصال تكرُّماً	أصبحتُ من قتلاه بالإحسانِ
يا عاذلي دَعْني فلستُ بمرعَوٍ	عذلُ العدى ضربٌ من الهذيان
لولا طلوعُ الشمس في كبدِ السَّما	خلناه أشرف من على كيوان
بهرَ الأنامَ جمالُه فكأنما	.......[1] على عظيم الشانِ
فكأنه السفاح منصور اللوى	جاءت صوارمُه على مروانِ

(١) جاء في الحاشية: «باقي الشطرة لم يوجد بالأصل».

وكأنــه الهــادي بنــور جبينــه وكــأنني المهــديُّ فــي إذعــاني
وكــأن نــورَ جبينـه مـن يوسـفٍ فأنــا الرشــيد بــه إلــى الإيمــانِ
يــا أيهــا المــأمولُ عنــد إلهِــهِ والمُتْبِــعُ الإحــسانَ بالإحــسان
والحاشرُ الماحي المؤمل للـورى تحت اللوى ذخـراً إلـى الـرحمنِ
المــصطفى الهــادي أجــلُّ مــن وَطِــئَ الثـرى وحبـاه بــالقرآن
الجارُ والـرحمُ الـذي أوصـى بـه ربُّ الــسما ودعــاكَ بــالإعلانِ
فــالله فــيّ أبــا شــبير وشــبّرٍ كـي لا أخـافَ طـوارقَ الحـدثانِ

[١٢٣] السيد محمد بن محمد الحصري الحسيني الدمشقي[(١)].

شاعرٌ عصريٌّ، كريم الطباع، له همةٌ عليةٌ، وسيادةٌ طويلة الباع، وأدبٌ غضٌ يطرد اطراد الغدير، وحديثٌ كأنه جنى النحل شفاءً للسمير، ومن شعره قوله من قصيدةٍ عارض بها قصيدَة أبي الحسن الحصري التي مطلعها:

يــا ليــلُ الــصبُّ متــى غــدُه أقيــامُ الــساعةِ موعــدُه

ومطلع قصيدته:

صــبٌّ بــالهجر تهــدَّدهُ قــد ذاب جَــوًى مَــنْ يُنجــده
والــسُقْمُ بــراه وأَنْحَلَــه فلــذا مَلَّتْــهُ عُــوَّدُهُ
ســهران الطــرفِ لــه رُقــبٌ فــي الليــل نجــومٌ تــسهده
وغــدا يــشدو مــن فــرطِ جَـوًى يــا ليــلُ الــصبُّ متــى غــدُه

(١) «سلك الدرر» للمرادي (٤/ ٧٤)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٤٤٣) (٤٢).

حَتَّـــامَ يـــــزور توعـــــده أقيـــامُ الـــساعة موعـــدُه

يهـــواه الـــصبُّ فيـــشغله أســـفٌ للبـــين يـــردده

قمـــرٌ فـــي القلـــب منازلُـــه فعجيـــب منـــه تباعـــدُه

ريحـــان العـــارض فيـــه جـوى خطـــا يـــاقوت مجـــوده

والحـــسنُ فريـــدٌ بـــل ملـــكٌ فتعـــالى الخـــالقُ مُوجِـــدُهُ

طفـــل لحـــديثِ الـــسحر غـــدا عـــن بابـــل طـــرفِ يـــسندُه

رشـــا الليـــث بمقلتـــه يـــسطو للغـــاب يقيـــدُه

يرنـــو للحـــظ فيحـــسبه للقتـــل دعـــاه مهنـــدُه

بـــالله أُعيـــذك يـــا أملـــي مـــن قتـــلِ شـــجٍ تتعمـــدُه

وارفـــقْ بالقلـــب فـــإنَّ بـــه جمـــراً قـــد زاد توقـــدُه

واســـمحْ بـــالغمض لعـــل بـــأن فـــي النـــوم خيالـــك يـــسعدُه

فـــي قيـــدك قـــد أمـــسى دنفـــاً هـــل فـــي ذاك تخلـــدُه

وله في أخرى:

يـــا أخـــا البـــدر طلعـــة وجبينـــا ونظيـــرَ الغـــصونِ قَـــدّاً ولِينـــا

مَن لنـــا إن تمـــنّ بالوصـــل يـــا مـــن قد جعلتَ الصدودَ في الحب دينا

قـــد ضـــللنا بليـــلِ فرعِـــك حتـــى ضـــاء صـــبحُ الجبـــين منـــه هـــدينا

نحن مؤمنيـــك فـــي الحـــب صـــرنا فاغمـــد الـــسيف عـــن قتالـــك فينـــا

ليس تخشى حد الظُّبـا مـن أسـودٍ بـل وتخـشى مـن الظبـاء العيونـا

وكفانـــا يـــا منيـــة القلـــب أَنَّـــا مـــن سَـــقامٍ ومـــن نُحـــول خَفينـــا

لـو لقينـا الحمـامَ مـا كـان يـدعى	بعظـيم ممـا بـه قـد لقينـا
فالأمـانَ الأمـانَ مـن طـولِ إعـرا	ضِـك عمن في الحبِّ أمسى رهينا
والمحـال المحـال أنـي أسـلو	ك وأذنـي تُـصغي إلـى العاذلينـا
كيف أسلو والوجـدُ عنـدي عظيـ	ـم والهوى في الضلوع أمسى دفينا

[١٢٤] محمد شفيع بن محمد علي بن أحمد بن كمال الدين حسين ابن محمد، الاسترابإذي أصلاً ومحتداً، الأصفهاني منشأً ومولداً.

كان من كبار علماء عصره في العجم، مفرداً في العلوم الحكمية، مفنناً في علوم العربية، فصيح اللسان باللسان العربي، عالماً بالتاريخ والشعر والأدب، حسن الحفظ، كامل الأدوات في علوم الآلات.

متواضعاً صبوراً على البحث، دقيق النظر حسن الخلق، منصفاً في البحث، يعرف الفضل لأهله، **مولده** ـ كما أخبرني من لفظه ـ في شهر رمضان، سنة خمس وأربعين وألف.

وقرأ على شيوخ كثر، منهم: أجلهم والده، وآغا حسين الخونساري، وألف كتباً مفيدة، منها: «كتاب الأربعين في فضائل علي بن أبي طالب» ـ كرم الله وجهه ـ، و«شرح على عقائد التهذيب على قواعد الشيعة»، و«حاشية على شرح الإشارات للطوسي»، و«حاشية على شرح مختصر الحاجب للعضد»، و«رسالة في إثبات إعادة المعدوم»، و«رسالة في صفات الله تعالى»، و«رسالة في تحقيق الدلالات»، و«حاشية على كتاب الشافي للسيد المرتضى» لم تكمل، و«رسالة في العقائد الدينية» فارسية، و«إثبات الواجب» كتب لي بخطه منه نسخة، وأهداها إلي.

وقدم مكة حاجاً، سنة أربع ومائة وألف، وجاور سنةً بمكة، واجتمعت به، وصحبته، وقرأت عليه طرفاً من «شرح هداية الحكمة للمبيدي»، وحضرت درسه في «شرح الإشارات» للطوسي، وكان يملي عليه كلام الحكماء، وكلام القطب الرازي في «محاكماته»، ويجيب عن الإشكالات، من غير مشقة وتلعثم، ورجع إلى بلاده، فمرض في الطريق، وتوفي بالبحرين، في شهر ربيع الثاني، سنة ست ومائة وألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٢٥] محمد بن أبي بكر مطير[1].

أحد أجلاء علماء اليمن، الذين لازموا تقوى الله في السر والعلن، وجمعوا بين العلم والعمل، وتحروا في تحقيق مسائل العلم عن الزلل، واشتهر ذكرهم شهرة القمرين، وجمعوا بين الشرفين، أخذ عن والده، وعمه عبدالله ابن إبراهيم، وغيرهما من أهل ذلك الإقليم، حتى برع واشتهر، عنه في البدو والحضر، وصنف وسبق وما تخلف.

وتوفي ثالث عشر شوال، سنة ست وثلاثين بعد الألف، بمدينة الزيدية، وله من الأشعار الصالحة ما هو مشهور، ومن خير الأمور، منها: قوله يمدح العارف بالله دهل بن إبراهيم حشيبر، صاحب الزيدية:

مالي أراكَ كثيرَ الهمِّ والحَزَنِ ... ولهانَ من شدة الأهوالِ والحزنِ

وذاهلاً هائماً والقلبُ منك غدا ... خالٍ عن العقلِ والتدبير في الزمنِ

أمن فراق أناسٍ كنت تصحَبُهم ... في الدين كانوا كمثل الطود في السكنِ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٣٦).

وعلمُهم طـافحٌ بـل كـان شـغلُهم حبَّ الاله مع التمكين في المـؤنِ

كانت مضاجعُهم بالليل عن جنبٍ لا يسأمون خطابَ الله في الـدَّجَنِ

وسرت تقفو بعيدَ الدار عن وهـنٍ والقـومُ قـد أدلجـوا والله بالرسـنِ

هم سادةُ الناسِ في الأحوالِ أجمعِها وهو غياثُ الدنا بالفـضل فاسـتبنِ

لكن إذا رُمْتَ حجاً أو بلـوغَ منـى فانهضْ إلى معدِنِ الأسرارِ والمِنَن

هذا الولي الكبير القطبُ مَنْ شهدت له الأكابر بالتـصريف فـي الـزمن

وصـار بالـدهل المـشهور بلدتُـه بها الرضـا والهنـا للـصابر الفطـنِ

بحـرُ المعـارفِ مـشهورٌ فمعـدِنُها عينُ الرجال فحل القوم في السننِ

من ساء في سـوحه جـاءت منيتُـه إليـه فجـأة فـي الـسر والعلـنِ

مـن حـل روضـتَه قـد نـالَ بغيتَـه بكلِّ خيرٍ بحـسن الظـن ذاك غنـي

فـاعكفْ بتربتـه والـزمْ بعُروتـه واستبقِ ذا دائماً ما دمت في المكـنِ

يوليك كلَّ العطا من جـود مِنْحتِـه وأنت في مأمنٍ من كـل ذي إِحَـنِ

بـالله يـا زائـراً قبـراً لـه شـرفٌ[1] اخلصْ قُليبَكَ لا تأتي على دَخَـنِ

فالفـضلُ شـيمتُه والنـصرُ خادمُـه والغوثُ سـيرتُه والله فـي المحـنِ

مطالعُ السعدِ لا تخفـى شـواهدُها فالـسعدُ سـاعدُه كـالريحِ للـسفنِ

وكم ظهرت لـه فـي كـل معـضلةٍ آياتُ حـقٍّ علـى الأعـداء بـالعلنِ

أبـادَ جمعَهُـمُ فـي سـاعةٍ عَلَنـاً بالطعن والضربِ لا يرجعن عن حسنِ

إنَّ العنايـةَ فـي علـم لـه سـبقتْ من الإلـه علـى التقـدير بالحـسنِ

---

(١) في الأصل: شرفاً، والصواب ما أثبت.

آلُ الحـشيبرِ مـن عـدنانَ إنَّهُـمُ نجومُ أهلِ التبركِ[1] بالعارف الفطن

بـالله يـا نـسلَه كونـوا علـى نَهـجٍ من الشريعةِ والتقوى مدى الـزمنِ

يا سيدي الشيخ يا غوثي ومعتَمـدي عُبيدُكُمْ قاصدٌ للفضل غير غنـي[2]

فقم بنـا مـسرعاً وانهـضْ بحجتنـا فالعلمُ قد ضاع في شامٍ وفي يمنِ

طريقـةُ الحـق لا تمـشي لعزتهـا وصاحبُ الجهل قد أضحى على فنن

إنـا قـصدْناك فـي أمـرٍ أضـرَّ بنـا في الدين والمال والأرواح راغبني

فـانعشْ لغربتنـا وافـتحْ بـصائرنا واكبتْ لحاسدِنا في كل ذي وطنِ

واطمسْ عيوناً له تبقى علـى عَمَـهٍ هذا جَزا من بغى بـالخير لـم يـبنِ

إنـا لجيـرانكم والجـار حرمتُـه قديمةٌ ذُكرت فـي الـذكرِ والـسُّنَنِ

ارْعَـوْا لنـا ذممـاً كانـت لنـا قُـدُماً من أجلِ سالفِنا في سـالفِ الـزمنِ

لا تُهملونـا جميعـاً مـن إعـانتِكُمْ عطف[3] علينا عُبيداً بالمُطيرِ كُنـي

آلُ المطير لهـم فـي حقكـم نجـمٌ أُهَيلُ علمٍ سعوا فـي رافـع القُـنَنِ

بالعلم والدين والتحقيق ما برحوا في خدمة الشرع والأديان والسنن

وعـنكمُ سـيدي عقـدٌ لـسالفنا علـى الأمانـة أدوه لكـل نبـي[4]

---

(١) كذا في الأصل: ووضع فوقها خط.

(٢) لا يجوز أن يُدعى ولا يُرجى غير الله تعالى، وانظر: «قاعدةٌ جليلةٌ في التوسل والوسيلة» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

(٣) كذا في الأصل، ولعل الصواب: عطفاً.

(٤) يلاحظ الاختلاف في القافية.

ونحـن أبنـاؤكم والكـل يطلـبكم ... ما عندكم من عظيم الفضل والمـنن
من كان في سوحكم من كل ذي نفس ... فحقُّه واجب فـاحمُوه مـن عَطَـنِ
وسامحوه على ما كـان مـن خطـأ ... فبحرُكم واسعٌ والكلُّ لـيس غنـي
عن منتهى جودِكم في كلِّ حادثـةٍ ... فالله أولاكُـمُ مـن كـل ذي حـسن
علـيكمُ مـن إلـهِ العـرشِ رحمتـهُ ... تغشى ضـريَحكم كالوابـل الهَـتِنِ
ثمَّ الصلاةُ على المختارِ من مُـضَرٍ ... محمدِ المصطفى المبعوثِ من عدنِ
والآلِ والـصحبِ والأزواجِ كلِّهـم ... والتابعين لهم مـاشٍ علـى الـسننِ

[١٢٦] محمد بن أبي النصر السيوطي الشافعي.

كان أحد العدول بالباب بمصر، شاعراً مفلقاً، **توفي** ثمان عشر شوال سنة عشر بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ[(١)].

[١٢٧] محمد بن أبي بكر الشلي الحسيني محمد بن أبي بكر بن أحمد الشـلي بن أبي بكر بن عبدالله بن أبي بكر بن علوي بن عبدالله بن علي ابن الشيخ الإمام عبدالله بن علوي بن الأسـتاذ الأعظم الفقيه محمد المقدم باعلوي الحسيني[(٢)].

شيخنا الإمام العالم النحرير، العامل بالاحتياط والتحرير، شيخ الإسلام، وقدوة الأنام، قطب الشريعة وأساسها، وقطب الحقيقة الذي إذا صلح صلح رأسـها، المعول عليه عند كل صادر ووارد، الضارب مع الأقدمين بسهم،

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا ثلاثة أسطر بياض».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٣٦)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٥٩).

وغيره يضرب في حديد بارد.

السيد الكبير، العلم الشهير، عديم المثيل والنظير، القائم بالأسحار، كثير التلاوة والأذكار، العابد الناسك، الورع السالك، المجتهد في العبادة، الحريص على طلب الاستفادة، والمناقب المشهورة، والكرامات المأثورة، سلالة السلف الصالح، وخلاصة الخلق الراجح، منبع السنة النبوية، ومقتفي الآثار المحمدية.

قد ترجم نفسه ﷺ في كتابه «المشرع الروي في مناقب بني علوي»، فقال: رأيت جماعة من العلماء العارفين، والأئمة المعتبرين، ذكروا تراجمهم لأنفسهم، لا لتزكية أنفسهم، بل لمقاصد عظيمة؛ كالتحدث بنعم الله الجسيمة، وكالتعريف بأحوالهم؛ ليقتدى بهم في أفعالهم، ويستفيد بها من لا يعرفها، ويعتمد عليها من أراد ذكرها، في تاريخ أو طبقات، أو في بعض الكتب المؤلفات.

منهم: الحافظ أبو شامة، والحافظ ابن حجر، والحافظ عبد الغافر الفارسي، والحافظ تقي الدين الفارسي، والعماد الكاتب الأصبهاني، ولسان الدين بن الخطيب، والإمام أبو حيان، والحافظ السيوطي، والحافظ السخاوي، والحافظ الربيع، وشرف الدين بن المقري، والشيخ ابن حجر الهيتمي، والسيد عبد القادر ابن الشيخ العيدروس، فاقتديت بهم في ذلك، وسلكت تلك المسالك، وإن لم أدرك غبار أولئك.

كان مولدي في منتصف شعبان، سنة ثلاثين وألف، وضبطها بعض الأدباء بحروف «جد برضاك»، وسماني والدي محمداً، ولقبني جماعة من

مشـايخي: جمـال الدين، وكناني بعض العارفيـن بأبي علـوي، وهـو أول أولادي.

وحفظت القرآن العظيم، على المعلم الأديب الأريب، عبدالله بن عمر باغريب، وختمته وأنا ابن عشر سنين، وحفظت «الجزرية»، و«العقيدة الغزالية»، و«الأربعين النووية»، و«الآجرومية»[1]، و«القطر»، و«الملحة»، و«الإرشاد»، وعرضت محفوظاتي، على مشايخي.

ثم منّ الله علي بالاشتغال بالعلوم، المنطوق فيها والمفهوم، ووفقني لسماع الحديث من المسندين، وقراءة ما تيسر من كتبه المعتبرة على الأئمة المعتبرين، مع الملازمة في تحصيل العلوم الشرعية، والفنون الإلهية، والقوانين العربية، لا سيما علم الفقه وأصله، تفريعاً وتأصيلاً، وعلم التصوف، بحلول نظر جماعـة عليّ من العارفين، أولي التصرف والشهود والتمكين، فأخذت هذه العلوم عن العلماء العاملين، والأئمة المسندين، ممن يضيق المقام عن حصرهم، ويحسن الاقتصار على أشهرهم.

منهم: سـيدي الوالد ـ رحمـه الله تعالى ـ، أخـذت عنـه الحديث، والتصوف، والنحو.

ومنهم: شـيخنا فخـر الدين أبو بكر بن شـهاب الدين، أخـذت عنه التفسير، والحديث، والأصول، والعربية، بقراءتي عليه، وسماع قراءة غيري.

ومنهم: شـيخنا عبـد الرحمن بن علـوي بافقيـه، أخـذت عنه الفقه، والتصوف.

---

(١) في الأصل: والجرومية، والصواب ما أثبت.

ومنهم: شيخنا القاضي عبدالله بن أبي بكر الخطيب، أخذت عنه، الفقه، والأصول، والعربية، وجل انتفاعي به.

ومنهم: شيخنا محمد بن محمد بارضوان، الشهير بفقلان، أخذت عنه، الفرائض، والميقات، والحساب.

ومنهم: شيخنا القاضي السيد أحمد بن حسين بلفقيه، أخذت عنه الفقه، والتصوف.

ومنهم: شيخنا القاضي السيد أحمد بن عمر عيديد، أخذت عنه الفقه، والنحو.

ومنهم: شيخنا الشيخ محمد بن أحمد باجبير، أخذت عنه علم الفرائض، والفقه، والحساب.

ومنهم: شيخنا السيد عقيل بن عمران باعمر، أخذت عنه الحديث، والتصوف، بمدينة ظفار.

ومنهم: شيخنا عمر بن عبد الرحيم بارجا، المشهور بالخطيب، بظفار أيضاً.

فهؤلاء أشهر مشايخي، في تلك الديار، الذين كرعت من حياضهم والأنهار.

ثم ارتحلت إلى الديار الهندية، وأخذت عن جماعة علم العربية، وصحبت غير واحد من الصوفية، ثم ارتحلت منها إلى الحرمين الشريفين، وقضيت النسكين العظيمين، وتشرفت بزيارة سيد المرسلين، عليه وعليهم أفضل صلوات المصلين، وألفيت بهما من المحدثين، من إذا رتل المتن أنسى

الناس من درج، ومن العلماء من هو بحر في العلوم، فحدث عنه ولا حرج، فشمرت ذيل الجد في الطلب، وجثوت بين أيديهم على الركب.

منهم: الأستاذ الإمام الكبير، الذي لا تكاد الأعصار تسمح له بنظير، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن علاء الدين البابلي، فأسمعني الحديث المسلسل بالأولية، والمسلسل بسورة الصف، وسمعت عليه البخاري مرتين، والحديث المسلسل بيوم العيد، والمسلسل بقوله: «وأنا أحبك»، وحديث المصافحة.

وأخذت عنه بقراءتي وقراءة غيري، في الحديث رواية ودراية، والفقه أصولاً وفروعاً، وكذلك التفسير، والمعاني، والبيان، والبديع، والعربية نحواً وصرفاً ولغة، والمنطق، وأصول الدين، ولازمته في دروسه كلها، وكان يدرس وقت الضحى، وبعد العصر، وبعد المغرب، وبعد العشاء، وأجازني بجميع مروياته، ولقنني الذكر.

ومنهم: الشيخ، خاتمة الحفاظ، وفارس المعاني والألفاظ، أبو مهدي عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري، لازمته مدة إقامته بمكة، فأخذت عنه جميع العلوم المذكورة، إلا الفقه، فأرويه عنه بالإجازة، وسمعت منه الحديث المسلسل بالأولية، وسورة الصف، وسند الصحبة، وألبسني الخرقة الشريفة، ولقنني الذكر، وأجازني في جميع مروياته.

ومنهم: العالم العامل، المربي المكمل الكامل، صفي الدين أحمد ابن محمد المدني الشهير بالقشاشي، قرأت عليه بعض «الجامع الصغير»، وناولنيه بيده، وأجازني بمؤلفاته ومروياته، ولقنني الذكر، وألبسني الخرقة الشريفة، وصافحني.

ومنهم: شيخ الإسلام، وعمدة الأعلام، الشيخ عبد العزيز الزمزمي، أخذت عنه الفقه، وصافحني، وأجازني بجميع مروياته.

ومنهم: العالم العلامة، البحر الفهامة، الشيخ عبدالله بن سعيد باقشير، والشيخ الإمام، الحبر الهمام، الشيخ علي بن الجمال.

ومنهم: الإمام، عالي الرتبة والمقام، الشيخ زين العابدين بن عبد القادر الطبري، قرأت عليه عدة كتب في علوم، وأجازوني في جميع مروياتهم ومؤلفاتهم، وقرأت علم الفرائض، والحساب، على الأولين من الثلاثة.

وقرأت علم الميقات، والحساب، وسند الخرقة، والصحبة، على شيخنا خاتمة المحققين، منقطع المثيل والقرين، محمد بن محمد بن سليمان المغربي، وأجازني، وأطعمني الأسودين، بسنده إلى سيد المرسلين.

ومنهم: السيدان المشهوران في الحرمين، إماما المشرقين والمغربين: الشيخ محمد بن علوي، والسيد زين بن عبدالله باحسن، أخذت عنهما علم التصوف، وصحبتهما، وألبساني الخرقة، وحكماني، وصافحاني، ولقناني الذكر.

وقد جمعت مروياتي عن مشايخي الأربعة الأولين، في معجم صغير، وأجازني غير واحد من مشايخي بالإفتاء والتدريس.

ولما توفي شيخنا علي بن الجمال، أمرني جماعة من مشايخي وغيرهم بالجلوس في محله من المسجد الحرام، فاعتذرت بأمور منها: اشتغالي بالطلب على المشايخ المعتبرين، اغتناماً لملازمتهم، قبل حلول وفاتهم، وذلك عندي أهم من التدريس، فلم يقبلوا، وألحوا علي في ذلك، فجلست

لذلك في المسجد الحرام، عدة أعوام، ثم انقطعت عنه لمرض شديد، وطلب مني جماعة القراءة في الدار، وكنت أستشفي بذلك، واستمريت على ذلك، ثم طلبوا مني العود إلى المسجد الحرام، فلم ينشرح صدري إليه.

وطلب مني جماعة أن أؤلف في علم الميقات، فألفت «رسالة في المجيب»، وانتفع بها الطلبة، ثم شرحتها شرحاً مفيداً، وانتفع به، وكتبه كثيرون، من أهل مصر واليمن والهند، وألفت «رسالتين مطولتين في علم الميقات بلا آلة»، و«رسالة في معرفة ظل الزوال كل يوم، لعرض مكة المشرفة»، و«رسالة في معرفة اتفاق المطالع واختلافها»، و«رسالة في المقنطر»، و«رسالة في الإسطرلاب».

وألفت «شرحاً على مختصر الإيضاح» للشيخ ابن حجر، فجمعت فيه ما في الكتب المتداولة، فجاء في مجلدين كبيرين، ولما قرأنا «التسهيل» على شيخنا عيسى بن محمد المغربي، جمعت من شروحه مسودات، ثم عنّ لي أن أجعلها شرحاً على «جمع الجوامع» للسنوسي، فشرحته، ولكنه لم يتم الآن، و«شرحت رسالة الإمام السيوطي في المنطق»، وشرحت مختصر الرحبية المسمى «بالتحفة القدسية» نظم الإمام ابن الهائم، سميته بـ: «المنح المكية»، وجمعت «ذيلاً على النور السافر في أخبار القرن العاشر» للشيخ عبد القادر ابن الشيخ العيدروس، فجاء في مجلد كبير، وجمعت «تاريخاً في أخبار القرن الحادي عشر» كتبت منه مجلداً.

وأخذ عني خلق كثير في عدة علوم، وطلبوا مني جماعة الإجازة فأجزتهم، ولبس مني الخرقة الشريفة جماعة كثيرون، ومدحني من مشايخي وغيرهم

بقصائد ظريفة، ما استحسنت ذكرها، واخترت الاستيطان في حرم الله، وبلده الأمين، لإسماع المقيمين والواردين، وأسأل الله العظيم، أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، ولقد أحسن القائل حيث يقول:

ادأَبْ على جمع الفضائل جاهـداً ... وأدم لها تعـبَ القريحـةِ والجـسدْ
واقصدْ بها وجـهَ الإلـه ونفـعَ مَـنْ ... بلغتـه ممـن جـد فيهـا واجتهـدْ

قلت: وقد تم كلامه، جزاه الله أفضل جزائه، ولو لم يكن إلا اعتناؤه بحفظ أنساب أهل البيت النبوي من آل أبي علوي، وإخراج الدخيل فيهم، وضبط هذه الشجرة الزكية، الهاشمية الحسينية، لكفاه منقبة ومزية إذ هي فضيلة جزيل ثوابها.

وقد صحبته ـ بحمد الله ـ مدة مديدة، وسنين عديدة، ولازمته كثيراً، وسمعت عليه الحديث المسلسل بالأولية، وهو أول حديث سمعته منه، وقرأت عليه جميع ثلاثيات البخاري، وطرفاً كثيراً من كتابه «المشرع الروي في مناقب بني علوي»، وجميع شرحه على التحفة القدسية، وكتب لي بخطه في آخر نسختي منه إجازة به، وبجميع مؤلفاته ومروياته.

ولم يزل ملازماً لطاعة الله، حتى دعاه الله إلى لقائه فلباه، فكانت **وفاته** بمكة، ليلة الثلاثاء، تاسع عشري ذي الحجة، ختام سنة ثلاث وتسعين وألف، وصلى عليه ضحى يومها، بالمسجد الحرام، إماماً بالناس، شيخُنا علامة العصر، أحمد البشبيشي، ودفن بالمعلاة، بحوطة آل شيخان ـ رحمه الله، وأسكنه أعلى فراديس الجنان، وحشرني في زمرته، ونفعني والمسلمين ببركته ـ، وعظم أسف الناس عليه، وكان له مشهد حافل، من مشاهد أهل الخير، ورثاه

الناس بقصائد طنانة، منهم: قول تلميذه، صاحبنا الفاضل الأديب، عبدالله بارجا الحضرمي:

أَحيــاةٌ تزهــو أعــيشٌ يَطيــبُ ... أزمــانٌ يــصفو أيــسلو كئيــبُ
أبفقــدِ الحبيــب يــشفى محــبٌّ ... ألــداءِ المنــون يُغنــي طبيــبُ
إن يكـنْ ذاك هـا أنـت يـا مدعيـه ... وأرحْنـي فقـد عرانـي النحيـبُ
أو لــم تــدرِ فــاطَّرِحْني ودعْنــي ... إنَّ شــأني وشــأنَ خطبـي عجيـبُ
وحـشتي وحـشةُ المخلـف فـرداً ... فـي فـلاةٍ وحـرِّ شـمسٍ يُـذيبُ
ليس يـدري وجـهَ النهـار مـن الــ ... ـليل استوى مَطلـعٌ لـه ومَغيـبُ
إن ترانــي ذهلــتُ أو زاغَ عقلــي ... أو تـرى الفَـوْدَ قـد عـلاه مـشيبُ
لا تلمْنــي فــإن رُزئــي كبيــرٌ ... ومصابي هـو المـصابُ المـصيبُ
غاب بدري عن أفقـه وسـطَ ليـلٍ ... أكــذا اعتيــدَتِ البــدورُ تغيــبُ
آهِ يــا دهرَنــا أســأتَ علينــا ... لــيس هــذا تبرمــاً فيعيــبُ
لــم تــزلْ مولعــاً بكــل كــريم ... دأبــك الغــبنُ دأبــك التتبيــبُ
هكــذا هكــذا قطعــتَ اتــصالي ... عــن مُغيــثٍ إذا دعــوتُ يجيــبُ
ســيدٌ مــشفق لطيــف رحــيم ... نِعْمَ ذاك الجنابُ نعم ذاك الحبيبُ
عــالم عامــل رؤوف عطــوف ... ناســك عابــد أديــب أريــبُ
إن تبــدَّى حكــى الــصباحَ فــي ... أمنـه وقـال مـا حكـاه خطيـبُ
مــا أتتــه الأجــلافُ إلا وعــادت ... وحلاهــا الكمــالُ والتهــذيبُ
أَجمـعَ الجمـعُ إذ حـوى الجمـع ... والفرق عليه مرؤوسُهم والنجيـبُ

أنــه الــشامة المحــسنة الدهــــ ـــــر لــدينا وأنــه التهــذيبُ

معــشر العــالمين كــل مُعَــزَّى صــار منــه إلــى الجميــع نــصيبُ

ذا بجــودٍ وذا بعلــم شــفاه وبهــذين بعــضهم قــد أُثيبــوا

فهــو كالــشمسِ لا يُــضام بعيــدٌ فــي سـناها ولا يُـضام قريـبُ

إن لـيلاً قـضى بـه النحـبَ ويـلٌ ونهــاراً فيــه الفــراقُ عــصيبُ

لكــن الله بالقــضاء قــرن الــ ـــلطف امتنانــاً فأسـلموا وأنيبـوا

ســنةُ الله قــد خلــت فــي عبــادٍ لا نكيـــرٌ لـــذا ولا تتريـــبُ

واســألوا الله لطفــه حــين يغــشى كــل خــد مــن الثــرى تتريــبُ

وابــسطوا بالــدعاء مــنكم أكفّــاً لفقيــدٍ دَمْعــي عليــه صَــبيبُ

رحــمَ الله ذاتَــه وثــراه مــا اســتدام الأذانُ والتثويــب

وجنانــاً مــن بعــده علويــاً لــيس إلا بــه تطيــبُ القلــوبُ

يـا بنـي الـسادةِ الكـرامِ تـدوموا طالعــاً إثــر طــالع لــن تغيبــوا

وكــذا كــل ذي علــومٍ وتقــوى تتقــوى ويحــصل التغليــبُ

أتــرى إذ يــسود فينــا جهــولٌ أحيــاةٌ تزهــو أعــيشٌ يطيــبُ

[١٢٨] محمد بن أبي اليمن بن محمد أبي السعادات بن المحب محمد ابن الرضي محمد بن المحب محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم ابن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، الحسيني الطبري المكي.

إمام المقام الشريف الإبراهيمي، أخو إبراهيم الآتي ذكره، كان صالحاً عابداً تقياً، ملازماً للطواف، وتلاوة القرآن عن ظهر قلب، مواظباً للإمامة في

نوبته، ونوبة أقاربه، حسن التأدية للقرآن، عفيفاً قانعاً من الدنيا باليسير، قَلَّما ينقطع عن المسجد الحرام.

اشتغل بالعلم، نحواً وفقهاً، ولازم صهره شيخ الإسلام الشهاب أحمد ابن حجر الهيتمي في دروسه، ولازم بعده تلميذه الشيخ عبد الرؤوف الواعظ، وبرع وتفقه، وحفظ «الشاطبية» وحلها، وجود القرآن، وجمع للسبعة، فكان يشار إليه في علم القراءات.

ولما جاور بمكة سنة تسعين وتسعمائة، شيخ العلماء والقراء، الشمس محمد النحراوي الحنفي لازمه، وكان يثني على المترجم كثيراً، وتزوج صفية بنت شيخه الشهاب أحمد بن حجر بخطبة أبيها إياه.

وتوفي يوم الأحد، رابع عشري صفر، سنة عشر بعد الألف، وصلي عليه بساباط المقام، بعد أن نادى له الريس بظلة زمزم، ودفن بتربة جماعته الطبريين ـ رحمهم الله تعالى ـ وهو أصغر من أخيه إبراهيم، ذكره الإمام عبد القادر الطبري، في تاريخ الطبريين الذي أسماه: «إنباء البرية بالأنباء الطبرية».

[١٢٩] محمد بن أبي السرور بن محمد سلطان البهوتي الحنبلي المصري[١].

شيخنا الإمام العالم، العلامة الفاضل، كان من أجلاء علماء الحنابلة بالديار المصرية، وله في الفقه والعلوم المتداولة بمصر اليدُ الطولى، قرأ على

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٣٨).

عبد الرحمن، ومنصور البهوتيين الفقهَ وغيره، وأخذ الحديث عن شيخنا البابلي، ومعاصريه.

وله روايات في الحديث عالية، قرأت عليه طرفاً من «ألفية ابن مالك»، وكان يختمها في كل سنة، وكان بيني وبينه محبةٌ قوية، وكان مثرياً من الدنيا، ملازماً ليلـه ونهـاره الجامـع الأزهـر؛ لإقـراء العلوم، حسن السيرة، تاركاً ما لا يعنيه.

لم يـزل على خير وفي خير، حتى توفي يوم الخميـس، خامس عشر رجب، سنة مائة وألف، ودفن بتربة المجاورين.

ومن فوائده المجربة للحمى: أن تقرأ على مائة حبةٍ من البر، كل حبة سـورة الفاتحة، المجموع مائـة مـرة، ثم تربط على كم المحموم برباط من صوف، ويكون الرباط مما يلي الجسد، حال تلبس المحموم، فإن زالت، وإلا، فتنقل وتربط على الكم الأيسر. انتهى.

[١٣٠] محمد بن إبراهيم بن مفلح الحنبلي القاضي أكمل الدين[١].

ذكره الغزي في «الذيل»، فقال: كان شاهداً بمحكمة دمشق، ثم ولي قضاء بعلبك، ثم ناب في ناحية الزبداني، وكان أديباً عالماً، ذا دعابة، كثير الجمعية بالإخوان، متحملاً للأذى منهم، وألف تاريخاً، ترجم فيه جماعة من الشعراء وغيرهم، وذكر الشيخ حسن البوريني في تاريخه: أن القاضي أكمل الدين لم ينظم من الشعر إلا بيتاً واحداً، وهو قوله:

---

(١) «لطف السـمر وقطف الثمـر» للغـزي (١/ ٧٣) (٢١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣١٤)، «الأعلام» للزركلي (٥/ ٣٠٣).

أليس عجيباً أنَّ حظي ناقصٌ   وغيري له حظٌّ وإني لأكملُ

مات خامس عشر ذي الحجة، سنة إحدى عشرة بعد الألف.

[١٣١] محمد بن إبراهيم الفاسي، المدعو ببديع الزمان[١].

كان فاضلاً لَسِناً، فصيحاً وشاعراً صريحاً، له نظم رائق، ونثر فائق، مشتمل على المعاني الحسنة، والنكات المستحسنة، وكان حسن الإيراد، مقبول الإنشاد، مع ما فيه من رقة الحضارة، ودقة البدارة[٢]، قد جمع بين حسن البادرة، ولطف النكتة والنادرة.

رحل من المغرب إلى المشرق، وهو في الأدب بدر مُشرق، وجال الآفاق والبلاد، ودخل قسطنطينية الروم، واجتمع بمن بها من العلماء الأمجاد، وذلك سنة إحدى وألف، ودار بينه وبين من بها من الأدباء والغرباء كؤوس محاضرة تقطر الأردان، وتشرب بماء العيون لا الأدنان، وتسمع منه ما يدلك على قوة مهارته، وغزارة أدبه وعلى مكانته.

ثم نزل مصر القاهرة، وأقام بها إلى أن انتقل إلى الدار الآخرة، سنة إحدى عشرة بعد الألف، وقد ذكره الفاضل الطالوي في «السانحات»، والعلامة الشهاب الخفاجي في «الريحانة»، وبينهم مكاتبات منها ما كتبه للطالوي بالقسطنطينية، وهو قوله:

لدمعي بعدَ بعدِهِمُ انهمالُ   فلِمْ عن حفظِ عهدِ الصبِّ مالوا

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣١١)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٥/ ٢١) (٣٧١)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ٣٣٣) (٤٧).

(٢) كذا في الأصل، والصواب: البداوة.

وحلُّــوا القلــب داراً واســتحلوا | دمي عمـداً وعـن ودي اسـتحالوا
وحـان الحَـيْنُ حـينَ البـينُ بانـت | مطايـــاه وأعـــداها الرحـــالُ
وقال القلـبُ مع صـبري وعقلـي | وأفراحـــي لنـــا عنـــك ارتحـــالُ
وأبقـت لنـا النـوى جـسماً كـأني | لفــرطِ الــسقم حــالٌ أو محــالُ
أفـــدِّيهم بـــأموالي ونفـــسي | وهل لي فـي الهـوى نفسٌ ومـالُ
أأسـلوهُم مـدى الـدنيا سـلوهم | ولــو أصــلَوْا فـؤادي ثـم صـالوا
شـعاري حـبُّهم والمـدحُ دينـي | لمولى الفضلِ درويـشِ بـن طـالو
هـو النحريـرُ بحـرُ العلـم مُهْبـى | أهــم الأمــر إن أعيــا الــسؤال
ذكـــيٌّ أَلمعـــيٌّ لـــوذعيٌّ | ســريٌّ مــا لــه حقّــاً مثــالُ
لــه علــمٌ حنيفــيٌّ محــيطٌ | وحِلْــم أحنفــيٌّ واحتمـــالُ
وذكــرٌ عنـد ذي التحقيـق ذكـر | بــشكر الله مُغْــرًى لا يــزالُ
حـوى كـلَّ المعـاني والمعـالي | بعقــلٍ مــا لــه عنــه انعقــالُ
لــه نظـمٌ كـدرٍّ فـي نحـور الـ | ـغواني دونــه الــسحرُ الحــلالُ
فريـدٌ فـي العُلـى مـن غيـر نِـدٍّ | فــدعْ مــا قيـل أو مـا قـد يُقـالُ
فــيمِّمْ داره وانـــزلْ ذُراه | إذا جــارَ الأعــادي واســتطالوا
وقل للمـدِّعي هـل حـزت أصـلاً | لـــه بالطـــالويين اتـــصالُ
لقينـــاه بإســـلامبولَ لَمَّـــا | عـــدمنا فيـــه حُـــراً يُـــستمالُ
فوالانـــا وأولانـــا بـــشاشاً | وبــشراً دونــه العــذبُ الــزلالُ
وأنـــسانا بإينـــاسٍ أناســـاً | لهـم فـي القلـب حِـلٌّ وارتحـالُ

ألا يا بن الألى قد حزتَ فخراً ... لـه في وَجْنَة البدر انتعال
وسدت اليوم أهلَ الأرضِ فاهنأ ... بعزٍّ ما لـه عنك انتقالُ
فخذْها مثلَ خلقٍ منك سهلٍ ... على الأعداء صعب لا ينالُ
كساها مدحُك المحمودُ حسناً ... لها فيه ازدهاءٌ واختيالُ
فتبدي تارةً دَلاًّ لديكُمْ ... ويعروها على الدنيا دلالُ
ترجِّي أن تُنيلوها قبولاً ... عسى يبدو بها منكَ احتفالُ
فإنْ أحسنتُ كان الأمر بدعاً ... وإلاَّ منكُمُ يُرجى الكمالُ

وأتبعه بنثر صورته: رضي الله عنك وأرضاك، وأخصب في مربع المحامد مرعاك، سلام عليكم ورحمة الله، سلاماً يتخذه البدر برق محياه، وقام لإجلاله سنا شمس الضحى وحياه، وافتك حاسرة حسيرة، ونزهة يسيرة، يشرفها ذكرك، ويلزمها شكرك، والعذر واضح، وتفسير الواضح فاضح، فإن لي خاطراً متى تفكر تفطّر، وإن راجع وتدبر القدر تصبر، والحر علّ عاذر، واللئيم خَبٌّ غادر، ومثلك يغضُّ ولا يُغضي، وحلمك لا شك إلى الرضا يُفضي، والسلام.

[١٣٢] السيد محمد بن إبراهيم بن المفضل بن علي ابن الإمام يحيى شرف الدين.

قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: هو بحر العلم الخافق في الخافقَين، وبدر الدين الذي أنار في المشرقَين، إمامُ المعقولات والمنقولات، والمبرهن على حدودها وبراهينها والمقولات، صدر السادة، وبدر القادة.

كان ـ قدس الله سره ـ، نسيجَ وحدِه، وفريدَ وقته، وإنسانَ زمانه الكامل،

القاضي في العلوم على كل فاضل، والحاكم الذي لبه رزين، والواسطة التي بجواهر العقدين تزين، وكان ربانيَّ عصره، معمورَ الباطن والظاهر، مسعوداً ملحوظاً، إليه يعين التكريم أينما توجه، مع كمال في سمته، وجلالة باهرة، حتى قال بعض الفضلاء: أحسب أنه لو اجتمع الخلق في الحشر، وخرج السيد محمد بينهم، علم كلُّ أحدٍ أنه عالم.

وكان مع تلك الخلال، وذلك الجلال، سهلَ الأخلاق، غير مترفع، ولا ينقص ذلك من مقداره شيئاً، وكانت له فكرةٌ سامية، كما قال شيخه الوجيه عبد الرحمن الحيمي في صفته: إنه مستغرق الفكرة بالله ـ سبحانه وتعالى ـ، وهو مع ذلك ظاهراً، هكذا ذكره لي شيخنا مشافهة، أيام قراءته عليه في «الكشاف».

وكانت أحواله أحوال الأمراء، وصيته أعلى من ذلك؛ لما حواه من هذه الكمالات، ولما له من النسب الشريف، الذي لا يسامى، وكان في أهل بيته الكرام، كالبدر بين النجوم.

ولد سنة اثنتين وعشرين وألف، ولم يزل مواظباً على العلم، إلى كبره، يستفيد منه الطالبون، ويراجعه الفضلاء بالكتب من الآفاق، ويستمطرون ديمة آدابه، ويفجرون مَعين علمه، فيأتيهم من قِبله، كل عجيب غريب.

وقرأ في الفنون بمدينة صنعاء، وبلدة كوكبان، وشبام، ورحل إلى الطويلة؛ لقراءة شيء من كتب أصول الفقه، على السيد العلامة عز الدين بن ذريب، وأكثر ما تعلق به في صنعاء، علم الأدوات، والتفسير.

وأما الحديث، فأكثر قراءته على شيوخ وردوا إلى محله المبارك،

منهم: القاضي عبد الباقي بن عبد السلام النزيلي، ومن القاضي عبد الباقي بن عبد الرحيم النزيلي، ومنهم: القاضي عبد الواحد بن عبد المنعم النزيلي، وأجازوه، فقرأ من كل فن وجوه كتبه، وهيمن على غرائبها، وكان واسع الحفظ، نادرةً في ذلك، سيالَ الذهن، ولا يلقي المسائل إلا على جهة الإجابة.

واستوطن في آخر أيامه وادي ظهر، وأنس به الناس هنالك، وازداد الوادي به بهجةً، وعلق به من لا علاقة له به، وكان - رحمه الله تعالى - استشارني لمكان المودة، في إنزال أهله إلى الوادي، فما رجح لي، وظهر له الرجحان، فكان الصواب رأيه، وهو الحري بذلك.

ومما كتبته إلى صديق أتشوَّق إلى هذا السيد من النوع المسى عند الأدباء: دوبيت:

وادي ظهر أنت وادي صدري	جادك وكّافٌ غزير القَطْر
لو كنت تدري كفؤادي بدري	أي حبيب فيك عظيم القدر

وله «نظم الورقات» لإمام الحرمين الجويني، في غاية الحسن، وكان شيخنا الوجيه يتعجب من حسنه، ويسر الله له أيام القراءة شرحها، بشرح مفيد، وغاب بين كتبه. انتهى.

قلت: وممن شرحها: القاضي العلامة، الجامع بين المعقول والمنقول، فخر الإسلام عبد الوهاب بن عبد الكريم بن المحدث الكبير عبد الرحمن بن المصنف الكبير الحسين بن أبي بكر بن داود النزيلي، سماه: «فتح المغلقات شرح نظم الورقات»، وممن شرحها: السيد العلامة، الحسن بن الحسين ابن الإمام القاسم، شرحاً مفيداً كتب منه نسخة لكثرة فوائده.

وله أيضاً: «السلوك الذهبية في السيرة المتوكلية» سيرة جده الإمام شرف الدين، قال: وكانت وفاته نهار الاثنين، غرة شهر رجب، سنة خمس وثمانين وألف، بمنزله بـ «بشام»، وكان لموته موقع عظيم عند العلماء وغيرهم، وما أحقه بقول الزمخشري، في الإمام ابن سمعان:

ماتَ الإمامُ ابنُ سمعانَ فلا نظرتْ ... عينُ البصيرِ إذا ضَنَّتْ بأدمُعِها
وأيُّ حوباء لا ضيمتْ ولا عميتْ ... ولا استفادت بمرآها ومسمَعِها
أين الذي لو شَرَيناهُ لما أخذتْ ... ببعضه هذه الدنيا بأجمعِها
أين الذي الفقهُ والآدابُ إن ذُكرت ... فهو ابنُ إدريسِها وهو ابنُ أصمَعِها
مَنْ للأمانةِ ضاعتْ عند قيمتِها ... من للبلاغة غيث عند تصقعها[1]
من للأحاديث يُمليها ويُسمعها ... بعدَ ابن سمعان مُمليها ومُسْمِعِها
سردُ الأسانيدِ كانت فيه لهجته ... كلف داودَ في تَسريدِ أَدْرُعِها
خلى الأئمةَ حيرى فقدْ أعلمِها ... على اتفاقٍ وأزكاها وأورعِها

وعمّر عليه تربة، ورثاه من يعرفه ومن لا يعرفه، ومن جملة من رثاه: القاضي محمد بن الحسين الحيمي، وجماعته من بلاد كوكبان، أجادوا، والشيخ البليغ إبراهيم الهندي، والقاضي علي بن صالح بن أبي الرجال، ولم يحضرني من هذه المراثي غير ما يسره الله لي، ولست بكامل الصناعة في الشعر، وهي قولي:

الله أكبرُ فُلْكُ الصالحاتِ رسا ... اللهُ أكبرُ راد الأفق عاد مَسا

(١) كذا في الأصل.

والمجدُ هُدَّتْ على رغمٍ قواعدُه ... كَمْ معلمٍ بعد عزِّ الملة اندرسا

ومسمَعُ المجد والعليا به صممٌ ... ونطقُه عن فصيحات اللغا خرسا

هي المصيبةُ عمت كلَّ ناحية ... يا أيها الناس هذا البدرُ قد طُمِسا

فابكوا جميعاً فهذا الهولُ عَمَّكم ... هَدَّ القوى من رجال منكم ونسا

مَنْ ذا لعلمِ رسولِ الله ينشرُه ... يُحييه يُمليه يُبدي منه ما التبسا

مَنْ للأصولَيْنِ مَنْ ذا للفروعِ ومَنْ ... بالمنطق الفصلِ يُمليها لمن درسا

لهفي عليه وما لهفي شِفا كَمَدٍ ... سوى فؤادي وأورى في الحشا قبسا

آهٍ وما هي في خطبي بنافعةٍ ... وإن رثى لي منها الضرُّ والجُلسا

مصيبةٌ قد دهت مَنْ قد مضى ودَنا ... وأعظمُ الناس خطباً معشرُ الرؤسا

قد كان فينا كشمس الرادِ مشرقةً ... ما إن نخاف ظلاماً أو نرى غَلَسا

وكان فينا كثهلانٍ نلوذُ به ... إذا الزمانُ علينا بالخطوب أَسا

وكان فينا فراتاً مُروياً فإذا ... يدنّس الدين أمرٌ طهر الدنسا

ماذا أقول وقولي فيه ذو قصرٍ ... ومنطقي بعدَ إفصاحي قدِ انحبسا

بلى أفوزُ بصبرٍ فاز لائذُه ... كم لاَنَ بالصبرِ ما للنازلات قَسا

ما لي سوى الصبرِ في خطبي ألوذُ به ... عسى يخفف من قلبي الهمومَ عسى

يا من نأى عن فؤادي وهي موطنُه ... وفي سويداهُ حبُّ منه قد غرسا

نأيتَ عنا إلى الجناتِ منتعماً ... مع الأحبة من آلٍ وأهلِ كِسا

ونحن نبكي كما تبكي مولَّعَةٌ ... بنجلِها إذ رأته صار مفترسا

لكننا قد رضينا حكمَ خالقِنا ... وإن تَجَرَّعَ كلٌّ من نواك حسا

وسوف نفزعُ في ذا الخطب نحوَ أسى ... كم بردت من حرارات القلوب أسا

مات النبيُّ وأهلُ الفضل قد غبروا ... انظر هل الموتُ حاشا سيداً نُدسا

أيـن الملـوك حـاطوا الـبلاد معـاً ... وأكثروا الجند والأتبـاع والحرسـا

ما دافعت عـنهم الأبـراج مـوتهم ... ولا رأوا معقلاً يجـدي ولا فرسـا

وأين أهلُ الثرى والمالِ كم بخلتْ ... نفوسُهم ثـم لـم يغنـوا بمـا نفَـسا

وأيـن قـومٌ لغيـر الله قـد خـضعوا ... وذللوا أنفـساً كانـت لهـم شُمُـسا

وحقروا الدارَ والـدنيا ومـا ذكـروا ... لغير ما حاجـة عـشراً ولا خمـسا

أهل المحاريـب خيـر النـاس قـد ... جعلوا الذِّكْرَ المبينَ في ليلهم أنسا

راضون عن ربهم في كـلِّ أمـرِهم ... فيمـا يـدبر فيمـا سـر فيـه وأسـا

هـم الملـوكُ وإن ذَلُّـوا لخـالقِهم ... ألفيـتَهم حـين يبـدو أمـره حُمُـسا

لا يرهبون بنـي الـدنيا وإن كثـروا ... طوبى لمن بيـنَهم والله قـد جلـسا

جليسُهم ليس يشقى طابَ ذكرُهم ... ما زال ذكرُهم كالشمس ما انطمـسا

صـلى علـيهم الهـي كـلَّ آونـةٍ ... ما استنشقتْ أنفُ نجدي به نفَـسا

وإن عِـزَّ الهـدى هـذا رئيـسُهم ... وفخرُهُم إن ذكرنـا فـيهم الرؤسـا

صـلى عليـه إلهـي بعـدَ معـشرِهِ ... مَنْ مجدُهم فوق هامات النجوم رسا

[١٣٣] محمد بن أبي القاسم بن محمد بن أبي القاسم أحمد بن أبي القاسم بن يحيى بن إبراهيم بن محمد بن عمر بن علي بن أبي بكر ابن الشيخ علي الأهدل.

كان سيداً جليلاً، له مشاركةٌ في العلوم، ومعرفةٌ تامةٌ بالأنساب، وكان

يسعى دائماً بالخير بين العرب والولاة، ولهم فيه معتقدٌ عظيم.

توفي بعد أخيه عبدالله، سنة اثنتين وأربعين وألف، وخلفه ولده، السيد الجليل، العلامة المحدث أبو القاسم، وقام بزاويتهم، بعد والده وعمه، ولهم الجاه المكين عند الأمراء والعرب، خصوصاً أولاد الشريف ابن جابر، فإن لهم عليهم اليد المستطيلة، بفضل الله تعالى، وعلى الفخر والمهادلة.

وشُهر بين مهادلة الدنيا: أن كل من قتل قتيلاً، وركب على تربتهم، أو تربة سيدنا أبي بكر بن علي الأصم، عُفي عنه، ولا يؤخذ منه قودٌ ولا دية، ومسكنهم المنيرة، وهم قائمون بالجمعةِ والجماعة.

وامتحنوا أيام فضل الله باشا، بمغالطةٍ نسبت إليهم، وهي على العرب بني صليل، فاستشهد منهم جماعةٌ لسعادة سبقت، وأظن أن زوال دولة الأروام من اليمن بسعيهم؛ لأن السيد عبدالله بن أبي القاسم، لما قتلوا ولده وأسروه، جعل صرخةً إلى النبي ﷺ محفوظةً عندنا، وقال فيها: فبظلمهم وبجورهم أنزل بهم. . . ، وتمام القصيدة معلوم، ولا نطيل بذكره. انتهى. ذكره السيد محمد بن الطاهر بن بحر.

[١٣٤] محمد بن أبي القاسم بن إسحاق جعمان.

كان علامة زمانه، توفي سنة خمس بعد الألف، أو سبع.

[١٣٥] محمد بن أبي القاسم بن إسحاق بن إبراهيم بن أبي القاسم ابن إبراهيم بن أبي القاسم بن عبدالله بن جعمان الصريفي.

كان إماماً فاضلاً، عالماً عاملاً زاهداً، توفي سنة سبع بعد الألف، ببيت الفقيه ابن عجيل، وبها دفن ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٣٦] محمد بن أبي القاسم، صاحب المنيرة.

كان على جانب عظيم من الخير والصلاح والعبادة، توفي في رمضان، سنة ثلاث وأربعين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ[1].

[١٣٧] محمد بن أبي اللطف المقدسي، الشيخ العلامة، رضي الدين.

إمام البيت المقدس وعالمه، له تعليقات مفيدة على «البيضاوي»، و«الكشاف»، و«أبي السعود»، ألفها ببلده، وأرسل بها إلى شيخ الإسلام أسعد أفندي.

[١٣٨] محمد الفشني الشافعي.

أحد العدول بمحكمة الزاهد، كان فاضلاً أديباً، ناظماً ناثراً، توفي يوم الثلاثاء، سابع عشري ذي الحجة، سنة سبع وعشرين بعد الألف، بمصر.

[١٣٩] محمد بن إبراهيم بن يحيى السحولي الصنعاني[2].

خطيب صنعاء، إمامٌ فاضلٌ، وعالمٌ كامل، عريقُ النسب، في صناعة العلم والأدب، يمت إليها بأوفى ذمام، ويضرب فيها بأخوال وأعمام، كان طموحَ النظر إلى الرتب العلية، والمنازل السنية، تريه همته أنه بعناء الرياسة مستقل، فهو لكل ما ناله مستقل.

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا بياض سطران بالأصل».

(٢) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٤٤) (٢٣٦)، «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (٢/ ٣٨٦) (٤٤٨)، وذكر وفاته في ١١٠٩هـ، «البدر الطالع» (٢/ ٩٦)، «نسمة السحر» للصنعاني (٣/ ٧٦) (١٤٦)، «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ٩٠٧) (٥٥٩)، «الأعلام» للزركلي (٥/ ٣٠٤)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٣٩٩).

فسح العمر له بامتداده، وسمح له الدهر بمراده، فبلغ ما ظهر من علمه وأدبـه، إلى غايـة مطلبه، وهو أصل الإفادة، وكوكب السعادة، وغالب من ذكرناه من أهل صنعاء، وما والاها من أهل اليمن العصريين، فهو مغترفٌ من بحره، واختص ببلاغة قُسِّيَّة، ونفس عصاميَّة، وهِباتٍ حاتميَّة، إلا أن الزمان لم يسعفه في دنياه، فترامت به الأحوال.

ثم طلبـه الإمـام المهدي لدين الله، محمـد بن أحمـد بن الحسن إلى حضرته برداع، وأمره بأن يكون خطيب مصلاه، ومرجعاً في الفتاوى والوقائع العلمية، فاستمر على ذلك، وأظهر من خفيات العلوم كل ما بطن، ولأوقات قراءتـه بركةٌ تظهـر، وفوائـد تزهر، وله ورع في العلم يقضي بمتانة الدين، وسلامة الباطن من الرياء، وهو الداء الدفين، وكثيراً ما يعترف اعتراف المنصف، ويقول: واللهُ أعلم بقصدِ المصنِّف.

والحاصل: أنه سبق علماء قطره، في كل فن من الفنون، وافتخرت به الآباء والبنون.

قرأ على والده، وبه تخرج، ولازم العلامة عبد الرحمن الحيمي، قرأ عليه «الكشاف»، و«شرح الكافية» للرضي، وغالب أهل صنعاء أخذوهما[1] عنه؛ لإتقانه لهما، ومهارته في فهمهما.

ومولده بصنعاء، سنة ثمان وعشرين بعد الألف، **ووفاته** في شهر محرم، سـنة ألـف ومائة وعشـرة، بمدينة رداع، ورأيتـه بها مرات، ولـم يتيسـر لي الاجتماع به، والأخذ عنه، رحمه الله تعالى.

---

(١) في الأصل: أخذاه، والصواب ما أثبت.

ومن **شعره**: ما كتبه إلى الإمام المتوكل إسماعيل:

مولاي إسماعيل لي طفل بكم ... متبارك أدعوه إسماعيلا

قد عِيلَ صبري من مفارقتي له ... لا بالربابِ ولا بأسما عيلا

منّوا بإسماعي نعم حاشاكم ... إن تقطعوا صلتي بإسماعي لا

وقوله:

سأجهد في نيل المعالي طاقتي ... فإن نلتها فالحمد لله وحدَهُ

وإن لم أنلْها كان عذري واضحاً ... على المرء أن يسعى إلى الخير جهدَهُ

وكتبَ إلى السيد الفاضل، جعفرِ بن المطهر الجرموزي، وهو متولٍّ على العُدَين، قصيدةً مطلعها:

نسيمُ بَلِّغْ لي إلى العُدَين ... سلامَ نقدٍ حاضرٍ بدَيْنِ

وقلْ لمن ظل ما أطال بيني ... اللهُ فيما بينَه وبيني

وقوله يمدح «شرح الكافية» للرضي:

عليكَ بالنجمِ إذا ما دَجَتْ ... ظلمةُ نحوٍ إن أردتَ المُضيَّ

مَنْ شاء يدعى السيدَ المرتَضى ... في قومِه كان أخاً للرضِيّ

ومثله قول صاحبنا، العلامة القاضي، علي بن محمد العنسي:

كشفت الغوامض نجم الهدى ... لقوم لفضلك لا يجحدونْ

فليس لهم في دجى مشكل ... ظلامٌ وبالنجمِ هم يهتدونْ

وقوله:

تظـن مـا ألقـاه فيـك بـاطِلا ... فـلا تبـالي أن تكـون مـاطِلا

مـددت حـبلاً للجفـا طـائِلا ... فهـل رأيـتَ تحـت ذلـك طـائِلا

لو ملت نحوي أو عطفت مثل ما ... رأيـت عطفـك الرشـيق مـائلا

تحلـو لقلبـي إذ تمـر حاليـاً ... قلبـك لـي عـن الحجـا عـاطِلا

رفعـت قـصتي وقـد مـررت بـي ... تجـر ذيـلاً للـدلال زائِـلا

ومـذ فتحـت ناظريـك نـاظراً ... فـي قـصتي نـصبت لـي الحبائلا

فرحـت مقتـولاً وكـان قـاتلي ... مـن لا يبـالي أن يكـون قـاتِلا

يـا قاتـلَ اللهُ العيـونَ مـا لهـا ... مـن حاجـة فـي أن تـرى قـواتلا

نواعـساً فـواتراً فـواطراً ... فواتكـاً لا تُخطـئ المقـاتلا

تـركن إذ فعلـن قلبـي داميـاً ... فيـا لهـا تواركـاً فـواعِلا

تـصول فينـا بـالجفونِ تـارةً ... وتـارة تجـرِّدُ المنَاصِـلا

سقى الغَضا سقى الحِمى سقى اللِّوى ... سـقى الحَيـا تيـا لـك المنـازلا

منـازلاً عهـدتُها أقمارُهـا ... لـم تُمسِ عـن بروجِهـا أَوافِـلا

دلَّهتنـي بَلَّهتنـي أذهلَتْنـي ... صَـيَّرتني بـين الأنـامِ بـاقِلا

فـي كـلِّ عـامٍ أرتجيـكَ مقـبلاً ... نحـوي وإن لـم أرتجيـك قـابِلا

يا كمْ أرى فيك الزمـانَ لـم يـزلْ ... لجـيشِ آمـالي فيـك خـاذِلا

مـا ضـرَّ لـو أطعتنـي تفـضُّلاً ... ولـو عـصيتَ واشـياً وعـاذلا

ولـو ذكـرتَ بـالحمى لياليـاً ... وطيـبَ أوقـاتٍ مـضتْ وأصـائلا

كـم قـد أقمـت فـي تثنـي قامـةٍ	مـن الـدلال فـي الهـوى دلائـلا
وليلـة غازلـت منـك فـي الـدجى	غـزالَ أنـسٍ يُـدهش المُغـازِلا
والـشهبُ مـن غـيظٍ تـودُّ أنهـا	توقـدُ لـي مـن نارهـا مـشاعِلا
وطالمـا فزنـا بقـصرِ ليلـةٍ	وذا هـو العـيشُ لمـن تطـاولا
أحلى الهوى ما كان في عصر الصِّبا	لـو لـم يكـن حـالُ الـصبا حـائِلا

والسحولي: نسبةً إلى سَحُول ـ بفتح السين، وضم الحاء، المهملتين ـ واد مبارك باليمن، كثير الخير والمزارع، يشتمل على قرى كثيرة، خرج منه جماعة من العلماء والصالحين، وكُفِّن ﷺ، في ثيابٍ سحوليةٍ.

[١٤٠] محمد بن إبراهيم بن عبدالله الزهيري الشافعي الدمشقي.

عالم كبير، قدم مكة حاجاً، وجاور بها سنة تسعين وتسعمائة، وأخذ عنه كثير من علمـاء مكة وفضلائها، منهم: الإمام عبد القادر الطبري، وكتب له إجازة، ذكرها في كتابه «إنباء البرية بالأنباء الطبرية».

قلت: ووفاته سنة ست وألف، بدمشق ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٤١] محمد بن إبراهيم المبلط.

أحد العدول الفضلاء بمحكمة الصالحية النجمية، كان من أكابر العلماء، حسن الخط، وكتبه بخطه كلها مقبولةٌ صحيحةٌ، يضرب بها المثل في ذلك، توفي يوم الجمعة، خامس عشري ذي الحجة، سنة أربع وعشرين بعد الألف.

[١٤٢] محمد الأكمل بن إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن محمد الأكمل ابن عبدالله بن مفلح الدمشقي.

أحد أعيان العلماء بها، أخذ عن السيد العلامة الحافظ كمال الدين بن

حمزة، وعن البدر الغزي، ومن في طبقتهما.

[١٤٣] محمد علي بن إسماعيل الحسيني الطبري المكي محمد علي ابن إسماعيل بن محمد بن أبي السعادات بن المحب محمد بن الرضي محمد ابن المحب محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ابن أبي بكر، الحسيني، الطبري، المكي[1].

إمام المقام الشريف، ذكره الإمام عبد القادر الطبري، في تاريخ الطبريين الذي سماه: «إنباء البرية بالأنباء الطبرية»، فقال:

كان رئيساً عظيماً، جليلاً مهيباً فخيماً، حسن الشكل والهيئة، عزيز النفس، رفيع الجانب، مات أبوه عنه وهو صغير، وكفله عمه الإمام أبو اليُمن، ورباه وأدبه، وأشغله مع أولاده وهذبه، وقرأ واشتغل، وسعى وحصل، مع حسن فهم ثاقب، وزيادة ذوق يعد من العجائب، وسلامة طبعٍ في درك المسائل والمطالب.

اشتغل على مشايخ عصره في العربية، والفقه، والأدب، وشهد له مشايخه باستحقاق أن يقرؤوا عليه، لو جدّ في الاشتغال ودأب، قال له شيخ الإسلام الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي، وقد قرأ عليه يسيراً: يا أبا محمد! لو بذلت جهدك في الاشتغال حق البذل، لاستحقيت أن أقرأ عليك.

وذكر لي من لفظه: أنه قرأ قطعةً من «شرح التلخيص المختصر» للسعد، على الشيخ نور الدين العسيلي المصري، وكانت للشيخ نسخة منه، في غاية الحسن والصحة، فامتحن صاحب الترجمة بفهم عبارة أوردها عليه،

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٥٠) (٢٧٢).

من الكتاب المذكور، وقال له: إن فهمتها على الوجه المطلوب، أعطيتك هذه النسخة، ففهمها، وأخذ الكتاب.

وكان مترفهاً متنزهاً، وتسلط على كثير من الفضائل، بقوة الفهم، وشدة الذكاء، وله النظر الرائق الفائق، الذي يزاحم المناكب ذكاءً.

سمعت من لفظ شيخنا عبد الرحيم بن حسان المكي ـ رحمه الله ـ: أن القاضي حسيناً الحسيني المكي المالكي، مرض في سنة تسع وسبعين وتسعمائة مرضاً شديداً، ثم شفي منه، فهنأه صاحب الترجمة بقصيدةٍ طنانةٍ، تشتمل على تاريخ صنيع جداً، وبيت التاريخ جاء تاريخه (بأبجد ضبطاً)، حصل الأجر والشفا للحسيني، وجه الصناعة فيه، بأن قرئ قوله للحسيني بياء الإشباع التي لا تحسب في التاريخ، فيكون قوله: (بأبجد)؛ أي: بزيادة لفظ أبجد، وهو بعشرة، وإن قرئ بياء النسبة، فيكون المعنى بحساب أبجد، ولا دخل له في التاريخ، وهذا صنيع لطيف جداً.

وكان بين صاحب الترجمة، والسيد الشريف ثقبة بن أبي نمى، ألفةٌ ومحبةٌ شهيرة، ولما بنى السيد بيته الذي أنشأه بالرحبة، سنة تسعين وتسعمائة، جعل له المترجم قصيدةً طنانةً، مشتملةً على تاريخ، ورقمت في طراز مجلس البيت المذكور، اختياراً لها على سائر ما نظم، من القصائد والتواريخ، لإجماع الفضلاء الملازمين له: أنه لا يليق أن يرقم غيرها، فرقمت، وهي هذه:

قد بلّغَ اللهُ سلطانَ الورى أربَهْ ... وزاد مجدَ عُلاه فوقَ ما طلبَهْ

فشاد بيتاً على هامِ العلى شرفاً ... شدّتْ يدُ الملكِ في أفقِ السّما طُنُبَهْ

ترى الملوكَ بني الزهراءِ قاطبةً ... تطوفُ في بيته المعمورِ كالحَجَبَهْ

بيتـاً رقـى منـزلاً عَـزَّتْ مطالبُـه عن أن يُنال فلم يرضَ الـسُّهى عَتَبَـهْ
بيتاً عـلا عـن نظيـرِ حـسن منظـره زانـت سـرادقُ عليـا عِّـزهِ حُجُبَـهْ
سـما الـسماكينِ والعَيُّـوقَ منزلـةً فاستصغرَ الأفقُ عـن عليائـه شُـهُبَهْ
وجَرَّ ذيلاً علـى هـام المجـرة مـن مجدٍ وأرخى على شخصِ الضحى عَذَبَـهْ
بكلِّ قـصرٍ قـصورٌ مـن عُـلاه ولـو يمدُّ حـسناً إلـى نحـوِ الـسما سَبَبَهْ
دعامةُ المجدِ مـا ذاتُ العمـادِ ومـا إيوانُ كـسرى إلـى مـا نـال مقتربَـهْ
شـقيقُ جنـاتِ عـدنٍ فهـي تـشبهُه في الحسنِ والزخرف الرقوم والرحبـه
فعمَّـــرَ اللهُ منـــشيه وعَمَّـــرَه حتـى القيامـةِ لا يلقـى بـه نَـصَبَهْ
فهو المليكُ أجلُّ الخلقِ أعظمُ مَنْ شـدَّ المُرَجِّـي إلـى أبوابـه نُجُبَـهْ
بحرٌ مَـلاَ الـسمعَ مـن ألفاظـه درراً وطـوقَ الجيـدَ مـن إحـسانه ذَهَبَـهْ
أغـرُّ يستـصغرُ الـدنيا إذا وهبـتْ كفاه شيئاً ولـم يـرضَ الـذي وهبَـهْ
من فيضِ كفيه من وجهِ الحياء حَيـا أمـا تـراهُ تـوارى سـاحباً سُـحُبَهْ
فاقَ العقولَ فما فـي الخلـق منقبـةٌ تستوجبُ الـشكرَ إلا منـه مكتَـسَبَهْ
إن شئتَ أنْ تلقى الأحبة جميع الناس في رجلٍ ففي المليكِ ابنِ طَهَ المـصطفى ثَقَبَـهْ
مَن أنـزلَ اللهُ آيَ المـدح فيـه ومَـن مـلا المهـيمِنُ مـن أوصـافِه كتبَـهْ
لو يُـنظم الـدرُّ شـعراً فـي مدائحـه أعيـتْ محاسـنُه المُثني ومـا كَتَبَـهْ

ووقع له اتصال في آخر الأمر بالشريف أبي نمي، وحصل له منه قبولٌ عظيمٌ، وميلٌ تام، فمما اتفق له معه، في بعض مجالسه الخاصة: أن أنشد الشريف قول الشاعر:

إنَّ الثمــــانينَ وبُلِّغْتَهـــــا قد أحوجَتْ سمعي إلـى تَرْجُمـانِ

فأنشده الإمام أبياتاً، ضمن فيها الصدر الأول، من البيت الأخير وهي:

طــول حيــاة مــا لهــا طائــلٌ عــدمتُ فيهــا كــلَّ مــا يُـشتهى
صـرتُ بهـا كالطفـل فـي خلقِـهِ تــشابَه المبـــدأُ والمنتهـــى
فــلا تلــمْ ســمعي إذا خــانني إنَّ الثمـــانينَ وبُلِّغتهــــا

فوقعت عند الشريف الموقع العظيم، واستحضر تذكرته، وأشار إلى الإمام، أن يرقمها فيها بخطه، ففعل وكان ـ رحمه الله ـ جدّ، وحفظ القرآن العظيم، على كبر من سنه، وصلى به التراويح، في المقام الشريف، ولازم تلاوته، عن ظهر قلب، إلى أن توفي.

وأحفظ عنه: أنه امتحنني وأنا صغير، في مبدأ اشتغالي بالنحو، بإنشاد أبياتٍ لأبي تمام، وهي:

لحقنا بأخراهم وقد حَوَّمَ الهوى قلوبـاً عهـدْنا طيرَهـا وهـي وُقَّـعُ
محا ضوءُها صبغَ الدجُنَّةِ وانطوى لبهجتهـا ثـوبُ الـسماءِ المُجَـزَّعُ
فردت علينا الشمس والليل راغـمٌ بشمس لهم من جانب الخدر تطلعُ
فــوالله مــا أدري أأحــلامُ نــائمٍ ألمَّتْ بنا أم كان في الركب يوشعُ

فقال لي: كيف رفع المجزع، بعد جر السماء؟ فقلت له: إنه وصفٌ للثوب، فضحك، وأعجبه ذلك مني، ودعا لي، ثم سألته عن قوله: أم كان في الركب يوشـع، فأفادني أن يوشع كان نبياً، وكان من دينه: أنه إذا غربت شمس يوم الجمعة، لا يحـل له القتال، إلى أن ينقضـي يوم السبت، فقاتل

الجبارين يوم الجمعة، فغربت عليه الشمس وقد بقي منهم بقيةٌ، فرد الله تعالى عليه الشمس حتى استأصلهم، وأول ما سمعت ذلك منه، ثم رأيته منقولاً.

وجرى مرة عنده ذكر التدبيج، فسمعت منه بيتين لطيفين فيه، وهما:

ما يرى قاضي الهوى في محبٍّ صيرته صوارمُ المقلتينِ
أصفرَ اللون أحمَر الدمع يبكي أسودَ اللحظ أخضرَ العارضينِ

ولد في السنة الثانية والثلاثين وتسعمائة، **وتوفي** في جمادى الأولى، من السنة العاشرة بعد الألف، وصلي عليه في المقام الشريف، بعد أن نادى له الرئيس على ظلة زمزم، كعادة أسلافه، ودفن في قبة المحب الطبري.

ومن كرامته، وكرامة أسلافه، وكرامة المقام الشريف: أن حضر الصلاة عليه ملحد الحرم، عبد الرحمن بن عتيق ـ عامله الله بعدله ـ، فسأل عن وجه الصلاة عليه في المقام، فعرف بأن ذلك من خصائص الطبريين، من الأزمان القديمة، فاتفق أنه في ثاني يوم من موت المترجم، هلك شخصٌ من أعوان ابن عتيق، يقال له: بيا ولي الهندي، وكان نماماً ظالماً، فحضر ابن عتيق الصلاة عليه، وجعله في المقام الشريف، وصلى عليه فيه.

فلما بلغني ذلك وأنا غائب، قلت: قد انقضت مدة ابن عتيق، وقرب هلاكه؛ فإن للمقام الشريف كرامة، ولأئمته الأقدمين عليه غيرة، وهم من الله تعالى بمنزلة، وحيث استهزأ بهم، وانتهك حرمتهم، وحرمة المقام، لابد أن يعاجل بالهلاك.

فوالله العظيم! ما مضت يوميات يسيرة، إلا وانتقل الشريف حسن بن أبي نمي ـ رحمه الله ـ، وقبض على ذلك الملحد، وكان من أمره من الإهانة،

وهتك العرض، وخراب الدار والعمر، ما هو أشهر من الشمس، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى. انتهى.

ومن شعر المترجم: قوله يمدح الشريف حسن بن أبي نمي صاحب مكة:

أفدي مَهاةً تلينُ القولَ أحيانا فتسلبُ العقل ممن كان أحيانا
أماتَنا هجرُها المُولي القلوبَ أسًى يُذيب لولا رجاءُ الفضل أحيانا
لا عاشَ من يتمنى بعد نشأتِه من خمرة الحب أن يصحو ولا كانا
بمترف الخد جنات لناظرها لكنها أَجَّجَتْ في القلب نيرانا
لولا سحائبُ جَفْن سَحَّ وابلُه وأجرى بحاراً فأطفاها وغُدرانا
تريكَ من وجهها الضاحي وقامتِها بدراً على غُصُن يختال نَشْوانا
هيفا يُميل الصِّبا من قدِّها غُصُناً كما تُميل الصَّبا في الروضِ أغصانا
جارتْ على قلبيَ المجروحِ مقلتُها وأتلفتْهُ وما أضمرتُ سلوانا
لا تُستمال وإن مالت معاطفُها تحملت من رياض الحسن أفنانا
ترنو بفاتر طرفٍ زاد صارمُه فينا عن الحدِّ مسنوناً فأفنانا
كأنما السيفُ بدرُ الملك أودعَه من طرفها الفاترِ الفتانِ أجفانا
ويحسبُ الناس من أهل البديع ومن أهل السليمية الغبرا ومعكانا
أو أهلِ خالد من أهدى ضلالهم نفوسهم فغدوا هدياً وقربانا
وغرهم فيّهم حتى غدت فئة فياً وأخرى قضت لم ترج غفرانا
هذا مكبلُ مأسورٌ وذا وردَتْ به القناص حياضَ الموتِ طوفانا
وجَرَّعَتْهم كؤوسَ الحَيْن مترعةً وقائعٌ تتركُ الولدانَ شِيبانا

جُهَّالُ لو عقلوا أمراً لما شَهَروا ... عضباً ولا اعتقلوا للحرب مُرَّانا

ولو يريدون خيراً أو يرادُ بهم ... كانوا على ما مضى من قبلُ غِلمانا

لكن قضى اللهُ باستئصالِهم فبغوا ... على نفوسِهِمُ ظلماً وعُدوانا

وشاهدوا جحفلاً ذابت نفوسُهم ... من خوفِه ملأ الآفاقَ فرسانا

تسلُّ أسيافُه أحلامَ نائمِهم ... عليه رعباً ويلقى الموت يقظانا

يؤمُّه البدرُ سيفُ الله من خضعتْ ... له السلاطينُ كِسْراها وخاقانا

السيدُ الحسنُ البدرُ المليكُ ومن ... رأيته فرأيتُ الناس إنسانا

ومن رأينا لعليا عزِه شرفاً ... لسالفِ الأمم الماضين إنسانا

خليفة الله في مكان حضرته ... من اصطفاهم له أصلاً وجيرانا

واختاره ملكاً فيها لهم فغدتْ ... أسنى الممالك سلطاناً وبلدانا

ما عز خطبٌ وأم الناسُ ساحتَه ... إلا رأيت عزيزَ الخطب قد هانا

كأنما الرزقُ والآجال في يدِه ... يُرجى ويُخشى ويُرضي اللهَ غضبانا

فالليثُ والغيثُ في يومي غطا وسطا ... تعلَّما منه إقداماً وإحسانا

تلقاه في ظلمة الهيجاء بدرَ دجًى ... وأوجهَ القومِ كالحرباء ألوانا

له من الرعب أنصارٌ مؤيدة ... تصيّر الليثَ مثلَ الضب حيرانا

يحفه من بنيه أسدُ معركة ... تروي القنا إن غدا الضرغامُ ظمآنا

بيتُ النبوة بيتُ الله من ورثوا ... أمرَ الخلافة سلطاناً فسلطانا

قد أنزل الله آيَ الملك فيه فما ... يفي به شاعرٌ لو كان سَحْبانا

يَفْنى المديحُ ولا تُحصى محامدُه ... فدع زهيراً ودع كعباً وحَسَّانا

يا ابن تدلَّى إلى هام العلى قعدت ... أقدامُه لرؤوس المجدِ تيجانا

أقسمت لو كان آل المصطفى كتباً ... لكنت ما بين أهل البيت قرآنا

أو أنهم آلُ يعقوبٍ وعترتُه ... لكنت يوسُفَهم حُسناً وإحسانا

لولا الرسالةُ بالمختار قد خُتمت ... لكنتَ يا ملكَ الدنيا سليمانا

لكنَّ[1] جَدَّك طه سدَّ مسلَكَها ... على البرية أبناءً وإخوانا

صلى عليه إلهُ العرشِ ما نظمت ... كلا أعاديه للخطِّي حرصانا

وآلِه الغرِّ والأصحابِ ما نثرت ... ظُباهم لطُلا الشجعانِ أعلانا

واسلمْ ودمْ ملكَ الإسلام ما نظرتْ ... عينٌ على وجه أرض الله عمرانا

مؤزرَ النصرِ ماضي الأمر مبرَمَهُ ... يحطُّ شانٌ وتعلو في الورى شانا

وقوله أيضاً يمدحه:

أسرَتْني بطرفها الفتانِ ... وبحسنٍ يفوق حُورَ الجنانِ

ذاتُ قرطٍ من طوقها مطلعُ الشمـ ... ـسِ فدى حسنها البديع جناني

ما تبدت تختال إلا أرَتْنا ... بدَر تَمٍّ يُقِلُّه غصنُ بانِ

ما حكاها في جنة الخلد حورٌ ... لا ولا في مراتع الغزلانِ

قلدتها يدُ الجمال حلياً ... فاق حسناً قلائدَ العقيانِ

بخدودٍ موردَّاتٍ حِسانٍ ... ما حكتها شقائقُ النعمانِ

تيَّمتني فرقَّ جسمي نحولاً ... من جفاها فعائدي لا يراني

---

(١) في الأصل: لكنك، والصواب ما أثبت.

وأذابت قلبي المُعَنَّى وجارت وصلتني لـواعج الأشجانِ
ليتها بعدَ بعدِها وصلتني وكفاها ما مرَّ من هجرانِ
أَرَّقت مقلتي فأذريتُ دمعاً كالغوادي دماً عَبيطاً قاني
لا تسلْ ما جرى على الخدِّ منها يا حبيبي فقد جرى ما كفاني
فجفوني على الدوام دَوامٍ ودموعي مَشارعُ الغدرانِ
قيل مهلاً فمن صبا صيرته موجباتُ الصبا أسيرَ الغواني
حبذا إن قضيت في الحب وجداً وقضى حاكمُ الهوى بهوانِ
ظبيةٌ تقضي الهرير فيمسي وهو ليثُ الشَّرى الأسيرَ العاني
تتقي الأسدُ في العرين سطاهُ وهو يخشى من فترة الأجفان
كلمتني بفاتراتٍ مراضٍ سحرها ذوبها قضى بافتناني
جاوز الحدَّ لحظُها فملاذي حسن ذو الفخارِ والسلطانِ
خيرُ من يمتطي الغوارب طراً ويجيل الجيادَ في الميدان
ملكٌ[1] إن أرابَ دهرٌ كريماً قال دعْه فإنه في أماني
ملك في يديه عمرٌ ورزقٌ فالمنايا مجموعةٌ والأماني
ملكٌ مفردٌ كريمُ السجايا ما حكاه من سائر الخلق ثاني
ملك إن قضى بأمر ونهيٍ ما ثناه من البرية ثاني
شرفٌ دونه النجوم حيارى ومحيًّا لم يحكِه النَّيِّرانِ
الذي يحسب الغمام يديه ويرجى لصرفِ ريبِ الزمان

---

(١) في الأصل: منك، والصواب ما أثبت.

إن تلاشى على الأنام ربيعٌ | جاء من كفه ربيعٌ ثاني
لم تكن كفُّه الشريفة إلا | للعطايا والسيفِ والمُرّانِ
أو لتحظى الثغورُ بلثمٍ | أو لجذبِ الزمانِ أو للعِنانِ
أنزل الله فيه آيَ مديحٍ | سُطِّرت في مصاحفِ القرآنِ
كلُّ مجدٍ وسؤددٍ مستعارٌ | من علا ملكه العظيمِ الشانِ
نعمةٌ جلَّ قدرُها عن شبيه | للمُوالي ونقمةٍ للشاني
إن نأى ليسَ للزمان ارتفاعٌ | أو دنا كان رحمةً في الزمانِ
أو أجازَ القريض فضلاً فمدحي | أوجبته سوابقُ الإحسانِ
دام ملكُه يحوطُ علاه | سورةُ الملك والضحى والمثاني
وأصلِّي على شفيعِ البرايا | سيدِ الرسل أحمدَ العدنانِ

وقوله فيه أيضاً:

إليكَ كلُّ الفخارِ ينتسبُ | يا ملكاً مجدُه الحَسَبُ
شادَ لك اللهُ من مهابته | مُلكاً وسمرُ الرماحِ والقُضُبُ
أنالكَ الله رتبةً رفعتْ | فانخفضت تحت فضلها الرتبُ
إن جُلْتَ فالأُسْد منك في وَجَلٍ | تخشاك في غابِها وترتقبُ
ما أرخ الناسُ بعض ما فعلت | كفاك يومَ الوغى ولا كتبوا
يا سائلي عن علاه دعني | هل يمكن بالضبط تُحصر الشهبُ
وجهٌ حكى الصبحَ ضوءُه ويد | تفرق فيها البحار والسحبُ
ما شالت الخيل فارساً بطلاً | مثلَ مليكِ الورى ولا النُّجُبُ

بـــدرُ الملـــوكِ الـــذي لعزتـــه		تسجدُ شـمسُ الـضحى وتقتـربُ
فـــلا تقـــسْ بالأســـودِ هِمَّتَـــهُ		لا يـستوي الجـدُّ قَـطُّ واللعـبُ
شَـرَّفَ هـامَ العلـى بأخمَـصِهِ		فتاجُهـا تحـتَ رجلـه ذهـبُ
قـــد أنـــزل الله آيـــه مـــدحاً		فـي شـأنه وامتثلـتْ بهـا الكتـبُ
تعـــود قُـــصَّاده وقـــد بلغـــوا		من فيض جـدواه فـوق مـا طلبـوا
أثنـوا بمـا حملـوا ولـو سـكتوا		أثنـت عليـه بـذلك الحِقَـبُ
مهـذبُ الـرأي كلُّـه حـسنٌ		الاسـمُ والفعـلُ منـهُ واللقـبُ
فـضلٌ ولفـظٌ كلاهمـا عجـبٌ		سـحرٌ حـلالٌ ونائـلٌ عَجَـبُ
خليفـــةُ الله فـــي خليقتـــه		سـلطانُ أُمِّ القـرى أبٌ فـأبُ
مـا نـابَ كِـسرى وقيـصَر أَبـداً		وتُبَّـعٌ ملكَـه وإن تعبـوا
فهـو ابـنُ طـه وحيـدر آلِهِـم		هـذا الفخـارُ العلـى والنـسبُ
أنتجـــه مـــن بنيّـــه فلـــذا		رضـاه لله جـلَّ والغـضبُ
فـــضل مـــن الله لا يُنـــال ولا		بالجـد والمكرمـاتُ يُكتـسبُ
فثبـــتَ الله ملكَـــه أبـــداً		مـا أشـرق النَّيِّـرانِ والـشهبُ

[١٤٤] محمد بن إسماعيل المغربي.

نقلت من رحلة الشيخ العلامة، عبدالله بن محمد العياشي المغربي ما نصه: كان هذا الرجل أعجوبةً في سائر أحواله، فإنه ممن حصل جانباً عظيماً من العلوم الشرعية، ولم يخل من جانب من الأذواق الوهبية، وجال البلاد شرقاً وغرباً، فلم يدع المغرب الأقصى، ولا أفريقية، وبلاد السودان.

وأقام بمصر مدةً، نحواً من سبع سنين، في حياة الشيخ اللقاني، وأخبرني أنه ختم المختصر بالأزهر، سبع مرات، ولقي مشايخ ذلك الوقت، وجاور بمكة والمدينة مدةً، ودخل اليمن، وادعى فيه المهدية أو ما يشاكلها، فلم يتم له ذلك.

ودخل العراق، وأقام مدة ببغداد، وانتسب للشيخ عبد القادر، وأخذ العهد على طريقه، ودخل في جملة أتباعه، ثم ذهب من هناك إلى القسطنطينية، وهو في كل ذلك يصرح بما في نفسه من الإمارة، ولا يكني، غير متهيب صولة السلطان ولا غيره.

ثم جاء من الروم إلى طرابلس، في سفينة، في سنة ستين، ولقيته إذ ذاك بـ: «مسراته»، وقال لي: إني قد أذن لي في نصرة الدين، وإظهار الحكمة، وأخبرني بذلك من لقيته من الصالحين، وقد جئت إلى هذا الشيخ أستأذنه، فأنا أنتظر الإذن من قبله.

وتركناه هناك، إلى أن بلغنا خبره: أنه بلغ إلى سواحل البحر الغربي، وزار سيدي عبد السلام بن مشيش، وأقام بتلك البلاد مدةً، فلم يتم له ما أراد، وكان أظهر أمره قبل ذلك بسنين عديدة بالسوس الأقصى، فلم يتم له الأمر.

ثم كر راجعاً من جبل عمارة إلى القليعة، وأقام بها مدة، ثم سار من هناك، إلى أن خرج إلى «فجيج»، وأقام بها مدةً، ثم لقيته بها، أوائل سنة أربع وستين وألف، فطلب منا المساعدة على ما يحاوله، فلم يصادف عندنا ما يحب، وأظهرنا له جلية أمرنا، وأنا لسنا ممن يتعرض لما ليس من شأنه، ولا ممن له قدرة على أقل ما يحاول.

فلما تحقق ذلك منا، أظهر التأسف والتلهف على ما مضى من عمره وسعيه في غير طائل، وقال: إني جبت جوانب الأرض كلها، فلم أجد من يبكي الإسلام، بالعين التي أبكي بها، فوالله! ما كَذبت ولا كُذبت، إلا أني عسى أن أكون قد غلطت في فهم ما أخبرت به.

فإني رأيت النبي ﷺ، فقال لي: أنت عالمٌ وغنيٌّ وسلطان، فأما العلم، فقد حصلت منه ما قسم لي، وإني لا أعدم الخمسمائة ديناراً وما يقاربها متى طلبتها، وأما السلطنة، فلعلها سلطنة الآخرة، وكنت أظنها في الدنيا.

وأنا الآن تائب مما أنا فيه، عالمٌ أن الله لم يرد بي ذلك، فنيتي الرجوع إلى الحج والزيارة، ثم أستوطن جوار الشيخ عبد القادر الجيلاني، أعبد الله حتى أموت، ففارقناه على هذه النية، فذهب من هناك إلى «تجورارن»، **ومات** بها سنة أربع وستين وألف.

وكان ـ رحمه الله ـ ينتحل السيمياء والكيمياء، ويحسن الأوفاق، ويخبر عن نفسه ببعض ذلك، وخلف كتباً كثيرةً، وأوصى بها لخدام الروضة النبوية، وأوصى بأن يصبّر شخصه بصبر وكافور، ويحمل إلى المدينة الشريفة، يدفن بها، وعين لمن يحمله نحواً من ثلاثمائة دينار من مخلفه.

وكان له فرسٌ أدهم، من عتاق الخيل، أوصى بها للجهاد، وأعتق عبيده، ودفع لكلٍّ حصةً من ماله، فلما مات، أنفذ أهل البلاد وصيته، إلا في حمله، فإنهم لم يجدوا من يحمله، معتلين بخوف ظلم الولاة بمصر والحجاز، أن يطالبوهم بماله، إذا رأوا جنازته محمولةً من الغرب، ويقولون: ما فعل به هذا، إلا وله أموالٌ تفوت الحصر، فدفنوه في بلادهم، بعد أن همّ بعض التجار برفعه.

وبقيت كتبه هناك مدةً، ثم حملوها إلى القليعة، فارين بها، لما بلغهم أن متولي البلـد يتحـدث بأخذها، ولم تزل هناك، إلى أن ذهب الشيخ علي الحفيان للحج، بعد ذلك بسنين، فبعثوها معه، وضاع كثيرٌ منها بسبب ذلك، وقد رأيت بعضها بالمدينة المشرفة، ورأيت زمام ما وصل منها، وليس يشبه ذلك عدة كتبه.

وقد أخبرنـا قبل موته بسـنة، لما لقيته بفجيج: أن كتبه تبلـغ قريباً من ألف وخمسمائة تأليف، التي بلغ منها إلى المدينة، مائة وتسعون سفراً، رأيت منها جملةً كثيرةً، وهي كتب نفيسةٌ اقتنى أكثرها لما كان بمدينة قسطنطينية، اشتراها له الوزير الأعظم، بسبب حكاية وقعت معه، قبل أن يتولى الوزارة.

وذلك أنـه لقيـه ببغداد، عند ضـريح قطب الزمان، الشيخ عبد القادر الجيلاني، والوزير إذ ذاك مصروفٌ عن عمالة كبيرة، من أعمال السلطان، فهو يتخوف ويؤمل الوزارة، فقال: يا سـيدي! ادع الله لي، فإن توليت الوزارة، فاقترح علي ما شئت، فلما ذهب سيدي محمد إسماعيل إلى القسطنطينية، وجده قد تولى الوزارة، فأكرم مثواه، وأحسن نزله، فقال له: شأنك ما تقترح؟ فقال: إن بهذه المدينة كتباً نفيسةً، وليس لي ما أحصل به أمنيتي، فبعث إلى دلالي الكتـب، وقال لهم: كل ما يقع بيدكم من الكتب، اعرضوه على هذا الشيخ، فما استحسنه منها، فاتركوه له، وخذوا الثمن من عندي لأربابه، فلم يزل ذلك دأبه، مدة إقامته هناك، ولو استقصينا أخباره، لطال الكلام.

ومن محاسنه: أنه لما دخل إلى طرابلس الغرب، قال له عاملها عثمان باشا: اقترح علي، فقال له: إني أريد أن تحرر كل من في عمالتك من الأشراف،

فلا يعطون شيئاً مما يعطيه غيرهم، وتحرر جيران الشيخ زروق، فعد من في عمالته من الأشراف، فوجد نحواً من خمسمائة دار، فحررت كلها، ولم يؤخذ منها شيء إلى الآن، ولعمري! إنها لفعلةٌ حسنة.

وأنشدني عند تأسفه على ما مضى من تطوافه في البلاد على غير طائل:

مشيناها خُطًا كُتبت علينا ... ومن كُتبت عليه خُطًا مشاها

وأرزاقٌ لنا متفرقاتٌ ... فمن لم تأتِه منها أتاها

وأنشدني:

فسدَ الزمانُ فما ترى من حاله ... وكذا عَوائدُ آخرِ الأزمانِ

وأولى من هذا قول الآخر:

يقولون الزمانُ به فسادٌ ... وهم فسدوا وما فسد الزمانُ

وبالجملة: فهذا الرجل كان أعجوبة زمانه، ونادرة وقته، سخاءً ونجدةً، وعلو همة وعبادة، ولولا ما ابتلاه الله به، من وسوسة الإمارة، التي توسوس في دماغه، فلا تدعه يسكن في مكان، ولا يقر له معها في أرض قرار ـ نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة من كل ما يقطع عنه بمنه وكرمه ـ. انتهى.

والقُلَيْعة: تصغير قلعة، وهي قريةٌ حصينةٌ، على حجر صلد، في سفح جبل منقطع، عند «سطا»، وبها آبارٌ كثيرةٌ طيبة الماء، ونخيل ليس بكثير، وهي من طاعة سلطان واركلا.

[١٤٥] الإمام المؤيد بالله محمد ابن الإمام المتوكل على الله إسماعيل ابن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي[1].

كان إماماً جليلاً، عالماً عاملاً، كثير الخوف من الله سبحانه، محباً للفقراء، صارفاً لبيت المال مصارفه، ورعاً، لا تأخذه في الله لومة لائم، نشأ على طاعة الله تعالى من صغره، لم تُعهد له صبوة.

وقرأ فنون العلم في بدايته، على القاضي أحمد بن سعد الدين، وعلى السيد حسن بن المطهر الجرموزي، وأخذ الحديث عن محدث الشافعية باليمن، الشيخ عبد العزيز المفتي التعزي، وأحمد بن عمر الحبيشي التعزي، وغيرهم.

وحج سنة ست وستين بعد الألف، وزار النبي ﷺ، وعمره نحو سبعة عشر عاماً، ومعه جماعةٌ من أعيان العلماء، وأكابر الأعيان، أرسلهم والده معه، وأخذ عن علماء الحرمين، وأجازه كثير منهم، وشهدوا له بكمال الفضل، وتصدق بالحرمين بصدقات نافعة.

ثم رجع إلى اليمن، وتولى الأعمال المهمة، في زمن والده، وولي صنعاء مدةً مديدة، وكل بلدٍ تولاها أحسن سيرته فيها، ولما توفي والده، عرض عليه الإمامة، الإمام أحمد بن الحسن، فأباها بقوله: يأبى الله ذلك وأنت حي، فوليها الإمام أحمد بن الحسن، وكان المترجم أكبر أعوانه على معارضيه.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٩٦)، «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ٩٣٦) (٥٨٣)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٣٧).

ولما مات أحمد بن الحسن، أجمع الأئمة والعلماء وعامة الناس عليه، ولم يختلف عليه أحد، فوليها، وسار السيرة المرضية، وطريقة الأئمة الهادين، وغمر الناس برد ظل عدله، وأمر بإحياء العلوم والمدارس، وقرب العلماء، وتعهد أحوال الفضلاء، وأدى حقوق الضعفاء، وأمر برفع المظالم.

ولكن لكثرة حلمه، وعدم بطشه، وتوقفه عن الإقدام على الفتك، لم يمتثل أمره باطناً الأئمة من بني عمه وإخوانه، فكان إذا أرسل إلى أحد منهم برفع مظلمةٍ، امتثل أمره، وعمل به، فإذا رجع مأموره، عاد لحاله، وكل منهم بسط يده على البلاد التي هو فيها.

فكثرت الفتن بسبب ذلك، ولم ينتظم له حال، وكان مراده أخذهم بالحيلة والسياسة، فلم تطل مدته، وتوفي ثالث جمادى الثانية، سنة سبع وتسعين وألف، وكان مرضه علةً في رأسه، وربما انضم إليها غيرها من سمٍّ أو غيره.

فقد روي: أنه خرجت قطعة من كبده بالقيء، أمر بدفنها معه، وعرف سبب ذلك، وسئل عن سببه، فقال: الله سبحانه حسيبُ الفاعل، ولم يُظهره، وكان مرضه وهو بمعبر، من أعمال جهران، وحُمل إلى الحمام، في جهات ضوران، فمات فيه، ودفن عند أبيه ـ رحمه الله ـ.

وولي بعده الإمام محمد بن أحمد بن الحسن، وبايعه غالب الأئمة والأعيان، ودانت له البلاد شهراً، ثم قام عليه ولده السيد عبدالله، مع جماعة من بني عمه، وخلعوه من الإمامة، وولوا الإمام يوسف ابن الإمام المتوكل على الله إسماعيل، وبايعه الناس والأئمة، وبسط عماله أيديهم على البلاد.

وجهز الجيوش على الإمام محمد بن أحمد، فحصره بقلعة المنصورة، الحصن المشهور شهراً، ثم خرج بجيوشه عليهم، وظفر بهم، وقويت شوكتهم، ودانت له اليمن، أعلاها وأدناها، واستقل بالإمامة، وحبس أعيان الأئمة بقصر صنعاء مدةً مديدة، حتى ضعفت شوكتهم، وصاروا كآحاد الرعايا، فحينئذ أخرجهم، وعين لكلٍّ منهم ما يكفيه، وقمع القطاع والمفسدين، وهابه كبير الناس وصغيرهم، ولم يختلف عليه بعد أحد، وكان في ولايته خير كثير ـ أطال الله عمره ـ.

[١٤٦] محمد بن إسماعيل بن فضل بن عبدالله بن محمد بن أبي بكر ابن علي ابن الفقيه عبدالله بن يحيى ابن القاضي أحمد بن محمد ابن الفقيه فضل بن محمد بن عبد الكريم بن محمد[1].

هذا ما وجد من نسب آل أبي فضل، ولم يعلم إلى أين يرجعون، وفي الظن: أنهم يرجعون إلى قحطان، وكان غالب عرب اليمن من قحطان، ونقل الثقة، عن الولي العارف بالله، فضل بن عبدالله صاحب الشحر: أنهم يتصلون بسعد العشيرة.

ونسب سعد العشيرة مذكورٌ في «سيرة ابن هشام»، وغيرها من كتب السير، والتواريخ، والنسب، وفي «طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب» للملك الغساني: سعد العشيرة هو: ابن مذحج ـ بالذال المعجمة ـ بن أدد بن زيد ابن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ابن هود ـ عليه السلام ـ بن سالح بن أرفخشه بن سام بن نوح ـ عليه السلام ـ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٩٥)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤٢).

ابن ملك[1] بن متوشلح بن أخنونخ بن أنوش بن شيث بن آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

ومذحج، هم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «مذحج هامة العرب وغلصمتها». قيل: إن آل أبي الفضل ينتسبون إلى بني هلال. انتهى.

الشيخ الإمام، العلامة الفقيه، أحد الأعيان المشهورين، والعلماء المحققين، **ولد** بـ «تريم»، وبها نشأ، وحفظ القرآن، و«الإرشاد»، وعرضه على مشايخه، وتفقه على الشيخ حسين بن عبدالله بافضل، والسيد محمد بن حسن، وأخذ عن السيد شهاب الدين.

وحج بيت الله الحرام، وتفقه بمكة على الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي، ولازمه في دروسه الفقهية وغيرها، وأخذ عن تلميذه عبد الرؤوف، وسمع من خلقٍ كثير، وأذن له في الإفتاء والتدريس غيرُ واحد من مشايخه، وأثنى عليه جماعة من الأولياء.

وكان له ذهنٌ ثاقب، وحافظةٌ ضابطة، وقريحةٌ وقادة، وفكرةٌ قوية، ونظرٌ مستقيم، مع عقلٍ وافر، وأدبٍ ظاهر، وكمال مروءة، وحسبٍ وفتوة، ودرس وأفتى، وتقريره أمتن من كتابته، ورويته أحسن من بديهته.

واشتغل جماعةٌ من الأفاضل عليه، وتفقه به كثيرون، منهم: القاضي أحمد بن حسين بافقيه، والسيد أبو بكر بن محمد بافقيه، صاحب «قيدون»، وعبد الرحمن بن عبدالله بافقيه، وبنو عبد الرحمن بن شهاب الدين، وغير هؤلاء، وله فتاوى كثيرة، لكنها غير مجموعة، وهي مفيدة جداً.

---

(١) كذا في الأصل.

وكان من أورع أهل زمانه، وأكمل أهل عصره وأوانه، متقللاً من الدنيا، زاهداً فيها وفي مناصبها، متقشفاً في ملبسه ومأكله ومسكنه، وكان له خط حسن، يضرب به المثل في الصحة، وكتب بخطه عدة كتب، وجمع بين العلم والعبادة، والمجاهدة والزهادة، واشتهر في الديار الحضرمية، بانفراده بتحقيق العلوم الشرعية، ولم يزل على الحال المرضية، إلى أن وافته المنية، سنة ست بعد الألف بتريم، ودفن بمقبرة القريط، وتعب الناس لفقده، وعظم حزنهم من بعده ـ رحمه الله ـ.

[١٤٧] محمد بن إسماعيل ابن المفتي الزبيدي.

كان من علماء الظاهر أولاً، فحصلت له جذبةٌ بعد الأربعين، وسلك عند بعض المشايخ، حتى وصل إلى غاية ما يتمناه، وهو مستغرقٌ، منجمعٌ عن الناس، وله كراماتٌ ظاهرةٌ، وأحوال سنيةٌ، يقال: إنه غوث في هذا العصر.

ومن جملة حاله: أنه كان يكشف أحوال الرجال الذين يزورونه، بمجرد ما يراهم، قال المولى فروخ المكي: وصلت إلى خدمته، سنة أربع بعد الألف، فأقمت عنده مدة، ثم قلت له: يا سيدي! أريد أسافر اليمن، وأزور المشايخ، فقال: الذي تريد من المشايخ عندنا موجود، ولا ينبغي لنا أن يكون محبنا محتاجاً إلى آخر، فقلت: لابد من الرواح، فقال: تروح، ولكن تتعب كثيراً، قال: فكان كما قال أيضاً.

وقلنا له عند المفارقة: يا سيدي! قد آنست بك، والآن أذهب إلى الحرمين، فكيف يكون حالي إذا غلب عليّ الشوق للقائك؟ فقال: يمكن

أن تراني تحت الميزاب، أو عند الملتزم، قلت: وأنا أريد الارتحال إلى المدينة الشريفة، قال: وأنا أصلي العصر بها يوم الخميس، واشتغل بالصلاة على النبي ﷺ من العصر إلى آخر النهار، عند باب السلام. انتهى[1].

[١٤٨] محمد بن بدر الدين بن عبد القادر بن محمد بن بلبان الخزرجي البعلي الأصل، الحنبلي الصالحي المنشأ والمولد[2].

شيخ الشام زهداً وعبادةً وعلماً، كان أحد الأئمة العلماء المنقطعين إلى الله، بصالحية دمشق، لعبادة الله تعالى، وإقراء العلوم النافعة، ومكن الله منزلته في القلوب، وأجلَّه الخاص والعام، حتى كانت تقصده الرؤساء للزيارة والتبرك[3]، ويعرضون عليه المال، ولا يقبل من أحدٍ شيئاً، ولا يستشرف له.

وكان متواضعاً ربانياً متألهاً، حسن الخلق والخُلق، إذا رآه أحدٌ، عرف بمجرد رؤيته ولايته؛ لإحاطة النور به، من طاعة الله، حلو العبارة، كثير التحري في أمور الدين والدنيا، وحاصل حاله: أنه لم يكن في عصره بدمشق أزهد منه بالإجماع، وإذا ألجأ من أحد محبيه بشيء من الدنيا، يحضر جماعةً مستحقين، بحضرة صاحب المال، ويصرفه على يده، ولا يمسك منه شيئاً بيده.

---

(١) سبق التنبيه على مثل هذا، وأنه من مبالغات الصوفية، وربما كان من تعامل بعضهم مع الجن والله أعلم.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٠١)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٥١).

(٣) التبرك لا يكون إلا بشخص النبي ﷺ وآثاره، ولو كان التبرك بمن بعده صحيحاً لتبرك التابعون رحمهم الله بالصحابة ﷺ، ومن المعلوم أن هذا لم يقع، فوجب التنبيه، ومثل هذا كثير الوقوع في هذا الكتاب، رحمه الله المصنف وغفر له.

وكان حسن الخط، يكتب بالأجرة، ويحصل الكتب بخطه، ويبيعها ويصرف منها، وكان إذا دخل الإنسان إلى بيته، وجد عنده من الطعام والفاكهة ما لا يجده عند الأغنياء، وكان لا يخرج من بيته إلا إلى الدرس، وصلاة الجماعة بمسجد السليمية، حسن السمت، صموتاً، مشتغلاً بما يعنيه من أمور دينه ودنياه.

قرأ في الفقه على الشهاب أحمد بن علي المفلحي، وفي غيره على الشهاب أحمد العيثاوي، والشمس الميداني، والنجم الغزي، وكثير، وعنه: أبو المواهب الحنبلي، وعبد القادر بن عبد القادر بن عبد الهادي، وحمزة الرومي، وعبد الحي العكري.

ولما قدم إلى دمشق الوزيرُ مصطفى باشا الكبرلي، بعد رجوعه من الحج، لازمه، وأخذ عنه، واختص به، وكان يعتقده كثيراً، وعرض عليه وظائف نافعة، فلم يقبل شيئاً، وكانت **وفاته** ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ثلاث وثمانين وألف، بالصالحية، وصلى عليه إماماً بالناس، بالجامع المظفري، ولدهُ عبد الرحمن، ودفن بسفح قاسيون، في الطرف الشرقي، بالقرب من الروضة، وكان له مشهد عظيم.

وأخبرني تلميذه، صاحبنا الفاضل، محمدُ بن عثمان الهوش: أنه كان كثيراً ما يورد كلام الحافظ أبي الحسن علي بن أحمد الزيدي؛ نسبة لزيد بن علي بن الحسين؛ لأنه من ذريته، ويستحسنه، ويعمل به، وهو قوله: اجعلوا النوافل كالفرائض، والمعاصي كالكفر، والشهوات كالسم، ومخالطة الناس كالنار.

ومن غريب ما نقل بعض تلامذته عنه: أنه كتب ثمان نسخٍ من «فتح

الباري» لابن حجر، غير ما كتبه بالأجرة لنفسه، ومن كتب لا يحصى عدها، مع اشتغاله غالب نهاره بإقراء العلم والدروس، وكل ذلك من بركة الأوقات، وتقوى الله.

[١٤٩] محمد بن بركات بن محمد بن عبد الرحمن السقاف، عرف جده بكرشه باعلوي الحسيني.

صاحب المناقب المأثورة، والكرامات المشهورة، أحد أولياء زمانه، وأعجوبة دهره وأوانه، **ولد** بمدينة «تريم»، ونشأ بها، وصحب جماعةً من أكابر العارفين، ثم حصلت له جذبةٌ ربانيةٌ.

وربما حصلت منه أمورٌ ممنوعةٌ في ظاهر الشرع؛ كإتلاف الأموال بالنار، ورميها في البحر، من غير سبب ظاهر، والاعتذار عن مثل هذه الأفعال غير خافٍ على ذوي البصائر.

وكان لا يقيم ببلدٍ سنةً كاملةً، بل يتنقل في البلدان، كأنه المعني بقول أبي العلاء:

أبالاسكندرِ الملكِ اقتديتُمْ فلا تضعون في أرض وِسادا؟

أو كأنه على رأي الحريري في «المقامات» من الذين لا يتخذون أوطاناً، ولا يهابون سلطاناً، فرحل إلى الهند والحبشة والسواحل واليمن والحجاز، وكان يتردد إلى مكة المشرفة، وكان قاضيها ورئيسها القاضي حسين يحبه ويعتقده، وأملكه على ابنته.

وكلما دخل بلدةً، تصرف في أهلها ـ سيما ولاتها وحكامها ـ تصرفَ الملوك، وكان كل حاكم يأتي إلى اليمن، من قبل الدولة العثمانية، يكون

تحت أمره المطلق والمقيد، ويشتد بالأمر على خدمه وخاصته، وكانوا يعطونه من الأموال والجواهر، والملابس الفاخرة، والخيل المسومة والأمتعة، ما لا يحصى كثرةً.

وكان كثير الإنفاق على أصحابه، ومَن عنده من أحبابه، لاسيما إذا خرج إلى حضرموت، فكان يعمل الأطعمة النفيسة، ويمسك من جاءه زائراً إلى آخر الليل، وكان لا ينام إلا قليلاً، وما فضل من الطعام، يفرق على جميع جيرانه.

وكان عظيم الهيبة على جماعته، ذا نور يتطور لهم طوراً بعد طور، وربما أنكر عليه أنه إذا جاء وقت الصلاة، أمرهم بها، ولا يصلي معهم، بل يغيب عنهم، وكل من أنكر عليه حاله، إذا اجتمع به، زال عنه ذلك، وكان لا يجتمع إلا بآحاد الناس، وكان قليل الشطح، وكانت الملوك والسلاطين تعتقده، وإذا كتب لأحد في شيء، لا يستطيع رده.

وبالجملة: كان ذا بر وأحوال ومعروف، وطريق غير مألوف، وله كرامات خارقات، كما أخبرني بها بعض من شاهدها من الثقات.

منها: أنه كان يأخذ من التراب والمدر والحجر، ويعطيه من شاء من أصحابه، فيجده نقداً أو سكراً أو حلوى، على حسب ما طلبه منه ذلك الشخص، وهذه الكرامة مستفيضةٌ عند أهل مكة وحضرموت ممن شاهدها.

ومنها: أن أحد باشوات اليمن أتى إلى بيته لزيارته بخيله ورجله، فأكرمهم، وقال له خادمه: ليس عندنا شيء من البخور، فأدخل يده تحت ثيابه، وأخرج قطعة عنبر، وقال: بَخِّرهم بهذا.

ومنها: أنه اشترى بقرةً، ولم يكن عنده شيء من ثمنها، فاستمهل

صاحبها، فامتنع، فضرب صاحب الترجمة قرن البقرة ضربات، على عدة ثمن البقرة، فتناثر قدر ثمنها.

نقل هاتين الكرامتين شيخنا العلامة محمد بن بكر الشبلي العلوي، عن السيد عيدروس بن حسن البار ـ رحمهما الله ـ.

قال شيخنا المذكور:

ومنها: ما أخبرني خادمه عبدالله بن كليب، قال: أرسلني السيد إلى السلطان عبدالله بن عمر الكثيري، يستشفع في رجل، فامتنع وقال: هذا رجل لنا عليه أموال، وفعل أفعالاً قبيحة، قال: فأخبرت سيدي، فسكت وإذا بالسلطان يدق الباب، ففتح له، فاعتذر واستغفر، وقال: أصابتني ريح في بطني كادت أن تهلكني، فمسح بيده الشريفة على بطنه، فعوفي لوقته.

ومنها: أنه لما سافر إلى المدينة ـ على مشرفها أفضل الصلاة والسلام ـ، نزل خارجها، ولم يدخلها، وخرج له أكابر المدينة وأعيانها، ووقع في نفس شيخ الحرم شيء على السيد من عدم دخوله، وساء ظنه به، فدخل تلك الليلة الحجرة الشريفة، فوجد صاحب الترجمة عند القبر الشريف، داخل الحجرة، فبهت، واستعظم ذلك، فلما أصبح، خرج له معتذراً، فكاشفه السيد، وقال: أتظن أن هذه الجدران تحجبنا؟

وغير ذلك من الكرامات الشهيرة، والمناقب الكثيرة، مما فاح نشرها، ولاح فجرها، ويطول ذكرها.

ولم يزل يرد المناهل العذبة، ولم يقتصر على فرد منهل؛ عملاً بقول الأول: فلذَّاتُ الهوى في التنقل، ثم استقر في بندر «المخا»، وطنب به خيامه،

وقصد الاستقرار فيه والإقامة، فدعاه أجله فلبى، وقضى من الحياة نحبا، فتوفي في سنة ثمان وأربعين بعد الألف، ودفن خارج العمران، من جهة اليمن، وعمل قبره عريش من القصبان.

وقبره أشهر من نار على علم، مقصود محترم، ومن أساء الأدب عنده، عوجل بالعقوبة، إلا إن بادر بالاستغفار والتوبة، ووقع لبعض العجم أنه أساء الأدب في حضرته، فنهاه الخادم فلم ينته، فتزحلقت رجله، وصار يتحرك كالطير المذبوح، ومات لوقته، وهذه من كراماته، أعاد الله علينا من بركاته.

وذكر السيد محمد بن الطاهر بن بحر في «تاريخه»: أنه اجتمع بصاحب الترجمة في المخا، سنة إحدى وأربعين وألف، وحكى له: أنه كان يتردد إلى ظاهر المخا خمساً وعشرين سنة لم يدخلها، وذكر أن الشاذلي ـ نفع الله به ـ، لم يؤذن له في الدخول. انتهى.

[١٥٠] محمد بن برهان المحلي المصري.

كان إماماً في فنونٍ كثيرةٍ، خصوصاً المعاني والبيان والمنطق، وله مؤلفات، منها: «تأليف في الاستعارة وأقسامها»، وكان يتعاطى التجارة، وتكرر دخوله للحرمين واليمن، وأذن عنه شيوخ كثيرون، منهم: السيد أبو بكر بن أبي القاسم، وأخوه السيد سليمان، توفي بأرض مصر، في نيف وثلاثين وألف.

[١٥١] محمد بن بيري[1].

ذكره النجم الغزي في «الذيل»، فقال: كان حسن الخط، له معرفةٌ تامةٌ

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١١٠) (٣٤).

بكتابة الديوان، ومعرفةِ أساليبه، وكان عند كاتب الولايات، أول ما دخل بلاد الشام، وكان عنده دفترٌ بأراضي الشام، وضواحيها وقراها وأوقافها، بحيث صار آخر أمره مرجعاً لأهلها، وتفرغ آخراً عن المناصب.

وكانت له فضيلةٌ تامةٌ، ومعرفةٌ بالعلوم العربية، وكان يقتني كتب التواريخ والأدب والتفسير وغيرها، وملك من نفائس الكتب شيئاً كثيراً، وكانت علماء الشام تتردد عليه في المهمات، فيكرمهم غاية الإكرام، ويقضي حوائجهم.

وكان من أصحاب الرأي، وربما أصلح بين من يقع بينهم، وكانت الحكام ترجع إلى رأيه، وكانت له شفقةٌ زائدةٌ، ومحبةٌ لفعل الخير، خصوصاً من انتسب إليه، وأعتق مماليك كثيرة، بعد أن يحسن إليهم، ويأخذ لهم ما يكفيهم من المعاش.

وبالجملة: كان من محاسن دمشق، **توفي** بالعرار، راجعاً من البقاع، في أواخر ربيع الآخر، سنة خمس عشرة بعد الألف، عن نحو ثمانين سنة، في فتنة ابن جانبولاد ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٥٢] محمد بن تاج الدين الكوراني الحلبي(١).

كان من أجلِّ الكتاب، المنفردين بأنواع الفضائل والآداب، لم يزل مدة عمره مبتلًى بخدمة القضاة، مقدماً على غيره؛ لعفته وتقواه، منفرداً بكتابة الوثائق والصكوك، ورد ألفاظه في قالب الفصاحة مسبوك، وله في القريض، أبياتٌ تخجل برقتها الخدود والوجنات؛ **كقوله في معذر**:

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٦١٣) (١٢٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٢٤).

ومهفهفٍ كَمُلَتْ محاسنُ وجهِه ... من فوقِ غصن قَوامِه المتمايلِ
وبدا طرازُ عِذارِه فكأنه ... بدءُ الخسوفِ لبدرِ تَمٍّ كاملِ

وقوله:

لما تأمل بدرُ التمِّ عارضَه ... وقد بدا في مُحَيَّا نوره سطعا
بدا به غيره خشف وشبهه ... كأنه في محياه قد انطبعا

وقوله:

ومعذرٍ فتك الأنام بحسنه ... وسطا بمرهَفِ لحظِه المتنعسِ
جعل العذار لثامه متنكراً ... كيلا يحاطَ به لقتلِ الأنفسِ

وقوله:

ومعذرٍ لَدْنِ القوامِ ووجهُه ... بدرٌ تبرقع بالعذارِ الأخضرِ
طلع العذارُ بخده فكأنما ... فتقت لنا ريح الجلاد بعنبر

توفي بحلب سنة إحدى وخمسين وألف.

[١٥٣] محمد بن تاج الدين بن محمد محاسن، الشهير بالمحاسني، الدمشقي الحنفي، سبط الشيخ حسن البوريني[١].

وخطيب مسجد بني أمية، كان من سراة علماء دمشق وأدبائها، وأكابرها وعظمائها، قرأ وكتب، وبرع وخطب، ونافس أخدانه في العلم والأدب،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٠٨)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٣٥٣) (٢٥)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٦٢).

وتنقلت به المراتب العلية حتى تولى مدرسة قبة النسر بمسجد بني أمية، وحظي في عصره بالقبول والظهور، واشتهر أدبه وفضله عند البدو والحضور، وأخذ العلم عن النجم الغزي، والشمس الميداني، والشهاب البيضاوي، وعن شيوخ آخرين تنيف عن ثلاثين، وعنه: أخوه إسماعيل، وعلاء الدين الحصكفي، وعبد الحي العكري، وكثير، وقد رأيته وأنا دون الاحتلام بدمشق الشام، وكانت داره قريبة من دارنا، ولأهلنا به اختصاص كبير، توفي سنة سبعين بعد الألف، ودفن بباب الصغير بتربة دمشق المشهورة.

وله شعر حسن منه قوله:

لو كنتُ بمرأًى من حبيبٍ نَـزَحا ... ما كان دخيلُ الوجد مني فَضَحا

لكن بَعُدوا فصار سِرِّي عَلَناً ... من بعدِهم وعاد كأسي قَدَحا

وقوله:

قسماً بالعفاف في الحبِّ عما ... يغضبُ اللهَ من كلا الطرفينِ

لم يغيرْ ما بيننا البعدُ إلا ... أنَّ طِيبَ الرقادِ فارقَ عيني

وقوله:

لكل بني الدنيا مرادٌ ومقصدُ ... وإنَّ مرادي صحةٌ وفراغُ

لأبلغَ في علم الشريعة مبلغاً ... يكون به لي في الجنان بلاغُ

ففي مثل هذا فلينافس أولو النهى ... وحسبي من الدنيا الغَرورِ بلاغُ

فما الفوزُ إلا في نعيمٍ مؤبدٍ ... به العيشُ رغدٌ والشراب مُساغُ

[١٥٤] محمد بن جابر، صاحب «المدحاية».

قريةٌ بأسفل المحويت القبلي، من جبل قيس، من أصحاب الشيخ عمر ابن جبريل، كان من أعيان القوم، وأكابر أهل الطريق، وكان له جمع للذكر، توفي قبيل سنة عشر بعد الألف.

[١٥٥] السيد محمد بن جماع.

من أعيان أشراف «صبيا»، وسكن «العرقوب» بقرب المحويت، وكان آيةً في الدين والصلاح، وكان السادة النزيليون يعظمونه ويعتقدونه، وله معهم كرامات كثيرة، مات بكوكبان سنة إحدى أو اثنتي عشرة وألف، ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٥٦] محمد بن تاج الدين بن محمد الحنفي، المقدسي الأصل، الرملي المنشأ والمولد، مفتي الرملة[١].

الشيخ الإمام العلامة، الصالح التقي الفهامة، الذي رَكَّب اللهُ ذاته من اللطف، فتراه من رقة الطبع بمكان مكين، وأعطاه سبحانه من الصبر والحلم، ما يكلُّ عنه الوصف والتبيين، إلى صفاء باطنٍ، وقلبٍ سليم، وثبات جأشٍ، وحسن خلقٍ عظيم، وعلم بلغ به الغاية القصوى، وإظهار عجزٍ، وتبرِّي من الدعوى.

وبالجملة: فإنه نادرةٌ من نوادر بلاد فلسطين، ومنّةٌ منّ الله به على أهل إقليمه بيقين، فإنه محضُ خيرٍ، ولا يسعى إلا فيه، ولذلك طيب الله عيشه، ونصره على مناوئيه.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤١١).

مولده يوم الثلاثاء، ثاني شهر ربيع الثاني، سنة اثنتين وأربعين وألف بالرملة، وجاء تاريخ مولده: «يحفظه واحد ودود»، وحفظ القرآن وجَوَّده ببلده، وقدم مصر في شبيبته، وقرأ بالروايات على شيخنا سلطان المزاحي، جميع القرآن للسبعة، ثم ختمه أخرى، للعشرة من طريق «الدرة».

وأخذ عنه الحديث، وقرأ عليه «شرح ألفية ابن الهائم» للشيخ زكريا في الفرائض، وأجازه بمروياته، وأخذ الحديث أيضاً، عن محدث مصر شيخنا محمد البابلي، قرأ عليه «شرح ألفية العراقي» لشيخ الإسلام زكريا، وسمع عليه بعض «البخاري»، وبعض «سيرة ابن سيد الناس»، و«شرح الجوهرة» للقاني، وأخذ الحديث أيضاً عن العلامة المحدث عبد السلام بن إبراهيم اللقاني.

ولازم دروس شيخنا خاتمة المحققين علي الشبراملسي، وقرأ عليه بالروايات، من طريق السبعة، وفي «شرح ألفية الحديث العراقية» لشيخ الإسلام زكريا، وفي «الشرح المختصر على التلخيص» للسعد، و«حاشية الحفيد» للفهامة أحمد بن قاسم.

وأخذ الفقه عن فقيه الحنفية بالديار المصرية حسن الشرنبلاوي، قرأ عليه «الدرر بحاشيته عليه»، وكان معيد درسه، وعن شيخ الإسلام الشهاب أحمد الشوبري، قرأ عليه من أول «الهداية» إلى باب العتق، فقرأ الشيخ الفاتحة ثلاثاً قائلاً بعدها: اللهم أعتق رقابنا من النار، وكان ذلك آخر قراءته، ومكث أياماً قليلةً، وانتقل إلى رحمة الله ورضوانه، وقرأ على الفهامة، عبد الباقي الحنفي نزيل الأشرفية، وحفيد شيخ الإسلام، الشيخ علي المقدسي «شرح الكنز المنظوم» لابن الفصيح، وأجازه غالب شيوخه.

ورجع إلى بلده، ولازم خال والده شيخَ الإسلام، وعالم الشام، خير الدين الرملي الحنفي، زيادةً على عشر سنين، ولحظه بنظره، وأجازه بمروياته، ثم نزل عن إفتاء الرملة، وكتب إلى شيخ الإسلام إذ ذاك، يحيى المنقاري، مفتي القسطنطينية، يطلب منه الإجازة له بالفتوى، وأن يكون بدله فيها؛ لأهليته لذلك، فأجابه لملتَمِسه، وصار هو المفتي في زمان أستاذه، ولم يزل كذلك إلى أن توفي أستاذه المذكور، فانفرد بعده بالرياسة، وصار هو العمدة في ذلك الإقليم.

ولما مر الشيخ العلامة محمد بن سليمان المغربي، نزيل مكة، على الرملة، أخذ عنه، وأجازه بمروياته ومؤلفاته، وكذلك لما مر شيخنا، علامة عصره، يحيى بن محمد الشاوي، على الرملة، متوجهاً إلى القسطنطينية، سمع منه الحديث المسلسل بالأولية، وقرأ عليه طرفاً من «الكشاف»، وغيره، وأجازه أيضاً بمروياته.

ومن إجازته له ولولده ـ رحمهم الله ـ:

أجزت أخانا الفاضل العَلَم الذي ... يسمى بمن في الناس في الحشر يشفع

ونجلاً له والله يُنجح قصدَه ... أباً للهدى والشخص بالاسم يرفعُ

وقال بهذا يحيى نجلُ محمدٍ ... ومن مغرب الأوطان والله ُ ينفعُ

ولما قدم مكة حاجاً، نزل قريباً من منزلي، وصحبته، وتأكدت المودة بيني وبينه؛ لما رأيته من صفاته السنية، وشيمته الزكية، وكتب لي بخطه إجازةً، بجميع مروياته.

ومما كتبه قوله:

يا مصطفايَ ومصطفى من أخلصا إني أحبك والذي أحصى الحصا

إذ قد شهدت من المحاسن والتقى جملاً وشاع عن النقاب ملخصا

كم أعطرت أوصافُ ذاتك مسمعي لما شدا الشادي بها متفحصا

فلذاك قلدت الجنابَ تحيةً للهِ لا لسواه حباً أخلصا

أعنيك قائلها الوفي محمد من عاد كاهله بخبرك مرهصا(١)

ورجع مع الحاج المصري، قاصداً بلده، فأدركه أجله بالينبع من سواحل الحجاز، فتوفي في عاشر محرم، افتتاح سنة سبع وتسعين وألف ـ رحمه الله ـ.

[١٥٧] السيد محمد بن حسن بن شدقم الحسيني المدني(٢).

قال صاحب «سلافة العصر»: فرعٌ ثبت أصلهُ فنما، وزكا جَدّاً وأباً وأُمَّاً، طابت بطيبة مغارس جدوده وآبائه، وتفرعت بها مفارع مجده وإبائه، فانفسحت خطاه في الفضائل والمآثر، وأذعن لأدبه كل ناظم وناثر، وله شعرٌ غرد به ساجع براعته وصدح، وأورى زناد البيان بحسن براعته وقدح، فمنه قوله مذيلاً بيت أبي دهبل، مقتفياً للشريف المرتضى:

وأبرزتها بطحاءُ مكة بعدما أصاتَ المنادي بالصلاة فأعتما

فأَرَّجَ أرجاءَ المعرَّفِ عَرْفُها وأضوى ضياها الزرقان(٣) المعظما

---

(١) في الأصل: مرهقا.

(٢) «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٥٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٣٣٠) (٣١٧).

(٣) كذا في الأصل، والصواب: الزبرقان.

وحَيَّـا محياهـا الملبـون وانتـشَوْا　　بنَـشْر محياهـا الممنـع واللمـا
وروض منها كل أرض مشت بهـا　　بحـر التـصابي بـين أترابهـا الـدما
هي الشمسُ إلا أَنَّ فاحمَها الـدجا　　هـي البـدرُ لكـنْ لا يـزال مُتَمَّمـا
تجول مياهُ الحسن فـي وَجَناتهـا　　وتمنعُ سلسالَ الرّضابِ أخا الظما
وتـسلبُ يقظـانَ الفـؤاد رشـادَه　　وتكسو رداءَ الحسن جسماً مُنَعَّمـا
مهاةٌ يصيدُ الأسـدَ سـهمُ لِحاظهـا　　ومن عَجَبٍ صيدُ الغزالـةِ ضَـيْغَما
يُعَلِّلنـي كـر الحمـام تـرنمٌ　　وما شَغَفي لـولا الغزالـةُ بـالحمى
وأصـبو لنجـد الريـاح تعلـلاً　　ومـن فقـدَ المـاءَ الطهـورَ تَيَمَّمـا

قال السيد المرتضى في كتابه «الدرر والغرر»: ذاكرني بعض الأصدقاء بقول أبي دهبل:

وأبرزتهـا بطحـاء مكـة بعـدما　　أصات المنادي بالـصلاة فأعتمـا

وسألني إجازة هذا البيت، بأبيات تنضم إليه، وأجعل الكتابة عن امرأة، لا عن ناقة، فقلت في الحال:

فَطَيَّـبَ ريَّاهـا المقـامَ وضـوأتْ　　بإشـراقِها بـين الحطـيمِ وزمزمـا
فيـا ربِّ إن لقيـت وجهـا تحيـة　　فحيـي وجوهـاً بالمدينـة سـهما
تجافَيْنَ عن مسِّ الـدهانِ وطالمـا　　عصمن عن الحناءِ كفاً ومِعْـصَما
وكم من جليدٍ لا يخـامره الهـوى　　شَنَنَّ عليـه الوجـدَ حتـى تَتَيَّمـا[1]

---

(١) في الأصل: تيتما، والصواب ما أثبت.

أهانَ لهنَّ النفسَ وهي كريمةٌ ... وألقى إليهنَّ الحديثَ المُكَتَّما
سفهْنَ لما أن برزت بدارها ... وعوجلت حين الحلم أن أتحلَّما
فعجت تقرَّى دارساً متنكراً ... وتسأل مصروفاً عن النطق أعجما
ويومَ وقفنا للوداعِ وكلُّنا ... يَعُدُّ مطيعَ الشوقِ من كان أحزَما
فصرتُ بقلبٍ لا يعنّفُ في الهوى ... وعينٍ متى استمطرتُها قطرت دما

قال السيد علي في «سلافته»، وقلت أنا ناسجاً على هذا المنوال:

وأبرزتها بطحاء مكة بعدما ... أصاتَ المنادي بالصلاة فأعتما
فَضوَّأَ أكنافَ الحَجون ضياؤُها ... وأشرقَ بين المأزِمَيْنِ وزمزما
ولما سرتْ للركب نفحةُ طيبِها ... تغنَّى بها حاديهمُ وَتَرنَّما
أناة هي الشمسُ المنيرةُ في الضحى ... ولكنها تبدو إذا الليلُ أظلما
تعلَّم منها الغصنُ عطفَة قدِّها ... وما كان أحرى الغصن أن يتعلَّما
وأسفرَ عنها الصبحُ لما تلثَّمتْ ... ولو أسفرت للصبح يوماً تلثَّما
إذا ما رَنتْ لحظاً وماست تَأَوُّداً ... فما ظبيةُ الجَرْعا وما بانةُ الحمى؟!
تراءت على بُعْدٍ فكبّر ذو التقى ... ولاحت على قربٍ فصلَّى وسلما
وكم حَلَّلَتْ بالصبر قتلَ أخي الهوى ... وكان يرى قبلَ الصدود محرّما
وظنَّتْ فؤادي خالياً فرمَتْ به ... هوى عادَ دائي منه أدهى وأعظَما
ولو أنَّها أبقَتْ عليَّ أطقتُه ... ولكنها لم تُبق لحماً ولا دما

قال: وأنشدني صاحبنا أحمد الجوهري لنفسه، قال:

وأبرزتها بطحاء مكة بعدما ... أصات المنادي بالصلاة فأعتما

فشاهدت من لو أبصر البدرُ وجهَها لكان بهـا مُـضْنًى وَلوعـاً ومُغْرَمـا

ولو عرضَتْ ركبَ الحجيج تصدُّه للبّـى لمـا يـدعو هواهـا وأحرمـا

وعَـرَّفَ بالكثبـانِ مـن عَرَصـاتها وقال... لي دارهـا حـين خَيَّمـا

فلا تعذِلوا فـي حـبِّ ظميـاءَ إنهـا لها مبسَمٌ يشفي الفؤاد مـن الظَّمـا

وأعذبُ من صَوْبِ الغمامةِ مرشـفاً وأضـوأُ مـن لمـع البـروق تبـسُّما

وأجملُ من ليلـى وسـلمى وعـزةٍ وسُعْدى ولبنـى والربـاب وكَلْثَمـا

وكم ملـكٍ فـي قومـه كـان قـاهراً فأضحى ذلـيلاً فـي هواهـا مُتَيَّمـا

يَـدينُ بمـا تهـوى مطيعـاً لأمرهـا وإن ظلمَتْـه لـم يكـنْ مُتَظَلِّمـا

تظلُّ الملوك الـصِّيدُ تعثـر بـالثرى إذا قاربوا أو شاهدوا ذلك الحمى

وأما بيت أبي دهبل المذيَّل عليه، فهو من قصيدةٍ له، يصف ناقته، حدث موسى بن يعقوب، قال: أنشدني يوماً أبو دَهْبَل قوله:

ألا علـقَ القلـبُ المتـيمُ كلثَمـا لجاجاً فلم يلزم من الحبِّ ملزمـا

خرجتُ بها من بطنِ مكةَ بعـد مـا أصاتَ المنـادي بالـصلاةِ فأعتمـا

فما نـام مـن داعٍ ولا ارتـدَّ سـامرٌ من الحيِّ حتى جاوزَتْ بي يَلَمْلَما

ومرت ببطن الليـث تهـوي كأنهـا تبـادرُ بـالإدلاج نهبـاً مقـسَّما

وجارت على البزواء والليثُ كاسرٌ ... بـالبزواء ورداً وأدهمـا

فما رد قرن الشمس حتـى تبينـت بـسيب نخـلاً مـشرفاً أو مخيمـا

ومرتْ على أشطانِ دوقةَ بالضحى فما حـدرتْ للمـاء عينـاً ولا فمـا

ومـا شـربَتْ حتـى ثنيـت زمامَهـا وخفـتُ عليهـا أن تجـرَّ وتَكْلَمـا

فقلتُ لها قد نلتِ غيرَ ذميمةٍ   وأصبحَ وادي البرق غيثاً مديما

قال: فقلت له: ما كنت إلا على الريح، فقال: يا بن أخي! إن عمك إذا هم، فعل، وهي العجاجة هكذا، رواه أبو الفرج الأصبهاني، في الجامع الكبير، وفي رواية البيت المذيل بعض تغيير، كما رأيت الروايات تختلف.

قلت: وممن ذيلها العارف بالله السيد حاتم الأهدل ـ نفع الله به ـ، فقال:

وأبرزتها بطحاء مكة بعدما   أصاخ المنادي بالصلاة فأعتما

وسرَّحْتُ عيني في رياضِ خُدودِها   فشاهدت روضاً كالربيع مُتَمَّما

سقته مياه الحسنِ فازداد بهجةً   وغادر قلبي بالحطيم مُحَطَّما

حسينيةٌ حسناءُ لمياءُ نحرها   توجه قلبي بالغرام وأحرما

سعيت إليها بالصفاء مسلِّما   لروحي وقلبي طافَ سبعاً وزمزما

غزالٌ بعين الظبي لفتةُ جيدها   وعن قدِّها المياسِ سل بانةَ الحمى

فأَتت تُعير الشمسَ بهجةَ وجهِها   سناها بغيرِ الحسن لن يتلثَّما

غدا خصرُها جسمي سقاماً وجفنُها   تعدَّى على جفني وللنوم حَرَّما

إليها ثنت قلبي الثنايا صبابةً   فيا ما أحيلى ذلكَ الثغرَ واللَّما

إذا حَدَّثَتْ فاحَ الأَنابُ وأظهرت   برمزتها مني الحديثَ المكتَّما

[١٥٨] محمد بن الحسن العياني.

من أهل «كوكبان»، كان من أهل الفضل، أخذ عن عبد الرحمن بن حسين النزيلي، وكان عظيم القدر، عند عامة الناس وخاصتهم، وهو الذي

تولى الصلح بين الأمير محمد بن شمس الدين، والوزير حسن باشا، **توفي** سنة سبع عشرة وألف.

[١٥٩] محمد بن الحسن بن أحمد الحيمي، الشهير بالحماني.

نسبةً إلى الحيمة، قبيلةٌ مشهورةٌ بنواحي صنعاء، وكان منشؤه بكوكبان، من اليمن الميمون، ذكره صاحب «طوق الصادح»، فقال:

القاضي الفاضل، الماهر في صناعة العلم والأدب، والبحر الرحب، الذي يقال للمحدث عنه: حدث ولا عجب، والقمين بجملة الحمد، وكيف لا، وهو جوادٌ تحسد الأنواء أنواله، وندبٌ إذا سئل أسلة لسانه لا ينشا، وجب التسليم فيما نواله، وبدرٌ تتكلف البدورأن تحاكيه سناءً وسَناً، وصدرٌ توجد براعته، ويراعته للبائس الحزين غناءً وغنىً، وبحر قضاءٍ غدت شريعته على وقف مراد الشارع، وهمامٌ بعيد الهمة، له من سماء المناقب قمراها، والنجوم الطوالع، وخاتمُ نبوة القريض، فلا نبوة بعد محمد، وينبوعُ معين الأدب، فلو كان في الزمن السالف، احترق من جسده المبرد، وكعبةُ فضلٍ يطوف بها بعليائه، وهو عينه مقصر، ويهتز للذكرِ الجميل، فكأنما هزه وحاشاه، مسكراتي في شعره بكل بديع، يثني إليه لأعنة الأعنة، وقلد جيد الدهر بما أبداه من علومه، فمن به أي منه، وسحر ببيانه ألباب الألباء، وإن من البيان سحراً، وأرانا في سماء الآداب ورياضها زُهراً وزَهراً.

مولده ـ كما كتبه إليّ بخطه، سلمه الله ـ سابع عشري شهر رجب، سنة خمسين وألف، بمدينة شبام حمير، وقرأ في بدايته على والده، وغيره من علماء كوكبان، وجدّ في الاشتغال بالعلوم، حتى صار من أعيان فضلاء هذا

الزمان، ولطالما كنت أتشوق أخباره، وأتطلب آثاره، وتنائي الديار يحول عن ذلك، حتى جرى بيني وبينه من المكاتبة ما ذكره يطول، وسأورد منه ما يتحلى به جيدُ هذا الكتاب، وتقر به عيونُ ذوي الفضل والآداب.

توفي ببلدة شبام، سنة ألف ومائة وعشر.

فمن شعره الرقيق، الذي هو للروض شقيق، قوله:

سفكَتْ دماءَ العاشقين ولم يقلْ ... بجوازه المُفتونَ في المَفتونِ

لا تَعجبوا من عاشقٍ رضيَ الهوى ... في الناس وهو من الهوى في الهُون

فالغيدُ تقتنص الأسودَ بلحظها ... وتغادرَ المفتون حِلْفَ جنونِ

فعلام طَوَّلَ في الملام عواذلي ... وإليه تدعوني ولا يدعوني

وأنا الذي علقَ الهوى بفؤاده ... من مبدإ التصويرِ والتكوينِ

وحديثُ أشجاني قديمٌ في الهوى ... يُروى كما يروى كثيرُ شجون

ويمينُ من قال التسلِّي مذهبي ... وخذوا على ما أَدَّعيه يميني

أو فاقنعوا بدليل ذاتي الضنا ... وبعارضٍ في عارضَيَّ هَتونِ

يا عاذلي دينُ المحبةِ واحدٌ ... أتريدُ تَلويني إلى تلويني

هيهاتَ أسلو من أحبُّ وحسنُه ... لصبابتي بصفاته يَسبيني

[١٦٠] السيد محمد بن الولي المشهور الجيلان بن أحمد، صاحب القبة المنيرة، ببيت عكاد، من أعمال بيت الفقيه، ابن حشيبر.

صاحب كرامات ومكاشفات، سكن «المخا»، **وتوفي** بها، في عشر الستين بعد الألف، وهو من بني هريرة، والمنتهي نسبتهم إلى الإمام

الهادي، المدفون بصعدة، يحيى بن الحسين بن أبي القاسم الرسي بن إبراهيم ابن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وقيل: إنهم من ذرية جده إبراهيم بن إسماعيل، ولا يضر هذا الخلاف.

[١٦١] السيد محمد بن الحسن ابن الإمام القاسم بن محمد بن محمد[١].

قال القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في «تاريخه»: قائد الجحافل، وواحد المحافل، السلطان المسعود، وإنسان[٢] الأعلام المحمود، كان سَرِيّاً حُوَّلاً قُلَّباً، حنكته التجارب، وعرف المصادر والموارد، وصحبته السعادة، في الصغر والكبر، ولم يزل حميداً في الحالين، واستمرت أيامه على نمط واحد، غير ما لابد منه، في أوائل العمر، من الوقوف في الكتاب للقراءة، وأما مذ نيطت عنه التمائم، فما هو إلا مسود مقدم، محفوف بالجنود والبنود.

تولى صعدة ونواحيها، وما ذر الشعر بعارضيه، فحُمدت سيرته، واتصل به الفضلاء، ووفد إليه الأخيار، ونكى الأعداء، في ذلك الإقليم، على شراستهم وإبائهم، وغزا مغازي محمودة الأثر.

وقرأ ـ في أثناء هذه المدة ـ أكثر الكتب المعتمدة، على شيوخ مكة؛ كالقاضي أحمد بن يحيى بن حابس، والفقيه صديق بن رسام السوادي،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٢٨)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٢٧)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٨٩).

(٢) في الأصل: وإنساد، ولعل الصواب ما أثبت.

وما يترك من مهمات العلوم فناً إلا وأبلغ جهده في الطلب، وقيلت فيه المدائح الغراء، أيام إقامته بصعدة، وأجاز الجوائز السنيات.

ولما توفي والده، وكان صاحب الترجمة يومئذ آيباً من زيارته إلى عمه الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، فلما بلغ الإمام مرضه، نفذهُ إلى جهة ضوران، فوقف في الديار اليمنية متردداً بين ضوران وذمار، ثم سكن مدينتي أب وذي جبلة.

وجمع جنداً جراراً من وجوه العسكر، وكبراء الأمراء، من أعيان دولة والده، حتى توفي الإمام المؤيد، فدعا صاحب الترجمة إلى عمه الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، وسلم الأمر طوعاً له، على يدي أخيه السيد أحمد بن الحسن.

وولاه الإمام ولاية عظمى، في أقاليم وحصون ومدن، فاستمر على حالٍ حميدةٍ، محفوفاً بعساكر يضيق بها الرحب، في رفاهيةٍ ودعةٍ لما له من الإسعاد، واستمر حاله كذلك على نموٍّ وازدياد، من حدود سنة أربع وخمسين، إلى عام تسعة وسبعين، وكان يجعل شطر الإقامة بذمار واليمن الأسفل، وشطرها بصنعاء، كما كان يفعل طاوس الفقيه، من الإقامة أيام الشتاء بالجند، وأيام الربيع وما وراءها بصنعاء.

وقرأ ـ رحمه الله ـ في هذه المدة المتأخرة، تذكرة العلامة النحوي، على علامة اليمن محمد بن صلاح السلامي، وكملها على أحمد بن سعيد الهبل، وقرأ «الفصول اللؤلئية» على إبراهيم بن يحيى السحولي.

ومن مؤلفاته: «سبيل الرشاد إلى معرفة رب العباد» مختصر مفيد في

علم الكلام، و«شرح مرقاة الوصول إلى علم الأصول» لجده الإمام القاسم، سماه بـ «التسهيل»، وجواب مبسوط في حديث: «ستفترق أمتي»، سأله عنه العلامة أحمد بن مطير الشافعي ـ رحمه الله ـ.

وفي سنة تسع وسبعين، طلع من اليمن إلى صنعاء، وصادف قدوم عمه الإمام إسماعيل من[1] «شهارة»، متوجهاً إلى «ضوران»، فامتلأت الساحات بالخلائق، وامتلأت القلوب بالمسرة، فما كان أسرع من أن أصابه ألم، أحسبه ذات الجنب، **واختار الله له جواره**، بداره بدرب السلاطين، من أعمال الروضة، في الثلث الأول، من ليلة الخميس، ثامن شهر ربيع الأول، سنة تسع وسبعين بعد الألف، فاجتمع السادات بداره، والإمام هنالك، ودفن بقرب داره.

وكان الخطب جسيماً، لولا حضور الإمام، فإنه جبر الخواطر، واشتغل بصلاح شأن أولاده، وعرض عليهم الولاية، وحاول أن أخاه السيد أحمد بن الحسن يلم الشعث، ويحفظ البلاد والجند، فعف عن البلاد، قبل أن يعرف الإمام قدرها، فتأخر عن الجميع.

وبقي أولاد محمد بن الحسن، وهما: يحيى، وإسماعيل بعد أن بَعُد صيتهما، وذكر في الناس ذكر بأنهما قد كانا توليا ولايات من والدهما، فلذلك كان مقامهما قد كبر، فاختار الله ليحيى جواره، وكان قد ناهز الأشد، ومهر في علم الطب خصوصاً، ولما مات، بقي في يد أخيه إسماعيل جهة العُدين من مخلاف جعفر، فتوجه إليها عن أمر الإمام، فلم يصل إليها إلا وقد ألم به الألم، وتوفي في مذيخرة، فكان ذلك أنكى للقلوب، وأبكى

(١) في الأصل: بن، والصواب ما أثبت.

للعيون، فسبحان من له البقاء والدوام.

ولما كان ذلك، أَوَتِ العساكر إلى أخيه أحمد بن الحسن، وأعطاه الإمام إلى بلاده بلاداً، فاستوثق الأمر وانتظم.

ونُظمت في صاحب الترجمة المراثي البليغة، ووصلت التعازي إلى الإمام من مكة، وممن رثاه: ولده إسماعيل، وذكر فيها الحال، وذكر صنوه يحيى، وما أجد أوقع في القلوب منها؛ لأنها عين الحقيقة، ولا كلفة فيها، وعليها مَسْحة الحزن، ورب شاعر يشعر ويجيد، ولا يجد على مسحة ما تضمنته، من مرثية أو موعظة أو غزل، وأما هذه، فانظر بقلبك، **وهي قوله**:

هــل أقــالَ المــوتُ ذا حــذرِهْ	ســاعةً عنــد انتهــا عمــرِهْ
أو تراخــى عــن كحيــلٍ رنــا	فــاقَ كــلَّ الغيــدِ فــي حَــوَرِهْ
أو رثــى يومــاً لمرضــعةٍ	طفلَهــا مــا دبَّ فــي حجــرِهْ
أو تــراه هائبــاً مِلكــاً	صــائلاً قــد عــز فــي نفــرِهْ
أو تناســى مــن لــه نظــرٌ	تــصدُر الأشــياءُ عــن نظــرِهْ
أو تحــامى روحَ ســيدِنا	مــصطفى الــرحمنِ فــي بــشرِهْ
وأبــا الــسبطينِ حيــدرة	وكبــارَ الآلِ مــن عتــرِهْ
بــل دهــى مــن كــان منتظِــراً	قربَــه أو غيــرَ منتظــرِهْ
وســقاه كــأسَ ســطوته	مُــدْهَقاً مــن كــف مقتــدرِهْ
مــا تــرى عــزَّ الأنــام ثــوى	حفــرةً إذ آبَ مــن ســفرِهْ
لــم يُقــم فــي قــصره زمنــاً	غيــرَ وقــتٍ زاد فــي قــصرِهْ

بعـــد مـــا قـــد كـــان غُرَّتُـــه ... تُرشـــد الـــساري إلـــى وطـــرِهْ

ونـــدى كفيـــه منهمـــراً ... مـــنهلاً للـــروضِ مـــن مطـــرِهْ

كـــان طـــوداً لايحركـــه ... أيُّ خطـــب جـــلَّ فـــي خطـــرِهْ

كـــان بحـــراً طالمـــا التقط الطـــا ... لـــبُ المحتـــاجُ مـــن دررهْ

شـــاد ركـــنَ الـــدنيا ملتمـــساً ... لرضـــا الـــرحمن مـــن صـــغرهْ

وحـــوى الـــدنيا وديدَنُـــه ... طلـــبُ الأخـــرى إلـــى كبـــرهْ

فـــسقى الـــرحمنُ تربتـــه ... صَـــيِّبا ينهـــلُّ فـــي ســـحرهْ

وعمـــادُ الـــدين أزعجَـــهُ ... بعـــده يغـــدو علـــى أثـــرِهْ

لـــم ينـــل فـــي العمـــر بغيتَـــه ... لا ولا أفـــضى إلـــى وطـــرهْ

رحـــمَ الـــرحمنُ مـــصرعَه ... ووقـــاه الحـــرَّ مـــن ســـقرهْ

كيـــف أنـــسى شـــمسَ مفخرنـــا ... أو أرى الـــسلوانَ عـــن قمـــرهْ

فهمـــا قـــد أضـــرما لهبـــاً ... فـــي فـــؤادي طـــار مـــن شـــررهْ

وأســـالا مـــدمعاً بخلـــت ... أعينـــي دهـــراً بمنهمـــرهْ

لا أفـــي يومـــاً بحقهمـــا ... لـــو أسـلتُ الـــروح عـــن قطـــرهْ

غيـــر أن الـــصبر شـــيمتُه ... مـــن صـــوب الـــرحمن فـــي قـــدرِهْ

لينـــالَ الأجـــرَ منـــه إذا ... ذاقَ طعـــمَ الـــصابِ مـــن صَـــبرهْ

نـــسأل الـــرحمنَ خاتمـــةً ... برضـــا للمـــرء فـــي صـــدرهْ

ورثاه الشيخ البليغ، صارم الدين إبراهيم الهندي المهتدي، بقصيدةٍ فخيمةٍ منها:

قـضى الفخـارُ فـلا عـينٌ ولا أَثَـرُ ... واحلولَكَ الخطبُ لا شمسٌ ولا قمرُ

أمهبطَ الوحيِ ما هذا الذي صنعَتْ ... يـدُ القـضاء ومـاذا أحـدثَ القـدرُ

وما الـذي مـادت الـدنيا لـصدمته ... تفجعـاً وتـوارى الـنجم والـشجرُ

وما الذي منه باح الكونُ واضطربتْ ... لـه الجبـالُ وريـعَ الـرادُ والـسحرُ

وما الذي جـزر البحـرُ اللهـامُ لـه ... واستشعر الحشرَ منه البدوُ والحضرُ

يا ناعيَ الجودِ والمجدِ الأثيلِ صَهٍ ... ماذا زعمتَ لفيك التربُ والحجرُ

أفق فإن جنـاح الجيش مـنخفضٌ ... مما ذكرت وقلب الملـكِ منكسرُ

مهلاً رويدك فيما قد صـدعْتَ بـه ... ذهبا بذهب فمنها السمعُ والبـصرُ

مات الهمامُ أبو يحيى وحسبُك من ... رزيــةٍ تتجــافى حرَّهــا ســقرُ

مات الـذي كـان للـروادِ منتجَعـاً ... وللعُفــاة إذا مــا أخلـفَ المطـرُ

مات المليكُ الذي كانـت مـواردُه ... للـــواردين عِـذاباً مـا بهـا كـدرُ

هدت مباني المعالي يوم مـصرعه ... ومربـعُ المجـد والعليـاءِ منـدمرُ

وأقلعت ـ يـالَعَمْري ـ مـن أنامِلـه ... سُحْبٌ شـآبيبُها الإبريـزُ والبِـدَرُ

وغاض بحرُ علومٍ منه كم حُفظَتْ ... مـسائلٌ هـن فـي جيـد العُـلا دررُ

وكان في صـدره حلـمٌ يحقِّـر مـا ... يجنـي المـسيءُ وللـزلاتِ يَغتفـرُ

ومنها:

من للرعيل وللخيل العتـاق ومـن ... يزهـو لديـه بهـا التبجيـلُ والغـررُ

لم أنس نعشاً أضـحتْ تُـشيعُه الــ ... أفلاكُ والشهبُ والأملاكُ والبشرُ

ومنها:

ومـــن دعـــاء المـــؤمنين لـــه ... وسـيلة وهـي للزلفـاء والظفـر
ظهـر تحملـه ظهـرُ السرير ومـا ... تحملـت جـبلاً مـن قبلـه السررُ
يا أيها الملكُ المولَى الخليفـة يـا ... مـن بقـاهُ لنـا المـأمولُ والـوطرُ
تعز في عـزٍّ ديـن الله سـيفُك مـن ... كانت به من هـز الآصـالُ والبُكَـرُ
وآس فيـه أخـاه الأحمـديَّ وقـلْ ... يا أحمدَ القومِ أنت الصارمُ الـذَّكَرُ
وشُدَّ أزرَ عمـادِ الـدين خيـرِ فتًـى ... لـه مخايـلُ فـضلٍ كلُّهـا غُـرَرُ
وآسِ أيضاً ضياءَ المكرماتِ تجـدْ ... مهـذباً طـاب منـه الخُبـر والخَبـرُ

وخلف أموالاً لا تعد ولا تحصى، وذكر أن خيله ألف وخمسمائة، وأما الجواري والعبيد، فكثير جداً.

[١٦٢] محمد بن حجازي بن أحمـد بن محمـد بن الرقباوي ـ بفتح الراء والقاف ـ الأنبابي، المصري(١).

نسبة لأمبابة، قريةٌ من بحري جيزة مصر، على شاطئ النيل، انتسب إليها جماعة من المتأخرين، وربما قيل لها: أُنبوبة، على وزن أُفعولة، وكأنه لِما يُزرع بها من القصب، فالأنبوبة ما بين كل عقدتين من القصب، ومن أشهر المنسوبين إليها: الأستاذ الشيخ إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤١٥)، «سلافة العصر» لابن معصوم (١٥٨)، «نفحة الريحانة» (٤/ ٥٩٩) (٣٤٧)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٥٦٩)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٧٩).

وكان المترجَم أحدَ شعراء العصر، وأدباء الدهر، **ولد** بأنبابة، ونشأ بمصر، واشتغل برهة من الزمان بعلوم الأدب، حتى فاق أقرانه، فنظم ونثر، وسار ذكره سير القمر، ورحل للحرمين، وتوطنهما مدةً.

ومدح الشريف زيد بن محسن، مدائح كثيرةً بليغةً شهيرةً، وكان يُعطيه العطايا الكبيرة، وجعل له كل سنة مرتباً ومعلوماً، وأنزله منزلاً كريماً.

ثم توجه لليمن، وغصن الزمان نضير، قبل أن يشغل عن الشعر الشعير، فمدح الأئمة بني القاسم، وانثالت عليه الجوائز بوجهٍ باسم، وكان له اختصاص بمحمد بن الحسين، وله فيه مدائح كالنجوم السوائر، سارت بها الركبان من ماشٍ وسائرٍ، وله باليمن الشهرة بالشعر العظيم، والمنزلة الجسيمة، ولازال يحل ويرتحل، حتى أدركه أجله، بمدينة أبي عريش، **فتوفي** ـ رحمه الله ـ سنة ثمان وسبعين بعد الألف.

ومن شعره: قوله مادحاً للشريف زيد بن محسن، أمير مكة:

كلُّ صَبٍّ ما له في الخدِّ سفحُ ... لم يرق في عينه نجدٌ وسفحُ

ومتى يعلو ثنياتٍ في الهوى ... وله شأنٌ به فيه يشحُّ

إنما الدمعُ دليلٌ ظاهرٌ ... إن يكن للحبِّ متنٌ فهو شرحُ

والذي يصبو لأغصانِ النقا ... لم يكن عنها نعيمُ الطرفِ يصحو

يستحي من أين يوافيها الحيا ... وهو أوفى منه والغيم يمحُّ

كيف يستقى لها ماء السما ... وله جفن متى شاء يسحُّ

روضة للغيد كانت ملعباً ... وهي في لبة جيدِ الشرق وضحُ

كلما نقطها قطرُ الندى ... رشفَ الظل بها رندٌ وطلحُ

وإذا مــرت بهــا ريــح الــصَّبا ... ســحراً أَرَّجَهــا بالمــسك نفــحُ

وتغنــت فوقهــا وُرْقُ الحمـــى ... ولــداعي بُلبـلِ الأشـواقِ صـدحُ

ربِّ ريــمٍ ذاتِ لحــظٍ فــاتنٍ ... فاتـكٍ بالكـسر والـسقم يـصحُّ

كنــت فــي ظــلِّ ذيــاك النقــا ... وأذابَـتْ كـلَّ قلـب فيـه جـرحُ

بَـضَّةٍ مـذ غمـستْ فـي حـسنِها ... ما لها فـي لُجـج الإحـسان سـبحُ

طنبت في مهجتـي واسـتحكمت ... فـيّ قطعـاً ليتهـا بالوصـل تـنحُ

أتراهــا اســتعذبتْ يــوم النــوى ... لعــذابي كـأسَ بـين وهــو ملـحُ

مــا لهــا لا عبــثَ الــدهرُ بهــا ... لا ترى الهجرانَ كـاف وهـو ذبـحُ

كنت أشـكو صـدَّها مـن قبـل أن ... تنتــوي والآنَ عنــدي فيــه شــبحُ

يـا نـوار اصطنعيني باللقـا فلكـم ... قاليـت مَـنْ فـي العـشق يلحـو

إن تكوني شِمْتِ في اليـل الـصبا ... بارقـاً فهـو لـروض الحكـم فـتحُ

كـم جليـت الـشمس فـي غربيـة ... وسـمحتي وجنـاح الفـؤاد جـنح

فاجعليــه شــافعاً فيمــا بــدا ... أيُّ ليـل مـا لـه يـا بـدرُ صـبحُ

ولقــد أعلــم حقــاً لــم يكــن ... منك عن ذنب ظهور الشيب صفحُ

غيـر أنـي أرتجـي منـكِ الوفـا ... وهو في شرع ذواتِ الحسن قـبحُ

كـم أداري فيـك عُـذَّالي وكـم ... ساءني فيـكِ علـى التبـريح كـشحُ

وإذا فعــلَ الغــواني هكـــذا ... كلُّ ذي سُكر بهم لا شكَّ يـصحو

ســـأذودَنَّ فـــؤادي راغبـــاً ... عن هوى من حبُّه بالـصدق مـزحُ

يــا خليلــيَّ اعــذِراني إنَّ لــي ... نـارَ وجـدٍ مـا لهـا بالعـشق لفـحُ

خَلِّيـاني والـذي ألقـاه مـن ... زَنْدِ شوقي ما لـه بالغيدِ قـدحُ

أنـا عـن ألحـاظهم فـي معـزلٍ ... وحـديثي ظـاهرٌ وهـو الأصـحُّ

قـد نـسينا مـا حفظنـا مـنهمُ ... ورأينـا أن بعـض العـذر نـصحُ

كـم وردنـا وصـدَرْنا عـنهمُ ... وكفانـا غـضبٌ مـنهم وصـلحُ

وتحققنـا قُـصارى عِـزِّهم ... ليس يبقى وعقيب الوصـل نـصحُ

لا أرى العـيشَ صـفا مـا أعـشْ ... وفؤادي من حروف اللهـو يمحـو

وعـن التـشبيب مـا أغنـى ولـي ... في عُلا زيدِ العُـلا شكرٌ ومـدحُ

سـيدُ الـساداتِ سـلطانُ المـلا ... فارسُ الخيلين يـومَ الـروع سـمحُ

قـامعُ الأقـران فـي يـوم الـوغى ... تحتَ ظلِّ السُّمر والحـرب يفـحُّ

أبـيضُ الوجـه إذا النقـعُ دجـا ... واضحُ النشر إذا الفرسـانُ كُلْـحُ

كـم لـه يـومُ فَخـار مـستما ... ولوقـع البـيض بالهامـات رضـحُ

صـبح الإقبـال حربـا ولكـم ... شرقت مـن خيلـه حـربٌ وصـبحُ

يـوم أروي بقـديح المـصطلى ... قـدح زنـد وَرْيُـه بـالفوز قـدحُ

وعلـى العمـرة أربـت يـدُه ... ولـه فـي يومهـا عفـو وصـفحُ

اذكـر الـصفين إذ ذاك بهـا ... يـومَ صِـفِّين وللخيلـين ضـبحُ

ونُفـي عنـي ضـلالٌ بعـد مـا ... طاش من تصحيفه في فيـه ضـمحُ

ولكـم سـارعَ بالخيـل علـى ... حـرم الله وللأعمـار دلـحُ

مـانعُ الجـارِ فلـولا ذا الـدجا ... بعواليـه لمـا جَـلاَّه صـبحُ

وكـأن الـشمس تحكـي نـورَه ... ما علاها فـي ظـلام الليـل صبحُ

واهب الأرواح في يوم الوغى لأعاديه الأُلى بالمالِ شَحُّوا

ولقد كان أبوه هكذا ولماءِ الوردِ بعدَ الوردِ نَضْحُ

إن تردْ ما في يديه فأتِهِ سلساً واحذره إن أغراكَ جمحُ

فهو كالأَرْيِ وكالشرى له رونق السيف وفي خديه مدحُ

أشغلَتْ هيبتُه فكرَ العِدى فهمُ في غمرةِ الإشفاقِ طرحُ

لو رأوه في الكَرى لانتبهوا ولهم من خوفه بالرعب فرحُ

وإذا شافوا بروقاً أيقنوا أن أعناقَهم بالبِيض مسحُ

وإن انقضَّتْ نجومٌ في الهوى زعموا أن أمطار الشهب رزحُ

بأبي أفديكَ يا بحرَ الندى يا مضي الرأي إن أظلمَ قدحُ

يا عقيدَ الخيل يومَ الملتقى يا شديدَ الباس والأقران طلحُ

يا عريضَ الجاه يا حامي الحمى يا ملاذَ الكون إن لم يغنِ كَدْحُ

يا حميمَ الفضلِ والسيفُ له بغدادين الطلا حَصْدٌ ومسحُ

يا رخيصَ العرض في يومٍ به كلّ سيفٍ لاثه سيفٌ ورمحُ

خذْ حديثي واستمع قولي فما كلُّ من قال قريضاً فيه صح

أنت أولى الناس بالمدحِ ولو لم يكن للبحر من وصفك نزحُ

هاك نظمُ الدر ممن معدنه رايقُ المعنى له بالمدح مدحُ

فاجتلِ الأبكار في نور الوفا واختبرها فهي بالعرفان فصحُ

ضمنَ الدهرُ لها التخليدَ في صفحاتِ الكون والأيام فسحُ

لم. . .[1] في حيث تمسي ولها — كمسير البرق في الآفاق لمحُ
وهي كالجُرْد السلاهيبِ لها — بمجالِ الشكر في عَلياكَ مرحُ
حاصرت ما شاد فتح قبلها — وتلت نصرٌ من الله وفتحُ
أحرزَ السبقَ ولكن فُقته — لكَ يا بنَ الطهر والآداب وضحُ
لا يروق المدحُ إلا في الأُلى — لهمُ الأنسابُ كالأحسابِ رجحُ
أين من جَدَّاهُ طه المصطفى — وعليٌّ المرتضى ممن يزحُّ
برز الغال بها من منطقي — لك بالإسعاد والإيراد سنحُ
وأنا من فضلك يا غوثَ الورى — لم يكن صوتي كما قيل أبحُّ
ولقد أغنيتني عن مطلبي — منك بداو نظيري لا يلحُّ
لو درى النحاسُ أني بعده — أصنعُ الإبريزَ لم يمسَسْه قرحُ
أشكُر الأيام قد روَّينني — وينابيعي بإفضالك طفحُ
لا أرى الغربةَ ألوَتْ ساعدي — ولباعي بنَداكَ الجَمِّ شبحُ
طالعي بالسعد وضاحُ الحِجا — بكَ في برج الهَنا والرجوِ ضحُّ
أملي قد كان خاو وقبل أن — تتلافاني فأضحى وهو مرحُ
ولقد بلغتني كلَّ المنى — بأحاديثَ ما بالنفس سرحُ
نعمةٌ منك علينا لم تزلْ — يقتفي آثارَها فوزٌ وربحُ
كل عام نبتُها مبتكرٌ — لفراخٍ ما لهم كالبط سبحُ
وعن التصريحِ تعريضي بها — لك يغنيني وباتَ المنحُ منحو

---

(1) فراغ في الأصل.

دمتَ يا شمسَ الهدى ما ابتسمتْ　　بك أفواهُ الدجى وافترَّ صبحُ
ما همت عينُ الغوادي وبدا　　بك في وجه الزمان الغَضِّ رشحُ

وهي عروض قصيدة فتحِ الله النحاس، التي أشار إليها بقوله: «حاصرت ما شاد فتح» قبلها، وإن لم تكن مثلها، وقد ذكرتها في ترجمته.

[١٦٣] محمد بن أحمد حكيم المُلْك ـ بضم الميم، وسكون اللام ـ المكي، مولداً ومنشأ، الفارسي أصلاً ومحتداً[1].

قال صاحب «السلافة»: فاضلٌ تأزر بالفضل وارتدى، وسلك سبيل المكرمات واهتدى، سامَ في فنون العلم وسَرَح، وأوضح فنون الأدب وشرح، وهو من محل بيت رياسةٍ وجلالة، وقوم لم يرثوا الجد عن كلالة، وكان لسلفه عند ملوك الهند التيموريَّة، تتضوع المراتب رِيَّه، وتستسقي المناصب زِيَّه.

ولما وفد جده على السادة الأشرافِ الملوكِ من بني حسن، قابلوه مقابلة الجفن للوسَن، فأكرموا نُزله، وقلدوا بأياد منهم بذله.

وولد صاحب الترجمةِ بمكة، فنشأ في حجر الفضل والمجد، وانتشق عَرْف خزامى تهامة، وشَميمَ عَرارِ نجد، فجمع بين تليد المجد وطارفه، ورفل من فضفاض الأدب في أبهى مطارفه.

ولم يزل متبوأ تلك الدار، محمود الإيراد والإصدار، مع تمسكه من

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٦١)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٢٩١) (٣١١)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (٢/ ٧٤) (٩٦)، «منائح الكرم» للسنجاري (٤/ ٧)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٩).

سلطانها الشريفِ محسنٍ بالعروة الوثقى التي لا تنفصم، وحلوله لديه بالمكانة التي ما حلها ابن أبي دؤاد عند المعتصم.

حتى حصل عليه من الشريف أحمد بن عبد المطلب ما حصل، لما انحل عقد ولاية الشريف محسن منها وانفصل، فكان ممن نهب الشريف دارَه وماله، وقطع من الأماني أمانيه وآماله، فالتجأ مستأمناً إلى بعض الأشراف، فأمنه على نفسه بعد ما شاهد الوقوف على الهلاك والإشراف.

ثم سار مختفياً إلى اليمن، واستمر حتى قتل أحمد بن عبد المطلب، فلم ير من شريف مكة السيد مسعود ما كان يعهده قبل، فتوجه إلى الهند، سنة تسع - بتقديم التاء - وثلاثين بعد الألف، فألقى بها عصاه، إلى أن بلغ من العمر أقصاه، فتوفي بها سنة خمسين بعد الألف.

ومن شعره قوله:

صوادحُ البان وَهْناً شجوُها بادي	فمن معينُ فَتًى في فَتِّ أكبادي؟
صبٌّ إذا غنت الورقاء أَرَّقَه	تذكيرُها نغماتِ الشادنِ الشادي
فباتَ يرعفُ من جفنيه تحسبهُ	يرجرجُ المدمعَ الوَكّاف بالجادي
جافي المضاجع إلف السهد ساوره	سُمُّ الأساودِ أو أنيابُ آسادِ
سُمَّارُه حين يُضنيه توحُّشُه	فيشرئبُّ إلى تأنيسِ عُوادِ
وجدٌ وهمٌّ وأشجانٌ وبرحُ جَوًى	ولوعةٌ تتلظى والأسى بادي
أضناه تفريقُ شملٍ ظلَّ مجتمعاً	وضنَّ بالعود دهرٌ خطبُه عادي
فالعمرُ ما بين ظن ينقضي وضنىً	والدهرُ ما بين إيعادٍ وإبعادِ
لا وصل سلمى وذاتِ الخال يرقُبُه	ولا يؤمل من سُعدى لإسعادي

أشجى فؤادي واستهوى قوى جَلَدي أقوى ملاعب بين الهضب والوادي

عَفَّتْ محاسنَهُ الأيامُ فاندرست واستبدلت وحشةً من أنسها البادي

وعطلتها الرزايا وهي خالية بساكنيها ورواد ووراد

وعاث صرفُ الليالي في معالمها فما تجيبُ الصدى فيها سوى الصادي

دوارجُ الموت سارت في معاهدها فغادرتها عن الساحات والنادي

وناعِبُ الموت نادى بالشَّتاتِ بها فأهلُها بين أغوارٍ وأنجادِ

وطوحت بالبلى أطلالُها وخلت رحابُها الفيح من هيدٍ ومن هادي

أضحت قِفاراً تجرُّ الرامساتُ بها ريحا جنوبٍ وشملٍ ريحُها الجادي

كأنها لم تكن يوماً لِبِيضِ مَهاً مراتعاً قد خلت فيهن من هادي

ولم تظل مغانيها بغانية تغني إذا ما ردى من بدرها رادي

ولا عطا بيتها ريح ولا طلعت بها بدورُ دجى في برج مصطادِ

ولا تثنت بها لمياءُ ساحبةً ذَيْلَ النعيم ولا لاينّ أنداد

فارقتُها وكأني لم أظلَّ بها في ظِلِّ عيش يجلِّي غدرَ حسادِ

أجني قطوفَ فكاهاتٍ محاضرة طوراً وطوراً أناغي ربه الهادي

هيفاء تذري إذا ماست شمائلُها بأملدٍ من غصونِ البان مَيَّادِ

بجانبِ الجيد يهوى القُرْطُ مرتعداً مهواه جدُّ سحيقٍ فوقَ أكبادِ

شفاهُها بين حق الدرِّ قد خزنت ذخيرة الفحل ممزوجاً بها الجادي

إذا نَضَتْ عن محياها النقابَ صَبَا مستهترا كُلُّ سَجَّادٍ وعبادِ

وإن تحلَّت ففيما قد جلته دجى لنا به في المرادي أيما هادي

وميضُ بـرقٍ ثناياهـا إذا ابتـسمتْ بعارضِ الدمع من مهجورها حادي

ونــاظرانِ لهــا يرتــدُّ طرفُهمــا مهما رَنَتْ عن قتيـلٍ مـا لَـهُ وادي

وصـبحُ غُرَّتهـا فـي ليـل طُرَّتهـا يوماي من وصلها أو هجرها العادي

تلك الربوعُ التـي كانـتْ ملاعبُهـا أخنى عليها الذي أخنى على عـادِ

إلى ملاعبِ غـزلانِ الـصريح بهـا يحنُّ قلبي المعنَّى ما شـدا شـادي

بُعـداً لـدهرٍ رمـاني بـالفراق بهـا ولا سـقى كنفيـه الـرائحُ الغـادي

عمرى لئن عظمت تلك الفوادحُ من خُطوبــه وتعــدّت حَــدَّ تعــدادِ

لقــد نــسيتُ وأنــستني بوائقُــه تلك التي دهدهَتْ أملادَ أطـوادي

مصارعٌ لبنـي الزهـرا وأحمـدَ قـد أذكرْنَ فَخّاً ومن أردى بـه الهـادي

لفقدِهم وعلى المطلول من دمهم تبكي الـسماءُ بمـزن رائـحٌ غـادي

وشق جيب الغمام البرق من حزن علـــيهمُ لا علـــى أبنـــاء عيـــادِ

كانوا كعقدٍ لجيد الدهرِ مذ فرطت مــن ذاك واســطةُ أودى شــدادِ[1]

وهو المليكُ الذي للملكِ كان حِمًى مذ ماس من بُرْده فـي خـز أبـرادِ

كانــت لجيــرانِ بيــت الله دولتــه مهـاد أمــن لــسرحِ الخـوفِ زوادِ

وكان طود الدست للملك محتبياً ولاقتنــاص المعــاني أي نهــاد

ثـوى بـصَنْعا فيـاللهِ مـا اشـتملتْ عليه من مجـده فـي ضيـق إلحـادِ

فقد حويت به صنعاء مـن شـرف كما حوت صَعْدةٌ بالـسيد الهـادي

فيا حبذا أنتِ يـا صـنعاءُ مـن بلـدٍ ولا تغـشَّى زيـاداً وَكْـفُ رعّـادِ

---

(١) كذا في الأصل، والشطر الثاني غير موزون.

مـــصابهُ كـــان رزءاً لا يوازيـــه	رزءٌ ومفتـــاحَ أرزاء وآســـاد
وكان رأساً على الشراف منذ هوى	تتـابعوا إثـره عـن شـبه ميعـاد
لهفَ المضاف إذا ما أزمـةٌ أزمـتْ	مـن قطـبِ نائبـةٍ للمـتنِ هـداد
لهفَ المضافِ إذا ما أفلحت سنة	بضره في تمحلها الطائي بالزاد
لهفَ المضافِ إذا كر الجياد لـدى	خـز الجـلاد أثـار النقـع بـالوادي
لهفَ المضافِ إذا جُلّى بـه نزلـت	ولـم يجـد كاشـفاً منهـا بمرصـاد
لهفَ المضافِ إذا ما يستباح حِمًى	لفقــد حــامٍ بــورد الكَــرِّ عَــوادِ
لهفَ المضافِ إذا حمل المغارم في	نيل العلى أثقـل الأعنـاق كالطـاد
لهفَ المضافِ إذا نادى الصريخُ ولم	يجد له مصرخاً كالغيث للـصادي
لهف المضاف إذا الدهرُ العسوفُ سطا	بـضيم جـارٍ لنـزل العـزِّ معتـادِ
بل لهفَ نفسي ذوي الآمال قاطبة	علــيهمُ خيــر مرتــادٍ لمرتــادِ
كانت بهم تزدهي في السلم أنديـةٌ	وفـي الـوغى كـلُّ قـداد ومـشادِ
على الأرائك أقمـار تـضيء ومـن	تحــت الترايــك آســادٌ لمــساد
تشكو أهم عداهم إذا شاكي السلاح بدا	شك القنا ما ضفا من نـسل أبـراد
إلى النحور وما تحوي الصدور وما	وارته في جنحها ظلمـات أجـساد
حناجنـاً فلقـاً تحـوي جآجرُهـا	ممـا يقـصِّدُ فيهـا كـلُّ قَـصَّادِ
بـادوا فبـادَ مـن الـدنيا بأجمعِهـا	مَـنْ كـان فَكَّـاكَ أصـفادٍ بأصـفادِ
وقـد ذوتْ زهـرةُ الـدنيا لفقـدِهِمُ	وألبـست بعـدَهم أثـوابَ إحـدادِ
واجتُثَّ غرسُ الأماني من فجيعتهم	وأنــشدَ الــدهرُ تقنيطــاً لــرواد

يا ضيفُ أقفرَ ضيفُ المكرماتِ فخذْ ... في جمع رحلك واجمع فضلة الزاد

يا قلبُ لا تبتئس من هولِ مصرعِهم ... وعَزِّ نفسك في بؤس وأنكادِ

بمن غدا خلف يا حبذا خلف ... في الملك عن خير آباء وأجدادِ

بحائزٍ إرثَهم حاوٍ مفاخرَهم ... كما حوى الألفُ من آحادِ أعدادِ

وذاكَ زيدٌ أدامَ اللهُ دولتَه ... وزادَه منه تأييداً بإمداد

سما به النسبُ الوضَّاحُ حيث غدا ... طريفُه جامعاً أشتاتَ أتلادِ

لقد حوى من رفيعاتِ المكارمِ ما ... يكفي لمشحنِ أجدادٍ وأحفادٍ

أليس قد نال ملكاً في شبيبته ... ما نالَه من سعى أعمارَ آبادِ

أليس في وَهَج الهيجا مواقفُه ... مشكورةً بين أعداءٍ وأضدادِ

أليسَ أصبحَ بالتنعيم سابحه ... لجَّ المنايا ليحيى قبل أجيادِ

أليس يثبتُ يومَ الليث أن له ... وثباتِ ليثس يرجَّى ذودُ نقَّادِ

أليس يومَ العطا تحكي أناملُه ... خلجانَ بحرٍ بفيض التبرِ مَدَّادِ

أليس قد لاحَ [في] تأسيسِ دولتِه ... من جدِّه المصطفى رمزٌ بإرشادِ

دامت معاليه والنعمى بذاك له ... مصونُها وهو ملحوظ بإسعادِ

ما لاح برقٌ وما غنت على فَنَنٍ ... صوادحُ البان شجوها بادي

تنبيه: قوله: «أليس قد لاح في تأسيس دولته» يشير به إلى ما وقع للشريف زيد؛ فإنه لما وردت الأوامر السلطانية بولاية الحرمين، وكان إذ ذاك بالمدينة المنورة، قصد زيارة النبي ﷺ، فأراد الخدم أن يفتحوا له الباب، فوجدوه مفتوحاً، وكانوا قد أغلقوه من قبل، فعلم الناس أنه إشارة إلى الفتح والظفر، وكان الأمر كذلك.

[١٦٤] محمد بن أحمد بن حسن الطنباوي، الشهير بالحتاتي، المصري الحنفي[1].

نابغةُ الزمان، وربُّ الفصاحةِ والبيان، ولجةُ بحرٍ لا تكدرها الدلاء، ومَحَجَّةُ فضلٍ لا يفتقر مالكُها إلى الإدلاء، حلَّ من رتب المعالي المحل الأسمى، ودلَّ عرفانه على أن الاسم عينُ المسمى، وسبقَ جوادُ قلمه في ميدان البلاغة وجلَّى، وطلع بدرُ آدابه في سماء الأدب وتجلَّى، فملك زمام البيان نثراً ونظماً، وأروى بما روى من بديعه وما أظما.

مع إتقانٍ لسائر الفنون، وغوصٍ على در الفضل المكنون، خصوصاً عِلْمي الطب والحكمة، فقد أنفذ في معرفتهما أمره وحكمه، طبعُه كذوقه سليم، يتوقد ذكاء وفضلاً، وقوته الفكرية أعلته على أقرانه محلاًّ، وله الخطُّ البديعُ المنسوب، مع الضبط المضبوط، والشعر المقتفى فيه المتنبي؛ في التخيلات الحسنة، وبديع البديهة، مع الغوص على المعاني المستحسنة.

نشأ بالقاهرة، وأخذ عن علمائها، فزها روضُ أدبه اليانع، بما حير الرائي والسامع، ثم رحل منها إلى الروم، سنة ثمان عشرة وألف، ومكث بها مدةً طويلةً، ولم يسعفه الدهرُ بما يروم، فتنقل في المدارس، وصار رئيس الأطباء بإسكي سرايا.

ثم رجع إلى القاهرة، متولياً قضاء أسيوط، ثم تولى قضاء الجيزة، فكانت بها منيته، وإلى الموت رحلته، وتوعك في عشري ذي القعدة، واستمر به إلى أن توفي في تاسع محرم، سنة اثنتين وخمسين وألف، وغسل بالجيزة،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٦٦)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٩).

وحمل إلى مصر، وصُلي عليه بالجامع الأزهر، ودفن بتربة المجاورين.

وله مؤلفاتٌ عديدةٌ، منها: «حاشية على تفسير البيضاوي» أتى فيها بالأبحاث الرائقة، والتحقيقات الفائقة، ورحلةٌ جامعةٌ للفرائد، سماها: «الإسفار عن الأسفار»، و«تعليقات في فنون الحكمة»، وله شعر، قال الخفاجي في «ريحانته»: إنه يحط قدر الحطيئة، ويبلِّد لَبيد، وذهنٌ يدع إياس، من الذكاء في إياس، وبديهةٌ بديعةٌ، كان لها على كمين الأدب طليعة، **فمن قوله**:

أستَرجعُ اللهَ أحلاماً مضينَ لنا ... في غفلةِ الدهر أو في يقظة العُمُرِ
حيثُ التصابي معقودُ اللواء على ... جيشٍ من الأمر بين الأمن والظفر
أيام كانت كؤوسُ الصفو تلمعُ من ... أُفْق الأسارير والكاسات والثغرِ
والأنسُ تطفح عندي صفحتاه وإن ... طغى رقيبي رماه الكأس بالشرر
كأنني كنتُ في دار النعيم متى ... ما جال للنفس إلا لاحَ للنظر
لا عذل فيها ولا لغوٌ ولا كدرٌ ... سوى السُّلافِ وصوتُ الناي والقصر
وكم ليالٍ كست بدر الدجى شرفاً ... تمنت الشمس فيه رتبةَ القمرِ
أبدى لنا ضوءُه لحفاً بطائنُها ... ريحُ الصبا وافترشنا زهرةَ الزهرِ

ويقرب من هذا قول بعض المغاربة:

وفتيانِ صدقٍ عَرَّسُوا تحت دوحةٍ ... وليس لهم إلا العناءَ فراشُ
كأنهمُ والنورُ يسقط بينهم ... مصابيحُ تهوي بينهن فَراشُ

وبيت قصيدها قوله:

تلك الليالي التي لو أنصفت وصلتْ ... بالروح بعد سويدا القلب والبصر

وقريب من قوله: تلك الليالي، قول عبد البر الفيومي، في مدح المولى أبي سعيد، مفتي القسطنطينية:

أيام سعد به لـو أنـصفت وصـلت ... أنـوار سـاعاتها بالـشمس والقمـرِ

تلك الولايات خيلانُ الزمـان بهـا ... مـآربُ الـدين والآرابُ للبـشرِ

فقد[1] رويـداً علـى أبـواب سـدته ... تراه طوداً لأهل الفضل من عـصر

لا سـيما لفقيـرٍ لـم يجـد فرجـاً ... إلا الالتجاء لباب دام فـي خفـر[2]

وقوله:

عمـرُ الفتـى قـالوا زمـانُ الرضـا ... بـصفوة الأحبـاب واليَـسَرِ

صـدّقتُ مـا قـالوه كـي يُقبلـوا ... لينظـروا شـيخاً بـلا عُمُـرِ

ومثله قول أبي نواس:

ما العمـرُ مـا طالـت يـدُ الـدهور ... العمـرُ مـا تـمَّ بـه الـسرور

أيـام عـزي ونفـاذ أمـري ... هـي التـي أحـسبها مـن عمـري

لـو شـئتُ ممـا قـد قللـن جِـدًّا ... عـددتُ أيـامَ الـسرور عَـدًّا

ولعلي بن منصور الديلمي:

يا من فقدتُ سروري بعدَ بعـدِهم ... قد صار بعدَكُمُ طولُ الأسى سَكَنَا

إن كـان يُعـرف إنـسانٌ بـلا أجـلٍ ... يموتُ من شدةِ الأشواق فهـو أنـا

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: فقف.

(٢) كذا في الأصل، والشطر الثاني غير مستقيم الوزن.

وقوله في مرجة دمشق:

بِـصَبَا المرجَـةِ المبلَّـلِ ذيلُـهُ علـل القلـب عـلّ ببـرد وَبْلُـهْ[1]
ومُـرِ الـروحَ أن تـسيل دموعـاً إن أبـى الجفـنُ أن يعينـك سبلُهْ
واذكُـرَنْ بالريـاض يـومَيْ حبيـبٍ سـلفاء الـسلاف تربـع خيلُـهْ
وتمـسك سـالفيه علـى البعـ ـد عسى الكرب ينجلي عنك ليلُهْ

وقوله:

تَـأَنَّ ولا تجـزعْ لأمـر تحاولُـه فخيرُ اختيار المـرء مـا اللهُ فاعلُـهْ
وما ضمنَ الرحمنُ لا تخشَ فوتَـه وما لا فلا تجهـدْ فمـا أنـت نائلُـهْ
دعِ المسعى فالمسعودُ تطلبه المنى وسعيٌ بـلا سـعد محـال يحاولُـهْ
هو السعدُ يدعو آخر الأمر سـاعياً وحسبُك سعياً فـي المـرام تناولُـهْ
ولا تبتئس إن أخلفَ المجدُ واصطبرْ هو الشهدُ قد شـيبت بـضر أوائلُـهْ
تفيـأْ بظـلِّ اللهِ مـن روضٍ قولِـه ألـيسَ بكـافٍ تلتحفْـكَ فواضـلُهْ
وعـزّ تهـن دنيـاك واغـن بتركهـا ولا تحتفـلْ بـالرزق فـاللهُ كافلُـه
تحـلَّ بتـاجِ القُنـعِ تَغْـدُ مُمَلَّكـاً تطولُ على هـام الرجـال كواهِلُـهْ

وقوله:

عرفتك دهري ليس لي فيك حيلةٌ يـروج بهـا فـضلي ويـسلكُ
سوى اليأس مما في يديكَ وإن يكنْ رجاءٌ ففي الأخرى التي لست تملِكُ

---

(١) كذا في الأصل.

وقوله:

صِلُوا مغرماً قد واصلَ السقمُ جسمَه ومن بعدِكم طيبَ المقامِ فقد فَقَدْ
بأحشائه نارٌ يشبُّ ضرامُها ومن لي بإطفاءِ الغرامِ وقد وَقَدْ

وقوله:

غمزُ الحواجبُ يدنيه ويَصرفُه كالماء كُلُّ صدٍ يأتيه ينهلُه[1]
والغصنُ أيُّ نسيم هبَّ يعطفُه وليس يقتُلني إلا تهتكه
مع الورى ومعي وحدي تعففه ....[2]

وفي عكس معنى البيت الأخير قلت:

أفدي الذي زارني بالليل مختفياً وهو بادي الوجه ضاحكُهُ
كالبدر سناء وأسنى منه طلعته مفلجُ الثغر جعدُ الشعر حالكُهُ
وقال لي وظلامُ الليل معتكِرٌ وضوءُ صبحيَ قد ضاقت مسالكُهُ
تُحبني عاشقي طبعاً فقلت له وحقِّ عينيكَ قلبي أنت مالكُهُ
فقال هاكَ سُلافَ الريق فاهْنَ به فليس في طعمه الصَّهبا تشاركُهُ
وبات عندي بثوبَيْ عفةٍ وتُقىً أذوبُ وجداً إذا ما ارتجَّ عاتكُهُ
وليسُ يفرحني إلا تعففُه مع الورى ومعي وحدي تهاتكه

وللسيد محمد بن موسى الحمّازي الحسيني: قوله مادحاً للمترجَم:

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: ينهكه.

(٢) جاء في الحاشية: «لم يذكر بقية البيت».

وكنــــتُ إذا حدثتُـــه أو رأيتُـــه   تزول حراراتُ الـصَّبابة والجَـوَى
ولا سيما إن ظـلَّ يتلـو لمـسمعي   أحاديثَ أربـابِ المحبـةِ والهـوى

[١٦٥] السيد محمد بن أحمد بن عز الدين بن الحسين بن عز الدين ابن الإمام الحسن ابن الإمام عز الدين.

قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: هو المعروف في ألسن العامة «**بابن العنز**»؛ لأن أمـه ماتـت وهو يرضـع، فعطّف الله عنزاً، كانت عند حاجته، تنفرد عن الغنـم من المرعى، وتجري حتى تدخل إليه، ثم تفحج له؛ حتى يمكنه الارتضاع.

كان من عباد الله الصالحين، وأهل التقوى والعقد، على أهل الطريقة، كثير الصمت، قليل الضحك، لم تسمع له قهقهة، وكان في أيام شبيبته يعتزل النسـاء، ويمضي في الشعاب والجبال، متخلياً متعبداً، ثم يعود إلى مسكنه برُبيع.

وكان له أصحابٌ صالحون، يتبركون بخدمته ولقائه، ويصفون عنه تمكناً في علم الأسماء، وأنه كان يأتي من المسجد، فيغلق مكانه على صفة الممازحة سـويعةً، ثم يفتحـه وهو مبتسـم، ولا يعرف الفاتح ولا المغلق، ولا يرى، وأنه استأجر حاجّاً لأبيه، وأعطاه أجرةً من الفضة الخالصة المعدنية، وكانت له فكرةٌ عجيبةٌ في كل شـيء، وعمل ناطوراً يدرك به البعيد، فأبصر به من صعدة إلى رُبيع، أو من رُبيع إلى صعدة، والحكم واحد.

ومولده ببيت الوادي رُبيـع، من أعمـال صعدة، في ثاني ذي القعدة، سنة ألف من الهجرة.

وشرح قصيدةَ الإمام الهادي عز الدين بن الحسن الرائية، وفيها معرفة المواقيت، تكلم على مواد نافعة من علم الفلك، وما يحققونه من الكسوف، غير متعرض للأحكام، صانه الله عنها، وأعمال الربع المجيب.

وكانت **وفاته** بهجرة فَلَلَة، مستقرِّ سلفه الكرام، في الرابع والعشرين من ذي القعدة، سنة ثلاث وخمسين بعد الألف، ودفن في قبة جده، الإمام عز الدين بن الحسن، إلى جنب السيد الحسن بن يحيى ابن الإمام، إلى جهة اليمن ـ رحم الله الجميع بمنّه ـ.

[١٦٦] السيد محمد بن أحمد الأهدل[1].

صاحب المجامع، شريف ظهر ظهوراً بيناً، في دولة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، وصار له جاهٌ واسعٌ، وبلغ من جاهه أنه كان يبات في أسفل لاعة السفلى، فتبرّه جميع قبائل لاعة السفلى، ثم يبات في أسفل لاعة العليا، فتبرُّه أهل لاعة العليا إلى ذلك المكان، ثم يمسي في مسجد حلل عيان، فتبرُّه أهل حجة وبلادها إلى ذلك، **توفي** في نيف وخمسين وألف ـ رحمه الله ـ آمين.

[١٦٧] محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف أبي المحاسن بن محمد بن يوسف الفاسي القصري.

الشيخ الإمام العلامة، المحدث الصوفي، المنفرد بعلو الإسناد في إقليم المغرب، المشهور بين العلماء الأمجاد، **ولد** ليلة السبت تاسع عشري رجب،

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٥٩٦).

سنة ثلاث وثلاثين وألف، بمدينة القصر الكبير، قصر كتامة، بالقطانيين منه، بدار جده الشيخ أبي المحاسن.

وقرأ بفاس على كثير، من أجلهم: عمه علامة المغرب في عصره، الشيخ عبد القادر بن علي الفاسي، وبه تخرج، وأجازه غالب شيوخه، وتصدر للإقراء والإفتاء بفاس.

وألف الكتب النافعة المفيدة، منها: «مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات»، وهو مفيد إلى الغاية، اختصره من «شرح دلائل الخيرات» للعربي الفارسي، وقد اشتهر هذا الكتاب بالمشرق، وكُتبت منه نسخٌ كثيرةٌ بمصر والشام والحرمين، وهو دليل على حسن نيته فيه، توفي بفاس سنة ألف ومائة وعشرة.

[١٦٨] محمد بن يوسف المراكشي التاملي[١].

أحد فقهاء المغاربة، الممتطين سنام الفضل وغارِبَه، عالمٌ ماضي شبا اللسان والقلم، وعلمُ فضلٍ أشهر من نار على علم، له في الأدب يدٌ لا تقصر عن إدراك غاية، وباعٌ تلقى راية البلاغة، فكان عرابة تلك الراية.

من نوابغ كلمه قوله من جملة كتاب: فعذراً لمن كان أخرس من سمكة، وأشدَّ تخبطاً من طائر في شبكة، وقوله في أرجوزة، ضمن فيها مصاريع من الألفية لابن مالك، مدح بها العلامة أحمد المقري، منها:

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٧١)، وذكر وفاته فقال: «وكانت وفاته ببيت المقدس في جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وألف»، «نفحة الريحانة» للمحبي (٥/ ٣٨ ٣٧٨)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٥٩٦)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٥٥).

ذاك الإمــام ذو العــلا والهِمَــمِ   كعلم الأشخاص لفظاً وهـو عَـمِ

فلـن فـي تـرى فـي علمـه مثيلا   مــستوجباً ثنــائيَ الجمــيلا

ومدحـــه عنــدي لازم أتـــى   في النثر والـنظم الـصحيح مُثْبَتا

أوصــاف سـيدي بهــذا الرجــز   تقــرِّب الأقــصى بلفـظٍ مــوجَزِ

فهـو الـذي لـه المعـاني تعتـزي   وتبــسط البــذل بوعــدٍ منجَــزِ

رتبتُـه فـوق العلـى يـا مَـنْ فهـم   كلامُنــا لفــظٌ مفيــدٌ كاســتقمْ

وكــم أفــادَ دهــره مــن تحـفِ   مبـــدي تـــأول بـــلا تكلُّـــفِ

لقـد رقـي إلـى المقـامِ البـاهرِ   كطـاهرِ القلـبِ جميـلِ الظـاهرِ

وفـــضلُه للطـــالبين وُجِـــدا   علـى الـذي فـي رفعـه قـد عُهـدا

قـد حَـصَّلَ العلـمَ وحَـرَّرَ الـسير   ومـــا بـــإلا أو بإنمـــا انحـــصر

فـــي كـــل فـــنٍّ مـــاهر فيـــه ولا   يكـــون إلا غايـــةَ الـــذي تـــلا

سيرتُه سـارت علـى نهـج الهـدى   ولا يلـــي إلا اختيـــارا أبـــدا

وعلمُـــه وفـــضلُه لا ينكَـــرُ   ممـــا بـــه عنـــه مبينـــاً يخبـــرُ

يقـــول دائمـــاً بـــصدرٍ انـــشرحْ   اعــرفْ بنــا فإننــا نلنــا المِـنَحْ

يقــولُ مرحبــاً لقاصــدٍ ومَــنْ   يـــستعن بنـــا يُعَـــنْ[1]

منها:

والــزم جنابــه وإيــاكَ الملــلْ   إن يستطلْ وصلْ وإن لـم يـستطلْ

---

(١) كذا في الأصل.

واقـــصد جنابـــه تـــرى مـــآثرَهْ		والله يقـــضي بهبـــاتٍ وافـــرَهْ
وانـــسبْ لـــه فإنـــه ابـــنُ معطـــي		ويقتـــضي رِضًـــى بغيـــرِ سُـــخْطِ
واجعلْه نُصْبَ العين والقلـب ولا		تعـدِلْ بـه فهـو يـضاهي المـثلا

ولما قدم صاحب الترجمة، سنة ست وعشرين بعد الألف، من مدينة مراكش إلى فاس، كتب إلى شيخه عالم المغرب، أحمدَ بنِ محمد المقري المذكور، يستدعي منه إجازة بقوله:

أموقظَ جفنِ العلم من بعد ما أغفى		وباسطَ كفِّ البذلِ من بعدِ ما كَفَّا
ومحيي رسومِ الأكرمين التي عفتْ		ومجري مَعينِ الفضل من بعد مـا جَفَّـا
أجزْنـي بمـا قـد قلدتـه ورويتـه		ففضلُك يا ذا الفضل قد حيّر الوصفا
ويرغب مـنكم أن تجيـزوه مطلقـاً		بمـروِيِّكم كيمـا يفـوز بـه زلفـى
وينـشدكم بيتـاً تقـادمَ عهـدُه		لصاحبِ شوقٍ إذ ينـادي بـه إلفـا

وهي طويلة، فأجابه المقري بقوله:

أيا فاضلاً أعيتْ محاسنُه الوصفا		وإنسانَ عينِ الود والمنهلِ الأصفى
ومِـشكاةَ أنـوارِ القـراءات والأدا		وساجن[1] ذيل الكمال على الأَكْفـا
وحائزَ أشتاتِ الفضائل إذ غـدتْ		مفـاخرةً فـي أذنِ مغربنـا شـنفا
بعثتم بطـرسٍ بـل بـروض بلاغـةٍ		تعطرتِ الأرجاءُ مـن نَـشْرِه عَرْفـا
وأَمَّلْـتمُ أعلـى الإلـهُ مقـامَكم		وألبَسكُم من عِزِّه المُطرفَ الأصفا

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: وساحب.

من القاصرِ الباع [طلبتم] إجازة ... ألم تعلموا أن الصوابَ هو الإعفا

ولستُ بأهـل أن أُجـازَ فكيـف أنْ ... أُجيزَ على أنَّ الحقـائق قـد تخفـى

فأضـواءُ فكـري غيرتْهـا حـوادثٌ ... فآونـــةً تبـــدو وآنـــةً تطفـــى

ولولا رجائي منكمُ صـالحَ الـدعا ... لما سطرتْ يمناي في مثل ذا حرفا

فأرجو مـن الـرحمن جـلَّ جلالُـه ... ومن فضلِه أن يقبل العدلَ والـصرفا

وها أنا إذ أشـهدتُ أنـي أجـزتُكم ... على السَّننِ المألوفِ والمقصدِ الأوفى

جميعَ تـآليفي ونظمـي وإن وهـى ... ونثري وإن حاز الركاكةَ والـضعفا

وكـلَّ الـذي أرويـه عمـن لقيتُـه ... من السادة الغُرالأُلى أحسنوا الوصفا

كـسيدِنا شـيخِ الأئمـةَ عَمِّنـا ... سـعيدٍ فكـم نلنـا معارفَـه قَطْفـا

عن اشياخِنا من أهلِ فاس وغيـرِهم ... كمثلِ ابنِ هارونَ فأعظمْ بـه كهفـا

وهذا عن الشيخ ابنِ غازي وصـية ... شهير فلـم يَحـتج لتعريفـه كـشفا

رعـى الله عهـداً كـان فيـه إمامنـا ... ووالى علـى مثـواه رحمتَـه عطفـا

ولا تُغفلـوني عـن دعـائِكُمُ إذا ... مـددْتُم ببـاب الله سـبحانه الكَفَّـا

وعنـدَ ضـريحِ الأوليـاء وذكـرِهم ... عسى نرتوي من بحرِ غفرانه غَرْفا

وإن جهل الناسُ الحقوقَ بعـصرنا ... فمثلُك مَنْ راعى الحقوق ومن وَفَّى

وكاتبُـه المقـريُّ أحمـدُ مـرتَجٍ ... من الله جَلَّ العونَ والبـرَّ واللُّطفـا

بجاهِ شـفيعِ الخلـق مأملنـا الـذي ... نؤمِّل يومَ الدين من حوضِـهِ رَشْـفا

عليـه مـن الـرحمن أزكـى تحيـةٍ ... تنـال حـسن الختـام مـع الزلفـى

[١٦٩] محمد أبو حامد العربي بن يوسف أبي المحاسن بن محمد القصري الفاسي[1].

الشيخ الإمام المفنن، العلامة المتبحر النقاد، عالم المغرب في عصره غير مدافع، **ولد** في سادس شوال، سنة ثمان وثمانين وتسعمائة.

وأخذ عن والده العارف بالله أبي محمد عبد الرحمن بن محمد، وأخيه الحافظ أبي العباس أحمد بن يوسف، وعن الإمام القصار، والإمام أبي القاسم ابن محمد ابن القاضي، والمفتي الخطيب أبي عبدالله محمد بن محمد بن أحمد المربي التلمساني، والفقيه المشارك أبي الحسن علي بن محمد بن أبي العرب، والفقيه الأديب أبي عبدالله محمد بن علي القنطري القصري، والقاضي أبي محمد عبد العزيز بن محمد المركني المعزاوي، والأمير أبي الطيب الحسن ابن يوسف الزناتي، وغيرهم، وعنه: كثير، منهم: ولد أخيه علامة المغرب، الشيخ عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها: «شرح على دلائل الخيرات» في مجلدين، و«منظومة في الوفق المخمس الخالي الوسط وشرحها»، وكانت **وفاته** رابع عشر ربيع الثاني، سنة اثنتين وخمسين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٧٠] محمد بن يوسف بن عبد القادر الدمياطي الحنفي المفتي[2].

إمامٌ تقدم على الأقران، وأمعن النظر في مذهب إمامه النعمان، وبرع في الفضائل، بل ومهر في حل مشكلات المسائل، وتكلم في المجالس،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٧٣).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٧٠)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (٢/ ٥٦) (٩١).

وظهر من درر بحره بالنفائس.

وجمع وألف، وكتب وأفاد، وأرسل فتاويه طائرة بأجنحة ورقها إلى البلاد، ولازم شيوخ الحنفية من المصريين؛ كشيخ الإسلام زين الدين بن نجيم، وأخيه المحقق الشيخ عمر، والشيخ علي بن غانم المقدسي وأجازوه، وتصدر للتدريس، ونفع الناس، واستمر على ذلك إلى أن **توفي** يوم الجمعة، سابع عشر ربيع الثاني، سنة أربع عشرة بعد الألف بالقاهرة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٧١] محمد بن يوسف بن كريم الدين الدمشقي الحنفي، الشهير بالكريمي[1].

دُرةُ عقد الموالي، وجنة الأيام والليالي، وصدر العلماء الفخام، وقرة عين أولي المجد والاحتشام، وأحد أذكياء دمشق المشهورين، وأعيان أكابرها المعلومين، وممن ذكا أدبه، وعرف نبله، واشتهر بين أقرانه علمه وفضله.

ولد بدمشق، وبها نشأ، وأخذ عمن بها من أكابر علمائها، ولما قدم العلامة أحمد المقري إلى دمشق، اختص به، ولازمه، وصار أحد تلامذته، ومن جملة رواته، واجتنى من روض فضله يانع ثمراته، ومضت له بصحبته أوقات لقطع الرياض، ودارت بينهما أكؤس محاورات تسكر سكر الحدق المراض، حتى ظفر منهم بأنفس المزايا والفوائد، وتقدم ببركة خدمته على

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٧٣)، وذكر فقال: «وتوفي ليلة الخميس سابع شهر ربيع الأول سنة ثمان وستين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ». «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ١٦٧) (٩)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٥٥).

جميع الأكابر والأماجد، ثم لم يزل مقيماً على خدمة العلم والأدب، حتى وافاه أجله عن كثب، فتوفي وله ديوان صدحت بلابلُ أشعاره، على أغصان آماله وأوطاره، وبينه وبين أدباء عصره مكاتبات، ومراسلات ومحاورات، فمن رقيق كلامه، وبديع سحره ونظامه، قوله: . . .[١].

[١٧٢] المنلا محمد شريف بن المنلا يوسف ابن القاضي محمود بن المنلا كمال الدين الصديقي الشاهوئي الدويسي الشافعي[٢].

صدرٌ من صدور أئمة الدين، وكبير من كبراء الأولياء المهتدين، وقدوةٌ في أفراد العلماء الزاهدين، حاملُ لواء المعارف، ومحرز التالد منها والطارف، محافظٌ على الكتاب والسنة، قائمٌ بآداب الفرض والسنة، حاملٌ لأعباء صلاح الأمة.

باسطٌ للضعفاء وذوي الحاجات للعلوم الدينية جناحَ الرأفة والرحمة، ذا أورادٍ وأذكارٍ كان يعمر بها مجالسه، وجدّ في العبادة، وجدّ في الزهادة، ومواظبة صيامٍ، وملازمة قيامٍ، مع فضائل لا تحصى، ومناقب لا تستقصى، وصلابةٍ في الدين، وانقطاع عن الناس لرب العالمين.

أخذ العلوم عن والده، وغيره من علماء بلده، وأخذ عنه شيخنا إبراهيم ابن حسن الكوراني، وانتفع به وتخرَّج، وعلى فضائله عَرَّج، فقرأ عليه ببلاده كتباً كثيرةً في علم المعقول، وبالمدينة طرفاً من «شرح المواقف»، وطرفاً من «فتح الباري» لابن حجر.

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «قوله» بياض بالأصل ثلاثة أرباع السطر».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٨٠).

وله مؤلفات، منها: «حاشيتان على تفسير البيضاوي» إحداهما إلى آخر الكهف، والبحث فيها مع سعدي جلبي الرومي، والأخرى إلى آخر تفسير القرآن، والبحث فيها مع مظهر الدين الكازروني، و«حاشية على شرح الإشارات» للطوسي، محاكمةٌ بينه وبين الإمام الرازي، و«حاشية على تهافت الفلاسفة» لخواجه زاده الرومي، محاكمة بينه وبين الإمام الغزالي.

وحج من طريق بغداد سنة خمس وخمسين بعد الألف، وجاور بالحرمين سنتين، ثم رجع إلى وطنه، ثم عاد إلى الحرمين، وجاور مدةً، ثم توجه إلى اليمن، وأخذ عنه به خلقٌ لا يُحصَون، وعرفوا جلالته.

ولما قدم المخا، أجلَّه أميرها السيد زيد بن علي الجحاف، ومن جملة ما سأله عن مقصده في هذه الرحلة: إلى أي مكان؟ فقال له: مقصدي القبر، فرحل بعد أيام من المخا إلى تعز، ومنها إلى أبّ، فتوفي بمدينة أبّ، في ثامن عشري صفر، سنة ثمان وسبعين بعد الألف ـ رحمه الله ـ، ودفن برأس العقبة إلى السحول، وقبره معروف مشهور يتبرك به[1].

[١٧٣] محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عز الدين السلفي[2].

قال ابن أبي الرجال: كان بديع الزمان، ومربع الأوان، متبحراً في العلوم الشرعية، محققاً في العلوم العقلية، بليغَ الإشارات، فصيح العبارات، مطلعاً على المقالات، له همـةٌ عاليـةٌ، بلغ بها الرتب العالية، وأشير إليه بالأنامل

---

(١) من البدع المتكرر ذكرها في هذا الكتاب التبرك بالقبور، وقد سبق الكلام على ذلك، نعوذ بالله من الخذلان.

(٢) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٣٨) (٢٣٤).

بالفضائل، وكانت له مع هذه الصفات الحميدة، سابقةٌ أولى في الجهاد، وكان أحد الشجعان المغامرين للحرب، كما كان أبوه، ولم يزل مسعوداً مقدماً مذ نشأ، إلى أن انتقل إلى جوار ربه، وكان يقول متمثلا بشعر زهير بن الحباب:

مِنْ كلِّ ما نال الفتى قد نلتُه إلا التحية

ويقول: إذا كان هذه التحية، وهي: «أبيت اللعن» ثبتت، لما ولي إقليماً واسعاً، وهو بلاد حراز، وساس جمهوره، فلا أستثني ذلك.

قلت: وأول هذا الشعر:

أبنيَّ إن أهلكْ فقد أورثتُكُم مجداً بنيَّهْ

وتركتُكم أبناءَ سا داتٍ زنادُكُمُ وَرِيَّهْ

مِنْ كلِّ ما نال الفتى قد نلتُه إلا التحيَّه

والموتُ خيرٌ للفتى فليهلكَنْ وبه بقيَّهْ

من أن يرى شهدته ولـ ـدانُ المقامةِ بالعشيَّهْ

وكان رفيع المكان، صدراً في المحافل، خطيباً مفوهاً جزلاً، وكان أبناء الإمام يعظمونه، يلبس الفاخر من الثياب، مع بسطة جسمه، وكان إذا تلا القرآن، انتهى الركب.

حكي عن بعض الفضلاء: أنه حضره السيد ابن الحسين، متودعاً لهما، عند توجهه إلى صنعاء، وهم بضوران، ففعلا من الإحسان ما يليق بهما وبه، ونشرا عليه الخلع، قال: ولما انفصل عنهما، وقد رابني ذلك، التوسع منه،

في القبول للجوائز على علمه، فلما استوى على بغلته، تلا القرآن بتلاوةٍ كأني ما سمعت القرآن قبلها، فقلت في نفسي: يحق كل ذلك، واطمأنت نفسي.

وله عدة شيوخ، أما الفقه، فشيخه في كثير منه: العلامة عامر الصباحي، وكان يعظمه كثيراً، فاستنكر بعض التلامذة، فقال: يحق له هذا، وأما سائر العلوم، فعلى شيوخٍ كثيرين، ولما حج، لقي شيوخ الحرمين، وأخذ عن محدث عصره، العلامة محمد بن علان، وكتب له إجازةً عظيمةً جامعةً، وكان بينهما صحبةٌ أكيدةٌ، وكان يأنس به كل أحد؛ لحفظه كلام الناس.

وفي آخر أيامه كُفَّ بصرُه، فأقبل على الصدقات والتلاوة، ونفذ وصاياه، وعمّر في جامع القرية الأكثر منه، وتقرب بقربٍ مقربة، **وتوفي** سنة خمسين وألف بصنعاء، ودفن بخزيمة[1]، وكان يستروح للشعر الجزل الفحل، ويولع بقصيدة ابن دريد اللامية، التي أولها:

هل الحُرُّ إلا ما أفادَ فأفضلا ... وما المالُ إلا ما استُفيد لِيُبذَلا

دعيني لهذا المجدِ أرعى سوامَهُ ... وإن لم أعشْ إلا ملوماً مُعَذَّلا

وكان ينشدها مستروِحاً بها، بصوتٍ جهوري، ونظم على وزنها قصيدةً في السيد الحسن بن القاسم التي أولها:

كفى المجدَ فخراً أن غدا لك مرسلا ... وقد كان للماضين قبلك موئلا

وكانت تنشد هذه القصيدة في الحضرة الحسنية، في ليالي الجمع والأنس، وكان للحسن مجلسٌ كل ليلة جمعة، يجتمع بالناس؛ للأنس

---

(١) جاء في الحاشية: «قرية القابل بوادي ظهر، من مخاريف صنعاء».

والمخابرة، ويمر بهم الطيب، ثم تقرأ الأشعار، ويختم ذلك بتلاوة شيءٍ من القرآن، فكانت هذه القصيدة مما يقرأ فيها.

وكان في الحضرة رجلٌ يحسن إنشاد الشعر، وكان ينشد والموكبُ يسير بأبهته الكاملة في أثناء الطريق، فاتفق أن ذلك المنشد أنشدها بين الخيل، عند خروج الحسن من «أبّ» متنزهاً، والقاضي حاضر، فأرعى كلٌّ سمعه، والقاضي يزيد في الاستماع، فالتفت الحسن إلى القاضي يحيى بن علي الفلكي ينبهه على ذلك.

ومن شعر صاحب الترجمة يمدح السيد الحسين ابن الإمام القاسم، وكان تعلقه به أكثر: قوله ـ وأنشدني بعضها من لسانه ـ:

خلا أنها تسبي العقول وما تـدري ... وما عذرُها في ذاك إلا الهوى العذري

قلت: سمعت من لفظه «على أنها تسـبي العقول وما تـدري»، وإلا، فما في العالمين نظيرها، ويكفيك وصفاً أنها غرة الدهر.

سـرى طيفُهـا فـذكرني الأسـى ... وعهداً بليلى حيثما طيفُهـا يـسري
عذولَيَّ صفحاً عن ملامـي وخلِّيـا ... فأذنـايَ عنهـا فيهمـا أيمـا وَقْـرِ
سلا هل سلا قلبي إذا لـم أزرْهُـمُ ... أم انطوت الأحشاء مني على جمر
هو الحبُّ إن يملـكْ فغيـرُ مـدافَع ... وإن تحتكم أسبابُه في الفتى يبري
ومن شأنِه حملُ الهوى مثلَ مذهبي ... فلـيس لـه غيـرُ التجلـد والـصبرِ
عساها يدومُ الوصـل منهـا تكرمـاً ... ففي وصلها بين الورى يشرف القدر
ومـا ليلـة يأتيـك عنهـا سـفيرُها ... ببشرى التلاقي غيرها ليلـة القـدرِ

إذا شُبِّهت بالأنجم الزهر أنفسٌ ... فما أنصفت إن شُبِّهت هي بالبدرِ

وإن أطنبوا في وصف بيضاءَ دميةٍ ... فلا شكَّ يوماً أنها بيضةُ الخِدْرِ

ألا لست لولا حبُّها أعرفُ الهوى ... وما كنت أدري بالقريض وبالشعر

قفا فلأمرٍ ما أُوَرّي بذكرِها ... على عادةِ التشبيب بالنظمِ والنثر

حلا غزلاً فن القوافي وأهلها ... كما حلت الغزلان في الحلل الخضر

فأسحرن في سبكِ المعاني بواكراً ... كما بان لي بعضُ البيان من السحر

وما علق التشبيب صدر شبيبتي ... سناء ولا ذات الخمار ولا الخمر

ولكن مدح الطاهر الشيم الذي ... كسا الناسَ ثوبَ الأمن في البر والبحر

وأجرى ينابيعَ الهدى في الورى معاً ... وأورى زنادَ الملك بالنهي والأمر

وأروى السيوفَ المرهَفاتِ من العِدى ... أولي الفسقِ والفحشاء والبغي والنكرِ

وجرد فيهم همةً نبويةً ... فأفناهم بالجُرْد والبِيضِ والسَّمْرِ

وأحيا منارَ الدين بعدَ خموله ... ببرهانِ قول دونه فَلَقُ الفجرِ

ألا ذاكَ فامدحْه الحسين وما عسى ... يقصُّ ويحصي المادحون من الفخر

هو الشرفُ الأعلى هو الناس جملةً ... إذا قيل فيمن دونه أوحدُ العصر

هو السيد المعروفُ بالحِلم والندى ... وبالعلم والتقوى وبالخيل والبتر

هُمامٌ كريمٌ همُّه المجدُ والعلى ... وشيمتُه عم الخلائق بالوفرِ

رؤوفٌ بلا عجز رؤوفٌ بلا وَنىً ... حليمٌ يلاقي المدلَهِمّات بالبِشْرِ

إذا نشرت أنظاره عند مشكل ... يحلُّ وأن راياته تأت بالنصر

وسل عنه في الذكر الجميل مشاهداً ... يريك ثناء طيباً زاكيَ العطرِ

فيومُ الأعادي لم يزل منه باكياً | دماً إذ لهُ الأيام ضاحكةُ البِشْرِ
إليك أبا يحيى أتتك تحيةٌ | تضوَّعَ من أرجائها أَرَجُ البشرِ
تجوبُ الفيافي نحوَ بابك مسلماً | تأمون نحو البيت والركن والحجر
مسربلةٌ بردَ المعاني قويمةٌ | كما زانَ نظمَ الدر في الصدر والنحرِ
لها شرفٌ يزهو بتقبيلها الثرى | لديكَ وممن سوح العلى مثلها يثري
بكرت لها فكراً ومن وصفك الذي | يَزين القوافي فيك ساعدني فكري
كما قيل في الباني الذي وجد البنا | فلا عجبٌ إن طال ما شاد من قصرِ
وماذا يقول الواصفون وهل أتى | لغيركم من هل أتى محكم الذكرِ
وأثنى عليكم في المثاني دلائلاً | جليات أحكام تَجِلُّ عن الحصرِ
ومن ذا الذي في الله شادَ معالماً | وإن ظنَّها فوق السِّماكَيْن والنَّسْرِ
وكفَّ الأذى عن ملَّةِ الدين كافياً | كما كفى الكفارَ بالأَنْمُلِ العَشْرِ
فلو رام كلُّ العالمين توسماً | لشكر الأيادي منك لم تَفِ بالعُشْرِ
ولكنها تأتي بهذا توسلاً | وبعضُ وفاء الحر إن فاه بالشكرِ
وكيف يكون المدحُ زيناً لأهله | إذا قيل إن الشعر بالمرء قد يُزْري
رأيت الذي في كلِّ أمر يسوءُني | شددتُ به أَزري وملَّكته أمري
وكلفتُ نفسي في رضا الله أولاً | أموراً أرى أعباءها أثقلَتْ ظهري
وسعياً إلى ما عم تكليفُه الورى | وأوجبه الرحمنُ في السر والجهرِ
وجرياً على مرمى مرامِك إنه | على السنن المختار للسادةِ الغُرِّ
على وضر من ذا الأنام وليتما | إذا لم أجد نفعاً سلمت من الضرِّ

ولكن هـذا النـاس مهمـا أردتهـم ... لأنفـسهم خيـراً يجـازون بالـشرِّ

أُصـــابرُ أيـــامي لـــديهم تجرعـــاً ... وأحملُها منهم على المركب الـوَعْرِ

وأعطي على المكروه منهم توقفاً ... ويَثنون لي صدراً على الغدر والمكر

وأكثـرهم مـن كـل شـيء تألقـاً ... وليسوا على شيء سوى التيه والكبرِ

أَلِيَّـــة بَـــرٍّ بالـــذي بـــرأ الـــورى ... ومن وصف التقوى بالايمان والبـرِّ

وبالقمرِ المشتق للشمس والضحى ... وبالفجر والـشفع المؤكـد بـالوترِ

لقد عِيلَ صبري عند قـومٍ قلـوبُهم ... لدى سبل التوفيق أقسى من الصخر

بعيدون عـن نهـج الرشـاد وإنمـا ... تجـارتُهم كـسبُ المـآثم والإصـر

وينسون حقَّ الفضل منهم تجاهلاً ... ولـم يفرقوا ما بين زيـدٍ ولا عمـرِو

فلا حصلوا طولاً علـى أيِّ طائـل ... ولا وصلوا فضلاً بعـسر ولا نُكْـرِ

لبانَ مـسيء فـي الأنـام ومحـسن ... كما بين هذا العدل في القول والجبرِ

ألا قيـــدتني فـــي حـــرار لـــوازم ... فما اسطعت[1] أمضي قيد شبر ولا فتـر

لك الخير رشني أنت يا شرف الهدى ... فخير الموالي من يريش[2] ولا يبري

فما خيبـت آمـالَ مـن أَمَّ فـضلَكُم ... وأنتم لها مستعذب الحوض والنهر

ولا انقبـضت أيـدٍ أياديـك طولُهـا ... أمان بها طـول الزمـان مـن الكبـر

لعمـريَ مـا أخـشى وآلُ محمـدٍ ... هم العروةُ الوثقى لعمري وما عمري

بكم شَرُفَت أنـسابُنا حـين ننتمـي ... إلى تبع السامي الذي في العلى يجري

---

(١) في الأصل: استطعت، والصواب ما أثبت.

(٢) في الأصل: يرشن، والصواب ما أثبت.

وما كان وصانا بغير اعتصامنا ... بدوحة خير الخلق من دوحة التطر[1]

وأسلافنا من يهتدون بهديكم ... وإنا على آثارهم في الهدى نجري

[١٧٤] محمد باشا بن سنان باشا الوزير الأعظم[2].

صاحب الجوامع والتكايا، ولي الشام مرتين في حياة أبيه، ومرة بعد وفاته، سنة ثلاث عشرة بعد الألف، وتخوفت منه عساكر دمشق لكثرة عشيره؛ لأنه صار وزيراً أعظم، وكان متحجباً ممتنعاً بسبب أن زوجته سلطانة.

ولما كان يوم الاثنين، خامس عشري رمضان، سنة ثلاث عشرة، صبيحة النهار، دخل عثمان باشا نائباً بالشام، وأبرز من يده حكماً سلطانياً بالقبض على صاحب الترجمة، وجمع أعيان دمشق، منهم: الشيخ محمد بن سعد الدين، والقاضي محب الدين الحموي، وهو يومئذٍ قسام عسكر، والقاضي تاج الدين، وحسن جلبي نائب الباب، وطائفة من الينكجرية، وقرأ عليهم الحكم فأجابوه.

وعرضوا عليه الحكم ليسلم، فأبى، ثم سلم بعد أن أحاطت العساكر بدار السعادة، وحملوا السلاح، لما لم يجد بداً من التسليم، وخرج من دار السعادة إلى القلعة، ثم ورد حكم سلطاني بإخراجه من القلعة، وطُلب فأُخرج مكرماً، وفي أوائل جمادى الأولى، سنة أربع عشرة بعد الألف، وصل الخبر إلى دمشق بأن السلطان قتله بعد أن انتقدوا عليه أموراً، شُكي عليه بسببها ـ رحمه الله ـ، ذكره النجم الغزي في «الذيل».

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٢٥) (٣٨).

[١٧٥] محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان المروسي الأهنومي النسري.

كان من خيار عباد الله، وأهل التقوى والورع، والمعاملة لله في السر والجهر، قرأ عليه عدةٌ من الفضلاء، منهم: القاضي أحمد بن سعد الدين.

وكان يسكن بهجرة المكردم، وبها **توفي** في سلخ رجب، سنة إحدى وأربعين وألف، ودفن بسوق الغرفة، إلى جنب السيد حليف القرآن أحمد ابن يحيى، والقاضي سعد الدين ـ رحمهم الله تعالى ـ.

[١٧٦] محمد بن شعبان الطرابلسي الحنفي[١].

من أهل طرابلس المغرب، ذكره في «ذيل الشقائق»، ووصفه بالفضل الباهر، وقال: قدم القسطنطينية، سنة ست عشرة وألف، وتناظر مع علمائها، فظهرت مزيته، ورعي حقه، وأقبل عليه شيخ الإسلام صنع الله، فأعطاه قضاء بلده، باعتبار المولوية، وأضاف إلى القضاء: الفتوى والتدريس، فتوجه إلى وطنه.

وله تآليف باهرة، منها: «شرح مجمع البحرين»، سماه «تشنيف المسمع في شرح المجمع»، وجمع «مناقب الشيخ أبي الغيث القشاشي»، وله غير ذلك من الآثار ما ليس له نهاية، وفتاويه كلها مسلمة، وكانت **وفاته** سنة عشرين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[١٧٧] محمد بن شعيب الخوانكي المالكي.

أحد أجلاء العلماء بمصر، أخذ عن الشمس محمد البهنسي، والشمس

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٧٤)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٥٩).

محمد الرملي، والشيخ أبي الحسن البكري، ومن في طبقتهم، وكان ممن زويت عنه الدنيا، فلم يلتفت إليها، وزوي عنه أهل الدنيا، فلازم باب الله، فرزقه التقشف والقناعة، اللذين هما خير بضاعة.

وله مؤلفات منها: «محاسن الأخبار في فضل الصلاة على النبي المختار وذكر محاسن السادة الأخيار» في مجلدين ضخمين، وقفت عليه، وهو بديع في بابه، جمع فيه فأوعى، ذكر أنه جمعه من أربعين كتاباً في هذا المعنى، وأرخ إتمامه، سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ عشرة بعد الألف، ومنها: كتاب «موارد الإلهام»، وغير ذلك ـ رحمه الله.

[١٧٨] محمد بن الصديق الخاص الحنفي.

نزيل مدينة زَبيد ومفتيها، وناشر لواء الإفادة بناديها، كان على جانبٍ عظيمٍ من العلم والعمل به، صالحاً خيراً مشتغلاً بما يعنيه، إلى أن توفي سنة أربع وخمسين بعد الألف.

[١٧٩] محمد بن صلاح بن محمد الفَلَكي[١].

نسبة إلى الفَلَكة: قريةٍ من قرى «ذمار»، يعرف جده الأعلى بناصر الدين الفرائضي؛ لمهارته في الفرائض، هذا عِلم متوارَث فيهم، لم يترك هذا القاضي لمحقق تحقيقاً إلا من ورائه، فهو الغاية في الفرائض والحساب، والجبر والمقابلة، وغير ذلك مما يتعلق بهذه الفنون، وكان يتوقد ذكاء، سريع البادرة، مقبول الجد والهزل، وتضرب الأمثال بكلماته، وكان في الفقه نسيج وحده،

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ٩٩٠) (٦٢٤)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ١٣٠).

وجميعُ الطلبة بذمار أخذوا عنه، وكان محباً للعلم وأهله، وتولى القضاء مدة طويلة محمودَ الأثر، وكان يصدع بالقول، مقيماً للشرع إلى أن توفي ضحى يوم الثلاثاء سادس عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وألف بذمار، ودفن في المقبرة المعروفة هنالك بمقبرة المجاهد غربي المدينة ـ رحمه الله ـ.

ومن العجائب: أن أعيان الفضلاء والشعراء والكبراء، منهم من رثاه، ومنهم من أرّخ وفاته، فممن أرّخ وفاته: السيد العلامة الحسين ابن الإمام القاسم بقوله:

يامبليـــــــاتِ الليـــــــالي	عـــــن الأفاضـــــل كُفِّـــــي
فقـــــد هــــدمتِ علاهـــــم	بفقـــــدِ أشــــرف إلْـــــفِ
محمـــــدٍ ذي المعـــــالي	مـــن حـــازَ أكمـــلَ وصـــفِ
تاريخُـــــه قيـــــل فيـــــه	(شـــمسُ العُلـــوم تـــوفِّي)

والشيخ إبراهيم المهتدي بقوله:

مـات أخـو العلـم فابـكِ منتحبـاً	بمـــدمع فـــي الخـــد منـــسفكِ
فهـــا نجـــومُ القـــضاء هاويـــةٌ	مذ حَلَّ في اللحدِ صورةُ الفَلَـكِ

[١٨٠] السيد محمد بن صلاح بن يحيى بن محمد بن يحيى بن القاسم ابن الأمير بن الهادي بن إبراهيم بن المؤيد بن أحمد المهدي ابن الأمير شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى العالم بن يحيى الكامل القطايري اليحيوي.

كان سيداً نجيباً فاضلاً، قد حصَّل جملة من العلوم، وصار له فضلٌ كبيرٌ، ولوالده دعوة، دعا في سنة إحدى وتسعين وتسعمائة، بعد قتل الأمير

أحمد بن الحسن المؤيدي، ووفاة الإمام أحمد بن عز الدين، وتوفي بالحرجة من بلاد قحطان.

ولصاحب الترجمة شعرٌ لطيفٌ، ومما يحسن نقله: ما تساجل به هو والسيدان: يحيى بن صلاح أخوه، والسيد محمد بن عبد الرحمن المؤيدي.

قال صاحب الترجمة:

وقائلـة مـا لـي رأيتُـكَ فاركـاً ... لقربي أما لـي فـي هـواكَ نـصيبُ

ومالـكَ ترضـى بالبعـادِ وغربـةٍ ... وترغـب عنـي إنَّ ذا لَعجيـبُ

أما إن ذات الميسم[1] العذبِ واللمى ... وساجية الطرف الكحيـل عـروب

فقال السيد يحيى:

فقلتُ وقد أشـلتْ بقلبـي حـرارةٌ ... بمنطقهـا فالقلـبُ منـه كئيـبُ

أمـا وأبـي مـا غيـر الـدهر لوعـة ... فحبـك شـيء لـستُ عنـه أتـوبُ

ومـا مغـرمٌ بالمـاء حَـرَّانَ صـادياً ... يكـاد مـن الغـيظ الـشديد يـذوبُ

بأبرحَ من شوقي إلى طلبِ العلـى ... ولـستُ وبيـتِ الله عنـه أتـوبُ

وقال محمد بن عبد الرحمن:

دعـاني إليهـا محتـدٌ أيُّ محتـد ... وإنـي لداعيـه المهيـبِ مجيـبُ

علـى أنـي أدعـو العلـى فتُجيبني ... إجابـة محبـوبٍ دعـاه حبيـبُ

إلى المجدِ أرقا مـن علـيٍّ وفـاطمٍ ... ومن أَنجبا في الناس فهـو نجيـبُ

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: المبسم.

فإن لم أصنْ مجدي فما أنا منهما ... ولا لـي فيمـا خَلَّفـاه نـصيبُ

[١٨١] محمد بن صلاح السلامي(١).

كان علامةً ماهراً في الفقه، وله في علم الكلام مسكة، وأكثر قراءته على العلامة إبراهيم الذماري، وممن أخذ عنه: العلامة إبراهيم بن يحيى السحولي، وكان يملي عليه من العلوم عجائبَ وغرائب.

وكان ثبتاً، راجحَ الرواية، خشن الملبس، غير متأنق فيه، مع وجاهته عند آل قاسم وجلالته، صحب السيد العلامة الحسين ابن الإمام القاسم، وما زال يتردد بين وطنه سلامة، وذمار، والدامع.

ولما كانت الدعوة المتوكلية، كان جُذَيْلَها المُحَكَّك، وأول من وضع يده في يد الإمام للبيعة، فتفاءل الفضلاء بأنها دعوة سلامة، وكانت كذلك، توفي ببلده ذمار، في شهر جمادى الآخرة، سنة اثنتين وستين وألف، ودفن بمقبرة المجاهد، غربي المدينة المذكورة ـ رحمه الله ـ.

[١٨٢] محمد بن صلاح بن أحمد بن صلاح بن يحيى بن المهدي الجحاف الحبوري.

هذا السيد من أهل النسك والورع والمتانة في الدين، وله معرفةٌ ماهرةٌ في الفقه، ومشاركةٌ في فنون.

مولده سنة أربع وخمسين بعد الألف بـ «حبور»، وبها نشأ، وأخذ عن السيد إسماعيل، وأخيه السيد يحيى بن جحاف، وقرأ بصنعاء على القاضي

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ٩٩٢) (٦٢٥).

محمد بن علي العنسي، وعلى القاضي محمد بن قيس.

ثم تصدر للتدريس بجامع صنعاء وأفاد واستفاد، وكان بيني وبينه صحبةٌ قويةٌ، وما رأيت في صنعاء، حين إقامتي بها، أحسنَ سمتاً منه ـ رحمه الله ـ.

توفي في شهر ربيع الثاني، سنة ألف ومائة وأربع عشرة بصنعاء، ودفن بجربة الروض ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٨٣] محمد بن الهادي بن محمد بن علي بن محمد بن سليمان بن أبي الرجال[١].

فقيهٌ زاهدٌ، حاوٍ لجلال المحامد، متفق على الثناء عليه، أقام بصعدة، وبها مات، وكان رؤوفاً بالضعفاء، وكان الوافد إلى «صعدة» من الجهات اليمنية يقف في بيته، إلى أن يسعى في صلاح شأنه.

ولا يترك ليلتي العيدين، صدقةً عامةً للطلبة جميعهم، بجامع صعدة، ويقول: قال لي عمي الفقيه، علي بن محمد بن أبي الرجال: لا ترحم في هاتين الليلتين إلا الغريب؛ لأنه لا أهل له، والأسواق مصفدةُ الأبواب، وكلٌّ مشغول بشأنه.

وكان مواظباً لجمع الفضلاء ليلة الجمعة، على تلاوة القرآن العظيم مدارسةً، ومع ذلك فكان مقتر العيش، قليل المدد، وطولب بالقضاء في جهات، فامتنع، وطولب بالبقاء في ذي جبلة، من أعمال اليمن، فامتنع وقال: لا يحل له ذلك، فقلت له: ما المانع؟ فأجاب: بأني رأيت اليمن ينزله الثبت المحكك من الرجال، فيظهر صغره، وأما أنا، فنحاس ضعيف الحال، فعذر.

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ١٠٩١) (٦٨٦).

وتقطعت أسبابه زمناً طويلاً، وكانت أهله تعوله، وكان من المشهورين بإجابة الدعوة، وكان الفقيه محمد بن عيسى شجاع الشقيقي يقول: إنه من الأبدال؛ لأن طاعتهم الصبر، وكان الإمام المؤيد بالله يقول: إن الفقيه محمد ابن الهادي رجلُ الدنيا والآخرة، وله كراماتٌ كثيرةٌ، ذكرها القاضي أحمد ابن صالح بن أبي الرجال في «تاريخه».

وكانت له في الفقه اليد الطولى، والسابقة الأولى، قال مشايخه للإمام المؤيد بالله: في صعدة خزانة من الفقه، وهو الفقيه محمد بن الهادي، وكان شيخه السيد أحمد الديلمي يقول: ما أتمنى إلا سكنى شناع، هجرة القاضي جعفر بن أحمد، وأن يكون عندي الفقيه محمد يذاكرني في الفقه.

وله شعر مقبول، منه: ما كتبه إلى صنعاء للقاضي أحمد بن صالح، يوصيه بطريقته في الصبر، وهيهات أن يدرك الضالع شأو الضليع:

تَصَبَّرْ تلقَ إما رمتَ أمراً ... قرارُ العينِ بعدَ الاصطبارِ
فسرُّ الصبر مفتاحُ تجلَّى ... كمثلِ الليلُ يتلى بالنهارِ

ومولده بـ «الخيسين»، بأعمال «مرهبة»، سنة ست عشرة بعد الألف، **ووفاته** يوم الاثنين، سابع شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وخمسين وألف، ولأهل عصره فيه مراثٍ كثيرةٍ، وممن رثاه: العلامة جمال الدين الهادي بن عبد النبي، المعروف بابن حطبة، فقال:

يُزَهِّدُ في الدنيا فراقُ الأفاضلِ ... وضمُّ علومٍ تحت صُمِّ الجنادِلِ
وقفرُ الندى عن دار قوم ترحَّلوا ... فدارُ القِرى قفرٌ على كلِّ نازلِ
ألا مبلغٌ عني أخلاءَ قد ثَوَوْا ... بدارِ اغتراب راحلٌ بعدَ راحلِ

أيا قبرَ عزِّ الـدينِ واريـتَ شـامتي　　وغيبـتَ بحـراً لا يـسدُّ بـساحلِ

فما لـي لا أبكـي العلـومَ وأهلَهـا　　نجـوم سـماء آفـلٌ بعَـد آفِـلِ

[١٨٤] محمد بن يحيى بن مكرم بن المحب محمد بن المحب محمد ابن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الحسيني، الطبري المكي الشافعي.

إمام المقام الشريف، ذكره ولده الإمام عبد القادر الطبري، في كتاب «إنباء البرية بالأنباء الطبرية»، فقال:

رأيت بخط والده: أنه ظهر عشاء ليلة الجمعة، سادس ذي الحجة، سنة سبع وثلاثين وتسعمائة، وكان القمر في منزلة الغفر، وكان طالع ولادته السعد، ونشأ في حجر أبويه: يحيى، وفاطمة بنت الخطيب عبد الرحمن بن علم الدين النويري الهاشمي العقيلي.

وحفظ القرآن العظيم على قراءة عمرو، ومن طريق الدوري، وصلى به التراويح، في المقام الشريف، وكان ختمه ليلة الحادي والعشرين ـ على عادة الشافعية ـ مشهوداً، حضره أعيان ذلك الزمان؛ كالقاضي أبي القاسم، وأخيه القاضي أحمد ابني القاضي أبي السعادات الأنصاري، والقاضي تاج الدين، وأعيانها الفقهاء.

ثم حرر القرآن على الشيخ يوسف العجمي، وحفظ عدة متون، منها: «الإرشاد» لابن المقري، ثم أمّ بالناس في الفرائض، في المقام الشريف، وأخذ عن والده الحديث المسلسل بالأولية؛ لعلو سنده فيه.

واشتغل بالعربية على الشيخ عبدالله الفاكهي، وقرأ عليه شرحه على

متممـة الأجرومية، واشـتغل في الفقه على الشيخ أبي الفتح الجناني، وقرأ عليه: «أذكار الإمام النووي»، وحضر دروس شيخ الإسلام الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي، وقرأ عليه: بعض «الإرشاد».

وسـافر في سـنة ثمان وسبعين وتسعمائة إلى الديار المصرية، قاصداً الوصول إلى الديار الرومية للسعي في سعة المعاش، وكتب له محضراً بتسويد الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي، وعليهما[1] خطه، وخط الشيخ محمد البكري، وخط القاضي حسين المالكي، وغيرهم من الأكابر والعلماء والأعيان، متضمنان[2] التعريف بقدره، وسرد نسبه، والتماس العناية به.

فلما وصل إلى مصر، أعرض عن التوجه إلى الروم، وغلب عليه الحنين إلى الأهل والوطن، وخشي أن يموت والده في غيبته، فتفوته بركته، فآثر ذلك على طلب الدنيا، وعاد من عامه إلى مكة صحبةَ الركب المصري.

وكان له عزم وشهامة في أموره وشؤونه، لا يبالي بأحد، ولا يتهيب، ويتم له ذلك؛ لصدق عزمه، وقوة همته، وبقي على مباشـرة الأمانـة عمـراً طويلاً، إلى أن كمل ولداه، فباشراها.

ثم واظب على تلاوة القرآن من المصحف، والإكثار من الصلاة على النبي ﷺ، وغلبت عليه ملازمة بيته، فلا يخرج إلا قليلاً، وتيسرت له زيارة النبي ﷺ، مع المجاورة بالمدينة الشريفة مراراً.

وحصلت له في آخرها عنايـةٌ عظيمـةٌ، وهي أنه وقف ذات يومٍ تجـاه

(١) كذا في الأصل، وفوق الكلمة خط.

(٢) كذا في الأصل.

الوجه الشريف، عند الشباك، فاستغرق، فكشف له عن الضريح الشريف؛ بحيث صار لا يرى الشباك ولا البناء، الذي هو موجود على الضريح، وصار يرى الوقت، كالوقت الذي يصلي فيه الحنفية صلاة الصبح.

فخطر في باله ما قيل في وصف أوقات الجنة؛ من أنها كهذا الوقت، فصاح بأعلى صوته، من غير اختيار، وهو يقول: مدهامتان، مدهامتان، الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، وسقط إلى الأرض، وسقطت عمامته، ففزع إليه خدام الحجرة الشريفة، واحتملوه إلى محلهم الذي يجلسون فيه جهة المتهجد، واستمر إلى أن سكن روعه، فلما وعى، أجهش بالبكاء، وعاد له ذلك الحال، فاحتملوه إلى منزله.

وبقي مدة إقامته بالمدينة، يعتريه ذلك الحال، من البكاء والصلاة على النبي ﷺ، وبينما هو في ذلك، إذ دخل عليه الشيخ محمد باشعيب وهو يقول: هنيئاً لك يا إمام، نهنيك يا إمام محمد، فازداد بكاؤه واضطرابه.

واستمر إلى أن مات، إذا ذَكر ذلك، أو ذُكر له، يبكي ويرتعش من غير اختيار، ولم يزل كذلك، إلى أن توفي أثناء ليلة الحادي عشر، من شهر ربيع الأول، سنة ثمان عشرة وألف، وصلي عليه في المقام الشريف، بعد طلوع شمس ذلك اليوم، بعد أن نادى عليه الرئيس، بقبة زمزم، وشهد الصلاة عليه سلطانُ الحرمين الشريفُ إدريس بن الحسن بن أبي نمي، وجماعة من أعيان الأشراف، وعامة الفقهاء والأعيان، ودفن بالمعلاة، على أبيه، في قبر المحب الطبري ـ رحمهم الله ـ.

[١٨٥] محمد بن يحيى العزي الشافعي.

القاضي خليفة الحكم بمصر، ماجدٌ إذا تليت آياتُ أوصافه، ركع لها

القلم وسجد، تفرد بعلو سنده في الحديث، فأصبح دار علم بين العلياء والسند، فحديثه في الفضل مرفوع، وأثر سواه ضعيف ومقطوع، قال الخفاجي في «الريحانة»: وهو أحد الشيوخ بمصر الذين رُويت عنهم السنن، وتشرف أهل عصره بلقائه وطيبِ حديثه الحسن، ولم يزل بالقاهرة وثناؤه يتلو لسان الدهر ويحفظ فؤاده، وسكر طبعه المصري مما يحلو مكرره ومعاده، حتى توفي بها يوم الثلاثاء ثاني عشرة شوال سنة تسع عشرة بعد الألف.

وشعره يستحق أن يرسم بنور البصر، في عنفوان صحائف الأذهان والفكر، فمنه قوله في مليح نحاس:

عليّ رفقاً بمن ذابَتْ حَشاهُ ضنًى ... صبٌّ أزالَ الكرى من مقلتيه وصَبْ

خد قلبك يا نحاس يمنعُه ... لجينُ جسمِك والنومُ المصونُ ذهبْ

وله في صديقه الصحّافي:

يا عاذلي في هواهُ ... تلاق قبلَ التلافِ

وهاتِ لي الدنِّ واجمع ... بيني وبين الصحّافِ

[١٨٦] محمد بن يحيى بن أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن محمد، الشهير بالبطنيني الخباز الدمشقي الشافعي(١).

أحد كبار علماء الشام، المتبحرين في الفقه والحديث، والمشاركين في فنون كثيرة، كان حافظاً ورعاً، ذا صلابةٍ في دينه، ينكر المنكر، ولا يخاف في الله لومة لائم، حليماً وقوراً، صباراً على البحث، سريع الجواب، بديع

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٦٤).

الخطاب، حسن التحرير والتقرير.

وكان في بدايته خبازاً بدمشق، فطرقه طارق الخير، فرحل إلى مصر، وجاور بالجامع الأزهر سنين.

وجدَّ في طلب العلم، وأخذ عن النور الحلبي، وإبراهيم اللقاني، والشهاب أحمد القليوبي، والشمس محمد الشوبري، وشيخنا سلطان المزاحي، ومحمد بن علاء الدين البابلي، ومن عاصرهم من أهل طبقتهم.

وفتح الله عليه بعد رجوعه إلى بلده، فكان يدرس في فنون، ويملي من حفظه ما يطالعه بأحسن إملاء، خصوصاً علم الفقه والحديث، ثم عرض له عمى، فزاد علمه وحفظه؛ لأن الله سبحانه من فضله وجوده ما أخذ من أحد حاسةً، إلا عوضه خيراً منها.

ثم كثرت طلبته والآخذون عنه، ومنهم: شيخنا العلامة محمد البخش الحلبي، وعبد القادر بن عبد الهادي الغمري، وحمزة الرومي، وأبو السعود ابن تاج الدين البعلي.

ولم يزل ملازماً لدروسه، مواظباً على عبادة الله، حتى توفي سنة ثلاث وسبعين وألف بدمشق، ودفن بمرج الدحداح، وله مؤلفات منها: «فتح البرية بالجواب عن أسئلة الزيدية»، وهو أحد من رأيته وأنا صغير بدمشق، وكنت كثيراً ما أقبل يديه، ويدعو لي بدعواتٍ صالحةٍ ـ نفع الله به ـ.

[١٨٧] محمد نجم الدين بن يحيى الفرضي الشافعي الدمشقي[١].

الشيخ العلامة، عالم الشام، وشيخ أهل دمشق في عصره، خصوصاً

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٦٥)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٤١).

في علم العربية، لم يكن فيهم مثله، قرأ عليه الطلبة، وانتفع به الجماعة، كان يقرئ فنون العلم بمسجد بني أمية، بمحراب الحنابلة، وقت الضحى، وعنده طلبةٌ منتهون، ملازمون لمجلسه، لا يفارقونه وقت الإقراء.

وكان حسن الخلق والتفهيم، سهل العبارة، على المبتدي والمنتهي، قرأ على شيوخ كثير، منهم: الشمس الميداني، والنجم الغزي، واشتهر ذكره، وكان ورعاً مهاباً عند جميع الناس، مقبول الشفاعة، مسموع الكلمة، ملازماً لأفعال الخير، أجرى بدمشق من ماله، وعلى يده، نحوَ مائة وأربعين قناة ماء كانت دائرة، وله مؤلفات منها: «شرح على الأجرومية».

توفي عام تسعين بعد الألف بدمشق، ودفن بمرج الدحداح، ورئيت له بعد موته مناماتٌ صالحةٌ، منها: أن رجلاً من الصالحين رأى بعض أصحابه من الموتى، لابساً حلةً عظيمةً، لم ير مثلها في الدنيا، فسأله عن حاله، فقال: كنا بأسوأ حال، فلما دفن صاحب الترجمة في جنباتنا، ألبس الله جميع أهل الجبانة حللاً مثل هذه الحلة، وغفر لهم ببركته.

وهو من الشيوخ الذين أدركتُهم وأنا صغير، وكنت أقبل يده، ويدعو لي - رحمه الله تعالى -.

[١٨٨] محمد بن ياسين المنوفي الشافعي[١].

العالـم الكامل، البارع الفاضـل، مهذِّب مباحث الجهابذة الفضلاء، ومحرِّر دلائل الطلبة النبلاء، ومَحَطُّ رحال العلماء الأماثل، ومصدر العلوم الجلائل.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٦٦)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٣٥)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (٢/ ٨) (٨١).

مولده بمصر، وبها نشأ، واشتغل بالعلم اشتغالاً تاماً مرضياً، وأخذ عن جمعٍ، منهم: أبو بكر الشنواني، ومحمد الميموني، ومحمد الخفاجي، وأحمد السنهوري، وغيرهم، وأجازوه، وتعاطى نظم الشعر، فبلغ فيه الغاية القصوى، وارتقى إلى أن زاحم بمنكبه فيه أكابر الشعراء؛ كالمتنبي، وأبي تمام، والبحتري، ومن في طبقتهم.

ثم توجه إلى الديار الرومية، وتمذهب بمذهب الإمام أبي حنيفة، ومدح من بها من الموالي العظام، والعلماء الأعلام، وتولى بنواحي مصر المناصب العديدة، ثم ترك القضاء، وعكف على التوجه إلى الله والعبادة، وحسنت حاله، واعتزل عن الاجتماع بالناس إلا أفراداً منهم، وترك النظم، إلا ما كان فيه استغاثةٌ أو مدح للنبي ﷺ.

إلى أن **توفي** بمصر، يوم الخميس، ثاني ذي الحجة، سنة اثنتين وأربعين بعد الألف، ودفن بجوار السادة الوفائية، بالقرافة الكبرى.

وكان بينه وبين العلامة الشهاب أحمد الخفاجي صحبةٌ أكيدةٌ، ومحاوراتٌ ومراسلاتٌ عديدةٌ، وقد ذكره في «ريحانته»، وأثنى عليه ثناءً حسناً، وأورد من شعره قوله:

تايهةٌ بالدلال يثنيها ... عن حاير بالهوى تثنيها

قَرَّحَ فيضُ الدمع مقلَتَه ... فاشتبكَ الماء في مآقيها

ومن نمت في سواد مقلته ... لواعجُ الشوق كيفُ يخفيها

يُبعدها الصدُّ والهوى محنٌ ... عن ناظري والغرامُ يدنيها

بل بارق ما أرى أم ابتسمتْ ... فانتظَم الدرُّ في تراقيها

عـن فتكهـا قـدُّها يحـذرها ولحظُهـا بالـصدودُ يغريهـا

إن أسـفرتْ فـالهلالُ طلعتُهـا أو خطـرتْ فـالعيون تحكيهـا

أو نظـرتْ فالظبـاء فـي خجـلٍ أو نكهـتْ فـالعبيرُ فـي فيهـا

أو سـخطتْ حبهـا وقـلَّ لهـا كـل صـديق عـساهُ يرضـيها

لـو سـمحتْ بـالكرى فـارقَني وَهْنـاً مـن الليـل خـوفَ واشـيها

أو بعثـت طيفَهـا لعرّفهـا ماذقـه الـصب مـن تجنيهـا

شـقة بـين هجرنـا نـشرت فـلا يكـاد الزمـان يطويهـا

جرعنـي الـدهرُ بعـدها غُصـصاً أكتمُهـا تـارةً وأُبـديها

يـا بائعـاً نفـسَه بـلا ثمـنٍ أرخَـصْتَها فـالهوانُ يَـشْريها

مـا بـالُ هـذا الزمـانِ يُتحفنـي بمُـصْمِياتٍ إلـيَّ يُهـديها

طلائـعٌ للمـشيبِ ضـاحكةٌ لعـارضٍ والـشبابُ يَبكيهـا

منها:

خُذْ روضـةً فيـك طـابَ مغرسُـها منهـا ثمـارُ المـديحِ تَجنيهـا

فـي لَهَـواتِ الـرواةِ أثبتهـا ذكـرُ عـلاك الـذي يرويهـا

وكتب إليه الشيخ العلامة، عبدالله الدنوشري سؤالاً: أي كلمةٍ اجتمعت فيها ثلاث زوائد، من غير فاصل؟ ونظمه بقوله:

ثـلاث زوائـد جمعـت بلفـظ بـلا فـصلٍ ألا يـا صـاحِ خبّـر

فأجابه بديهةً بقوله: كلامه مستحسن، وهذا جوابٌ بديعٌ مشتملٌ على بديع التورية، فالميم والسين والتاء زوائدُ من غير فصل.

[١٨٩] محمد بن يوسف بن أبي اللطف المقدسي الشافعي ثم الحنفي الشيخ العلامة رضي الدين[١].

قدم دمشق، سنة سبع وتسعين ـ بتقديم السين في الأولى ـ وتسعمائة، قال النجم في «الذيل»: استجاز له والده من شيخ الإسلام الوالد، وعلق شرحاً على منظومته في الكبائر والصغائر، على حسب حاله، قال: وأوقفني عليه، وقرظت له عليه.

وأخبرني: أنه أخذ العربية عن ابن عم أبيه، الشيخ عمر بن محمد بن أبي اللطف، وكان في صحبته، في قدمته الأولى إلى دمشق، وأنه أخذ عن والده الفقه، وصحب بدمشق الشيخ حسن البوريني، واستفاد منه، وأخذ عنه، وكان فاضلاً بارعاً، ولما تطاول عليه الزمن، اقتضى أن يكون كاتباً عند قاضي بيت المقدس، ثم تحنف، وكان يلي النيابة، ومَنْ ذا الذي يا خِلُّ لا يتغيرُ؟

قال النجم: ودعوته حين قدم دمشق إلى بعض المتنزهات، وكتبت له لغزاً صورته:

يا عالماً فاقَ الورى ... بنظمِه ونثرِه
يا أيها المرضيُّ والـ ... ـمرجوُّ محضُ جبرِهِ
ما اسمٌ ثلاثيٌّ غدا ... عرفانُه كنكرِهِ
وفرعُهُ مشتهر ... بعلمه وشعرِهِ

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٦٤) (٥٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٧٢)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٥٥).

وشـــــــأنه معظَّـــــــمٌ فــــي شـــامِهِ ومــــصرِهِ
ونفعُــــــه قــــد عمَّنـــــا فــــي حَــــرِّه وقُــــرِّهِ
ثـــــــم إذا أديلـــــــــه بعــــدَ تمــــامِ أمــــرِهِ
فاســـمٌ لمـــاءٍ قــد جــرى بالـــشامِ وَسْـــطَ نهـــرِهِ
وإن حـــــذفتَ جيمَــــــه بنــــت ســـما بـــذكرِهِ
أو هــــو وصـــف لـــك يـــا مـــن عَمَّنـــا ببـــرِّهِ
ولـــيس وصـــف لـــك إن رأيـــت حـــذف صـــدره
وإن تـــصحَّفَ بـــدؤه حَرَّمتــــــه بأســــــرِهِ
أو اعتبــــرتَ قَلْبَــــــه فمــــــنهم إن تـــدرِهِ
وصـــدرُ مـــا قلبتـــه مـــن يلقـــه عـــن فكـــرِهِ
فاســـمٌ تـــراه غاليــــاً علـــى ســـموِّ قـــدرِهِ
أو فعـــل نحـــو صـــاحبٍ فـــي ســـرِّه وجهـــرِهِ
وحـــرف معنـــى نـــافع فـــي قلـــه وذكـــرِهِ
محلـــــه يُحلـــــه وجلـــه مـــن خـــدرِهِ
وحـــل عقـــد شـــعره وحــــل عقــــد درِّهِ
لازلـــتَ كهـــفَ قاصـــدٍ مغتـــرِفٍ مـــن بحـــرِهِ
مـــا ازدانَ غـــصنُ روضـــةٍ بَنـــوْرِه وزهــــره

قال: فأجابني، وألحق الجواب لغزاً آخر، فقال:

يـــا كـــاملاً فـــي عـــصره وفاضـــلاً فـــي دهـــرِهِ

وعالمــــاً مـــا مثلُـــه ... فـــي شـــامِه ومـــصرِه
وشـــاعراً أهـــدى لنـــا ... مـــن دُرَرٍ مـــن بحـــرِه
أهـــدى إلـــيَّ غـــادةً ... أبرزَهـــا مـــن خِـــدْرِه
قلَّـــدَها جـــواهراً ... لكنَّهـــا فـــي ثغـــرِه
أرشـــفَني مـــن لفظِهـــا ... زلالَـــه مـــن خمـــرِه
يقـــولُ مـــن أبـــصرني ... لقـــد غـــدا فـــي ســـكرِه
لا يهتـــــدي للفظـــــه ... يقولُهـــا مـــن غمـــرِه
ألغـــزَ لغـــزاً ســـيدي ... مـــستخرجاً مـــن فكـــرِه
أبـــردَ قلبـــي لفظُـــه ... ونهلُـــه مـــن نهـــرِه
لمـــا غـــدا مـــستعراً ... مـــن نفحِـــه وحـــرِّه
ثـــم كـــساني حلَّـــةً ... معـــدودةً مـــن بِـــرِّه
وقايـــةً لمهجتـــي ... تحرسُـــها فـــي قُـــرِّه
فـــإن تـــردْ تـــصحيفَه ... فـــلا تـــزدْ فـــي ذكـــرِه
وإن تـــصحَّف تَلْفَـــه ... مـــشبَّهاً بـــدهرِه
لـــه رفيـــقٌ شـــاطرٌ ... فاعجـــب لـــه فـــي شـــطرِه
يزيـــدُنا تعقـــلاً ... يجيـــدنا فـــي فكـــرِه
جمعـــاً أتـــى ومفـــرداً ... فاعجـــبْ لـــه مـــن أمـــرِه
لا تعتـــبنَّ ســـيدي ... إذ لـــم أُطـــل فـــي ذكـــرِه
مـــا كنـــت فيـــه كاتبـــاً ... لـــولا وجـــوبُ أمـــرِه

فاسلمْ ودمْ مطرزا ... بردَ الهُدى ببرِّه

ما دامَ عبدٌ ذاكراً ... لربه في سرِّه

وما تغنَّى طائر ... عند العِشا وفجرِه

يا سيديَ قلَّدتني ... جواهراً من دُرِّه

ما اسمٌ ثلاثيٌّ غدا ... مرتفعاً في قدرِه

يراه من أبصرَهُ ... محقَّراً من صغرِه

فإن تنقص أولاً ... تجلّه عن حصرِه

وإن تصحّف قلبه ... فمن مضافِ دهرِه

إن صل ليل دالج ... في بره أو بحرِه

تراه يبدو هادياً ... وإن نأى عن مصرِه

يراه كلُّ سائرٍ ... أو قاطنٍ في قطرِه

لا ينتقص من زمنٍ ... على توالي عصرِه

ولا تخاف سطوَه ... لعسكرٍ في كَرِّه

هو سيدٌ لعبدِه ... به تمامُ فخرِه

لا زال يبدو لامعاً ... وسطَ الدجى مع فَجرِه

قال: فلما وقفت على لغزه، أجبته بديهةً، وهو حاضر بقولي:

حمد المُولي بره ... مقترناً بشكره

ثم صلاةً وسلا ... ماً فاحَ نشرُ عطره

على نبيٍّ شرفت ... سطورنا بذكره

وآلـــــــه وصـــــــحبه مَـــنْ ظفـــروا بنــــصره

يــا أيهــا الــشيخُ الــذي أعجـــز نفـــثُ ســـحرِه

ومـــن تنقَّـــى أصـــله بحـــسنِ طيـــبِ نـــشرِه

ألغــزْتَ لــي فــي اسمٍ بــدا بعـــدَ خفـــاءِ أمـــرِه

وكيـــف تخفـــي وصـــفه مـــع اتـــضاحِ نـــورِه

وفـــي اســـمه شـــاركتُه لكـــن ســـما بقـــدره

مـــن ثـــم صـــحَّ أننـــي أرعـــاه عنـــد كَـــرِّه

مـــن العِـــشا مُغلِّـــسا إلـــى بُـــدُوِّ فجـــره

تـــسلية لـــي عـــن هَـــوَى مـــن شـــفَّني بهجـــرِه

فـــي ليلـــةٍ داجنـــةٍ كأنهـــا مـــن شَـــعْره

يتيـــه فيـــه واصـــفٌ مـــن أبحـــر مـــن فكـــرِه

يقـــولُ مـــا أقـــول فـــي وصـــفِ أقـــاح ثغـــرِه

يـــا ليـــت هـــل أرشـــف مـــن سُـــلافةٍ مـــن خمـــرِه

الحـــبّ مثـــلُ ردفـــهِ والجـــسمُ مثـــلُ خـــصرِه

يـــا قامـــة الخطـــيِّ قـــد أخجلـــتِ لـــينَ سُـــمْرِه

فهـــل أبيـــتُ ليلـــةً معانقـــاً لنحـــره

قيـــد النـــوى بأســـرِه وعـــضَّني بعـــسرِه

ومـــا ســـخا بيـــسره لكننـــي أرغـــب فـــي

رب الـــورى وأجـــره

لعلنـــــي أخلــــص مــــن ... وقــــت الـــردى وعــــصرِه

برحمــــــــةٍ واســــــعةٍ ... أنجـــو بهـــا مـــن وِزْره

فـــــربَّ حالـــــة لهـــــا ... نفـــع الفتـــى فـــي قبـــره

وربَّ دعـــــــوةٍ وفـــــــت ... مـــن صـــالح فـــي ســـرِّه

فالقـــــصدُ مـــــن ســــيدنا ... مـــن خَـــصَّنا بخيـــرِهِ

رضــــي ديــــن الله مــــن ... سَـــحَّ ســـحابُ بِـــرِّهِ

أن لا يكـــــون خلُّـــــه ... بمعــــزلٍ عـــن فكـــرِهِ

يـــدعو لـــه بـــالعفوِ عـــن ... مأثَمِـــــــه وســـــــترِهِ

لا زالَ فـــــي ســـــعادة ... وفُـــسحة مـــن عمـــرِهِ

مـــا دامَ ليـــلٌ داجيـــاً ... منـــــوَّرا بزُهْـــــرِهِ

قال النجم: وهذه المنادمة من لطائف المحاضرات، وظرائف المحاورات، وكانت وفاته ببيت المقدس، في جمادى الآخرة، سنة ثمان وعشرين بعد الألف، وصلى عليه غائبةً بدمشق، في منتصف رجب، القاضي بدرُ الدين الموصلي ـ رحمه الله تعالى ـ آمين.

[١٩٠] محمد بن يونس، المدعو: عبد النبي، الدّجاني الأصل؛ نسبة إلى دجانة، من قرى بيت المقدس، المدني المنشأ والمولد، الشهير بالقشاشي.

قطب دائرة الوجود، ومظهر تجليات عالَم الشهود، وركن الولاية والهداية، وبحر العلم والحلم والدراية، وغوث الأنام، وسيد العلماء والأعلام، وصاحب الكرامات الظاهرة، والإشارات الباهرة، ومرشد الفريقين،

والمتصـرف بعد موته من غير شك وَمَيْن[1]، الجوهر الفرد، الذي لا تميزه الأعراض والحدود، والإمام الذي أقر بفضله العوالم كلها، ما بين مجحود ومشهود.

ولد بالمدينة، وبها نشـأ، وحفظ القرآن وجـوَّده، وتمذهب بمذهب شيخه محمد بن عيسى التلمساني المالكي، ورحل إلى اليمن سنة إحدى عشرة بعد الألف، وأخذ عن أكثر علمائه وأوليائه، منهم: الشيخ الأمين بن الصديق المرواحي، والسيد محمد العزب، والشيخ أحمد السطيحة الزيلعي، والسيد علي القبع، والشيخ علي بن مطير، وأجازه أكثر شيوخه، وجال في الأقطار اليمنية.

وممن أخذ عنه: السيد العارف بالله، الطاهر بن محمد الأهدل، صاحب المراوعة، والعلامة محمد الفروي، وغيرهما، ثم أقام بصنعاء، ونشر بها لواء السيادة الصوفية، وصار له بها المنزلة العلية، وظهرت له الكرامات البهية.

منها: أن بعض أمراء الزيدية بصنعاء حبسه لما ظهرت أحواله، وعلا مقامـه ومقالـه، فدخـل الأمير بعد حبسـه؛ لقضاء حاجة في الخلاء، وأراد الخروج منه بعد فراغه، فلم يستطع، حتى أمر بإخراجه من الحبس، فخرج حينئذٍ.

ومنها: أن بعض أمرائهـا ـ أيضاً ـ بلغـه عن جماعـةٍ من أهل ولايته، ما يقتضي رفعهم إليه، وإهانتهم لديه، فأتوا بهم إليه، على حالةٍ غير حسنة،

---

(١) من انتقل من الحياة الدنيا إلى الآخرة لم يكن له حولٌ ولا قوةٌ ولا تصرف، رحم الله المصنف وغفر له.

فلما دخلوا عليه، رأوا الشيخ خارجاً من عنده، وكان فيهم من يعرفه، فسلموا عليه، وذكروا له الحال، فقال لهم: اعقدوا على محبته ظاهراً وباطناً، ولا يصيبكم منه إلا خير، فقرؤوا الفاتحة على ذلك، فمجرد دخولهم عليه، رأوا منه من المحبة والإجلال، ما لم يخطر ببالهم، ورجعوا إلى بلدهم، ولم ينلهم منه مكروه.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها: «شرح على حكم ابن عطاء الله» في مجلدين، و«شرح على الأجرومية» سلك فيه طريق الصوفية، على أسلوب «نحو القلب» للقشيري.

وقد ذكرت في ترجمة سيدي الشيخ أحمد: أنه منسوبٌ إلى الشرف، فراجعه إن شئت، ولم يزل مقيماً بصنعاء، حتى توفي بها، في خامس عشر شعبان، سنة أربع وأربعين وألف، ودفن بها، وقبره بها مشهور، يزار ويتبرك به ـ رحمه الله ـ.

[١٩١] محمد، الملقب تاج العارفين، ابن أحمد بن محمد العواجي، ابن أحمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن يوسف بن عبدالله بن علي بن محمد ابن علي، صاحب الزهراء، ابن حسن بن حسين ابن الشيخ العارف بالله عبدالله ابن علي، الشهير بالبَلّاع الأسدي، العريشي اليمني الأصل، المكي المولد والمنشأ[١].

شيخ العلوم والمعارف، ومالك زمامهما من تليد وطارف، تستنشد منه الأعراب، وتروي عنه اللغات والنحاة الفصيح وشواذ الإعراب، مترفعاً

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٨٣)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ١١).

عن أبناء الدنيا الدنية، رافلاً في خمول وعفة قوية، شهد له الداني والقاصي بالقوة، وجدّ جدّاً في صباه، ولم تستمله الصبوة، وكر على أخذ العلم اليانع النافع من أفواه المشايخ فلم تأخذه جفوة.

واستمر على هذا السَّنن، آخذاً بالسُّنن، إلى أن أربى على العمر الطبيعي، مع تمتعه بحواسه واستقامته، مع تكاثف خفض نصب الدهر، وتغيير باسه، يجلس بين أبناء جنسه من الفضلاء الأكابر مُنكَّراً، وهو معرفة وإمام، وإذا خاطبه الجاهل، قال: سلام، وهو من بيت علم وصلاح، مقيمين على التقوى والنجاح، مهلين مثنى وفرادى في المساء والصباح، ملبيِّن من لبى بحيَّ على الفلاح، حقيق بأن ينشد حاله:

لسنا وإن كرمت أوائلُنا يوماً على الأحساب نَتَّكِلُ
نبني كما كانت أوائلُنا تبني ونفعلُ مثلَ ما فعلوا

راضياً بالكفاف، من الرزق الحلال الأرغد، ناصباً النساخة حبلاً لصيد معيشته؛ كما عليه السلف الطاهر الأمجد.

ومولده صبح يوم السبت، ثالث شهر ربيع الأول، سنة أربع وثمانين وتسعمائة، وقرأ بمكة، واشتغل بالفقه، وبرع وأعرب في النحو، قبل أن يترعرع، وأخذ من العلوم بنصيب وافر، ولازم الأئمة الأكابر؛ كالسيد عمر ابن عبد الرحيم البصري، وخالد المكي، وعبد الملك العصامي، وغيرهم، وأجازه عامة شيوخه، وعنه: ولده أحمد، وعلي العصامي، وعبدالله العباسي، وكثير.

وألف مؤلفاتٍ عديدةً مفيدةً، منها: «شرح الكافي في علم العروض

والقوافي» نحو عشر كراريس، و«اختصار المنهاج» للنووي، و«شرح على الآجرومية» مختصر، **توفي** بمكة سنة ستين وألف، ودفن بالشبيكة.

والأسدي ـ بفتح الهمزة، والسين المهملة، بعدها دال مهملة ـ: نسبة إلى أسد بن عامر، أحد الفقهاء العامريين، والأسديون كثيرون متفرقون في اليمن مشهورون، وهم بيت علمٍ وخيرٍ وصلاحٍ، وفي أبي عريش، المنسوب إليها المترجم ونواحيها منهم كثير.

منهم: الشيخ العارف بالله أبو محمد عبدالله بن علي الأسدي، المعروف بالبَلاّع صاحب الكرامات المشهورة، وكان يلقب بالمعمَّر؛ لأنه عُمِّر مائة وثمانين سنة، على ما قيل، وأصلهم من قبيلةٍ يقال لها: آل خالد، مسكنهم بنواحي جازان، من أرض اليمن، بقرية يقال لها: المنارة ـ بفتح الميم والنون، وألف بعدها راء مهملةٌ مفتوحةٌ ـ غربي قرية الريان، من نواحي جازان.

[١٩٢] محمد بن أحمد الجوهري الشامي[١].

ذكره صاحب «السلافة»، فقال: ناظمُ جواهر الكلام، وقاطف أزاهر البيان بأنامل الأقلام، تقدم في مضمار البلاغة وما تأخر، وذلل صعاب البراعة بأدبه وسحر، فمن محاسن قوافيه، وكامل قريضه ووافيه قوله:

باكر رياض النيرين[٢] وماسها ... وانظر إلى الأزهار في أجناسِها

ما بين زنبقها الأنيق وورِدها ... وبديعِ نرجسها الغضيضِ وآسِها

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (١٩٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ٣٢٧)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٥٣١).

(٢) كذا في الأصل.

وتـرنم الأطيـار فـوق غـصونها ... تروي لطيفَ الوصل عـن مياسِـها
جمعتْ معاني اللطف في ألحانها ... وبيـانِ منطقهـا وحـسنِ جِناسِـها
تغنيك عن صوتِ[1] المثاني عندما ... تـشدو أزاهرُهـا علـى جُلاسِـها
فترى الغصون لِما بهـا مـن نـشوةٍ ... تهوي إليك مـن الـسرور براسِـها
طـاف الغـدير بهـا فـأثمر فرعُهـا ... وغـدا يُخَبِّـرنا بأصـل غراسِـها
وسرت بها ريـح الـصَّبا فتأرَّجَـتْ ... جلـساؤها بالطيـب مـن أنفاسـها
فانهض نديمي نصطبحْ فـي ظلهـا ... واتـركْ تبـاريحَ الهمـوم لناسِـها
وأَجِلْ لحاظَ العـين بـين رياضـها ... واستجل بكراً أفرغَتْ فـي كاسِـها
عـذراء واقعهـا المـزاجُ فأنتجـت ... أطفـالَ درٍّ لـم تـرع بنفاسـها
شـمس تزيـدُ سَـنًا إذا مـا غربـت ... في فيك أولتك القـوى بـشِماسِها
تَـذَرُ الـذليلَ معظَّمـاً فـي نفـسه ... بلطيـفِ مـسراها وشـدةِ باسِـها
من كـفِّ مَيَّـاس القَـوام إذا مـشى ... بينَ الغصون قـضى علـى مَيّاسِـها
أو ماس في أهل الهوى ضربت له ... أخماسـها بـالقهر فـي أسداسِـها
ما جيدُ غزلانِ الصريمِ إذا شاهدتَها ... أهدتْك سُـهداً مـن فتـور نُعاسِـها
قـم يـا حبيبـي لا برحْـتَ ممتعـاً ... داوِ القلوبَ مـن الكـروب وآسِـها
واسـمحْ وآنـسْ باللقـا يـا منيتـي ... مـا دامـتِ الأيـامُ فـي إيناسِـها

قلت: ضربت له أخماسها في أسداسها. . .[2].

---

(١) في الأصل: صون، والصواب ما أثبت.

(٢) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «أسداسها» بياض بالأصل سطران».

توفي المترجم في سنة نيف وستين وألف.

[١٩٣] شاه محمد بن أحمد بن أبي السعود المناستري الرومي.

من علماء الحنفية بالديار الرومية، له شرحٌ ممزوجٌ على ملتقى الأبحر، سماه: «منتهى الأنهر» ألفه سنة اثنتين وخمسين وألف، وتوفي سنة اثنتين وستين وألف.

[١٩٤] السيد محمد بن أحمد ابن الإمام الحسن بن داود بن الحسن ابن الإمام الناصر ابن الإمام عز الدين بن الحسن بن علي بن المؤيد بن جبريل بن محمد بن علي ابن الإمام الداعي يحيى بن المحسن بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن ابن الأمير العالم المعتضد بالله عبدالله ابن الإمام المنتصر لدين الله محمد ابن الإمام المختار لدين الله القاسم ابن الإمام الناصر لدين الله أحمد ابن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم[١].

ذكره العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، فقال: السيد الباسل، الشجاع الكامل، الحليم الفاضل، عين الزمان، وفخر الأوان، بهجة المحافل، وزين الأماثل، صاحب الآراء الثاقبة، والمحامد الواسعة.

نشأ على العلم والصلاح، بعد موت أبيه، وصبر على مشاق الوقت، وقاسى في عنفوان شبابه، أموراً صبر لها حتى أفضت به إلى محل من الخير لا يدرك.

وقرأ بصعدة وصنعاء، وكان كثير المذاكرة وحضرته معمورة بالفضلاء، ومع ذلك، فهو يقود المقانب، ويشارك في المهمات كأحد أولاد الإمام القاسم

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٨٤)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٨٢) (٢٤٢).

ابن محمد، وكان لا يعد نفسه إلا منهم، ولا يعدونه هم إلا من أجلائهم، وتولى في حصار صنعاء، حصرها من الروضة، وحمد أثره، ولم يزل مع السيد الحسن ابن الإمام القاسم في جميع المشاهد، ثم ولاه العُدَين، وهو إقليم متسع، فحسنت حاله، واستقامت حال خلائق معه، وعلا صيته في العلم والجاه والرياسة، ثم كان أحد أعيان دولة الإمام المتوكل على الله إسماعيل ابن الإمام القاسم، وكان بينهما ود أكيد، وتولى في أيامه مع العُدَين حَيْس من تهامة، وبندر المخا، وحينئذ ألقت إليه الدنيا أفلاذ أكبادها، وعاش حميداً، ولم يشتغل بتكلفة.

وشرح «قافية ابن الحاجب»، و«شرح الهداية في الفقه»، رأيت منه مجلداً، ولم أعرف إلى أي محل بلغ، وفتويات وإخوانيات، وغير ذلك، وكان يحب الأدب وأهله.

ولما كان الحج الكبير الذي اجتمع فيه أعيان آل القاسم وغيرهم، من جملتهم: السيد أحمد بن الحسن، والسيد محمد بن الحسين، والسيد محمد ابن أحمد بن القاسم، وكان معهم أعيان؛ كالقاضي أحمد بن سعد الدين، وأظنه عام ثلاث وخمسين، جعل الإمام المؤيدُ بالله محمدُ بن القاسم أميرَ هؤلاء جميعِهم صاحبَ الترجمة.

وتوفي ـ رحمه الله ـ يوم الأربعاء ثامن عشر ذي الحجة، سنة اثنتين وستين بعد الألف ببندر المخا، ونقل إلى حَيْس، فدفن بها في التربة التي أعدها له بوصية منه، ومن شعره قوله...[1].

(١) جاء في الحاشية: «لم يذكر الشعر».

[١٩٥] محمد بن محمد بن أحمد بن أبي يحيى الكواكبي الحلبي الحنفي[١].

مفتي حلب الشهباء، وشيخ الإسلام بها، وبدرُ مطالعِ أفقِ العلوم فيها ورئيسها، والمقدم فيها في الفنون العقلية والنقلية، مع سعة المال والجاه، ودرة عقد المنطوق والمفهوم بناديها، وكشاف غوامض التحقيق ومفتاحها، ومبين لطائف التدقيق وإيضاحها، كواكبُ الفضل مشرقةٌ من مشارق أقلامه، ودرر عقود النظم منثورةٌ من سلك بديع كلامه، فاق الأوائل والأواخر بنفسه، وبجده كابراً عن كابر.

مولده بحلب، وبها نشأ، وأخذ عن جمع من محققي علماء عصره، منهم: الشيخ جمال الدين البابولي، وبه تخرج وبرع وأفاد، ودرس وأفتى وأجاد.

وألف المؤلفات النافعة المفيدة، منها: «نظم الوقاية وشرحه» في الفقه، و«نظم المنار وشرحه» في الأصول، و«حاشيتان على تفسير البيضاوي»، الأولى التزم فيها مناقشة فاضل الروم، العلامة سعدي جلبي، بألطف عبارة، وأظرف إشارة، والثانية تكلم فيها مع المحقق، عصام الدين، و«حاشية على شرح المواقف» للسيد، وغير ذلك من الرسائل والتحريرات، والمباحث والتعليقات.

وله نثر ونظم، يخجل برقته خدود الغيد والزهر.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٣٧)، وذكر وفاته فقال: «وتوفي يوم الخميس ثالث ذي القعدة سنة ست وتسعين وألف». «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤٠١).

فمن كوكب ألفاظه الدرية، ونفثات أقلامه السحرية قوله:

أورقاء عن عهد الحبيب تترجم ... ليهنك إلفٌ بالغوير يخيمُ

لئن تندبي إلفاً بمرأًى ومسمع ... فإني على شطِّ المزار متيمُ

وهب سجعك الموزون باللحن معرب ... فدمعي أوفى صامت يتكلمُ

لك مَثَل في العندليب وسجعه ... ولي مَثَل الفراش والفرق يُعلم

وقوله:

يا أيها البدرُ المنيرُ إذا بدا ... وإذا رنا يا أيها الريمُ

ومعلمَ الغصنِ الرطيبِ تمايلاً ... رقَّ النسيم له فصار يهيمُ

لم[1] ذا تموه عن صبابةِ عاشقٍ ... صبٌّ على طول الصدود مقيمُ

فارحم ضنى جسدي وحسن تصبري ... وارْعَ الجميلَ فما الجمال يدوم

وله مفرد:

فلا تعجبوا من لكنة في لسانه ... فمن حلو فيه لا يفارقه الحرف

وله قصيدةٌ على لسان القوم، ضمن فيها بيتي ابن عطاء الله.

توفي . . .[2].

والكواكبي: نسبة إلى كواكب، من بلاد العجم، ارتحل جده أبو يحيى منها إلى حلب، وتوطنها، وهم بيت علمٍ وصلاحٍ وولايةٍ، مشهورون في ذلك الإقليم شهرةً قويةً.

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: كم.

(٢) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «توفي» بياض مقدار سطر بالأصل».

[١٩٦] السيد محمد بن الحسين بن محمد المحرابي.

كان سيداً فاضلاً، صالحاً مطلعاً، له إشرافٌ كاملٌ على العلوم، كثير المطالعة والقراءة، واسع الحفظ، متكففاً متعففاً.

لم يخرج من بلده المحراب إلا لزيارة الأئمة بشهادة، وكان يأكل من نذره كوالده، وكان والده من أكابر العلماء، **وتوفي** السيد في أفراد عشر الخمسين وألف ـ رحمه الله ـ.

[١٩٧] محمد بن حسين الحمامي العاتكي الدمشقي الحنفي، الشيخ، العالم، البارع، شمس الدين[1].

كان فاضلاً صالحاً، ديناً خيراً، برع في فنونٍ عديدةٍ، واشتغل بالفقه وغيره، على الشمس بن المنقار، حضر دروسه كثيراً، ودروس القاضي محب الدين في التفسير وغيره، وقرأ على الملا محمد البغدادي، والشمس محمد الداودي، وبحث مع الأفاضل.

واشتهر فضله، وعلا ذكره، وكان لين العريكة، رجاعاً في البحث، صحب ولي الله الشيخ، محمد بن اليُتيم العاتكي، وانتفع به، وحصل له بصحبته خيرٌ كثيرٌ؛ من ملازمة الأوراد، وقيام الليل، وولي من الوظائف الدينية إمامةَ المرادية، وغير ذلك.

توفي يوم الأربعاء، رابع شعبان، سنة ثمان عشرة بعد الألف، وصلى عليه إماماً بالناس، شيخُ الإسلام، النجمُ محمد الغزي، عند باب المرادية،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١١٣) (٣٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٣٩).

ودفن بباب الصغير، وأسف أهل محلته عليه وفقدوه ـ رحم الله الجميع ـ.

[١٩٨] محمد حسين بن محمد، السيد الشريف الحسيني، المعروف بابن حمزة، نقيب الأشراف بدمشق(١).

قال النجم محمد الغزي في «الذيل»: كان رفيقنا في الاشتغال على شيخنا أحمد العيثاوي، حضر هو وأخوه السيد زين العابدين تقاسيم المنهاج، وكان فاضلاً ذكياً، ولي نقابة الأشراف، وأثرى، وكثر ماله وجاهه.

ولما كان الوزير مراد باشا بحلب، في وقعة ابن جانبولاد، قصده بها، مع شيخنا المذكور، ومحمد بن سعد الدين، والمشايخ الموصليين، وعيسى الصمادي؛ للشكاية على ابن معن، وما صنعه من مساعدة ابن جانبولاد.

فمرض وهو راجع في الطريق، بنزف الدم، ولما كان بقرية الطيبة، من قرى حماة، مات بها، في رابع صفر، سنة سبع عشرة ـ بتقديم السين ـ بعد الألف، وحُمل إلى حماة، ودفن بها، ولم يجاوز أربعين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٩٩] محمد بن حسين الملا بن ناصر بن ناصر بن حسن بن محمد ابن ناصر ابن الشيخ القطب الرباني شهاب الدين الأشقر العقيلي، المعروف قبره بمدينة حماة ـ صانها الله وحماها ـ الحموي الحنفي(٢).

الشيخ الفاضل، البارع الكامل القدوة، كان فاضلاً ذكياً، له صحةُ فهمٍ،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٠٦) (٣٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٣٩).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٥٩).

ومشاركةٌ في علوم كثيرةٍ، مع طيب محاورة تسكر منها الأذهان، وتتعطر بها الأردان، ولهجةٌ صادقةٌ، وفكرةٌ رائقةٌ.

ولد بحماة، سنة أربع وعشرين بعد الألف، وبها نشأ، وقرأ القرآن على الشيخ العارف بالله، محمد الشريباتي البكري، ولازم والده في العلوم العقلية والنقلية، وبه تخرج، وأخذ أيضاً عن خاله العلامة الخطيب أحمد بن يحيى علوماً متعددة، وتأدب به، وكرع من مشاربه.

ولما حادت[1] حكام ذلك الإقليم على أهله، هاجر غالبهم إلى دمشق، فكان ممن هاجر مع والده وأهله، وتوطن دمشق سنين عديدة، ورحل إلى مصر، وأخذ عمن بها من كبار علمائها؛ كالعلامة عامر الشبراوي، وحسن الشرنبلالي، وعمر الدفري، والشهاب أحمد الشوبري، وسلطان المزاحي، ومحمد البابلي، وغيرهم، وأجازه بعضهم.

وكتب بخطه كتباً كثيرةً، وتكرر تردده إلى مصر للتجارة، على عادة سلفه، وسافر إلى اليمن مرتين، وجاور بالحرمين سنين عديدة، ثم تدير مصر وتوطنها، وأقام بها على طلب العلم، والاشتغال به وبما يعنيه من أمور دينه ودنياه.

وهو خالي شقيق والدتي، وكفلني بعد موت والدي، وأحسن تربيتي، فجزاه الله عني أفضل جزائه، وأسبل عليه مزيد فضله وآلائه.

وله شعرٌ كالسحر، ونثر كالدر، لم يحضر منه، إلا قوله في غلامٍ اسمه عذيبي:

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: جازت.

قد مسني قلق في وسط ساعية ... والبين تُجري دموعي وهي تجري بي

من عشق ذي هَيَفٍ حلوِ اللَّمى غَنِجٍ ... أزورُه خافياً والصبحُ يُغري بي

أشكو إلى الله من ممشوقِ قامتِه ... وريقِ ثغرِ عذيبي منه تعذيبي

توفي بمصر، يوم الجمعة، تاسع جمادى الأولى، سنة أربع وتسعين وألف، ودفن على والدي، بتربة المجاورين - رحمه الله، وأسكنه الفردوس الأعلى بمنه -، ولما بلغني خبر وفاته، وكنت باللجبة، من اليمن الميمون، رثيته بهذه الأبيات، وأشرت بها إلى تاريخ الممات، وهي:

سقى الإله ضريحاً أعظم من ... حوى من الفضل أسناه وأغلاهُ

خالي محمد المرحوم مَن عظمت ... عندي مصيبتُه مذ جاء منعاهُ

قد كان فينا كريماً سيداً عطفاً ... بمثله بخلتْ أهلٌ به تاهوا

وطودُ علم على ما فيه من خلُق ... ورقة اللفظ مذ يبدي ثناياهُ

وكان براً شفيقاً بي وكنت له ... عبداً مطيعاً لأمر كان يرضاهُ

وكم له من أيادٍ قد أطال بها ... عليَّ مذ كنتُ طفلاً كيف أنساهُ

أبكي عليه إذا جن الظلامُ ولي ... عليه دمعٌ يحاكي الدرَّ مرآهُ

كل المصائب عندي بعدَ فجعته ... قريبةٌ مذ سحابُ التربِ غشَّاهُ

ولو يفدَّى بنفسي كنتُ مفديَه ... بها يقيناً وحسبي الشاهدُ اللهُ

عليه مني سلامُ الله ما صدحَتْ ... على غصونِ أراكِ الدوح ورقاهُ

إن رمتَ تاريخَه صاداً فزده وقل ... محمدٌ في جنانِ الخلدِ مأواهُ

وكان كثيرا ما يتمثل بقول أبي محمد القرطبي:

سـهرتْ عـينٌ ونامـت عيـونُ ... لأمـور تكـونُ أو لا تكـونُ
فاطرِدِ الهمَّ ما استطعت عن النفـ ... ـسِ فحملانُـك الهمـومَ جنـونُ
إن رَبّـاً كفـاكَ بـالأمس مـا كَـا ... ن سيكفيكَ فـي غـدٍ مـا يكـون

وكان يوصيني بتكريرها في الشدائد، ويقول: إنها مجربة للفرج، والمُلاً بغير نونٍ بعد الميم، ونقل شيخنا خاتمة المحققين، عن شيخه الشهاب أحمد الغنيمي ـ رحمهما الله ـ، أنه يرسم: مَنْلا، وأن أصله: من لا نظير له، فاختصر بحذف ما بعد لا، ولهذا رسمته بالنون، وقد يُوجّه الأول؛ بأنه مختصر من المولى، الواقع في بعض العبارات، فليحرر.

[٢٠٠] محمد بن حسن الشبراوي[١].

رئيس المالكية بمصر، وإمام مذهبهم، وأجل تلامذة الشمس محمد البنوفري، توفي بالقاهرة، يوم الأحد، تاسع عشر جمادى الأولى، سنة سبع عشرة بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٠١] محمد بن حسن بن علي بن محمد الحر الشامي العاملي[٢].

قال السيد في «سلافته»، بعد أن أطال في ترجمته: له شعرٌ مستعذبٌ الجناب، بديعُ المجتلى والمجتنى، منه قوله:

---

(١) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (١٠٢) (٤٧٠).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٣٢)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٣٥٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٣٣٧) (١٠١).

فضلُ الفتى بالبذل والإحسان　　والجودُ خيرُ الوصف للإنسانِ
أو ليس إبراهيمُ لما أصبحتْ　　أموالُه وقفاً على الضيفانِ
حتى إذا أفنى اللُّهى أخذَ ابنه　　فسخا به للذبحِ والقربانِ
ثم ابتغى النمرودُ أمراً قاله　　فسخا بمهجته على النيرانِ
بالمال جادَ وبابنِه وبنفسِه　　وبقلبِه للواحدِ الديَّانِ
أضحى خليلَ الله جلَّ جلالُه　　ناهيك فضلاً خُلَّةُ الرحمنِ
متح[1] الحبيب به فيا لك رتبةً　　تعلو بأخمصِها على التيجانِ

وأصل هذا حديثٌ قدسي، رواه أبو الحسن المسعودي، في «أخبار الزمان»، قال: إن الله أوحى إلى إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ: إنك لما أسلمتَ مالَكَ للضيفان، وولَدك للقربان، ونفَسك للنيران، وقلبَك للرحمن، اتخذناك خليلاً. انتهى.

قدم صاحب الترجمة، إلى مكة، سنة سبع وثمانين وألف، ورجع إلى العجم، **فمات** بها، رحمه الله تعالى.

[٢٠٢] السيد محمد بن الحسن بن أحمد بن حميد الدين بن المطهر ابن الإمام يحيى شرف الدين[2].

كان من رؤساء العلماء، وخواص الكتاب النبلاء، عند السيد الحسن بن القاسم، **توفي** سنة ثمان وأربعين بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) «طيب السمر» للحيمي (١/ ٦٦)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٣٥٣) (٢٠٧).

[٢٠٣] **بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد الكاملي الحارثي**[1].

قال السيد علي في «سلافته»، بعد أن أطال في ترجمته: مولده بعلبك، عند غروب شمس يوم الأربعاء، لثلاث عشرة بقين من ذي الحجة، سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة، وانتقل به والده إلى بلاد العجم، وأخذ عن والده، وغيره من الجهابذة؛ كالعلامة عبدالله اليزدي، حتى أذعن له كل مناظر ومنابذ.

فلما اشتد كاهله، وصفت له من العلم مناهله، ولي بها مشيخة الإسلام، ثم رغب في الفقر والسياحة، واستهبَّ من مهاب التوفيق رياحه، فترك تلك المناصب، ومال لما هو لحاله مناسب، فحج بيت الله الحرام، وزار النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ثم أخذ في السياحة، فساح ثلاثين سنة، واجتمع في أثناء ذلك بكثير من أرباب الفضل.

ثم عاد، وقطن بأرض العجم، وهنالك همى غيث فضله وانسجم، فألف وصنف، وقرظ المسامع وشنف، وقصدته علماء تلك الأمصار، واتفقت على فضله أسماعهم والأبصار، وغالت تلك الدولة في قيمته، واستمطرت غيثَ الفضل من دِيمته، فوضعته في مفرِقها تاجاً، وأطلعته في شرقها سراجاً وهاجاً.

وتبسمت به دولة سلطانها الشاه عباس، واستنارت بشموس رأيه عند اعتكار حنادس الباس، فكان لا يفارقه سفراً وحضراً، ولا يعدل عنه سماعاً

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٤٠)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٦١)، «نسمة السحر» للصنعاني (٣/ ٦٠) (١٤٥)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٢٩١) (٩٤)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٠٢).

ونظراً، إلى أخلاق لو مزج بها البحر، لعذب طعماً، وآراء لو كحلت بها الجفون، لم يلف أعمى، وشيمٍ هي في المكارم غررٌ وأوضاح، وكرم بارقِ جودِه لشائمه لامعٌ وضاح، تتفجر ينابيع السماح من نواله، ويضحك ربيع الإفضال، من بكاء عيون آماله.

وكانت له دارٌ مشيدة البناء، رحبة الفِناء، يلجأ إليها الأيتام والأرامل، ويَفِد إليها الراجي والآمل، فكم مهدٍ بها وُضع، وكمٍ طفلٍ بها رَضَع، وهو يقوم بنفقتهم بكرةً وعشيّاً، ويوسعهم من جاهه حناناً مغشياً.

مع تمسك من التقى بالعروة الوثقى، وإيثار الآخرة على الدنيا، والآخرةُ خيرٌ وأبقى، ولم يزل آنفاً من الإيحاس إلى السلطان، راغباً في الغربة عن الأوطان، يؤمل العود إلى السياحة، ويرجو الإقلاع عن تلك السباحة، فلم يقدر له حتى وافاه حِمامه، وترنم على أفنان الجنان حَمامه.

وأخبرني بعض ثقات الأصحاب: أن الشيخ قصد ـ قُبيل وفاته ـ زيارة المقابر، في جمع من الأجلاء الأكابر، فما استقر بهم الجلوس، حتى قال لمن معه: إني سمعت شيئاً، فهل منكم من سمعه؟ فأنكروا سؤاله، واستغربوا مقاله، وسألوه عما سمعه، فأوهم وعمَّى في جوابه لهم.

ثم رجع إلى داره، فأغلق بابه، ولم يلبث أن أجاب داعي الردى فأجابه، فكانت **وفاته** لاثنتي عشرة خلون من شوال، سنة إحدى وثلاثين بعد الألف بأصبهان، ونقل قبل دفنه إلى طوس، فدفن بها في داره، قريباً من الحضرة الرضوية.

ومن مصنفاته: التفسير المسمى بـ: «العروة الوثقى»، والتفسير المسمى

بـ: «عين الحياة»، و«الحبل المتين»، و«مشرق الشمسين»، و«شرح الأربعين»، و«الجامع العباسـي» فارسي، و«مفتاح الفلاح»، و«الخريدة في الأصول»، و«الرسالة الهلالية»، و«الاثني عشـريات الخمس»، و«خلاصة الحساب»، و«المخلاة»، و«الكشكول»، و«تشريح الأفلاك»، و«الرسالة الإصطرلابية»، و«حواشـي الكشاف»، و«حاشـية على البيضاوي»، و«حاشية على خلاصة الرجال»، و«دراية الحديث»، و«الفوائد الصمدية في علم العربية»، و«التهذيب في النحو»، و«حاشية الفقيه»، وغير ذلك من الرسائل المختصرة، والفوائد المحررة.

وأما أدبه، فالروض المتأرج أنفاسه، المتضوع بنشره ونظمه ووروده وآسه، المستعذب قطافه وجناه، المستظرف لفظه ومعناه.

فمن شعره: قوله وقد سأله بعض أصحابه أن يعارض قصيدةً رثي بها والده، مطلعها:

جارتـا كيـف تحـسنينَ ملامـي ... أيـداوى كَلْـم الحـشا بكـلامِ

خلِّيـاني بلـوعتي وغرامـي ... يـا خليلـيَّ واذهبـا بـسلامِ

قـد دعـاني الهـوى فلبـاه قلبـي ... فـدعاني ولا تُطـيلا ملامـي

إن مـن ذاق نـشوةَ الحـب يومـاً ... لا يبـالي بكثـرة اللُّـوَّامِ

خـامرتْ خمـرةُ المحبـة قلبـي ... وجـرت فـي مفاصـلي وعظـامي

فعلـى الحلـمِ والوقـارِ صـلاةٌ ... وعلـى العقـل ألـفُ ألـفِ سـلامِ

هل سبيلٌ إلى وقـوفي بـوادي الـ ... ـجزع يـا صـاحبيَّ أو إلمـامي

أيهـا الـسائر الملـحُّ إذا مـا ... جئتَ نجـداً فعُـج بـوادي الحـرامِ

وتجاوز عـن ذي المجـاز وعَـرِّجْ   عـادلاً عـن يمـين ذاك المقـامِ
وإذا مـا بلغـت جَـزْوى فبلِّـغْ   جيـرةَ الحـيِّ يـا أُخَـيِّ سَـلامي
وأنـشدَنْ قلبـيَ المعنَّـى لـديهم   فلقـد ضـاع بـين تلـك الخيـامِ
وإذا مـا رَقُّـوا لحـالي فـسلْهم   أن يمنُّـوا ولـو بطيـفِ منـامِ
يـا نـزولاً بـذي الأراكِ إلـى كَـمْ   تنقـضي فـي فـراقكم أعـوامي
ما سرتْ نسمةٌ ولا ناح فـي الـدَّوْ   حِ حَمـامٌ إلا وحـان حِمـامي
أيـن أيامُنـا بـشرقيِّ نجـدٍ   يـا رعاهـا الإلـهُ مـن أيـامِ
حيث غصنُ الشباب غَضٌّ وروضُ الـ   ـعيشِ قـد طرزتـه أيـدي الغمـام
وزمـاني مـساعدٌ وأيـادي اللَّهْـو   نحـوَ المنـى تجـرُّ زِمـامي
أيهـا المرتقـي ذُرا المجـد فـرداً   والمُرَجَّـى للفادحـاتِ العظـامِ
يا حليفَ الندى الذي جمعت فيـه   مزايـا تفرقـت فـي الأنـامِ
نلـتَ فـي ذِروةِ الفَخـار محـلاًّ   عَـسِرَ المرتقـى عزيـزَ المـرامِ
نـسبٌ ظـاهرٌ ومجـدٌ أثيـلٌ   وفخـارٌ عـالٍ وفـضلٌ سـامي
قـد قَرَنَّـا مقـامكُم بمقـالٍ   وَشَـفْعنا كلامَكُـم بكـلامِ
ونَظْمنـا الهـامَعَ الـدرَّ فـي سـمط   وقلنـا العبيـرُ مثـل الرغـامِ
ألـم أكـنْ مُقْـدِماً علـى ذا ولكـنْ   كـان طوعـا لأمـرِكم إقـدامي
عمـركَ الله يـا نـديميَ أنـشدْ   جارتـا كيـف تحـسنين ملامـي

وقولـه يرثي والده، وقد توفي بالمصـلى، من قرى البحرين، لثمان خلون من شهر ربيع الأول، سنة أربع وثمانين وتسعمائة، عن ست وستين سنة

وشهرين وسبعة أيام، ومولده أول يوم من محرم، سنة ثمان عشرة وتسعمائة.

قفْ بالطُّلول وسلْها أيـن سَـلْماها ... وروّ من جُـرَعِ الأجفـان جَرْعاهـا

وردِّدِ الطرفَ في أطرافِ سـاحتِها ... وأرجِ الوصلَ مـن أرواحِ أرجاهـا

فإن يفتك مـن الأطـلال مخبرُهـا ... فـلا يفوتنـك مرآهــا وريّاهــا

ربـوعُ فـضل تبـاهي التبـرَ تربتُهـا ... ودارُ أنس تحـاكي الـدرَّ حـصباها

عـدا علـى جيـرةٍ حَلُّـوا بـساحتِها ... صـرفُ الزمـان فـأبلاهم وأبلاهـا

بـدورُ تَـمٍّ غمـام المـوتِ جَلَّلَهـا ... شموسُ فضل سحابُ التربِ غَشَّاها

فالمجدُ يبكي عليها جازعـاً أسـفاً ... والـدينُ ينـدبها والفـضلُ ينعاهـا

يا حبذا أزمـنٌ فـي ظلهـم سـلفتْ ... ما كـان أقـصرَها عمـراً وأحلاهـا

أوقاتُ أنس قضيناها فمـا ذكـرت ... إلا وَقَطَّـع قلـبَ الـصبِّ ذكراهـا

يا جيرة هجروا واستوطنوا هَجَـراً ... واهاً لقلبي المعنَّـى بعـدَكم واهـا

رعياً لليلاتِ وصلٍ بالحمى سـلفَتْ ... سـقياً لأيامنـا بـالخَيْف سـقياها

لفقدِكم شُقَّ جيبُ المجدِ وانصدعتْ ... أركانُـه وبكـم مـا كـانَ أقواهـا

وخرَّ من شامخات العلـم أرفعهـا ... وانهدَّ من باذخات العلـم أرسـاها

يا ثاوياً بالمصلى مـن قـرى هَجَـرٍ ... كُسيتَ من حُلَل الرضوان أضفاها

أقمت يا بحرُ بالبحرين فاجتمعت ... ثلاثــةٌ كُــنَّ أمثــالاً وأشــباها

ثلاثــة أنــتَ أنــداها وأغزرُهــا ... جـوداً وأعـذبُها طعمـاً وأصـفاها

حويتَ من دُرر العليـاء مـا حَوَيـا ... لكــنَّ دُرَّك أعلاهــا وأغلاهــا

يا أعظُما وطئت هامَ السهى شـرفاً ... سقاكَ من ديـم الوسـميِّ أسـماها

يا ضريحاً علا فوق السماك عُـلاً ... عليـكَ مـن صـلواتِ الله أزكاهـا
فيك انطوى من شموس الفضل أضوؤها ... ومـن معـالم ديـن الله أسـناها
ومن شوامخ أطوادِ الفتوة أرساها ... وأرفعُهـا قـدراً وأبهاهـا
فاسحبْ على الفلك الأعلى ذيول عُلاً ... فقـد حويـتَ مـن العليـاء أعلاهـا
عليك منا سـلامُ الله مـا صـدحَتْ ... على غصون أراكِ الـدوح ورقاهـا

[٢٠٤] القاضي محمد بن خليل الأحسائي(١).

قاض قضى من الأدب الأرب، وحظي بارتشاف الضَّرَبِ من لسان العرب، وما زال بكعبة الفضل طائف، حتى تقلد سنة أربع وثلاثين بعد الألف، قضاءَ الطائف، وكان شديد العارضة في علم العروض، مبيناً لطلابه منه السنن والفروض، مع إلمـامٍ جيد باللغة والإعراب، ومفاكهاتٍ تُنسى معها نوادرُ الأعراب، وهو من أبـدع الناس خطّاً، وأتقنهـم للكتب نقلاً وضبطاً، كتب ما ينوف على الألوف، وخطُّه بالحجاز معروف.

توفي سنة أربع وأربعين وألف بمكة، ودفن بالمعلاة.

ومن شعره: قوله مخاطباً للقاضي تاج الدين المالكي، وقد طلب منه شيئاً من شعره:

لديك أخا العلياء والفضلِ والعلمِ ... ومن جَلَّ من بين الأجلاَّء بـالفهم
تحل رحـال الظـاعنين ومـن غـدا ... إليك بدا في حامِلي العلم كالنجم

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٦٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١٣٧) (٢٨٧)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٢٧).

لئن كان ربُّ الفضلِ كالرأس في الورى فأنتَ له تاجٌ يضيء بلا كتم

طلبت من النظم البديع لآلئاً فدونكَها كالعقد في حسن النظمِ

تشنِّفُ أسماعَ الرواة بدرِّها وتقطعُ أفلاذَ الغبيِّ من الغم

فيا أيها القاضي المولِّدُ طبعُه من العلم أفناناً تجلُّ عن العقم

نوائبُ هذا الدهر غالَتْ قريحتي ودقَّتْ عظامي بعد تمزيقها لحمي

فلو أن هذا الدهرَ يُبدي تعطُّفاً لظلَّ بديعُ النظم والنظم في سهم

ولو أن جزءاً من غمومي مفرقاً على الخلق عامراً في بحار من الهَمِّ

وسامح فمنديلُ القرارِ مقطعٌ ورقَّ لقلبٍ لا يقرُّ من الفدم

ودمْ أبداً في نعمة ضدها لها يطأطئ رأساً في الرغام على الرغم

وكتب إلى القاضي أحمد بن عيسى المرشدي، يهنيه بزيارة النبي ﷺ، سنة ثلاث وعشرين وألف:

زيارة رفعتها للقبولَ يدُ وسَفْرَةٌ أسفرت في طيها مددُ

يهنيك زورةُ خيرِ الرسلِ في رجبٍ يا من ربيعُ يديه دائماً لبدُ

اللهُ والشافعُ المختار قد نظرا إليكَ والركبُ إذ سايرته سعدوا

أخلصْتَ لله في هاتي الزيارة إذْ شددْتَ وجناءَ لا تشكو إذ تَخِدُ

وفزتَ في لثمِ أعتابٍ مقربةٍ إليه قوم بها في زيهم حمدوا

نعم لكم ذمةٌ منه بتسمية يهني محمد من ذا الحمد ما يجدُ

قد سِرْتَ لله سيرَ الصالحين إلى نبيِّهِ وعلى الألطافِ تعتمدُ

قصدْتَ سوح إمامِ الرسلِ سيدِهم غوث العباد إذا في حشرهم جهدوا

ورُمْتَ من فضله فضلاً تريدُ به فضائلاً هي في عليائِك السندُ
طابَتْ بطيبةَ أوقاتُ الأُلى قصدوا تقبيلَ تربته والخيرَ قد وجدوا
هَبَّتْ عليهم نسيماتُ الرضا سَحَرا فزال عنهم لهيبُ القلبِ والكمدُ
زاروا جسوماً وزُرْنا نحنُ أفئدةً في سبسبِ الوجدِ والأشواقُ تَطَّرِدُ
بُشراكَ يا زائرَ المختارِ لا بَرِحتْ عليك مبرات سمَت تردُ
لا زلتَ تقصِدُه ما سارَ زائره إليه في كل عام نجمُه يَقِدُ

فأجابه بقوله:

أذي زهورُ رياضٍ زانَها النضدُ أم الدراري التي في أُفقها تفدُ
أم ذي جواهرُ تيجانِ الملوكِ على جواهرِ التاج إن فنيت بها تيد
أم العقودُ أم المنظوم من كِلمٍ أعانَ ناظمَه التأييدُ والمددُ
أم ذي عرائسُ أفكارٍ محجَّبة أماطَتِ السترَ عنها للأديب يدُ
يدٌ طويلةُ باعٍ في العلوم لها في كلِّ ما يعجز الأفهام منتقدُ
كأنها حين وافتني على غررٍ أرى قتيلَ الهوى عذبَ اللمى الصردُ
قد أذكرتني أياماً حلَّت وخلت واغتالَ لذتَها في طيها الأبدُ
وافت تهنِّي مُحَيًّا لم يزلْ قلقاً إلى لقائك صبًّا وهو مضطهدُ
وكان لما أتت أخرى بتهنئة بها لما أطفأت من حر ما يجدُ
وقلتَ فيها وزُرْنا نحنُ أفئدةً مُعرّضاً فانجلى ما جنّه الخَلَدُ
فالحمدُ لله زار المصطفى الجسدُ مع الفؤادِ وحقَّ الأجرُ والرشدُ
لأن كلَّ اعتدالٍ من سواك يُرى يفوقُه منك عندي ذلك الأَوَدُ

عليـكَ منِّـي تحيـاتٌ مـضاعفة　　من المهـيمنِ تَتْـرَى مـا لهـا أَمَـدُ

[٢٠٥] محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد الحموي الأصل، الدمشقي المولد والمنشأ، الشيخ العلامة، شمس الدين، الميداني، الدمشقي، الشافعي، عُرف بابن حنتوش[١].

قال النجم الغزي في «الذيل»: كان أبوه رجلاً حلاجاً، ثم صار صوافاً، يبيع العباءة وغيرها، تحت قلعة دمشق.

وأراد الله بولده خيراً، فقرأ القرآن العظيم على الشيخ قريحة، إمام جامع منجك، بميدان الحصا، خارج دمشق، وقرأ بالروايات على حسن الصلتي، والفرائض على الفرضي الحيسوب، محمد التنوري الميداني، ثم قرأ بالروايات ـ أيضاً ـ على شيخ الإسلام الشيخ، شهاب الدين الطيبي الأوسط، وشهاب الدين الغزي، وكان يحضر دروس شيخ الإسلام البدر الغزي، وإسماعيل النابلسي، وعماد الدين الحنفي، ومحمد الحجازي، وأحمد العيثاوي.

ثم وقع بينه وبين بعض مشايخه، في مسألة الكأس الموضوع الآن في ضمن الجامع الأموي، فكان الشمس يقول بصحة الوضوء منه؛ لأنه يتحرك الماء بحركته، وهو زائد على القلتين، وكلُّ ما تحرك الماء بحركته، يعتبر فيه القولان، وشيخه يخالفه في ذلك، ويشنع عليه، وكان إذ ذاك شاباً.

ورحل إلى مصر، سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة، ومكث في الجامع

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٧٢) (٥٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٧٠)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٦٢).

الأزهر تسع سنين، وحضر دروس شـيخ الإسلام، الشمس محمد الرملي، والنور الزيادي، ومن عاصرهما، قال: دخلت مصر، وأنا لا أملك شيئاً، فما خرجت منها، إلا وقد وجبت علي الزكاة.

ثم قدم الشـام سـنة إحـدى وتسعين وتسـعمائة، فتصدر بها للتدريس والإقراء، واجتمع إليه الطلبة لما مات الشمس الداودي المقدسي، وكان يقرئ الحديث في الأشهر الثلاثة، فلما آن أوان الإقراء، جاءت الطلبة إلى شيخ وقته أحمد العيثاوي، يطلبونه أن يجلس مكانه، فاعتذر لهم، بضعفه وعجزه، وقال لهم: إن الشمس الميداني قدم من مصر، ومعه كتبٌ كثيرةٌ على البخاري وغيره، فاقصدوه.

فأجمعوا على ما قاله، فوافقهم الشمس، واختار أن يكون جلوسه تحت قبة النسر، وكان الداودي يجلس تجاه محراب الشافعية، وكان يحسن القراءات والتجويد جدّاً، ويعرف الفنون العربية، والغالب عليه الفقه والحديث؛ لأنه كان متبحراً فيهما.

وكان مهاباً وقوراً، عفيف النفس، لا يتردد على أحد، معتزلاً عن الناس، ملازماً للتدريس والاشتغال بالعلوم النافعة.

قال النجم: وانفرد بمسـائل، كان يفيدهـا ويعتمدهـا، على خـلاف المذهب.

منها: أنه كان ينكر أن يقال: تحية المسجد، ويقول: قولوا: تحية رب المسجد، ويحتج بما تأول به ابن العماد: قولهم: تحية المسجد، وهو خلاف المنقول الجاري، على ألسنة العلماء قديماً وحديثاً.

ومنها: أنه كان يقول بتفضيل الملائكة مطلقاً، وهو قول المعتزلة، وتبعهم بعض الأشاعرة.

ومنها: إنكار أن تكون قراءةُ كل قارئ، بالنسبة إليه متواترة، إلا أن يتلقاها عن مشايخ يبلغ عددهم التواتر.

وربما كان يصمم في الفقه على الأقوال الضعيفة، لذا عورض بنصوص المتأخرين، أنكر عليهم، ونصرها.

وكان يخطب بجامع الصابونية، وله إمامتان في جامع بني أمية: واحدة في المقصورة، والثانية في الخارج، ويباشر فيهما مع شركائه، ويقصده العالم لسماع خطبته.

وكان إذا أقبل من بعيد، يشم له رائحة مسك؛ بحيث إن غالب الناس يعرفها قبل وصوله، وكان مبتلًى دائماً بالقولنج.

ووقع بينه وبين شيخ الإسلام نجم الدين الغزي مناقشةٌ، سببها: أنه وجهت إليه مدرسة الشامية البرانية عن النجم، وتوجه النجم إلى الروم، فلم تتم له، وكان شيخ الإسلام ـ إذ ذاك ـ يحيى بن زكريا، فاقتضى رأيه أن عوض النجم عنها بمدارس أخرى، ثم صارت بينهما شطرين، ثم لما توفي المترجَم، رجعت له.

وكان المترجَم مهاباً، مقبول الكلمة عند عامة الناس وخاصتهم، قليلَ المداراة، شديدَ الحدَّة، مجللاً، وكان له ولدٌ أعمى اسمه محمد، له فضيلةٌ تامةٌ، فمات ولم يكن له غيره من الذكور، فوجد لفقده، وحمله حزنه على أن تفرغ عن وظائفه، وسافر إلى مكة صحبةَ الشيخ سعد الدين، وجاور بها سنة، ثم رجع سنة ثلاثين.

قال النجم: ومما اتفق لنا معه: أن ضمنا مجلس عند عثمان باشا نائب الشام، سنة إحدى عشرة بعد الألف، وكان فيه شيخُنا شيخُ الإسلام أحمد بن يونس العيثاوي، والشيخ علاء الدين الطرابلسي إمام الحنفية بالجامع الأموي، فتذاكرنا فضل دمشق وجامعها، حتى ذكرنا فضل معاوية بن أبي سفيان، وأنه مدفون بباب الصغير، وقبره معروف يزار، وكان الذاكر لذلك الشيخ علاء الدين، فقال له الشمس الميداني: هذا المشهور بباب الصغير، معاويةُ الصغير، لا معاوية الكبير، ومعاويةُ الصغيرُ معاوية بن يزيد بن معاوية، كان صالحاً يخدم أباه يزيد، فقال له الشيخ علاء الدين: فأين قبر معاوية الكبير؟ قال: في بيته في قبلة الجامع الأموي، وقيل: إن قبره غير معروف، واختفى.

فعجبنا من الشيخ شمس الدين؛ إذ أتى بما هو خلافُ المشهور المستفيض، لكني لم أعارضه في المجلس، وقلت: من حفظ حجةٌ على من يحفظ، ثم راجعت «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي، فرأيته قد قال في ترجمة الشيخ نصر المقدسي: إنه دفن بباب الصغير، عند قبر معاوية، وأبي الدرداء رضي الله عنهما، و«طبقات ابن السبكي»، فرأيته قال فيها: إنه دفن عند قبر معاوية رضي الله عنه، والترضِّي يدل على أنه الصحابي، ثم رأيت السيوطي قال في «تاريخ الخلفاء» في ترجمة معاوية رضي الله عنه: إنه دفن بين باب الجابية وباب الصغير، قال النجم: فكتبت للشيخ شمس الدين هذه الأبيات:

يا أيها الشيخُ الذي أضحى ... لعلم الفقه من أحبارِه وبحارِهِ
يهدي إلى الناس العلومَ ليهتدوا ... مهما اقتَفْوا منه على آثارِهِ
لسمعتُ عنك وقد تكلم بعضُهم ... حيثُ اجتمعنا قال في تذكارِهِ

بـابُ الـصغير بـه معاويـةُ الـذي		صحبَ النبيَّ وكـان مـن أصـهارِهِ
فأفـدتَ لـيس بـه بـل ابـن يزيـده		والجَـــدُّ مـــدفونٌ بأوســـطِ دارِهِ
أو لـيس يُعـرف قبـرُه فـي بقعـة		مـأوى لهـا مـن كـان مـن زوارِهِ
فمرادُنـا مـن فـضلِكم لتبينـوا		من سـاق ذلـك عنه في أخبـارِهِ
ليفيـد ذلـك عـنكم وليطمـئنَّ الـ		ـقلبُ عنـد النقـل باسـتقراره
إذ غيـرُ ذلـك شـائعٌ بـين الـورى		مـا شـكَّ فيـه فَتًـى لـدى أسـمارِهِ
حتـى النـواويُّ الإمـامُ فـإنَّ فـي		تاريخـه التـصريحَ فـي تـذكارِهِ
فـامننْ بإيـضاحِ القـضيةِ إنـه		أمـرٌ قـد احتجْنـا إلـى اسـتظهارِهِ
فـالعلمُ لـيس حياتُـه إلا بـأن		تتـذاكر العلمـاءُ فـي آثـارِهِ
وإذا تجنـبَ أهلُـه فيـه الهـوى		سطعَ الهدى في القلب من أنـوارِهِ
دُمْ سالماً تهدي إلى وجـه الـصوا		بِ مُسائِلاً يرجوك فـي استخبارِهِ

وبعثت بها إليه، فلم يجب، وطالبتُه مع الرسول بالجواب، وهو يُسَوِّف، وقلت له: يجيبُ نثراً إن تعذَّرَ النظم، فلم يأتنا منه جواب.

توفي فجأةً، في وقت الضحى، من يوم الاثنين، ثالث عشر ذي الحجة، سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف، وصلي عليه قبل صلاة العصر، ودفن بباب الصغير، عند قبر والده، ولما أنزل إلى قبره، عمل المؤذنون بالبدعة التي ابتُدعت بدمشق؛ من الأذان عند دفن الميت سنة، وهو قول ضعيف، ذهب إليه بعض المتأخرين، ورده الشيخ ابن حجر، في «شرح العباب» وغيره، فأذنوا على قبره، عند دفنه ـ رحمه الله تعالى ـ.

وله من التحريرات: «حاشية على شرح التحرير» لشيخ الإسلام زكريا، لم تشتهر ـ رحمه الله ـ.

ورأى الشيخ علي المكْتَبي، ليلة وفاة المترجَم، وهو نائمٌ في خلوته بالمرادية: أنه حاضرٌ لسماع خطبته في الصابونية، وإذا به قد خرج من بيت الخطابة، وعلى رأسه عمامةٌ بها تُروك عدتها أربعون، وكل ترك منها له علامةٌ مميزةٌ بَعَذَبةٍ مَرْخِيَّةٍ فوق الجميع، فخطب خطبة أولى، ونزل ولم يتم الثانية، فهم في هذا الفكر، وإذ بالنجم الغزي قد خرج من باب الخطابة، وعليه تلك العمامة بعينها، من غير تغيير لها، فخطب الخطبة الثانية، وصلى بهم الجمعة، ودخل باب الصغير، المقابل للجامع المذكور، والمقتدون في وجلٍ عظيمٍ، فقام من مقامه وجلاً.

وعلم من التأويل: أن الميداني قضى نحبه، فتوضأ، وصلى ركعات، وإذ بالمؤذن قد دخل، وهو يهلل جهراً، ويحادث بعض جماعة ويقول: إن الشيخ شمس الدين الميداني قد مات، وأول هذه الرؤيا، بأن الشمس رأس الأربعين، وأن النجم هو القائم بعده بوظائفه، وكان الأمر كذلك.

[٢٠٦] محمد بن الحسين ابن الإمام القاسم بن محمد بن علي[1].

قال ابن أبي الرجال: عالمٌ ابنُ عالم، كان من أهل الأدب ورعاته، مطلعاً على مقاصد الأدباء ومناهجهم، ومع ذلك، فهو مكثرٌ في علوم الأدوات، وتعاطي الاستنباط، والتكلم في المسائل عن نظره، من غير متابعةٍ، وذلك في آخر أمره.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٥٥)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٦٥)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٠٢).

واشتغل بشرح آيات الأحكام، التي جمعها السيد المحدث محمد بن إبراهيم بن الوزير، وعددها مائتا آية ونيف وعشرون آية، ففسرها، واستنبط منها، وأظهرعجائب من علمه، وأخرج الأحاديث من أمهاتها.

وكان من أعيان الدولة المتوكلية، من وجوه سادات أهلها، في البسطة منهم، وكان بعد موت والده مقيماً بالبستان غربي صنعاء، يحف به فقهاء، وجماعة من الجند.

ولم توفي الإمام المؤيد، وحصل ما حصل من الاختلاف، قصد حضرة عمه الإمام إسماعيل المتوكل، إلى ضوران، وكان طريقه على أعشار، وهي طريقة مسلوكة، فأمنه الإمام، وأنزله منزلته التي يستحقها.

ثم وجهه إلى خِدار؛ للقاء العساكر الخارجة من صنعاء، من جانب السيد أحمد ابن الإمام القاسم، فاتفقت حروب في خدار، وما زالت الحروب مماسيةً مصابحةً للفريقين، حتى طلع السيد أحمد بن حسن بن القاسم من ذمار لحصار صنعاء، فاجتمعا لذلك، ثم نفذا إلى «ثلا»، واتفق تسليم أحمد بن الحسن بثلا، والأمير الجليل الناصر بن عبد الرب، ثم عاد مكرماً، وارتفعت حاله، وعلت كلمته، واجتمعت له جنود مثل جنود أبيه، وولي أصقاعاً عن أمر الإمام وأبيه ـ رحمهما الله ـ.

ثم توجه في جنده، مع السيد أحمد بن الحسن، إلى نجدة السلف؛ لقتال سلاطين المشرق، واقتضت تهيئته جعله من جانب مفرد، فقضى الأمر، وكان النصر الذي لم يعهد مثله في ساعة من نهار، وذهبت سلاطين المشرق ـ على كثرتهم ونجدتهم ـ بين قتيلٍ وأسيرٍ، في لمحة الطرف، فلم يصل إلا

وقد انجلت المعركة عن الفتح والنصر.

فلم يزل حريصاً على أن يظفر بمثلها، فكان في يافع ما كان من الحرب؛ لأنهم لم يسلِّموا يومئذٍ تسليم طاعة، فاجتمعوا، وطلع، وتلاه السيد أحمد ابن الحسن، وأخوه محمد بن الحسن، وهو أحد أقطاب الحرب في نجدة السلف، وأبلى بلاءً حسناً، فطلعوا جبل يافع، وتم النصر، واستراح قلب صاحب الترجمة، وظفر بنصيبٍ وافرٍ، وعاود هو والسيد أحمد بن حسن مرة أخرى إلى هنالك، وكان النصر المبين.

والتفت في آخر أمره، إلى العلم التفاتَ أمثاله، وكانت الشيوخ تفد إليه، واجتمع عنده من الكتب ما لا يجتمع إلا للسلاطين.

وكانت **وفاته** بعد عصر الجمعة، ثامن شوال، سنة سبع - بتقديم السين - وستين بعد الألف، ودفن بالتربة المشهورة بالبستان، بباب صنعاء الغربي، وبجواره فيها السيد أحمد بن علي الشامي، وعمه السيد يحيى ابن الإمام يحيى ابن الإمام القاسم، ويحيى هذا كان سيداً قد تأهل للرياسة، وتولى أموراً نيابةً عن أخيه الحسين بن القاسم، وكانت له مكارم في ريعان الشباب، وتوفي عام وفاة صنوه السيد يوسف ابن الإمام القاسم، توفي بالجما، ودفن هنالك هو والرئيس السيد الهادي بن علي الشامي، أظنهما في تابوت واحد.

وكان يوسف هذا من كملة أهله، ووجوه السادة، ذا مكارم أخلاق، ومع ذلك، فكان يزاحم إخوته الثلاثة في الصلاحية، والرتب العلية، ومكافحة الأعداء، وكان محبباً إلى الأمة المحمدية، ولعل ذلك سر محبة والده له؛ فإنه كان عنده يوسفَ إخوته، وكمله الله كماله في الخلق اليوسفي.

ومات في عام موتهما، السيدُ الحسن بن الشهيد علي بن القاسم، وكان سيداً، تلوح عليه أشعة الرياسة، يحب المعالي، وتمكن من ركوب الخيل تمكناً عجيباً، فيه يضرب المثل، وتوفي بضوران، وقبر بالمقبرة التي تأخذ من جانب القبلة إلى جانب الغرب عن مدينة الحصين، وكان موتهم في وقت متقارب، في حدود سنة خمس وأربعين بعد الألف، أو قبلها بعام، ولم يحضرني ما أعتمده، وفي هذا المعنى كتب السيد الحسين بن القاسم، إلى أخيه الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم قوله:

سادة عجلوا بكأس المنايا ... عجبا ما أمرُ كأس المنيَّهْ
من فقيدين سيدين بصنعاء ... وبضورانَ قتلُ نفسٍ زكيَّهْ
ثم مَنْ بالحمى أجلُّ فقيدٍ ... يوسفُ ذو المحاسن اليوسفيَّهْ
يا لها أوجهاً عدت في لحود ... كالنجوم التي تضيء بهيَّهْ
ما رعى الموتُ في علاهم ذِماماً ... للمعالي وللخلال السنيَّهْ
أودَعَ القلبَ فقدُها حَرَّ نارٍ ... ضاعفَ الله أجرَها من رزيَّهْ

[٢٠٧] محمد بن الناصر بن عبد الحفيظ بن عبدالله بن المُهَلاَّ الأنصاري اليمني.

من العلماء المجيدين، والفقهاء المبرزين، يحفظ في علم الفقه فوقَ أربعة آلاف بيت، من «الزهرة الروضية» للعلامة البوسي، التي شرحها صنوه الحسين، وأحاط في شرحها بالفقه مذهباً وخلافاً، وأورد الأدلة من الصحاح الستة وغيرها، أحسنَ إيراد، مع الترجيح بين الأدلة، وتحقيق المتن والإسناد.

وللمترجَم هذا حفظٌ وعلمٌ وأدبٌ، مع صدق بهجةٍ وإصابةٍ في الآراء،

ومحافظةٍ على وظائف العبادة، ومحاسن تروق الأسماع والأبصار، صادق اللهجة، قوال بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم.

[٢٠٨] الشريف محمد بن عبدالله بن الحسن بن أبي نمي[١].

أمير مكة، كان شجاعاً مقداماً رئيساً، ولاه والده الشريف عبدالله إمارة مكة في حياته، وأشرك معه الشريف زيد بن محسن بن حسين بن الحسن بن أبي نمي، غرة صفر سنة إحدى وأربعين وألف، وخطب لهما على المنابر، إلى شعبان من السنة المذكورة، فوصلت الجلالية من اليمن، في قصة ذكرتها في ترجمة السيد زيد بن محسن.

فوقع اللقاء بالقرب من وادي البيار، بين السادة الأشراف، وبين الأتراك، فحصلت ملحمةٌ عظيمةٌ، وقتالٌ شديدٌ، وقتل صاحب الترجمة، وقتل معه جماعة من الأشراف، منهم: السيد أحمد بن حراز، والسيد حسين بن مغامس، والسيد سعيد بن راشد، وخلق آخرون، وأصيبت يد السيد هزاع بن محمد الحارث، فقطعت، وتعلقت بباقي جلدتها، ولم تنفصل، ودخل بها كذلك إلى مكة، ومر على جهة سوق الليل قائلاً: عذري يا أهل مكة ما ترونه.

وتوجه بقية الأشراف إلى وادي مر، ودخل الأتراك إلى مكة، ونودي بالبلد للسيد نامي بن عبد المطلب بن الحسن بن أبي نمى، وكان دخولهم من جهة بركة ماجن، فتعب الناس أشد التعب، وحصل الخوف الشديد، وتسلطت العساكر على الناس، وأتعبوهم فسقاً ونهباً وظلماً، وتقطعت الطرق، وغصت الأعراب.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٧)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٤٠).

وحمل صاحب الترجمة في عصر ذلك اليوم، ودفن بالمعلاة، في مقابر أسلافه، بعد أن قاتل قتال من لا يخاف الموت، وكانت مدة ولايته، سبعة أشهر، إلا ستة أيام ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٠٩] محمد بن عبدالله بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد المولى المنقول بن محمد بن عبد المولى بن جعمان[١].

كان إماماً عالماً عاملاً، وجده الفقيه عبد المولى بن محمد، وأخوه عمر ابن محمد، صاحب الموخر، كانا في بيت الفقيه بن عجيل، في أيام السلطان عامر بن عبد الوهاب الأموي، وكان الفقيه عمر بن محمد مفتي بيت الفقيه، وصاحب رياستها، على ولايةٍ عظيمةٍ مشهورةٍ.

واستولد بها عبد المولى، ثم تزوج في محل الأعوص، القرية المعروفة، فاستولد بها أيضاً، فلما توفي، قُبر في تربة الفقيه أحمد بن موسى العجيل، فرآه أخوه في المنام، وكأنه يقول: انقلني إلى محل الأعوص، فانتبه الفقيه عمر من نومه، فقال: هذه رؤيا منام، والنقل عند الفقهاء حرام، ونبش الميت أعظم خطيئة، فجاءه ليلةً أخرى، ثم في الثالثة كذلك، فقال له: لئن لم تنقلني، وإلا خرجت من القبر، فجاء الفقيه المذكور إلى التربة؛ لينقل أخاه، فرآه خارج القبر بأكفانه، فحملوه، فنقل إلى قبره الآن، بمحل الأعوص، فسمي: المنقول، وهذه الكرامةُ مستفاضةٌ، والفقيه الرائي ثقةٌ عارف.

توفي صاحب الترجمة بالروحاء، بعد أن زار النبي ﷺ، سنة خمس وخمسين بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٧).

[٢١٠] محمد بن عبدالله بن الحسين ابن الإمام القاسم بن محمد بن علي(١).

كان هذا السيد حسنةً من حسنات جده الحسين، وديناراً من مخلص سبيكة تلك العين، نادرة في آل الحسين، له معرفةٌ في الفروع شافية، ومشاركةٌ في سائر الفنون كافية، مع أخلاقٍ سنيةٍ، وخلالٍ علويةٍ.

وله حواشٍ علقها على «شرح الهمزية» لابن حجر، تدل على غزارة المادة، والسلوك في الإنصاف على نهج الجادة، وأما البلاغة، فهو روضتها الزاهرة، وشمس محاسنها الباهرة.

ومن شعره: قوله مجيباً عن قصيدةٍ أرسلها إليه السيد إبراهيم بن زيد الجحاف:

صبحُ اللقا عن قريبٍ يكشفُ الغَلَسا ... ويشهد الشمس... في الهوى شمسا

لا تيأسَنْ وإن شَطَّ المزارُ بهم ... فربَّما فاز بعد اليأسِ من أَيِسا

إنَّ الفراقَ لجمعِ الشملِ داعيةٌ ... والجمع للفرق داعٍ باتَ ملتمسا

فاستقبل الزمنَ الميمونَ طالِعُهُ ... مستدبراً من زمانِ الفجرِ ما نحسا

واشربْ بكأسِ غرامٍ أنت شاربُه ... وجُرَّ أذيالَ تيهٍ يسلبُ الكيسا

أما ترى عزةَ الإقبالِ لائحةً ... سلَّت حساماً ما على الأدبار مختلسا

وكل ثغرٍ له برقٌ يضاحكنا ... ترى سوادَ الليالي حولَه لَعَسا

مُدامةُ الشوقِ والتذكارِ بي لعبتْ ... ولينت ما قَسا مني وما يبسا

---

(١) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (٣/ ١٧٤) (٤٩٨)، «البدر الطالع» (٢/ ١٩٠)، «نسمة السحر» للصنعاني (٣/ ١٢٢) (١٥٤).

منها:

يا شادياً شدَّ من وجدي ومن شغفي / على صميم فؤادي في الحشا مرسا
لله أيامُ وصل فيكَ قد سلفَتْ / قضيتُ أوقاتها في طيبها عَرسا
أيام أغشى ديارَ الحيِّ يخفرني / عزمٌ أذودُ به الواشينَ والحَرَسا

ومنها:

كأنني لقوامٍ منك معتقل / وشاهر سيفِ لحظٍ يخطَفُ النفسا
وماءُ خديك في نارين مضطرب / فاعجب لجاري حياءٍ مازجَ القَبَسا
تقاصرتْ عنكَ أوصافُ الجمال كما / تقاصرتْ عن معالي الصارم الرؤسا
سليل زيد الذي أبدتْ بديهتُه / من المعارف والآداب ما التبسا

ومنها:

وبنتُ أفكارِه وافتْ على قدر / وأظهرت فضلَ من أنشا ومن هَجَسا
أودعتها الصدر مني غيرة وهوًى / وصنتها عن هوى الأقران والجلسا
وقد أجبتُ امتثالاً حينَ كَلَّفني / كما يكلف جري الخيل من حبسا
وباقلٌ لا يجاري في فصاحته / قُسّاً وكم بين مِنْطيقٍ ومَنْ خَرِسا

ومنها:

خلدت ذكري بمرفوعٍ رسمت به / اسمي وخلفته نَصّاً لمن دَرَسا
تركته بين أعلامِ الورى علماً / وشِمْتَ مِنِّي حساماً كان منغمسا

وهي طويلة.

[٢١١] محمد بن عبدالله بن أحمد ابن الشيخ العلامة عبد الرؤوف الواعظ المكي[1].

تلميذ شيخ الإسلام أحمدَ بن حجر الهيتمي، وشارح «مختصر الإيضاح» له، أحد الفضلاء الأذكياء، والأدباء الأتقياء، وممن نشأ في طاعة الله، ولازم تقواه، واشتغل بما يعنيه، من أمور دينه ودنياه، وجد في طلب العلم النافع، فأدرك ما لم يدركه الكبار وهو يافع.

مولده بمكة، عام أربع وأربعين وألف، واشتغل بالعلم، فأخذ عن عبدالله بن سعيد باقشير وغيره، وصحب السيد العارف بالله سالم بن أحمد شيخان، وتلقن الذكر، ولبس الخرقة، ولازمه، واختص به، وفتح الله عليه بفتوحات سنية، واخترمته وهو شابٌّ المنية، **فتوفي** في شهر ربيع الأول، سنة اثنتين وخمسين بعد الألف بمكة، ودفن بالمعلاة، وهو والد صاحبنا الشيخ الفاضل عبد الرؤوف.

ومن شعره: قوله يمدح السيد أبا بكر بن سالم شيخان، ويشير إلى ثبوته على حلقة الذكر، التي كان يعقدها والده في المسجد الحرام، ومنعه من أراد أن يتعدَّى عليه بمنعِه منها في المسجد، ونصرِ الله له على أعدائه.

سَلُوا عن غرامي في الهوى كلَّ شائقِ ... وعن شوقِ كُلِّي لِلِّوَى كـلَّ سـائقِ

وكلَّ فتى قـد سـال مثلـي صـبابةً ... ولا مالَ عن نهجـي ولا بمفـارقي

يخال بأن الحبَّ لم يبق من ضـنى ... بقايـا للُقيـا أو لرؤيـا المفـارِقِ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٤)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١٦٧) (٢٩٢) «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٣٤).

صبا بالصبا قدماً لكم في صبابةٍ فهل مثلُه صبٌّ وذو قلب خافقِ

ومن حب ليلى ثم هندٍ وزينبٍ ورافع دعد ذي المواضي الهوارقِ

إذا لاح من تلك الثنايا بُوَيرقٌ ثنتنا المنايا وافتتنا بطالق

وإن لاح في شرق بريقُ شروقِها وجادتْ بريقٍ من وميضِ البوارقِ

فإني الصَّدي الصادي لطيفِ خيالها بمهجةِ إيقادي ومقلة رامِقِ

وإن ماسَتِ الأعطافُ منها من الصِّبا ومالَتْ بها الأردافُ سيلاً كآنق

تسترت الأغصانُ في قضب دوحها حياءً وعدنا كالقيام الطوارق

ومنها:

ومن كلِّها كلي قتيلُ جمالها وتفصيلُه مني فليس بلائق

ومن هَزِّ عِطْفَيها بقلبي جراحةٌ ومن سحر عينيها أمرنا بوامق

ومن قدّها قد قدّ قدّي سناؤُها وأسنانُها لاحت ببارقِ بارقِ

أسيرُ على الأجفانِ إن قيل إنها تُنيل الفتى الوسنانَ عهدَ وثائق

فعندي عقدُ الوعد لو طال بيننا كأهنى وصالٍ عند أصدقِ صادقِ

ومن عرفاتِ الوصلِ صارت قبابُها ومالت إلى جمع المنى والحقائق

وظلت مطايا الحبِّ تطوي مُحَسّراً فيا حسرةَ العشاقِ من قلب تائق

وفي منحنى ضلعي وخَيْف منائِه هناك المَنى فيه المنايا لآبِقِ

وفي الجمراتِ اللاءِ خَيَّمْنَ في الحشا علاماتُ نيرانِ الهواء لوائق

ومنها:

سقى الله أياماً مضت ولياليا عرفتُ الهوى فيها وحلَّتْ بسابق

لقـد جـاء نـصرٌ مـن الله حَفَّنـا وفـتحٌ قريـب عَمَّنـا مثـلَ وادِقِ

على فرقة الفرقِ الذين عموا على بـصيرة أبـصارٍ ورشـدٍ لحـاذقِ

يريدون أن يُطفوا ضياءَ الإلـه بالـ ـعقولِ التـي قالـت بقـولِ منـافقِ

فَـرُدوا بغـيظٍ لـم ينـالوا بـه العـلا وبـاؤوا بخـسرانٍ جـزاءً لفاسـقِ

على أنهم لم يعلموا الحقَّ ظـاهراً فكيف بما هـو باطنـاً غيـر طـارقِ

ألا إنهم من إفكهم شـفعوا الـذي تفردَ عـن فـردٍ وعـن كـلِّ لاحِـقِ

على الحقِّ لا يعلو على كلِّ باطـلٍ علـى جُرُفٍ هـارٍ ولـيس براهـق

ومنها:

بليـثٍ همـامٍ زاكـي الأصـلِ سيدٍ كريمِ السجايا نسلِ أعلى الخلائـق

حليمٍ لدى الأمر العظيم ولم يـزل علـى إثـر آثـار الجـدود الـسوابق

وفي الذروة العليـا التـي لا ينالهـا جميعُ الألى كانوا وكـلُّ اللواحـق

ومنها:

حمانا بسيف الصدق من كلِّ معتدٍ تعدَّى بدعوى الجهلِ ليس بصادقِ

الـسيدُ العـالي أبـو بكـرِ الـذي سما عن سماء المجد من كل شاهِقِ

ونجلُ وحيدِ الدهر سالمِ مَنْ غـدا سـليلاً لـشيخانَ إمـامِ الطرائـقِ

مفيدِ الورى عن سرِّ أسرار مَنْ مضى ومظهـرِ ديـنِ الحـقِّ ثـم الحقـائقِ

فمن رام أن يُحصي صفاتِ كمالِـه كمن رام أن يلقـى شـريكاً لخـالقِ

وصلَّى إلهي ثـم سـلَّمَ مـا حـدَتْ حداةَ المطايا نحـوَ أصـدقِ نـاطقِ

عليـه وآلٍ ثـم صـحبٍ ومـن غـدا وريثاً لهم في علمهـم غيـر راهـق

[٢١٢] محمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن عبد الرحمن باعلوي الحسيني، اشتهر بنا مرَّة[١].

بالسيد الكبير العلم الشهير، الفريد في جهته، الوحيد في سمته وصفته، **ولد** بمدينة هَيْنَن، وتحلى بالخلق الحسن، ولازم التقوى في السر والعلن، وكان وافر العقل، شائع الفضل، كريماً يعطي عطاءً عظيماً، ملجأً للوافدين، مكرماً للضعفاء والمساكين.

وكان يزور أهـل «تريم»، ويصحب أهل الفضل العظيم، وأخذ عنهم العلوم الشرعية الشريفة، ولبس من جمعٍ الخرقة المنيفة.

ورحل إلى الحرمين الشريفين، وأدى النسكين، وزار جده ـ عليه الصلاة والسلام ـ، واجتهد في الطاعات، وأكثر من أنواع القربات، ولم يزل يزداد، من زاد المعاد، إلى أن وافاه الميعاد، فتوفي بمكة أم القرى، وفاز بأوفر القرى، سنة ثلاث بعد الألف، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢١٣] محمد بن عبدالله بن شيخ بن عبدالله العيدروس بن أبي بكر السكران بن عبد الرحمن السقاف باعلوي الحسيني[٢].

أحد السادة الأولياء الأكابر، أولـي المناقـب والمفاخـر، **ولد** بمدينة تريم، سنة خمس وثلاثين وتسعمائة، وظهرت عليه لوائح الفلاح، وعلامات الولاية والصلاح، فسلك طريق الأقدمين، ولازم التقوى والاشتغالَ بعلوم الدين.

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٤٦).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٠)، «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٤٧)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٩).

وأكثرَ الاستعداد ليوم المعاد؛ من ملازمة الجماعات، وكثرة الصلوات، في الخلوات والجلوات، وأخلص لله أعماله، وحفظ أقواله وأفعاله، وكان معظماً عند الملوك والأمراء، مكرماً محترماً عند الأغنياء، وانتفع به الخاصة والعامة، واشتهر بالولاية التامة، واستمر على حسن السيرة، جميل الطريقة والسريرة، إلى أن هجمت عليه المنية، وعظمت فيه الرزية، فانتقل بالوفاة إلى رحمة الله سنة خمس وألف، ودفن بمقبرة زنبل.

[٢١٤] محمد بن عبدالله بن سليمان باشيخ الحضرمي(١).

أحد الصالحين، العباد الزاهدين، صحب السادات، واجتهد في العبادات، وأكثر من الزاد، ليوم المعاد، وكان محبوباً عند العباد، كثير الفرح والسرور، والجذل والحبور، وأنعم الله عليه بنعمٍ باطنةٍ وظاهرةٍ، وأمده بمداد نعمائه الوافرة، إلى أن تبلبل باله، وذهب ماله، وتغير ودنا انتقاله، وهكذا حال هذه الدار.

شعر:

دار متى ما أضحكَتْ في يومِها ... أبكَتْ غداً تبّاً لها من دارِ

فتوفي سنة عشر بعد الألف، ودفن في جنان بشار ـ رحمه الله رحمة الأبرار ـ.

[٢١٥] محمد بن عبدالله بن عبدالله المُهَلاَّ بن سعيد بن علي النَّيساري ثم الشرفي(٢).

---

(١) «لفت النظر» للجيلاني (٥٧٩)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٨٦).

(٢) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٣٨٨) (٢١٩).

ذكره القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في تاريخه «مطلع البدور ومجتمع البحور»، فقال: كان عالماً لبيباً بليغاً، له خط عجيب، وله في الأدب مع جودة العلم أوفرُ نصيب.

وكان كثير المُلَح واللطائف، نزهةً من النزه، تعلَق به الأدباء، وتروي عنه الفضلاء، وكانت كلماته تهز أعطاف الأدباء.

ومن شعره: إلى شيخنا القاضي أحمد بن سعد الدين، وكان كثير الملازمة له أيامَ طلبه للعلم، وزوجه ابنته، ببلدة الشجعة، من الشرف الأعلى، الأبيات التي منها:

قلْ للشهابِ ابنِ الميامين الغُررْ	الماجدِ الحبرِ الأبرِّ ابنِ الأبرّْ
يا مَنْ له قلبٌ علينا كالحَجَرْ	هَجَرْتَنا من غير جرمٍ في الهجرْ
أو ما علمتَ أنَّ خير الناس مَنْ	حفظَ المودةَ واستمرَّ وما استمرْ
زُرْ من تحبُّ إذا ما علمتَ ودادَه	إنَّ الكريم يزور وإن لم يُستزرْ
وإذا رأيتَ ملامةً من صاحبٍ	فاهجرْ حِماه وذكرن فيمن ذكرْ
فالناسُ منهم من يُنيلك ودَّه	صفواً إذا ما غاب يوماً أو حضرْ
والبعضُ من يبدي بشاشةَ وجهه	زُوراً وإحناءَ الضلوعِ على الشررْ

فأجابه شيخنا بأبيات أجاد فيها، منها:

يا بحرَ علم بالجواهر قد زَخَرْ	يا بنَ الذي أحيا الفضائلَ واشتهرْ
تاللهِ ما طلب الفؤادُ سواكُمُ	فلأنتم أُنسُ القلوب بكم تُسَرْ
وبكم رياضُ المجد ناضرةٌ لنا	وبها تفوق [على] الأصائل والبُكَرْ

وهي طويلةٌ.

ومن شعره فيما أحسب:

وأغيدَ معسولِ الشنائب واللَّمى يسائلني عن شرح جَمْعِ الجوامع
فقلتُ له والعينُ تسكب عبرةً هم يا خليلي شرح جمع الجوى معي

وهذه رأيتها بخطه، ولم ينسبها إلى أحد.

ومن شعره قوله:

شريفٌ تهاميٌّ لقاني وقال لي أريدُ من المولى نوالاً وناموسا
فقلتُ له ما الاسمُ؟ قال: أنا موسى فقلت: لقد أوتيتَ سُؤْلَكَ يا موسى

وهو من مشايخ الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، وأوصاه أنه كلما ذكره، دعا له بالرحمة ـ رحمه الله ـ، ففعل الإمام ذلك ـ جزاه الله خيراً ـ.

[٢١٦] محمد بن عبد الباقي بن سنبل بن عبدالله الحبشي الحنفي المكي.

كان فاضلاً أديباً، له مهارة في العلوم الأدبية، وخطٌّ بديعٌ يضرب به المثل، وكان من أتباع مُصْلي الرومي، كاتبِ الحرم، ومقرئ المراسيم السلطانية، المتوفى سنة خمس وثلاثين وألف، وكان هو المتولي عمارة المسجد الحرام.

وحصلت له رياسةٌ عظيمةٌ، مع الاشتغال بالعلوم، وأخذ عن شيوخ، منهم: العلامة محمد بن علان، وبه تخرج، وله مؤلفات، منها: شرح على منظومته في التجويد، الذي نظم فيها الرسالة المسماة بـ: «الإرشاد» لأبي الحسن بن ناصر، سماه: «غنية المهتمين في شرح منية المجدين»، **وتوفي**

سنة خمسين وألف بمكة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢١٧] محمد أبو عبدالله بن عبد الحسين بن إبراهيم بن أبي شبابة الحسيني البحراني[1].

قال السيد في «سلافته»: عَلَم العِلْم ومنارهُ، ومقتبس الفضل ومُستنارُه، فرعُ دوحة الشرف الناضر، المقرُّ بسموٍّ قدره كلُّ مناضلٍ ومناظرٍ، أضاءت أنوار مجده مآثراً ومناقباً.

شعر:

كالبدر من حيثُ التفتَّ رأيتَهُ ... يُهدي إلى عينيك نوراً ثاقبا

أما العلم، فهو بحره الذي طمى وزخر، وأما الأدب، فهو صدره الذي سما به وفخر، وكان قد دخل الديار الهندية، فاجتمع بالوالد، ومدحه بمدائح، وقابله من الإكرام بما استوجبه واستحقه، وذكره عند مولانا السلطان، فعرف له حقه، ثم ارتحل إلى ديار العجم، وأقام بأصفهان.

قلت: ثم توفي بها، سنة إحدى وثمانين وألف، ونقل إلى «طوس»، ودفن بالمشهد الرضوي، بقرب تربة الشيخ بهاء الدين العاملي.

ومن شعره: قوله مادحاً للسيد أحمد بن معصوم:

أرى عَلَماً ما زال يخفق بالنصر ... به فوق أوج الموج تعلو يدُ الفخرِ

مضى العمرُ لا دنيا بلغتُ بها المنى ... ولا عملٌ أرجو به الفوزَ في الحبرِ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٨٠)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٩٧)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ١٨٦) (١٨٠).

ولا كسب علمٍ في القيامةِ نافع ... ولا ظفرتْ كفي بمغنٍ من الوَفْرِ

وأصبحتُ بعد الدرس في الهند تاجراً ... وإن لم أفزْ منها بفائدة التَّجْرِ

طويتُ دواوينَ الفضائلِ والتقى ... وصرتُ إلى طَيِّ الأمانِيِّ والنشرِ

وسَوَّدْتُ بالأوزارِ بِيضَ صحائفي ... وبيضت سودَ الشَّعر في طلب الصّفْر

ومنها:

وبعتُ نفيسَ الدينِ والعمرِ صفقةً ... فيا ليتَ شعري ما الذي بهما أَشري

إذا جنني الليلُ البهيمُ تفجَّرت ... عليّ عيونُ الهم فيها إلى البحر

تفرقتِ الأهواءُ مني فبعضُها ... بشيرازَ دارِ العلم والبعضُ في الفكر

وبالبصرةِ الفيحاءِ بعضٌ وبعضها ... القوى بيت الله والركنِ والحِجْرِ

فما لي وللهند الذي مذ دخلتُها ... محت رسمَ طاعاتي سيولٌ من الوِزْرِ

ولو أن جبرائيلَ رام سكونَها ... لأعجزَهُ فيها البقاءُ على الطهرِ

ومنها:

لئن صيدَ أصحابُ الحجا بشباكِها ... فقد تأخذ العقلَ المقاديرُ بالقهرِ

وقد تُذهب العقلَ المطامعُ ثم لا ... يعودُ وقد عادت لميسُ إلى العترِ

هذا تلميحٌ إلى المثل المشهور، وهو قولهم: «عادت إلى عترها لميس»؛ أي: رجعت إلى أصلها، والعِتْر ـ بكسر المهملة، وسكون المثناة من فوق ـ: الأصل، يضرب لمنْ رجع إلى خُلقٍ كان قد تركه، وليس هو المثل بعينه، حتى يعترض بأن الأمثال لا تغير.

مضتْ في حروب الدهرِ غايةُ قوتي ... فأصبحتُ ذا ضعف عن الكَرِّ والفَرِّ

إلامَ بـأرض الهنـد أُذهِـبُ لـذتي ... ونضرةَ عيشٍ فـي محاولـة النـضرِ
وقـد قنعـت نفـسي بأوبـةِ غائـبٍ ... إلـى أهلـه يومـاً ولـو بيـدٍ صِـفْرِ
إذا لم تكن في الهند أصنافُ نعمة ... ففي هَجَرٍ أحظى بصنفٍ من التمرِ
على أن لـي فيهـا حُمـاةً عهـدتُهم ... بُنـاةَ المعـالي بالمثقَّفَـةِ الـسُّمْرِ
إذا ما أصاب الدهرُ أكنافَ عِـزِّهم ... رأيتَ لها غاراتِ تغلِـبَ فـي بكـرِ

ومنها:

ولـي والـدٌ فيهـا إذا مـا رأيتُـه ... رأيتُ به الخنساءَ تبكي على صخرِ
ولكنني أُنسيت في الهنـدِ ذكـرَهم ... بأحسابِ من يسلي عن الوالد البَرِّ
إذا عَرَتْنـي فـي الزمـان صـروفُه ... وجدتُ لديه الأمنَ من ذلك الذُّعرِ
وفـي بيتـه كـلَّ يـومٍ وليلـةٍ ... أرى العيدَ مقروناً إلى ليلـة القـدرِ
ولا يـدرك المُطـري نهايـةَ مدحِـه ... ولو أنـه قـد مُـدَّ مـن عُمُـرِ النَّسْرِ
وفي كل مـضمارٍ لـدى كـلِّ غايـة ... من المشرق الأوفى له سابقٌ تجري

ومنها:

إذا ما بدتْ في أول الـصبح نقمـةٌ ... ترى فرجاً قد جاء في آخر العـصرِ
فقل لي أبيتَ اللعنَ إنْ عنّ مفظـعٌ ... أأصـبرُ أم أحتـاجُ للأوجـهِ الغُبْـرِ
إذْن لا علت في المجدِ أقدامُ هِمَّتي ... ولا كان شِعْري فيك من أنفس الشِّعر

ومنها:

وإني لأرجـو مـن جميلـكَ عزمـةً ... تبلِّغني الأوطـانَ فـي آخـرِ العمـرِ

تقـــرُّ عيونـــاً بـــالفراق ســـخينةً وتبـــرد أكبـــاداً أحـــرَّ مـــن الجمـــرِ

وتـــونسُ أطفـــالاً صـــغاراً تـــركتُهم لفـــرقتهم مـــا زال دمعـــيَ كـــالقطرِ

وعيش بهم قد كان حلُّوا وبعـدَهم وجدتُ لذيذَ العيش كالعلقم المُرِّ

إذا مـــا رأونـــي مقـــبلاً ورأيـــتُهم تقـــولُ أيـــومُ القَـــرِّ أم ليلـــةُ النَّفْـــرَ

وما زلـــتُ مـــشتاقاً إلـــيهم وعـــاجزاً كما اشتاقَ مقصوصُ الجناح إلى الوَكْرِ

ولكنمـــا حـــسبي وجـــودُك ســـالماً ولو أنني أصـــبحتُ فـــي بلـــدٍ قَفْـــرِ

فمنْ كان موصولاً بحبـلِ ولائِكـم فلـيس محتاجـاً إلـى صـلةِ البـِـــرِّ

ومن شعره قوله على لسان أهل الحال، وأجاد:

لعمري لقد ضلَّ الدليلُ عن القـصد وما لاح لي برقٌ يـدل علـى نَجْـدِ

فبـــت بليـــلٍ لا ينـــام ومهجـــةٍ تقلَّبُ في نـار مـن الهـم والوجـدِ

وقلتُ عـسى أن أهتـدي لـسبيلها بنفحةِ طيبٍ فـي عَـرارٍ ومـن رَنْـدِ

فلما أتيتُ الـدهرَ أبـصرتُ راهبـاً به ثَمَلٌ مـن خمـرة الحـبِّ والـوُدِّ

فقلتُ له أين الطريقُ إلـى الحمـى وهل خبر من جيـرةِ العَلَـم الفـردِ

فقال وقد أعلى مـن القلـب زفـرة وفاضت سيولُ الدمع منه على الخد

لعلكَ يا مـسكينُ ترجـو وصـالَهم وهيهاتَ لو أتلفت نفـسك بالكـدِّ

إذا زمرةُ العشاقِ في زمرة الهـوى تساوى غرامٌ من كهول ومـن مُـرْدِ

ومنها:

أَلَـمْ تَـرَ أنـا مـن مُدامـة شـوقهم سُكارى ولم نبلغ إلى ذلـك الحـدِّ

فكم ذهبت من مهجة في طريقهم وما وصلت إلا علـى غايـة البعـدِ

فقلتُ أدنو قال من كل محنة | فقلتُ أرجو قال شيئاً من الضدِّ

ومنها:

ألم ترنا صرعى بدهشة حبهم | نقلِّبُ فوق الترب خَدّاً على خَدِّ

فكم طامعٍ في قربهم مات غُصَّةً | وقد كان يرضى بالمحال من الوعدِ

قوله: فقلت أدنو، البيت فيه نوع من أنواع البديع: المراجعة، وهي كثيرة في كلامهم، ومنها: قول صاحبنا رجب بن حجازي الحريري:

وإن قال انْحُ النحوَ قلت نسيتُه | وإن قال صرفاً قلتُ عني إلى القبر

وقوله:

قالوا أترضى إذا الرقيب قضى | وقطعته صوارمٌ ومُحي

فقلتُ لا أرتضي فقيل لِما | فقلتُ أخشى أموتُ من فرحي

[٢١٨] محمد بن عبد الحق بن علاء الدين الحميدي.

نسبة إلى الحميدي شيخ البخاري، الحجازي؛ لكثرة مجاورته بالحجاز، مفتي الشافعية بدمشق، وجمال علمائها، وشيخ مشايخها، له في العلوم الشرعية والعقلية اليدُ الطولى، واعتناء تام بعلم الطب، وكان مختصاً بصحبة الشيخ يونس رئيس الأطباء بدمشق، قال: بينا أنا في مجلسه، وإذا بقاصد من قبل العلامة القاضي معروف الصهيوني، ومعه سكرجة يستهدي فيها شيئاً من التركيب المسمى ببرء ساعة، وفي طراز السكرجة هذه الأبيات:

لا زالَ كلُّ رئيسٍ | يريكَ سمعاً وطاعَهْ

وكـــــلُّ ربٍّ مـــــزاجٍ بكـــم يرجِّـــي انتفاعَـــهْ

عبــــدٌ أتـــاكم محـــبٌّ قــد مــدَّ كــفَّ الــضراعَهْ

يـــــــشكو أَذًى ودواهُ لـــديكم بُـــرْءُ ســـاعَهْ

فقضى حاجته، وكتب تحت السكرجة في أقل من دقيقة:

العبــــدُ عبــــدٌ محـــبٌّ أبـــدى قبـــولاً وطاعَـــهْ

كالـــسِّحر بـــل أمـــرا مطـــــرزاً بالبراعَـــــهْ

أُهــــدي إلـــيكم دواءً مهــــــذباً بالـــــصناعهْ

يـــشفي بفعـــل وحـــي علـــى المكـــان ابـــن ســـاعهْ

قال الطالوي في «السانحات»: كذا أخبرني من لفظه بمسجد الجامع القلعي داخل سور دمشق غرة ذي القعدة، عام ست بعد الألف، انتهى.

وكان صحب الشيخ موسى الكنَّاوي الصوفي، وأخذ عنه، وأعرض عنه الكناوي آخر الأمر، قيل: إن سبب إعراضه: أن الكناوي ذكر حديثاً فيه رخصة، فقال الحجازي: إن النبي ﷺ عجرف في ذلك، فغضب الكناوي، وقال: لا تعد إلينا بعدها، ولم يعد حتى سافر إلى مصر، ثم جاء بعد مدة ومعه من الهدية أشياء للشيخ، فلم يقبلها منه، وقال: يا رجل! خرجنا عنك لله، فلا تعد.

ورأيت من شعره، في مجامع بعض المكيين: قوله:

بـدا كالبـدر يُجْلَـى فـوق غـصنٍ يمـيسُ بحـسنِ قَـدٍّ وابتـسامِ

وأرخـى فـوق خديـه لثامـاً فمـا أحـلاه فـي ذاكَ اللثـامِ

بغـــار البـــدرُ منـــه إذا تبـــدَّى ... ويخفـــى تحـــت أذيـــالِ الغمـــامِ

ومنه:

كحيـــلُ الطـــرف ذو خَـــدٍّ أسـيلٍ ... نحيـــلُ الخـصر ممـشوقُ القـوامِ

لـــه مُقَـــلٌ مِـــراضٌ قـــاتلاتٌ ... فـــواترُ راميـــاتٌ بالـــسهامِ

رمـــى بـــسهامِ مقلتـــه فـــؤادي ... فمـــا أحـــلاه مـــن رَشَـــأٍ ورامـــي

فـــو أسـفاهُ كيـف أمـوتُ وَجْـداً ... ولا أقـــضي مـــن الرامـــي مَرامـــي

لـــه ثغـــرٌ حـــوى فيـــه رحيقـــاً ... بـــه يـــشفى العليـــلُ مـــن الـــسقامِ

أنـــا المـــضنَى المتـــيمُ فـــي هـــواه ... وجفنـــي مـــن جَفـــاه جفـــا منـــامي

ومن شعره قوله:

يـــا خـــل ذا الحبـــشي يفـــتن واقفـــاً ... من شرطه قاضي الهوى قد حار في

يقضي بـذاك الـشرط فـي عـشاقه ... فالـصبُّ مقتـولٌ بـشرط الواقـفِ

[٢١٩] محمد بن عبد الخالق المنزلاوي الشافعي[(١)].

شيخنا الإمام، العلامة الصالح، الولي الزاهد، الجامع بين العلم والعمل، كان مجداً في إقراء العلوم النافعة لأهلها، في كل وقت، وكانت له معرفةٌ جيدةٌ في علوم كثيرة، وكان يختم في كل سنة، نحو عشرةِ كتبٍ كبارٍ في فنون.

وقراءته تحت اللفظ، لا يتعدى المقصود بالذات من الكتاب، ويقول: إن الوقت ضاق عن التوسع في الكلام، والاختصار في هذا الوقت أفود؛ فإن

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٨٧).

الهمم قصرت، والأفهام كلَّت، وربما أدى التوسع إلى ترك القراءة، مع كونه إذا سُئل عن مشكلٍ فيما يقرؤه، أجاب عنه بأحسن عبارة، وألطف إشارة.

ومن شيوخه: البرهان اللقاني، والنور الزيادي، وسالم الشبشيري، وأحمد الغنيمي، وعلي الحلبي، وعنه أخذ غالب من أدركناه من مشايخنا، منهم: شيخنا منصور الطوخي، وأحمد البشبيشي.

قلت: وقد اجتمعت به، بعد أن فلج، واستمر به الفالج سنين، وهو منقطع ببيته، وتأتي إليه الطلبة، ويقرؤون عليه، وهو بهذا الحال، وأخبرني أن سببه: كثرة انهماكه في شبابه على النكاح؛ بحيث لا يتركه ليلاً ولا نهاراً، قال: ونصحني بعض شيوخي عن ذلك، وقال لي: إن كثرته هكذا، تورث الفالج بالتتبع، فلم أمتثل، حتى كان من أمر الله ما كان.

سمعت عليه طرفاً من «تفسير الجلالين»، ومن «شرح الألفية» للمرادي، بقراءة شيخنا موسى بن حجازي الواعظ، وحضور صاحبنا الشيخ الصالح منصور القليوبي، وأجازنا بمروياته، وأخبرنا عن شيخه العلامة طه السفطي المالكي: أنه كان يأتي إلى الدرس بعصاة، يضرب بها من يسأله سؤالاً غير مناسب للمقام، فإن أصابته، وإلا قام من الدرس، ولحقه حتى تصيبه، واتفق أنه كان يقرأ في «مختصر خليل»، فسأله بعض طلبته سؤالاً من ذاك القبيل، فضربه، فأنشد بديهة:

لقد نلتَ يا طه مقاماً ورفعةً ... فما نالها بين الأنام أمير

تقرر في معنى خليل بمطرق ... كأنك تراسٌ ونحن حمير

والتراس: سائق الحمير، بلغة المصريين، **توفي** سنة اثنتين وثمانين بعد

الألف، وعمره نحو ثمانين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ آمين.

[٢٢٠] محمد بن عبدالله الخرشي المالكي(١).

الشيخ الفقيه، ذو العلوم الوهبية، والأخلاق الرضية، والشيم الحسنة الزكية، اتفق أهل مصر على فضله وولايته، وحسن سيرته، ونطقت الألسن بالثناء عليه، وتطابقت القلوب على محبته.

ولد سنة عشر وألف، وقدم مصر، وأخذ عن إبراهيم اللقاني، وعلي الأجهوري، وغيرهما، وتصدر للإقراء بالجامع الأزهر، وأشرق درسه وأزهر، وصار شيخ المالكية بالقاهرة، وحضر درسه غالب علماء مذهبه، واشتهر بالنفع لمن قرأ عليه؛ لحسن نيته، وكمال طويته، وعمت شفاعته، واعتقده عامة الناس وخاصتهم، ولقد كان كذلك، وكان أثر ذلك ظاهراً على هيئته، منها: عظيم هيبته، وحسن صورته، حتى إذا تأمله الناظر، رأى النور عليه، من فوقه إلى قدمه، إلى تواضع وسكينة، وحسن خلق.

وألف مؤلفاتٍ عديدةً، مع اشتغاله بالدروس في غالب الأوقات، وما ذاك إلا أن الله سبحانه بارك له فيها، منها: «شرحه على مختصر خليل» في أربع مجلدات، تلقاه أهل عصره بالقبول، وكُتبت منه نسخ لا تحصى، وله ـ أيضاً ـ شرح على مختصر خليل أكبر من هذا الشرح، و«شرح رسالة ابن أبي زيد»، و«شرح أم البراهين»، و«شرح الآجرومية وحاشية عليه»، وله أيضاً: «حاشية على شرح التتائي على مختصر خليل»، وغير ذلك.

---

(١) «سلك الدرر» للمرادي (٤/ ٦٢)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٧٩٦)، «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١١٣)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٤٠).

قرأت عليـه طرفاً من «صحيح البخـاري»، وأجازني سائره مع الكتب الستة، وغيرها من كتب الحديث ومؤلفاته، وكتب لي إجازةً حافلةً عليها خطه، توفي بمصر سنة إحدى ومائة وألف ـ رحمه الله ـ آمين. آمين. آمين.

[٢٢١] محمد بن عبدالله بن شيخ العيدروس[١].

الشيخ العارف، المتحلي بالمعارف، معدن الأنوار، وصاحب الأسرار، ذو الأحوال الظاهرة، والمقامات الفاخرة، والسرائر الباهرة، إمامُ أهل وقته علماً وحالاً، وعملاً ومقاماً، وزهداً وتحقيقاً، وورعاً وتدقيقاً.

ولد ـ رحمه الله تعالى ـ سنة سبعين ـ بتقديم السين ـ وتسعمائة بمدينة تريم، وضُبط عام ولادته بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[الكوثر: ١]، ونشأ بها، وحفظ القرآن، وعدة متونٍ مفيدةٍ، في فنونٍ عديدةٍ.

ولازم والده، وتخرج به، وتفقه على السيد محمد بن الحسن، والفقيه محمد بن إسماعيل، والسيد عبد الرحمن بن شهاب، وأخذ التصوفَ عن جماعةٍ، وسمع الحديث من حَمَلته، ولازم العبادة، وجرى على قانون الشرع وإن خالف العادة، وسلك سبيل سلفه السادة، وأثنى عليه مشايخه وغيرهم، بل انعقد الإجماع على فضله وكماله.

ورحل إلى «أحمد أباد» من الهند؛ للأخذ عن جده لأبيه السيد شيخ ابن عبدالله، سنة تسع وثمانين وتسعمائة، بطلبٍ منه، وأشار إلى ذلك السيد شيخ بقوله في بعض قصائده: «فيه قدومك حافظ للشمل»، فأخذ عن جده، ولازمه

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٦)، «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٤٨)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٥٦).

ملازمةً تامةً، ولبس منه الخرقة الشريفة.

وأخذ عن عمه السيد عبد القادر بن شيخ، وكتب إلى والده بقوله: يكفيك فخراً يا عبدالله، خروجُ مثل هذا الولد من صلبك، وناهيك بشهادة هذا السيد الجليل. وقال بعض العلماء لوالده عبدالله: ولدك محمد أفضل منك، فسجد لله شكراً، وقال: كل أحدٍ لا يرى أن يكون أحد أحسن منه إلا ولده.

ولما انتقل جده شيخ إلى رحمة الله تعالى، بعد أن أقامه مقامه، فكان الوارث لأبيه وجده، وحامل الراية من بعده، وولي عهده، وقام بمنصب جده أتم قيام، باذلاً ماله وجاهه في إيصال النفع للخاص والعام، إلى أهل الإسلام، مع المواظبة على إطعام الطعام، وصلة الأرحام.

ثم بعد انتقال والده بتريم، أقام بمقامه بها، فكان قائماً بمقام جده بالهند، وبمقام أبيه بتريم، ثم انتقل من أحمد أباد، إلى «بندر سورت»، وتديرها، فصار كهفاً لأهلها، وملجأً للوافدين، ومأوى للفقراء والمساكين، وعم بره الصغير والكبير، مقبول الشفاعة، وله عند السلطان جاه عظيم.

وكان زاهداً في الرياسة، حافظاً لأوقاته، لا يُرى إلا في تدريسٍ، أو مطالعة كتابٍ، أو قراءة قرآن، أو ذكرٍ أو فكرٍ، وربما استغرقه في بعض الأوقات؛ بحيث لا يشعر بمن دخل عليه، ولم يزل على هذا الحال حتى توفي «بسورت» ليلة الثلاثاء، سابع عشر ذي الحجة، سنة ثلاثين بعد الألف.

وجاء تاريخ وفاته: «لاح في الهند ضياء»، وما أحسنَ هذا التاريخَ، وما تضمنه من الأسرار، الدالة على حسن فضل الله الكثير المدرار، وقبره ثمة، أشهر من نارعلى علم ـ رحمه الله، ونفع به ـ.

وكان هو الخليفة لعمه القطب العارف بالله أحمد بن شيخ العيدروس ـ قدس سره ـ كما رأى بعض الفضلاء الصلحاء، ليلة وفاة السيد أحمد: كان السيد أحمد لابس التاج على رأسه، وإلى جنبه صاحب الترجمة وكان السيد أحمد يشير إلى صاحب الترجمة ويقول له: محمد بن عبدالله! ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[ص: ٢٦]، وأُرخت تلك الرؤيا، فكانت ليلة وفاة السيد أحمد ـ رضي الله عن الجميع، ونفع بهم في الدارين ـ.

[٢٢٢] محمد جمال الدين بن عبدالله بن عبد المعطي الطبري، الشافعي، الحسيني، المكي(١).

أحد الأئمة الجلة، وأوحد تلك البدور والأهلة، الضارب في كل فن بسهم، والقارع صفاةَ كل قريحة وفهم.

ولد بمكة سنة أربع وستين وتسعمائة، وبها نشأ، وقرأ القرآن، وأخذ العلوم عن شيخ الإسلام الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي وغيره من علماء عصره، وأجازه شيوخه.

ونقل عنه: أنه كان ينكر على الإمام الغزالي كلامه في كتاب «الإحياء»، ويقدح فيه، فرأى النبي ﷺ، والإمام الغزالي بين يديه، فشكاه إليه ﷺ، وقال له: يا رسول الله! إن هذا يقدح في كتابي «الإحياء»، فجلده ﷺ بيده الشريفة تسع عشرة جلدة، فأصبح وأثرُ الضرب ظاهر عليه، وتاب إلى الله تعالى، وكتب من «الأحياء» نسخةً عظيمةً، محلاةً بالذهب، ولازم قراءتها، وعرف

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٥٤) (٢٧٣)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٦٣)، «إنباء البرية بالأنباء الطبرية» مخطوط الورقة (١٣).

مقدار الإمام الغزالي، وصار من أكبر معتقديه.

ونقل عنه أيضاً: أنه كان يتوسل بالشيخ عبد القادر الكيلاني إلى الله تعالى، في أن يعطيه مرتبة القطبية، فتوسل بعض الصالحين بالشيخ عبد القادر أيضاً أن يحصل له شيء من المال، فجاء إليه الشيخ عبد القادر في المنام، وقال له: اذهب إلى الإمام محمد ـ المترجَم ـ، وقل له: يقول لك الشيخ عبد القادر أعطني خمسمائة ذهب، بأمارة طلبك حاجةً عنده، فلما أصبح الرجل، ذهب إلى الإمام محمد، وذكر له كلام الشيخ عبد القادر، فدفعها له.

وكان يحفظ القرآن العظيم، وصلى في ثاني عشر صفر، سنة اثنتين وستين وتسعمائة بمكة به التراويح في المقام، ومات عنه والده قبل البلوغ، وكفله أعمامه، واشتغل بالعلم والتحصيل، وأمّ بالناس عمراً طويلاً، وبرع في فنون عديدة، وأخذ عنه علماء عصره، وألف الكتب المفيدة، مع مزيد العبادة والمواظبة عليها، وشرف النفس، وحسن الأخلاق، ووافر التقوى، ومراعاة حفظ المروءة.

وتصدر للتدريس بالمسجد الحرام مدةً مديدةً، وأفتى على مذهب الشافعي، وقُصد بالفتوى من الجهات، قال الإمام عبد القادر الطبري في ترجمته: سمعت من كثيرٍ من الصالحين ترجمته بالولاية، وأنه من أهل الإدراك.

ومن تصانيفه: «شرح العدة والسلاح في أحكام الطلاق والعدة والنكاح»، و«سُلَّم الاستقامة في إثبات الكرامة»، و«نظم الآجرومية وشرحه»، و«منظومة شروط الوضوء وفروضه وسننه»، وعليها تقريظ شيخه أبي النصر الطبلاوي، وإجازته إياه بمروياته.

وكانت **وفاته** ليلة السبت رابع عشر صفر، سنة اثنتين وثلاثين بعد الألف، وصلي عليه في ساباط مقام إبراهيم، ضحى اليوم المذكور، بعد أن نادى الرئيس عليه من قبة زمزم، بخطبةٍ بليغةٍ، من إنشاء بعض الطبريين، وكانت جنازته حافلةً مشهودةً، مشى فيها الأشراف والأعيان، وتكاثر زحام الناس على حملها؛ بحيث لم يشاهد جنازةٌ مثلها من زمان طويل.

ودفن بالمعلاة، على والدته، بقبر الشيخ أبي بكر الطبري جده الأعلى؛ فإنه: محمد جمال الدين بن عبدالله بن عبد المعطي بن مكرم بن المحب محمد ابن الرضي محمد بن المحب محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم ابن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن علي ابن فارس بن يوسف بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الواحد بن موسى ابن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه وعنهم أجمعين ـ.

قال السيد علي في «سلافته» في ترجمته: وكان لصاحب الترجمة قريض يُزري بقُراضة الذهب، أثبت في صفحات الصحائف حسنة وماء ذهب، منه **قوله**:

أسيرُ العيونِ الدُّعْجِ ليس له فَكُّ	لأن سيوفَ اللحظ من شأنها الفتكُ
حذارِ خليَّ القلب من عُلقِ الهوى	فأولُها سقم وآخرُها فتكُ
ورحْ سالماً قبل الغرام ولا تقسْ	عليّ فإني هالكٌ فيه لا شكُّ
ألم ترني ودَّعت يومَ فراقهم	حشاء لعلمي أنما دونه الهلكُ
وكيف خلاصي من يدي شادنٍ إذا	بدا ابيضَّ في الديجور من نوره الحلكُ

وهيهات أن تُرجَى لمثلي سلامةٌ | وقد سلَّ بِيضَ الهند ألحاظه الترك
يقولون ترك الحرب أسلمُ للفتى | نعم صدقوا إن كان يمكنه الترك

ومنه:

دعوني وذكرى بين باناتِ لعلعٍ | غريباً هواهم في المواقف لي نسكُ
وإن رمتمُ إرشادَ قلبي فكرروا | أحاديثَ عشقٍ طاب في نظمها السبكُ
أما والخدودِ العندمياتِ لم أحُلْ | وكل الذي عني روى عاذلي إفكُ
وما بمصونِ الثغرِ من ماء كوثرٍ | وكأسِ عقيق ختُمه خالُه المسكُ
لقد لَذَّ لي خلعُ العِذارِ وطابَ في | هوى الخُرَّدِ الغيدِ الدُّمى عنديَ الهتكُ

تنبيه: قوله: «لاشك» قد يتوهم أن فيه لحناً، على أن «لا» نافيةٌ للجنس، واسمها في مثل ذلك مبنيٌّ على الفتح، ولا لحنَ فيه، بل فيه وجهان:

أحدهما: منع كونها فيه للجنس، بل عاملة عمل ليس، والخبر محذوف، جوازاً؛ كقول الحماسي:

من صدَّ عن نيرانها | فأنا ابنُ قيسٍ لا براحُ

والثاني: أن تكون نافية للجنس، إلا أنها ملغاة، والرفع بالابتداء، ولم يجب تكرارها؛ لجواز تركه في الشعر، فاعلم.

وكتب إلى شيخه العلامة عبد الرؤوف بن يحيى الواعظ المكي، مُسائلاً بقوله:

يا أيها الحبرُ يا من | منه العلومُ تفجَّرْ
ومفردَ العصرِ من قد | لمسجد الله أزهَرْ

بالاشـــــتغال دوامـــــاً بقـــرب بيـــت مطهَّـــرْ

مــا الحكــمُ فــي أكــلِ قــاتٍ وكفتـــــة هــــو منكَـــرْ

أم لا لنـــــا فـــــأبينوا لـــــديكم الـــصعبُ يظهَـــرْ

أنـــتم مـــلاذٌ أوامـــا فـــي الحكـــم كُـــلٌّ تحيَّـــرْ

فأجابه بقوله:

الحمـــــــد لله حمـــــــداً أفـــرادُه لـــيس تُحـــصَرْ

ومنـــــه خيـــرُ ثنـــاء لأحمـــدَ الطهـــر ينـــشَرْ

الحكـــمُ فـــي ذَيْـــنِ حِـــلٌّ والتـــركُ للـــضرِّ أظهَـــرْ

عبـــد الـــرؤوف وشـــاه يرجـــو لمـــزلات تغفَـــرْ[1]

ومن نظمه: تصديرٌ وتعجيز قصيدة ابن الفارض، ومنها:

مـا بـينَ ضـالِ المنحنـى وظلالِـهِ رَشَـأٌ سـبى الألبـاب عبـرَ حالِـهِ

فـي ليـلِ طُرَّتِـه وصـبحِ جبينـه ضـلَّ المتـيمُ واهتـدى بـضلالِهِ

وبـذلك الـشعب اليمـاني منيـةٌ مـا بـين سـفحِ طويلـعٍ وحيالِـهِ

من دونهـا حتـفُ النفـوس وبغيـةٌ للـصبِّ قـد بعُـدت علـى آمالِـهِ

يا صاحبي هـذا العقيـقُ فقـفْ بـه واحرسْ فؤادك مـن لِحـاظِ غزالـه

ومنها:

فإذا وصـلتَ الجـزعَ طـفْ بقبابـه متوالهـاً إن كنـتَ لـستَ بوالِـهِ

---

(١) كذا في الأصل.

وانظـرْه عنـي إن طرفـي عـاقني	ياقوتــه بــصفا لُجــين رمالِــهِ
مــا رام منــه ذاك إلا صــدَّه	إرســاله دمعــي وعــن إرســالِهِ
واسـألْ غـزالَ كِناسِـهِ هـل عنـدَه	خبـرٌ بمـن أَضـحى قتيـلَ نِزالِـهِ
أو عنـدَه ممـا ألاقـي مـن أَسًـى	علـمٌ بقلبـي فـي هـواه وحالِـهِ

والطبريون من بيت علم وشرف، مشهورون في مشارق الأرض ومغاربها، وهم أقدم ذوي البيوت بمكة؛ فإن الشيخ نجم الدين عمر بن فهد ذكر ذلك في كتابـه «التبيين بتراجـم الطبريين»، وقال: إن أول من قدم منهم: الشيخ رضي الدين أبو بكر محمد بن أبي بكر بن علي بن فارس الحسيني الطبري، قبل سنة سبعين وخمسمائة، أو في التي بعدها، وانقطع بها.

وزار النبي ﷺ، وسأل الله تعالى عنده أولاداً علماء هداةً مرضيين، فولد له سبعة أولاد، هم: محمد، وأحمد، وعلي، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وكانوا كلهم فقهاء علماء مدرسين[1].

وكان دخول القضاء، وإمامة مقام إبراهيم، في بيتهم، سنة ثلاث وسبعين وستمائة كما ذكره النجم بن فهد في تاريخه «إتحاف الورى بأخبار أم القرى»، وذكره الفاسي في تاريخه «العقد الثمين في تاريخ بلد الله الأمين»، ولم تزل إمامة المقام المذكور مخصوصةً بهم، لا يدخل معهم في ذلك أجنبي، وكل من كمل منهم للمباشرة يباشر، ولا يحتاج إلى إذن جديد؛ لوقوع الإذن المطلق

---

(١) الدعاء عند قبر النبي عليه الصلاة والسلام بدعة، واستجابة الدعاء ليس دليلاً على جوازها، رحم الله المصنف وغفر له.

لهم من زمن السلاطين السابقين، والأشراف المتقدمين.

واتفق في عام إحدى[1] وأربعين وألف: أن إنساناً رام الدخول معهم في ذلك، ووقع كلام طويل في ذلك، ثم منعه الشريف عبدالله بن الحسن، ثم ورد أمر من وزير مصر حينئذ محمد باشا بمنع المذكور أيضاً، واستمر ذلك إلى الآن، وما زالت المناصب العلية في أيديهم، يتلقونها كابراً عن كابر، ويعقدون عليها في مقام الافتخار بالخناصر، من القضاء والفتوى والتدريس، والإمامة والخطابة ببلد الله النفيس.

وكان منصب الخطابة قديماً ينتقل بمكة في ثلاثة بيوت: الطبريين، والظهيريين، والنويريين، وبيت الطبري أقدمُهم في ذلك، كما يعلم من كتب التواريخ القديمة، ومن خطباء الطبريين، المحب الطبري، والبهاء الطبري.

ثم إنه في حدود الثلاثين بعد الألف، جدد خطيب مالكي، ثم حنبلي، ثم آخر حنبلي، في عام ثلاثة وأربعين، وكان منصب الخطابة محفوظاً عن أحداث الناس، فلا يُقلده إلا العظيم علماً أو نسباً.

واتفق في عام إحدى[2] وأربعين أن باشر الخطابة الشيخ محمد المنوفي، فورد أمر من وزير مصر، مخاطباً به صاحب مكة، وقاضيها، وشيخ حرمها، بمنعه من ذلك، فلما جاءت نوبته، امتنع قاضي مكة ـ إذ ذاك ـ شكر الله أفندي من الصلاة خلفه، فأرسل إلى الشريف زيد، وكان بمصلاه بالمسجد الحرام، وقد صعد المنبر وخطب، فأرسل إليه الشريف، ومنعه من الصلاة، وأشار

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: واحد.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: واحد.

إلى غيره، فصلى بالناس.

ثم الخطباء في زماننا بغاية الكثرة، بحيث إنه لم يصل الواحد منهم إلى نوبته إلا بعد مضي سنة.

مع مزيد التقوى والورع والصلاح، وتوفر أسباب الخير والفلاح، وزيادة الألفة بينهم، وبين ولاة مكة الشريفة، والتراسل بينهم بالأشعار الحسنة اللطيفة، مما هو مذكور في التواريخ المذكورة وغيرها.

حتى إن تلك الألفة بينهم، اقتضت المواصلة والمصاهرة، وأكملت ما هو من أسباب المفاخرة؛ فقد نقل الفاسي: أن زينب بنت قاضي مكة الشهاب أحمد ابن قاضيها أيضاً الجمال محمد الطبري، كانت زوجة للشريف عجلان صاحب مكة، سنة سبعين وسبعمائة، ثم اختلعت منه؛ لتسريه عليها.

ومن طالع «العقد الثمين»، وقف على ما لهم من المناقب، وما اشتملوا عليه من عليّ المناصب، بالمقامة التي أنشأها الحافظ جلال الدين السيوطي، مهنئاً المحب الطبري المتأخر، لما عزل أبا السعادات، وأخاه أبا البركات ابني ظهيرة عن خطة القضاء، وولي ذلك بمفرده، مع ما أضيف إليه من المناصب، بسعاية الشريف أبي القاسم بن حسن بن عجلان صاحب مكة، ومن جملة المقالة:

إن القضاة بمكة لثلاثةٍ ... طبقاً لما قد جاء في الأخبار
شيخُ المقام وقد مضى في جنة ... والقاضيان كلاهما في النار

وذكر الحافظ نجم الدين عمر بن فهد، في تذكرته المسماة: «نور العيون بما تفرق من الفنون»، قال: لما كنت بالقاهرة المحروسة، سنة ست وثلاثين

وثمانمائة، ورد إليها القاضي أبو البركات بن علي بن ظهيرة، ساعياً لأخيه أبي السعادات في عوده لمنصبه قضاء الشافعية بمكة.

وصحبته سؤالان، معناهما: أن رجلين من طلبة العلم الشريف بها تنازعا في مسألةٍ فرضيةٍ، فقصد أحدهما بالسؤال عنها أخاه أبا السعادات، وامتنع الآخر، فحلف الأول بالطلاق الثلاث أنه ليس بمكة وأعمالها أحدٌ أعلم منه، فهل يقع على الحالف حنث أم لا؟ وهل بالبلد من يساوي المشار إليه في العلم أو يفوقه؟

فأجاب شيخ الإسلام الحافظ الشهاب أحمد بن حجر العسقلاني الكناني، والإمام البساطي بعدم الحنث، وأطلق الأول بانفراده في وقته، وعدم مساواته، فضلاً عن أن يفوقه أحد في بلده، وقيد الثاني بأنه إذا سئل في الفقه أجاب في الحال، من «الرافعي» و«الروضة»، أو في الأصول، فمن ابن الحاجب، أو البيضاوي، وكذا الحديث والتفسير، كما شاهده منه في مجاورته ببلده.

فلما اطلع على السؤالين وجوابهما الإمام أبو المعالي المحب بن الرضي الطبري، كتب في سنة سبع وثلاثين وثمانمائة قصيدةً لاميةً من نظمه إلى الحافظ ابن حجر، مضمونها الإنكارُ عليه، وعلى البساطي في الفتيا، وهي هذه:

يقبِّلُ الأرضَ عبدٌ قد أحبَّكُم ... طفلاً وفي كِبَرٍ في الحبِّ ما عدلا

ويسأل اللهَ أن يحظى برؤيتكم ... على الصفا فعسى أن يبلَغ الأملا

يا واحدَ العصر خذ منا مراسلةً ... تشكو لما قد حكي عنكم وما حصلا

من مكةٍ صدرتْ تشكو لخالِقها أيضاً وتروي لكم عن ألسُن الفُضَلا

ومنها:

ما بال سيدِنا زلَّتْ أناملُه واللهِ تلك لعمري زلةُ العُقَلا

جاءت لمكةَ فتيا قد جزمت بها بأن أفضلَها هذا الذي خذلا

وقلتَ هذا طلاقٌ لم يقع ولقد قال المحقُّ طلاقُ الأحمقِ اتصلا

إن كان أعلمُها مَن قد ذكرتَ فقد صارتْ بلا عالمٍ والعلمُ قد هَزُلا

رامَ الترقِّي إلى العليا فانزله ذا الدهرُ من طيشِه لازال مشتغلا

قد أوقع الحبر فيما ليس شيمته كان الإمامُ عن التحريف منعزلا

ومنها:

ارجعْ هداك اللهُ أعطاك منزلةً عن ذي المقالةِ والأمرِ الذي نُقلا

ما يحمد الله في الدين الهوى ولقد ذم الذي بالهوى قد كان مشتغلا

هلا كتبتُم أدامَ اللهُ دولتكم مثلَ البساطيِّ إذ من أكلةٍ وحلا

خذ زادك اللهُ حرصاً ذكرَ سيرته عن واحد لم يزد فيها وما جَهِلا

أبو السعاداتِ هذا من شبيبته وفي كهولته ما حاز قطُّ عُلا

لم يأخذِ العلمَ عن شيخ يعرّفه وجَه الصواب ولا أصغى ولا قَبِلا

يُفتي من الكتب إن أخطا فعادتُه وإن أصابَ فوجه الذم ما جهلا

والنحوُ لم يدر فيه قَطُّ مسألة مثلَ الحمار إذا ما فيه قد سُئلا

كذا الأصولُ إذا ما قلت مبحثه يُنشي الرياسة إذ كانت له شُغُلا

علمُ الفرائض لم يحسنْ لمسألةٍ ... منه ولا لحسابِ الأصلِ قد عملا

ومنها:

قد ضيعَ العمرَ حسداً للملا وله ... عُجب وكِبْرٌ وحِقدٌ بئسَ ما فعلا

أضحى بمكةَ يؤذي الخلقَ من حمقٍ ... وليس في الناس شخصٌ من أذاه خلا

له مثالبُ أخرى غير ما ذكرت ... إني عقلتُ لساني عنه فاعتقلا

جميعُ جيرانِ بيتِ الله يعقلُها ... إن اتهمت فسلْ عن ذاكَ من عقلا

فكيف يُنسب من هذا له صفة ... بأنه عالمٌ والحال ما نقلا

فكن رعاك الإلهُ اليومَ معتذرا ... عما جنيتَ وقلْ واللهِ قد جهلا

اللهُ يبقي لنا هذا المليكَ لقد ... أراحَ مكةَ من أحكام من عزلا

كانت ولايتُه للحكم نازلةً ... والحمدُ لله عنا زالَ ما نزلا

أستغفرُ الله في تقصيرِها فلقد ... جاءت بذبٍّ لنا بالناس قد حصلا

وصلِّ ربِّ على المختار من مضرٍ ... وآلهِ وأَجِبْ يا خيرَ من سُئلا

كذلك الصحب والأتباع ما طلعت ... شمسٌ ولاح ضياءُ الأفق أو أَفَلا

وقد أطلقنا عنان القلم في ميدان المداد، وإن كان ليس من شرطنا المراد، إذ الحديث شجون، والكلام يجر بعضه بعضاً.

هذا وقد قال شيخ الإسلام وحافظ الدنيا، الشهاب أحمد بن حجر العسقلاني، المتقدم ذكره، في بعض كتبه: إن قول الأقران بعضِهم في بعض غير مقبول، قال: وما علمتُ عصراً سلم أهلُه من ذلك، غير عصر الصحابة والتابعين ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ. انتهى كلامه.

قلت: وفي قوله: غير عصر الصحابة والتابعين تأمل؛ إذ لم يسلموا أيضاً من ذلك؛ كما يعرفه من طالعَ سيرهم، فالظاهرُ العموم، ولعل كلامه مبني على الأكثر، والغالب؛ لقلته بالنسبة لمن بعدهم، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم.

والطبري: منسوبٌ إلى طبرستان ـ بفتح الطاء والباء الموحدة والراء ـ: إقليمٌ متسعٌ مجاورٌ لخراسان، من بلاد العراق، ويشتمل على بلادٍ كثيرةٍ، أكبرها آمُل ـ بهمزةٍ ممدودةٍ، وميمٍ مضمومةٍ، بعدها لام ـ، وأربل، والنسبة إلى طبرية الشام: طبراني، وإليها ينسب الحافظ الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة الحديثية، وكان بعض الطبريين ينتسب تارةً إلى الإقليم المذكور، فيقول: الطبري، وتارة إلى كل من بلدتيه المذكورتين، فيقول: الآملي، والأربلي.

[٢٢٣] حاجي محمد باشا بن عبدالله الوزير[١].

تولى اليمن في مصر، بعد أن عزل عنها، في زمن السلطان أحمد بن محمد خان، فوصل إلى بندر البقعة، في شهر شعبان، سنة خمس وعشرين بعد الألف، وكان رجلاً حليماً في سفك الدماء، حازماً في جميع الأحوال، صبوراً على الشدائد.

ودخل صنعاء في شهر صفر، سنة ست وعشرين وألف، وكان يقول: إنه أدرى الناس بأحوال اليمن، وكان كاتب الديوان بمصر للوزير حسن باشا صاحب اليمن؛ لأنه كان يختبره، ويرقم في دفتره، فما كان في حكمه في اليمن، إلا من ذلك الدفتر المضبوط، ولسانه يقول:

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٩٦).

مـا أنـت أول سـاع غَـرَّهُ قمـرٌ ورائـدٌ أعجبتْـه خـضرةُ الـدِّمَنِ

وما أجدرَه بقول الشاعر:

مـن تحلـى بغيـر مـا هـو فيـه كذبتـه شـواهدُ الامتحـانِ

ففتح وجه الحرب، وناصحه عقلاء البلاد بأن هـذا الأمر لا يتم في اليمن، إلا بعد تملك رؤوس القبائل، وترغـب جنودك بعطائك، وتشحن الأنبار السلطاني بالحبوب، فما حصل منه القبول، بل تجلد وتنمر، وقال: إما المُلك، وإما الهُلك.

وجرى في السباق جريَ سكيبٍ خلفتـه الجيـادُ يـومَ الرهـان

فلم يحصل من ذلك على طائل، فأتعبه الجند بطلب الترقيات والإنعامات، مع عدم نهضتهم ونصحهم في الحرب، فاتخذ له عوناً الأميرَ محمد بن سنان باشا، وجعله كخياله، فكان عليه، وكان كما قال الشاعر:

فكـان كالـساعي إلـى متعـبٍ مـوائلاً عـن سُـبُل الراعـدِ

وفي «روض الأخبار»: من استبد بتدبيره، زلّ، ومن استخف بأسيره، ذل. وسمعته يقول في حال عزله: كنت أعتمد على دفاتري وحفظي، من أخبار اليمن، وأقول: كذب، ما قال هذا إلا خصماً لنفسه، ليس أحد أعرف مني بأحوال اليمن، وأعترف الآن أني دخلت اليمن، وخرجت منه، وما حققت ولا عرفت من أحواله قدر أنملة.

وكان قائماً على قدم الثبات، ذا عزيمةٍ ماضيةٍ، مع ظهور القحط وعمومه في جميع البلاد، وإفراط العساكر في طلب الإنعامات والترقيات، مرةً بعد

مرة، فعجز الفريقان، فانعقد الصلح بينه وبين الإمام القاسم؛ بأن لكل واحد ما كان تحت يده حال الحرب، وضبطت الحدود والأطراف، وكان انعقاد الصلح على يد الأمير بن المطهر بن الشويع محمد بن عبدالله، في شهر جمادى الأولى، سنة ثمان وعشرين وألف.

وبعد انعقاد الصلح، فك الوزير محمد باشا قيد الحديد من السيد الحسن ابن الإمام القاسم؛ لأن خروجه ما كان في شرائط الصلح، وبقي في دار الأدب، إلى أن وصل المتسلم من جانب الوزير فضل الله باشا إلى صنعاء، والسيد الحسن يعمل الحيل في خلوصه، حتى حصلت له الفرصة، فخرج متنكراً ـ على بعض القول ـ في غفلة الحارس، فلما وصل الوزير فضل الله باشا إلى صنعاء، في شهر رجب، سنة إحدى وثلاثين وألف، صلب الآغا الذي كان على دار الأدب؛ لتسهيله.

ولنرجع إلى المقصود، فنقول: كانت وفاة الإمام القاسم، عقب الصلح، نهار الاثنين، خامس عشر ربيع الأول، سنة تسع وعشرين وألف، وقام في مقامه ولده السيد محمد، وجدد الصلح بينه وبين الوزير الحاج محمد باشا على ما كان في زمن والده، من غير زيادة ولا نقصان.

واستمر القحط، وطال في زمان صاحب الترجمة، حتى ابتاع حملَ جمل من الحنطة بأربعين حرفاً، وعبرة حمل الجمل ثلاثون قدحاً صنعانياً، وبيضة الدجاجة ببقجة، وهي عبارةٌ عن كبيرٍ واحدٍ في مقابلة عثمانيين، وكان زمانه أوله حرب وفتن، وآخره نهب ومحن، وله آثارٌ عظيمةٌ في تعمير القلاع السلطانية، ما سبقه إلى مثله أحد، وبنى جامعاً في صنعاء، وله غير ذلك من الخيرات.

وكان خروجه من صنعاء في غرة شهر صفر، سنة إحدى وثلاثين وألف، ولما سمع الوزير محمد باشا بمجيء الوزير فضل الله باشا، أسرع بالنهوض، فخالف التقدير التدبير، وتقاربوا في المنازل بالقرب من زبيد، فأرسل فضل الله عليه عسكراً وسرداراً، فرموا عليه وعلى أولاده بالرصاص لأجل الجلب.

وكان فضل الله باشا معذوراً في ذلك؛ لأنه كأنه مريضاً مطروحاً في فراشه، وكانت أم البنين تعرض نفسها على ولدها؛ خوفاً عليه من الرصاص. انتهى كلام محمد بن كاني في «تاريخه».

وكان وصوله إلى مكة منفصلاً عن وزارة اليمن، في غرة شعبان، من العام المذكور، وصام بها رمضان، وتصدق، وفعل أفعالاً عديدةً من الخيرات، وكان وصل معه في مركبه بحراً فيلٌ صغيرٌ، أراد أن يهديه إلى الحضرة السلطانية العثمانية، ثم إن هذا الفيل استمر بجدة أياماً، فجاء الخبر بوفاة السلطان عثمان بن أحمد خان.

ثم انتقل حاجي محمد باشا المذكور، إلى رحمة الله تعالى ليلة سابع عشري شوال، من السنة المذكورة، ودفن ضحى صبيحة تلك الليلة بالمعلاة، وبني عليه قبةٌ باقيةٌ إلى الآن، ووقع بعد وصول الفيل غلاءٌ شديدٌ بمكة، قال فيه مؤرخاً، العلامة عبد القادر الطبري، وهو على غير وزن الأبحر المتداولة:

حَرَمُ الله حلَّ ساحتَه ... قدمُ الفيل ضلَّ عن رشده

كثر الهمُّ يا فتى أَرِّخْ ... (سنةُ الفيل همُّها يشده)

سنة إحدى وثلاثين وألف.

وفي هذا القرن يضرب المثل بالغلاء الواقع بمكة، في سنة تسع بعد الألف، ونهاية ما وصل فيه الأردب المصري ثمانية عشر ديناراً ـ على ما سمعت من الثقات المشاهدين لذلك ـ.

ولم يستمر هذا الغلاء إلا نحو ثلاثة أشهر، وفيه أكل الناس لحوم الكلاب والبسس، وسمعت من الوالد ـ رحمه الله ـ: أن الفقراء كان يأخذون دم الشاة، ويجعلونه في إناء على النار، ثم يستعملونه.

ثم وقع بعد عام تسعة غلاءٌ متعددٌ، منها: الغلاء الذي ذكرناه، ثم في عام سبعة وثلاثين بعد الألف وقع غلاءٌ عظيمٌ، واستمر متزايداً إلى عام ثمانية وثلاثين، فبيعت الكيلة الدخن في هذا العام بأحد عشر محلقاً، ثم وقع في عام تأليف هذا الكتاب غلاءٌ أضرم بالأفئدة نيران الاشتعال، وأعمى بصائر الناس من التفرغ للاشتغال، وسمع بسببه بكاء الحرم والأطفال، وكثرة الفقراء من النساء والرجال، أبيعت الكيلة المصرية بثمانية محلقة، وتسعة، وعشرة، فمن ظفر بهذا السعر، فكأنما نال من اللذات تطلبه، وقضى وطره.

واستمر أشهراً عديدةً، ومدةً مديدةً، ثم انحل بعض انحلال بوصول السفن التي فيها بعض حبوب فقراء الحرم، ثم عاد قريباً مما كان، وفي الغالب: أن الغلاء إنما يكون في أنواع الحبوب، وقد يقع في السمن وغيره، من أنواع المأكولات، ونرجو الله أن يكون تكفيراً للسيئات، وتكثيراً الحسنات، ولقد صدق من قال:

مساكينُ سكانُ أمِّ القرى ... فكلٌّ ينوح على نفسه

حيـــــاتُهم كلهــــــا ســـــلفت علـــى فَلَـــسٍ أو علـــى عكـــسِه

ذكره الإمام علي بن عبد القادر الطبري في «الأرج المسكي»، و«التاريخ المكي».

[٢٢٤] محمد كبريت بن عبدالله بن محمد بن شمس الدين بن أحمد ابن قاسم بن شرف الدين بن يحيى بن شرف الدين بن حسين بن فخر الدين ابن موسى بن كريم الدين بن محمد بن إبراهيم بن داود بن محمود بن حسن ابن عباس بن علي بن محمد بن حمزة بن أحمد بن جعفر بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالـب ـ كرم الله وجهه في الجنة ـ الحسيني المدني[1].

السيد الجليل، العلامة الجامع للمعارف الإلهية، والعلوم الدينية، إن عُدَّ فخاره، وحُـدِّت آثاره، فعد الحصى قبل نفـودها، وكيف لا، وإن ذكر الشرف، فهو ابنُ بَجْدَته، أو العلم، فهو عاقد بُردتـه، أو الدين، فهو ساكن بلدته، أو الجود، فهو لابـس جلدتـه، أو التواضع، فهو الصابر لشدته، أو الرأي، فهو الصائل بحدته.

ولد بالمدينة سنة إحدى عشرة بعد الألف، وبها نشأ، واشتغل بفنون العلوم، ثم توجـه إلى الروم سـنة تسع وثلاثين وألف، وألف رحلةً بديعةً،

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٨)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٣٥٥) (٣٢١)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٥٦)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٥٣٦)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٤٠).

سماها: «رحلة الشتاء والصيف»، ذكر فيها ما وقع لـه في سـفرته هـذه من الغرائب، وما رآه من العجائب، وجمع فيها فوائد جمةً، ودخل مصر والشام، وأخذ عمن بها من الأعلام.

ثم رجع إلى وطنه المدينة، وأقام بها، واختص بصحبة رئيسها في عصره القاضي محمد مكي المدني، فكان لا يفارقه في غالب أوقاته، مع الانهماك على بث العلوم ونشرها، ثم اشتغل بالذكر، وطريق القوم، وانهمك في آخر عمره على علوم الحقائق، وصارت له ملكةٌ عظيمةٌ في حل الدقائق.

وألف مؤلفاتٍ كثيرةً بديعةً، منها: كتابٌ سماه: «نصر من الله وفتح قريب» شرح فيه أبياتاً لبعض أفاضل عصره جمع فيه من كل غريبةٍ، ومنها: «بسط المقال في القيل والقال» في مجلدين، و«ركاز الركاز في المعمَّى والألغاز»، وكتاب «محك الدهر»، وكتاب «حل العارض في شرح ألغاز ابن الفارض»، وكلها مقبولةٌ متداولةٌ، وقد وقفت على غالبها وطالعته، فوجدته أحسن الجمعَ فيها جداً ـ رحمه الله ـ.

توفي بالمدينة ليلة الحادي والعشرين من رمضان، سنة سبعين بعد الألف، ودفن بالبقيع الغرقد، وله شعر حسن، منه قوله:

يا من تباد الهجرَ ما له سببٌ ... وصدَّ عمداً يرى في ذاك تبكيتي

كأنَّ وصلَك بعدَ الهجر يا أملي ... أوائلُ النار في أطرافِ كبريتِ

وهو تضمين في قول بعضهم:

ولازَوَرْدِيَّةٍ تزهو بِزُرْقتها ... بينَ الرياض على حُمْرِ اليواقيتِ

كأنها فوق باناتٍ ضَعُفْنَ بها ... أوائلُ النار في أطرافِ كبريتِ

وقوله:

الحمدُ لله على ما أرى ... من ضَيْعَتي بين هذا الورى
صيرني الدهرُ إلى حالة ... يرثي لها الشامتُ مما يرى
بُدِّلْتُ من بعد الرخا شدةً ... وبعدَ خبزِ البيت خبزَ الشرا
وبعد سكنى منزلٍ مبهِجٍ ... سكنت بيتاً من بيوت الكِرا
ولو تحققت الذي نالني ... لارتفعَ الشكُّ وزال المِرا

وقوله:

وما الشامُ في البلاد إلا كشامةٍ ... وأقمارُ واديهِ الشميمِ تمامُ
فحيَّا محيَّاها الإلهُ وزانَهُ ... ولا زال برقُ الحسنِ فيه يُشامُ

وقوله في الصالحية، حين زارها سيدي الأكبر الشيخ محيي الدين بن عربي ـ قدس سره ـ:

الصالحيةُ جنةٌ ... والصالحون بها أقاموا
فعلى الديار وأهلِها ... مني التحيةُ والسلامُ

ومن فوائده: قال ﷺ: «يحاسب الناس على قدر عقولهم،» وفي رواية أخرى: «يحاسب كل امرئ على قدر عقله»، وفي بعض الآثار: «ما جعل الله لرجل عقلاً وافراً، إلا احتسبه عليه من رزقه»، وقيل: «من زيد في عقله، نقص من نقصه»[1].

---

(١) هكذا جاءت في النص، وصوابه: «رزقه».

ومن فوائده: ما أنشده لأحمد بن محمد النصيري:

لا تــأمَنَنَّ الــدهرَ وهــو مــسالِمٌ سلسُ القيـاد فقـد يعـود محاربـا
واحــذرْ تقلُّبَــه ولا تعجــبْ لــه أن أركبَ الماشي وأمـشى الراكِبـا
واصبرْ علـى أحداثـه فلكَـمْ فتًى قـد كـان مـسلوباً فأصبـح سـالِبا
ولكَــمْ ذليــلٍ ســاعَدْتُه عنايــةٌ من ذي الجـلالِ فعـزَّ فيهـا جانبـا

وأنشد لأبي الفتح البستي:

إن كنت تطمعُ في العلياء تـسكُنها وتبتغـي منـزلَ التكـريم تـسكُنهُ
لا تُخْلِ نفسَكَ من علمٍ تـسودُ بـه فقدرُ كُلِّ امـرئٍ مـا كـان يحـسنهُ

[٢٢٥] محمد بن عبدالله العُتْمي.

الساكن بمدينة «ذمار»، أحد العلماء الأخيار، والفضلاء الكبار، والأدباء المشاهير، له شعر رائق نضير، ونثر يفوق الدر النثير.

فمما كتبه إلى شيخنا القاضي الحسين المهلاَّ قوله:

رياضُ علومٍ فارَ بالمسكِ نورُهـا وشمسُ فنونٍ يملأُ الكـون نورُهـا
لـسيدنا الحبـر الـذي أشـرقت بـه شموسُ المعالي واستنارت بنورها

منها:

به أوضحَ التحقيقُ عن حال أسـرةٍ لهم في دواوين المعالي صدورُها
فكم مشكل حلُّـوا وحلـوا ظلامـةً بذا انشرحت للمـؤمنين صـدورُها
لهم همـمٌ هـامُ الـسماكَيْنِ دونَهـا لهـم رتـبٌ فـوق المجـرة دورُهـا

ومنها:

لعبد الحفيظ الحبرِ والناصر ابنـهِ كذلك تُحمى بالحسين ثغورُها
فحاموا عليها بالبراهين تُحْمَدوا تنالوا جناناً قد تهيأنَ حورُها
بقيتم سماك[1] الملحدين فأنتم بكم يُتَّقى كيدُ العدا وشرورُها
إليكم نظاماً من محبٍّ مقصِّرٍ فباعي قصيرٌ والشهودُ قصورُها

ومنها:

وعذراً من التطويل فيها فإنني محبٌّ لكم لم يشفِ قلبي قصيرُها

وله من بدائع النظم ما يحلِّي بنضاره صفحاتِ البياض، ويروق للأبصار كما راقت الرياض.

[٢٢٦] محمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن إبراهيم، الخطيب التمرتاشي، نسبةً إلى الشيخ تمرتاش الوليِّ المشهور، المدفون خارج مصر، جهة باب النصر؛ لأنه من ذريته، أو جماعته، الغزي، الحنفي[2].

علامةُ غَزَّةِ هاشمٍ، وخاتمة من بها من العلماء الأعاظِم، وفقيهُ زمانه، وفهامة عصره وأوانه، ورئيس علماء ذلك الإقليم، وخاتمة كبرائه، والمعول عليه في تمييز الحلال من الحرام، وإمام المعقول والمنقول، والمرجع في الفروع والأصول، وشيخ مذهب النعمان، والمشارُ إليه في ذلك بالبنان، وقطبُ دائرة تلك الديار، ومركز محيط ذلك الدوار، والمتخلق بالأخلاق

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: سمام.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٨) «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٣٩).

الإلهية، والمتصف بالصفات الربانية.

وصاحب التآليف العديدة المفيدة، التي منها: «متن تنوير الأبصار وجامع البحار بين مسائل الهداية والمنار»، و«شرح منح الغفار» الذي اشتهر في سائر الأقطار، وصار عليه العمل في الفتوى في غالب الأمصار، في ثلاث مجلدات، بالقطع الكامل كبار، وكتاب «تحفة الأقران».

و«منظومة في الفقه وشرحها»، و«شرح يقول العبد»، و«منظومة في التوحيد وشرحها»، و«شرح مختصر المنار»، و«شرح العوامل الجرجانية»، و«قطعة من شرح الوقاية»، وجمع مجلدين من فتاواه، ورتب «فتاوى قاري الهداية»، و«فتاوى شيخه الشيخ زين الدين بن نجم الدين».

وله «رسالة في العشرة المبشرة بالجنة»، و«رسالة في عصمة الأنبياء»، وأخرى في «دخول الحمام»، و«رسالة في التجويد»، و«أخرى في القضاء»، و«أخرى في الكنائس»، و«أخرى في مسح الخفين»، و«أخرى في النقود»، وفي «منع القراءة للمؤتم خلف الإمام»، وفي «الكراهة إذا أطلقت».

ومن شيوخه: أمين الدين بن عبد العال، وعلي أفندي قنالي زاده، وأخذ عنه كثير، منهم: ولده صالح، والعلامة درويش محمد طالو، وكانت وفاته سنة خمس بعد الألف بغزة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٢٧] محمد بن عبدالله الطبلاوي.

السيد الشريف، الفاضل المفنن، أخذ عن العلامة حسين بن رستم الشهير بباشا زاده، وعن أبي النصر الطبلاوي، وعن الشهاب أحمد بن قاسم العبادي، وعن الشمس محمد الرملي، والنور العسيلي، وكريم الدين البرموني.

[٢٢٨] محمد بن عبد الرحمن ابن الفقيه محمد بلفقيه، اشتهر بالأعسم[1].

السيد الأعظم، والإمام المعظم، أحد العلماء العاملين، والفقهاء الكاملين، **ولد** بمدينة «تريم»، وحفظ القرآن العظيم، وصحب جماعة من أكابر العارفين، والأئمة الوارثين، منهم: عمه السيد الجليل عبدالله بن محمد بلفقيه، صاحب الشبيكة، ومن في زمانه من أكابر العلماء؛ كالشيخ الأكبر السيد أحمد بن علوي باجحدب، والسيد محمد بن حسن، والشيخ حسين بن عبدالله بافضل.

وكان كثير العبادة، محباً للصوفية، وله الشأن العظيم، والشأو الذي يجل عن التعظيم، كثير المسامحة والسماح، ظاهر الولاية والصلاح، واسع الصدر، رفيع القدر، لم يزل ملازماً للتقوى، متمسكاً بالسبب الأقوى، **إلى أن انتقل إلى رحمة الله** سنة سبع بعد الألف، ودفن بمقبرة زنبل.

[٢٢٩] محمد بن عبد الرحمن بن محمد الحموي الحنفي[2].

كان إماماً عالماً بالفقه والقراءات، والتفسير والأصول، وعلوم العربية، مستحضراً للأحاديث النبوية، خصوصاً المتعلقة بالأوراد والفضائل، خصوصاً لأقاربه، كثير الزيارة والموافاة لأصحابه، حسن الصوت بالقراءة، كثير النصح والمحبة لأحبابه، ملازماً للاشتغال بالعلم والتصنيف، من أكمل الرجال علماً وعملاً.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٨٨)، «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٤٤)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٥٠).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٨٨)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٥٦٥) (٣٤١)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (٢/ ٤٧) (٨٨)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٩٦).

قرأ بالروايات على الشيخ أحمد بن عبد الحق السنباطي، واشتغل بالفقه، وعلوم العربية على علي بن غانم المقدسي، وبه تخرج، وبعلومه انتفع، وعلى فضله عرَّج، وأخذ عن السراج عمر بن الجامي، وعن محدث مصر سالم السنهوري، والعلامة محمد حجازي الواعظ.

وله مؤلفاتٌ، منها: «حاشية لطيفة على شرح قواعد ابن هشام» للشيخ خالد، و«رسائل في العربية والبيان»، و«حاشية على مغني اللبيب»، وكانت **وفاته** بمصر يوم الأحد تاسع عشر شوال، سنة سبع عشرة بعد الألف - رحمه الله -.

والحموي: نسبة إلى حماة، وهي بلدةٌ لطيفةٌ بالشام، بها عدة مدارس ومساجد، ويسقيها النهر العاصي، وإنما قيل له: العاصي؛ لمخالفته في جريه لسائر الأنهار، ويسميه الأقدمون: النهر المقلوب، وهو طيب الماء، لطيف الهواء، فيه يقول الشيخ تقي الدين بن حجة من قصيدة:

خَلِّ التعللَ في حِمى بيرين ... فهوى حماةَ هو الذي يَبْريني
وأطعْ ولا تذكر مع العاصي حِمًى ... ما في وراء النهر ما يُرضيني
قالوا تسلَّى عن ثمار شطوطها ... فأجبتُ لا والتينِ والزيتونِ
يا عاذلينَ على محبتها لكمْ ... في ذاك دينُكم ولي أنا ديني

[٢٣٠] محمد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن عمر، أحمر العيون، اشتهر والده بالحَيقَن باعلوي[١].

السيد السند الأمجد، المعروف بالكرم، فلا يقاس إلا بحاتم، وتأتي

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٤٥)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٦٢).

على قدر الكرام المكارم، **ولد** بتريم، ونشأ بها، ثم طلب الارتحال، فطاف وجال، ولقي الرجال، وأخذ عن أهل الكمال، وجد في صالح الأعمال.

ولازم طريقة آبائه وأجداده الأخيار، ولازم سيرة جده المختار، وكان حسن الأخلاق، حليماً على المسيئين وأهل الشقاق، ذا رأي مصيب، وتدبير عجيب، ولم يزل محبوساً للنوس، إلى أن **انتقل إلى رحمة الله تعالى** ببندر مخا المحروس، سنة ثمان بعد الألف، وخلف: أحمد، وعلوياً، وعبد الرحمن ـ رحمهم الله تعالى ـ.

[٢٣١] محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن الجمال محمد ابن الشهاب أحمد بن أحمد(١).

قدم جدُّه من المغرب، وهو فقيرٌ جداً، فقطن الحجاز، وترقى ابنه بخدمة الشريف بركات بن أبي نمي، صاحب مكة، وكان فيه خير؛ بحيث وقف في مرض موته على البيمارستان المكي بعضَ الأماكن، وخلفه ابنه في الترقي، وله إخوة.

البنوني: نسبة إلى «لبنونة» بالمغرب، من أعمال تونس، المالكي المكي، مولداً ومنشأً، كان ذكياً ماهراً كاتباً شاعراً.

ولد بمكة، ونشأ بها، وتأدب وحفظ أشعار العرب، ونافس أقرانه في علوم الأدب، حتى توفي بمكة عام سبعة عشر ـ بتقديم السين ـ بعد الألف، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله ـ.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٩٠)، وذكر وفاته فقال: «وكانت وفاته في سنة ثمان عشرة وألف، ودفن بالمعلاة».

وله أشعار حسان، منها: قوله مجيباً للبرهان إبراهيم المهتار، عن قصيدة نظمها في الراح، وأرسلها إليه ليعارضها، ومطلعها:

دعِ الوقوفَ على الأطلالِ بالنُّجُب ... ولا تعرِّجْ على مجهولها الخَرِب

وهي هذه:

ما دام كأس المحيّا باسمَ الشَّنَبِ ... فتركُ لثمي له من قلةِ الأدبِ

لا سيما إن كان ممزوجاً بريقَةِ مَنْ ... أهوى ومَنْ لي بطعم المسك والضَّرَبِ

فاستجْلِها بنتَ كرمٍ مَعْ ذوي كَرَمٍ ... من كفِّ ساقٍ بِبُرْدِ الحسن محتجِبِ

كالبدرِ يسعى بشمسِ الراح في يدِه ... فاعجبْ لبدرٍ سعى بالشمس للشُّهُبِ

إذا رنا قلت خِشْفٌ في تَلَفُّتِهِ ... وإن تَثَنَّى فغصنٌ ماسَ بالكُثُبِ

من لي بها وهي تملي في زجابتها[1] ... ومونسي مونسي باللهو والطرب

شَمول مسطار شعشاع معتقة ... تُنشي السرورَ وتَنْفي همَّ ذي التعبِ

مع رفقةٍ كالنجوم الزهرِ ساطعةٍ ... حازوا جميعَ النهى والذوقِ في العرب

قمْ هاتِها يا نديمي فالصباحُ بدا ... وكوكبُ الصبح ولَّى وهو لَمْ يغبِ

والوُرْقُ تشدو على الأغصان قائلةً ... باكرْ صبوحَك بالطاساتِ والنُّخَبِ

وهي طويلةٌ، أجاد فيها كل الإجادة.

وقوله:

أنحلَ اللهُ خصرَ ذاتِ المشالي ... فهي واللهِ لا ترقَّ لحالي

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: زجاجتها.

وأرانـــي لحاظَهـــا فـــي انكـــسارٍ ولظـى جمـرِ خـدِّها في اشـتعال

وأصلُه قول ابن الوردي:

أنحلتنـــــــــي حبيبتـــــــــي أنحـــــــلَ اللهُ خـــــــصرَها
كـــــــسرتني جفونُهـــــــا ضـــــاعفَ اللهُ كـــــسرَها

ومثله قول إبراهيم بن مشعل المكي ـ رحمه الله تعالى ـ:

أضـــــــعفَ اللهُ فـــــــاتِني ضـــــاعفَ اللهُ حُـــــسْنَهْ

أيضاً:

ســـــقمي مـــــن جفونـــــه لا عـــــدل الـــسقمُ جفنَـــهْ

وقوله:

لا طفـى اللهُ جمـرَ خـدِّ حبيـبٍ قـد كـواني بهجـره والـصُّدودِ
وحمـاه مـن عـارض وأرانـي سـقمَ عينيـه دائمـاً فـي مزيـدِ

وكتب إليه الأديب إبراهيم المهتار قصيدة مطلعها:

بقلبـي سـيف اللـواحظ سـنَّهْ وافـرض وجـدي وهجـري سُـنَّهْ
غـزالٌ مـن العـربِ النـازلينَ برامـةٍ جـادَ الحَيَـا حَيَّهُنَّـهْ

وقد ذكرت جميعها في ترجمته.

فأجابه بقوله:

أجيبـكُ مـولايَ مـن غيـرِ مِنَّـهْ فذوقُك قـد خـصني الفـضل منَّـهْ
وإنـي مطيعُـك فيمـا أمـرتَ وودي القـديمُ كمـا تعهَدَّنـهْ

عجبـتُ لـسحرِ عيـونِ الظِّبـا تـصيدُ القـساورَ مـن غابِهِنَّـهْ

وهُـنَّ الـدُّمى الخُـرَّدُ الآنـساتُ ومن لهـم الـشعب أضـحى مَظِنَّـهْ

كفـى مـا بقلبـي مـن لوعـةٍ ووجـدٍ إلـى بـردِ أنبائهنَّـهْ

فكـمْ دونَ أخـدارِهِنَّ مهلـك وكـم حولـه مـن جيـادٍ معنَّـهْ

ببـيضِ الـصِّفاح وسُـمْر الرمـاح وصُـفْرِ القِـسيِّ وزُرْقِ الأسـنَّهْ

فحيَّـا حمـى الـشعب مـن عـامر حَيًا لم يـزلْ يسقِ أطلالَهُنَّـ[ـهْ]

فَـثَمَّ الغـواني المِـلاحُ الـصِّباحُ يـرنُّ الوشـاحُ بأعطافهنَّـهْ

فطيـرُ الحَـشا لـم يـزلْ واجِبـاً علـيهِنَّ إن لُحْـنَ فـي جبهنَّـهْ[1]

ومنها:

وبـي ثـم أَحْـوى بـديعُ الجمـال حوى اللطفَ والـزينَ مـن بينهنَّـهْ

إذا مـا بـدا بـينَ أترابـه تغـارُ الغزالـةُ ممـن حُـسنهنَّهْ

ظريـفُ الـشمائل زيـنُ الخـصائل ظبـيُ الخمائـل بـدرُ الأَكِنَّـهْ

رَشَـأٌ خَـصرُهُ مُـضْمَرٌ ناحِـلٌ إذا قـامَ والـردفُ مـا أَرْجَحَنَّـهْ

مليحُ السوالفِ عـذبُ المراشـفِ لَـدْنُ المعـاطِف لـم أَعْـدُ عَنَّـهْ

فوجنتُـه مـذْ دَبَّ العـذار حكَـتْ يـا ذوي العـشقِ نـاراً وجَنَّـهْ

غـزالٌ جهـولٌ غـدا لاعبـاً بأهـلِ العقـولِ علـى صغر سنِهْ

فكالغُـصْنِ قَـدّاً وكـالوردِ خَـدّاً وكـالنَّجم بُعْـداً وكالمـسكِ ثُنَّـهْ

---

(١) كذا في الأصل.

لقـــد حيرتْنـــا ملاحاتُـــه وقد فاق في الحسن بـدرَ الدُّجُنَّـهْ

ومنها:

إذا مـا بـدا مُقـبلاً فـي الحِمـى فمـــن ذا رآه ولـــم يفتنَـــنَّهْ
رَشَـأٌ لـم يـزلْ دهـره ثـاملاً بخمـرِ الـشبيبة لـم يـصحُ مِنَّـهْ
يُحـاكي نـسيمَ الـصَّبا رقـةً ولطفـاً فللـه مـا أحـسنَنَّهْ
لـه شَـنَبٌ فـاقَ زهـرَ الأقـاحِ تـراءى تـرى الفـرقَ مـا بينهُنَّـهْ
تحكَّـمَ فـي مهجتي كيـف شـاءَ وعــذَّبَ قلبــي فمــا أظلمَنَّــهْ

ومنها:

فكـم مـن أسـير بـه فـي الهـوى طليــقِ المــدامعِ يبكــي بإنَّــهْ
فمــذْ شــفَّني هــذا الغــزالُ بقلبــي ســيفُ اللــواحظِ سَــنَّهْ
وسلـسلَ دمعـي وأجـرى دمـي وأفـرضَ وجـدي وهجـري سُـنَّهْ
ومـذ عـزَّ لـم ألـقَ لـي مخلـصاً مـن الحـبِّ حتـى ثنيـتُ الأعِنَّـهْ
ووجَّهْتُ قصدي لمدح الرسولِ شــفيعِ الأنــامِ إلــى ربِّهِنَّــهْ
محمــد المــصطفى مــن رقــى طبــاقَ العُــلا واعتلاهــا مَهنَّــهْ
فــذاكَ مــلاذيَ يــومَ المعــادِ إذا أحـضرَتْ ثـم إنـساً وجِنَّـهْ
فــإني أُرَجِّــي بــه إن أفــز مــع الفــائزين بطاعاتِهِنَّـــهْ
وحاشـا يخيِّــبُ راجيـاً فـضلَه إذا أحـسنَ الـشخصُ بـاللهَ ظَنَّـهْ
عليــه صــلاةٌ مــن الله مــا تراءتْ بروقُ الحمـى فـي الدُّجُنَّـهْ
كـذا الآل والـصحبُ مـا غـردتْ قُمـــاري الأراك بأوكارِهِنَّـــهْ

وله أيضا مضمناً:

عـــذيبُ الثنايـــا أمـــاطَ اللثـــامَ ... وأبـــدى لنـــا دُرَّ ذاك الوشـــامْ

فقلنـــا أبـــدرُ الـــدجى قـــد بـــدا ... أم البـــرقُ قـــد لاح بـــينَ الغمـــامْ

ســـويجي الرنـــا أهيـــفٌ أغيـــدٌ ... جميـــلُ المحيَّـــا رشـــيقُ القَـــوامْ

نعمْنـــا بـــه ليلـــةً وانتهـــى ... بنـــا البســطُ حتـــى بلغنـــا المـــرامْ

وحيَّـــا علينـــا بكـــأسِ الطِّـــلا ... وأبـــدى لنـــا مـــن رقيـــقِ الكـــلامْ

حـــديثاً هـــو الـــدرُّ لكنَّـــه ... من الشهدِ أحلـى وكـأسِ المُـدامْ

فقلنـــا كمـــا قـــال أهـــلُ النُّهَـــى ... كـــلامَ الملـــوكِ ملـــوكُ الكـــلامْ

[٢٣٢] محمد ابن الفقيه عبد الرحمن بن سراج باجمّال الحضرمي.

كان من العلماء المحققين، له الباع الطويل، وانتهت إليه رياسة الفقه في وقته، وكان من الأسخياء المشهورين، ولم يكن للدنيا عنده مقدار، وله الهمة العلية، والفتوة الصوفية، وكان على قدم عظيمة من الزهد في الدنيا، وله في طريق القوم المشرب الهنيّ.

قرأ العلم على والده، ثم ارتحل إلى الشحر، فقرأ على المحقق علي ابن علي بن يزيد، وفتح الله عليه، وتصدر للفتوى والتدريس، وتولى القضاء في عدة أماكن: الغرفة، وشبام، وتريم، والشحر، ودرس في عدة أماكن؛ كسيؤون، وأقام في عدة أماكن، كدوعن، والمستفاض.

وله رحلة طويلة، ودخل الهند في أيام شبابه، وله النظم البديع الرائق، وكانت له الحظوة التامة، والقبول عند الخاص والعام، محبوباً عند الأنام، كثير البكاء والخشوع عند المواعظ، وكان إذا خطب من آيات الله الباهرة؛

من الفصاحة والجهر، وعذوبة المنطق، وحسن الصوت.

وله البسطة التامة في العلم والجسم، جمالياً في شعائر العلم، وقد لحظه العارف بالله الشيخ معروف بلحظاتٍ مباركةٍ؛ لأنه اجتمع به في حياته، وصحب الشيخ أبا بكر بن سالم باعلوي، وكان يحبه ويثني عليه بالنور من قرنه إلى قدمه، وتخرج عليه جماعة من الفقهاء.

وله تآليف كثيرةٌ مفيدةٌ نافعةٌ، منها: «نظم الإرشاد وشرحه»، و«منظومة كبرى وصغرى في النكاح»، وكتاب «مواهب الرب الرؤوف في مناقب الشيخ معروف» باجمّال، و«الدر الفاخر»، وله فتاوى كثيرة، لكنها لم تجمع، وإنما يوجد بأيدي الناس شيءٌ كثيرٌ منها، وتفصيل ما كان في أيامه، وما له من الفضائل، يطول شرحه.

وحصل له قبل موته بسنة إعراضٌ عما سوى الله تعالى، **وتوفي** ببلده «الغرفة»، من وادي حضرموت، في شعبان، سنة تسع ـ بالمثناة فوق ـ وعشرة بعد الألف، ودفن في مقبرة آل أبي جمّال النجدية ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٣٣] محمد بن عبد الرحمن بن عبد الوارث البكري، الأشعري، المالكي المصري.

كان من أعيان علماء عصره وأجلائهم، **توفي** يوم السبت، ثالث عشري صفر، سنة عشرين بعد الألف.

[٢٣٤] محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الرجبي الأصل، الخاتوني المنشأ والمولد.

الشيخ الفاضل، الحجة الصالح، أحد فضلاء العراق، وأجلاء علمائه،

قدم حاجاً عام سبع وتسعين وألف، واجتمعت به بمكة، وتأكدت بيني وبينه الصحبة، وذاكرته وذاكرني بفنون العلوم، وأوقفني له على أبحاثٍ لطيفةٍ، وأخبرني أن **مولده** سنة أربع وخمسين وألف، بالخاتونية من قرى سنجار.

وقرأ بـ «ماردين» على الملا قاسم بن جمعة المحكمي، وعلى الملا أحمد المارديني، الشهير بأخي، وعلى مخزوم الديري، وقدم دمشق، وقرأ بها على محمد الخباز، وعثمان القطان، الشهير بابن كريم اللحية، وعلي الكاملي، وولده محمد، وعلى السيد عبد الرحمن بن المنير، وعبد الباقي الحنبلي، وإسماعيل بن الحائك، وأخذ ببغداد عن محمد الأحسائي، وعن مدلج، وولده طاهر، وأجازه جمع من شيوخه، ورحل إلى الموصل وتديرها، وقرأ بها في المعقولات على الملا صالح بن زين العابدين، وأقام بالموصل بعد رجوعه من الحج، يدرس بها، وينفع الطلبة ـ سلمه الله تعالى ـ[1].

[٢٣٥] محمد بن عبد الرحيم جعمان.

كان إماماً عالماً فاضلاً، على جانبٍ كبيرٍ من الخير والزهد، وكان إذا طلب منه أحدٌ كسوةً، أعطاه لباسه الذي عليه، وكان بينه وبين السيد الحسين بن الأهدل أخوة في الله تعالى، **توفي** سنة عشر بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٣٦] محمد بن عبد الرحيم بن عبد الباقي بن حسين النزيلي.

كان من أكابر أهل العلم والفضل، تولى التدريس في حياة أبيه، وأقر عينه، ثم جرت بينهما منابذة، ومات أبوه وهو راض عنه، ثم رزقه الله كثرة

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا بياض أربعة أسطر بالأصل».

الأوراد، وسهر الليل، سيما في آخره، واتفق أن بعض جماعة بات ليلة عنده، فقرأ القرآن من أوله إلى آخره، ثم بدأ مرة أخرى إلى سورة الأحزاب.

ورزق الجاه الواسع، وكان مِطعاماً، حسن الأخلاق، جرت بينه وبين الأمير الناصر بن عبد الرب منافسة، فذهب إلى الإمام المؤيد محمد بن القاسم، **ومات** عنده في بلاد الأهنوم، ببيت القابعي، سابع عشر جمادى الثاني، سنة ثلاث وأربعين وألف.

[٢٣٧] محمد بن عبد الرحمن الخياري المدني[(١)].

الأديب الأريب، واللوذعي اللبيب، كان فاضلاً محصِّلاً، عظيم الهمة، قوي الجأش، **مولده** بالمدينة في شعبان، سنة أربعين بعد الألف، وبها نشأ، وحفظ القرآن، وأخذ عمن بها من العلماء، وتخرج بأخيه إبراهيم حتى برع، وفاق أقرانه.

ثم رحل إلى مصر، والشام، والروم، وأقام في الغربة مدةً، وهو مقيمٌ سوق النزاهة والأدب، ملازمٌ للعلم والطلب، واجتمعت به بمصر كثيراً، وحصل بيني وبينه الود التام، وكان لا يفارقني في غالب الأيام.

ثم رجع إلى المدينة الشريفة، **فتوفي** بها في شهر رمضان، سنة ثلاث وثمانين وألف، واتفق أني كنت مجاوراً تلك السنة بها، فحضرت مشهده ومدفنه بالبقيع.

وله شعر وسط، منه: قوله يمدح شيخ الإسلام يحيى المنقاري مفتي القسطنطينية:

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٩٣).

في كـل قطـر حـين ذكـرُك يُـنشر ... يبـدي الثنـاء عليـك مـسكٌ أذفـرُ

وتَــوَدُّ أربــابُ المقــام بأنهــا ... مــن تــربِ نعلِـك دائمـاً تتعطـرُ

شــرفَتْ بــك الأيــامُ حتــى إنهــا ... ودَّتْ تــراكَ الماضــياتُ الأَعــصُرُ

وأتــى الزمــانُ إليـك عبـداً طائعـاً ... يــصغي لمــا تنهــاه عنــه وتــأمرُ

وقد اقتصرتُ على امتداحِ جنابِكم ... إذ مـدحُ خيـرِ الخلـق فـيكم أكبـرُ

في قولـه العلمـاءُ ورثـة قـد كفـى ... الـصادق المـصدوق فيمـا يخبـرُ

وإذا أردتُ بــأن أصــوغ مــدائحاً ... فــيكم فــإني مــا حييــتُ مقــصِّرُ

ومنها:

من أجل هذا قال قبلي من مـضى ... بيتــاً وذاك البيــتُ فــيكم أشــهرُ

وعلــى تفــنن واصــفيه بحــسنه ... يفنـى الزمـان وفيـه مـا لا يُحـصرُ

فإليك يـا مـولايَ صـغتُ دراريـاً ... تُهدَى إليـك وأيـن منهـا الجـوهرُ

ضَــمَّنتها أوصــافَك الغُــرَّ التــي ... مــا شــامَها الــثقلانِ إلا كَبَّــروا

لا ترتجــي إلا القبــولَ إجــازةً ... وإجــازةُ الــشعراءِ أبـيضُ أصـفرُ

وأنــا محمــدُ عبــدُكم ومحــبُّكم ... العبـدُ الاصـغرُ والمحـبُّ الأكبـرُ

[٢٣٨] محمد شمس الدين أبو عبدالله بن عبد الفتاح الطهطائي، نسبة إلى طهطا: قرية بصعيد مصر، ثم القاهري الأزهري، نسبةً إلى الجامع الأزهر من القاهرة، المالكي.

الشيخ الإمام، العالم الصالح، المخلص الزاهد، الورع الكامل، الضافي

أثواب الصيانة، البين أسباب الديانة، الناهل من سلسال العرفان مورداً عذباً، والجاني من رياض المواهب اللدنية ثمراً رطباً.

نشأ على الاشتغال بالعلم بالجامع الأزهر، بجد صادق، وعزم نافذ، فشارك في فنون كثيرةٍ، فقهاً وحديثاً، وعربيةً وأصلين، وغير ذلك، وأدرك جلة العلماء، وأعيان الفضلاء.

فسمع على حافظ مذهبه، وشيخ الحديث أبي النجا سالم بن محمد السنهوري أطرافاً من الكتب الستة، وغيرها، وأخذ عن العلامة المحقق أحمد السنهوري المالكي الفقه وغيره، وعن الشهاب أحمد بن عيسى الكلبي المالكي، ولازمه كثيراً، وانتفع به في طريق القوم خصوصاً، وأخذ عنه عدة كتب في التصوف، وعادت عليه بركته، وكان وارث مقامه.

وعن خاتمة المحققين والفقهاء والمحدثين إبراهيم بن حسن اللقاني المالكي، وعن المسند شمس الدين الشبراوي المالكي، وعن شيخنا نور الدين أبي الإرشـاد علي بن محمد الأجهوري، وعن خاتمة الحفاظ عبد الرؤوف المناوي الشافعي، في آخرين.

وتصدر بالجامع الأزهر للإقراء، ثم انجمع عن ذلك، ولزم العزلة، وأنس بالخلوة في المدرسة العينية، غاضَّ البصر عن زهرة الدنيا، نافراً من الاجتماع بما عدا الفقراء، مقبلاً على مولاه، متودداً لقاصده وزائره في الله، مظهراً له مزيدَ الحنان والشفقة، لينَ الجانب متواضعاً، حسن الظن بالناس، سـريعَ الدمعة، عديمَ النظير في سَمته وهديه، **توفي** في نيف وسبعين وألف بالقاهرة، وصُلي عليه بالجامع الأزهر، ودفن بتربة المجاورين.

[٢٣٩] محمد بن عبد العظيم، الشهير بابن عتيق، الحمصي، الشافعي[1].

نزيل مصر، شيخنا العلامة، كان إماماً فاضلاً، قوي الذكاء، شديد الفطنة، حسن الإشارة، فصيح العبارة، ذا دعابةٍ لطيفةٍ، وطباعٍ مستقيمةٍ شريفةٍ، **ولد** بحمص سنة عشرين وألف.

وحفظ القرآن وجوده، وقدم مصر في شبابه، واشتغل بفنون العلوم، وأخذ عن البرهان اللقاني، وعلي الحلبي، وعلي الأجهوري، وعبد الجواد الجنبلاطي، وحسين النماوي، ومحمد النحوي الشهير بسيبويه، وياسين بن زين الحمصي، وشيخنا محمد البابلي، وعلي الشبراملسي، وسلطان المزاحي، وغيرهم.

وجد واجتهد، حتى فرغ من فنونٍ عديدةٍ، وفاق أقرانه، خصوصاً في المعقولات، وتقوى على حل المشكلات العلمية؛ بحيث صار يشار إليه بذلك، وألف «حاشية على المختصر» للسعد، ورسائل في فنون.

وأقام بمصر فقير الحال جداً، وضاقت عليه المعيشة، فاستشار بعض أهل بلاده في حاله، فأجابه: بأنك قد حصلت من العلم ما يكفي، والآن ينبغي لك أن تأخذ حانوتاً للبيع والشراء، واجمع بين العلم والدنيا، بقدر ما يمكنك.

وكان المترجَم من بيت تجارةٍ، وله معرفة، خصوصاً بصنعة الحرير وشغله، فامتثل أمر صاحبه، وفعل وجد واجتهد في البيع والشراء؛ بحيث إنه أعرض عن المطالعة والمراجعة نحو عشرين سنة، فأثرى وكثر ماله جداً.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣٤)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢١٠).

ثم طرقه طارق الخير، فانسلخ عن البيع والشراء، ورجع إلى ما كان عليه من الجد والاشتغال بالعلم، وصحح جميع ما عنده من الكتب بالمقابلة، وجد في تحصيل كتب الحديث، وكتب شيئاً منه بخطه، وكان حسن الخط، ولم يزل كذلك حتى توفي في شهر جمادى الأول، سنة ثمان وثمانين وألف بمصر، ودفن بتربة المجاورين.

ورآه بعض أصحابه بعد موته في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، وكتبني عنده من العلماء، فقال له: وكيف وقد كنت تركت الاشتغال بالعلم مدةً؟! فقال: الفضل أوسع، وما رأيت إلا كلَّ خير، وإن أردت النجاة في الآخرة، فعليك بالاشتغال بالعلم؛ فإنه من أعظم أسباب المغفرة عند الله تعالى، وإياك والتكلم في أحد بسوء؛ فإن عليك رقيباً أيَّ رقيب.

فانظر يا أخي بركة الاشتغال بالعلم، وما يؤدي بصاحبه إلى الخير، جعلنا الله وإياك من المشتغلين بطاعته، في كل آنٍ بمنّه وكرمه. آمين.

والحمصي نسبة إلى حمص، وهي بلدةٌ كبيرةٌ جداً، إلا أن غالبها خراب، ويجري بها النهر العاصي، وكانت من محاسن بلاد الشام، إلا أنها دثرت الآن، قال القطب المكي في «رحلته»: والموجود الآن في دفتر العوارض أربعة آلاف وأربعمائة بيت، وذلك خارجٌ عن ألف بيتٍ تقريباً ليسوا في الدفتر؛ لأنهم لا يعطون شيئاً من العوارض، وفي نسائهم جمالٌ وحسنٌ ليس في غيرهن من أهل ذلك القطر، وحمص اسم رجلٍ من العماليق، سميت به؛ لأنه أول من نزلها، وهواؤها أعدل هواء مدن الشام.

قال صاحب الروض المعطار: إنها مطلسَمَةٌ، لا تدخلها حيةٌ وعقرب،

ومتى دخلت، هلكت، وافتتحها أبو عبيدة بن الجراح ﷺ سنة أربع عشرة، في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ.

قال القطب: وقد شاهدت فيها طلسم العقرب المذكور، وهو بيتٌ مربعٌ، مسدس الجوانب، لا يدرى ما باطنه، وهو في سوق الحدادين، بقرب تربة عمرو بن عنبسة ﷺ، أسلم أول ما بُعث رسول الله ﷺ، وسأل عن النبي ﷺ وعَمَّن معه، فقال: «حر وعبد»؛ يعني: أبا بكر، وبلالاً ﷺ، قال: فلقد رأيتني وأنا رابع الإسلام، في حديث طويل، ذكر بعضه صاحب «الاستيعاب» في أسماء من صحب النبي ﷺ.

ووقفت في الجانب القبلي من هذا الطلسم، فرأيت الناس يأخذون الطين ويكسونه، ويضربون به حجراً في الجدار القبلي من هذا البناء، فما سقط منه تركوه، وما ألصق به الحجر أخذوه في البلدان برسم الهدية، هو دواء مجرب للعقرب، يطعمون الملسوع منه، ويضعونه على اللسعة فتبرأ، ويحلونه في الماء، ويرشون جوانب الدار التي فيها العقرب، فتموت عقاربها.

قال: وقد حملت معي جانباً، ورأيت في حمص أيضاً طلسم الزنبور، في موضع متهدم، وفيها أيضاً: موضعٌ خراب، كان طلسم النمل، هدمه بعض أمراء الجراكسة، يظن أن تحته كنزاً، فوجد فيه طبقاً من السبع معادن، في وسطه نملة من ذهب، فظهر به النمل من ذلك اليوم في حمص.

ورأيت في حمص من المزارات: تربة خالد بن الوليد ﷺ، وتربة ولده عبد الرحمن، جددها أحمد باشا بن سعيد باشا بن اسفنديار نائب الشام الآن؛ لزعمه أنه من ذريته.

وذهبت طائفةٌ من المؤرخين، إلى أن خالداً لم يعقِّب، وبني اسفنديار يقال لهم: قزل أحمد أوغَلَّري، وهم طائفةٌ من ملوك الطوائف في بلاد الروم، صاروا تبعاً لبني عثمان، وفي الهند طائفةٌ كبيرةٌ يقال لهم: الأوغان، يزعمون أنهم من ذرية خالد بن الوليد ﵁، والله أعلم بذلك.

ورأيت من المزارات في حمص: تربة فضة، مولاة النبي ﷺ، ذكرها الذهبي في «تجريده»، وقال: إنها نوبيةٌ، جاريةٌ لفاطمة ﵂.

ورأيت تربة سعد بن أبي وقاص، وجعفر الطيار، وكعب الأحبار، وثوبان مولى رسول الله ﷺ، ووحشي، وعبيدالله بن عمر بن الخطاب، وعبدالله بن مسعود ـ على خلاف فيه ـ، ودحية الكلبي.

وفيها مسجدٌ عظيمٌ، واسع الفناء، محكم البناء، من بناء الأكراد الأيوبية، وتكيةٌ عظيمةٌ، بناها الوزير الأعظم رستم باشا. انتهى.

[٢٤٠] محمد بن عبد الغني عالم الروم المشهور[١].

كان إماماً جليلاً، مفرداً في العلوم العقلية والنقلية، له «حاشية على البيضاوي» وصل فيها إلى نصف البقرة، في نحو خمسين كراسة، **توفي** سنة ست وثلاثين وألف، بقسطنطينية ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٤١] محمد بن عبدالله ابن الإمام شرف الدين[٢].

من أعيان ملوك «كوكبان»، المشـهورين بالفضل والإحسان، نشأ في

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ١٠٣) (١٥٦).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٢٧٤) (٢٠١)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٤٠).

حجر الخلافة والإمامة، ودرج في حجرات العلم والورع، وألقى إلى أكفها زمامه، وطلب العلـم من جهـد ووجد، وكدح في اكتسابه، حتى انتهى إلى أقصـى غايـة وجـد، لم يـزل لاهجـاً بطلابه، مغرًى باكتسـابه، حتى ألحق الأكابـر بالأصـاغر، وغـدا كل كبيرٍ له صـاغر، وعقد عليه عند ذكر العلماء بالخناصر.

فما من فنٍّ من الفنون، إلا وقد بلغ غايته القصوى، وفاز بقدحه المعلى، وكان نظمه يفوق الجواهر المنظومة، ويفعل في العقول فعل الأسحار المرقومة، وكان يميل إلى التصوف والصوفية.

ذكره السيد العلامة أحمد بن حميد الدين في كتابه «ترويح المشوق»، فقال: هو العلامة الذي يستغرق مدحـه الكلام، وتحفي في مسـافة أوراقه جاريات الأقلام، ويطأطئ البلغاء رؤوسهم عند سماعه.

إن نظم، قال النظام: لا محالـة أن جوهـر عقدك الفـرد، أو نثر، قال الفاضل: أنت ملك الكلام ومولاه، وأنا العبد، أو جد، قال المزاح: رُعْتني بجدك، وقال القاضي السعيد: ما أرى السعد إلا لجدك وجدك، وما هو إلا سورة النور في الشعراء والآية البينة التي حام الأفاضل يتلونها زمراً.

وقد تتبع السيد عيسى بن لطف الله نظمه، بطرحٍ[1] عند شعر ابن مطروح، ونظمها في أحسن سلك، وهل يقوم جسم الفصاحة إلا بالروح؟

فمنها قوله:

يا طلعةَ البدر في دَيْجـورِ أغـلاسِ ويا هلالُ علـى غـصنٍ مـن الآس

---

(١) في الأصل: لطف الله تفاسير نظمه الله بطرح، ولعل الصواب ما أثبت.

يا من كتمتُ الهوى صوناً له فـإذا فاهوا بذكر اسمه غالطتُ جُلاَّسي

يا من إذا ضُربت فـي حبـه عنقـي مـا مـال إلا إليـه مـسرعاً راسـي

يا منيـةَ القلـب مـاعنِّى أتـاك فقـد أوحشتني يـا حبيبـي بعـد إينـاس

فقـد أتـاني حـديث منـكَ أرّبنـي وزاد واللهِ فـي همـي ووسواسـي

ومنها:

أذاب نفسيَ ممّـا جـاء منك فلـو لا أدمعـي أحرقتنـي نـارُ أنفاسـي

وحين عاينت صبري عنك ممتنعاً وبـتُّ أضـرب أخماسـاً بأسـداس

كتبتُ والدمع يمحو ما تخطُّ يدي حتى بكت لي أقـلام وقرطـاس[1]

فاعطفْ على مستهامٍ عاشقٍ دَنِفٍ بين الرجاء لطيـفٍ منـكَ واليـاسِ

ماذا الصدودُ الذي مـا كنـتُ آلفُـهُ متى يلينُ لمـا بـي قلبُـك القاسـي

ومنها:

لو أن لي ساعة أشكو عليـك بهـا حالي وقد نام حُـسَّادي وحُرَّاسـي

ما لـي أُمَلِّـك نفـسي مَـنْ يعـذِّبها بالصدِّ عني ومـالي أذكـرُ الناسـي

يا ناسُ هل لي من مجيرٍ من هوى رَشَأٍ مهفهَـفٍ كقـضيبِ البـانِ مَيَّـاسِ

أذاب قلبي وسَلَّ النومَ عـن مُقَلـي لفـاتنٍ فـاترِ الأجفـانِ نَـعَّاس

من لي بزورته جنحَ الظـلام وقـد غاب الرقيبُ ونامت أعينُ النـاسِ

أمـسي أعانقـه ضَـمّاً إلـى كبـدي ما في العناقِ وما في الضمِّ من باس

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: أقلامي قرطاسي.

وأَنثني عند رشفي خمسَ مبسمه شكراً وأسكر من ما ريقه الكاسي

عسى الذي قضى بالحب يجمعنا يا طلعةَ البدر في ديجور أغلاسي

وقوله:

يا راقد الليل لم يشعر بمن سهرا ....[1]

قلت: ووفاته في جمادى الأولى، سنة عشر بعد الألف، كان عالماً شاعراً مجيداً، مائلاً إلى الترك، ولازمهم، وكان مستقراً في كوكبان، ويتردد إلى رؤساء الترك، وجرى بينه وبين الإمام القاسم مكاتباتٌ عديدةٌ في شأن الإمامة.

وكان تزوج بامرأةٍ أبوها من جند المطهر ابن الإمام، يقال له: والي مسيح، فلما زفت إليه، شغف بها شغفاً كلياً، وأخذت بمجامع قلبه، **فقال:**

غزالة تبعثُ أنفاسُها قتلى هواها وأبوها المسيح

وكيف لا تبعث أنفاسُها كلَّ قتيل لرناها ذبيح

وله فيها:

هم الترك حبُّهم يتلف أما والذي باسمِهم أحلفُ

جمالهم يسترق النفوس وحبُّهم للنهى يشغف

وإن لبسوا الحسن مستطرف بديعا كما يُلبس المطرفُ

فلا غَروَ أمُّهم سارةٌ ولا بِدْعَ عمُّهم يوسفُ

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا بياض ثلثا صفحة، ومكتوب أمامه: يكتب من المجموع».

وله مؤلفات، منها: «كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب» ـ كرم الله وجهه ـ، و«نظم المائة الكلمة التي لأمير المؤمنين علي» ـ كرم الله وجهه ـ، و«نظم نظام الغريب في اللغة».

وكتب إلى والده عبدالله ابن الإمام شرف الدين بن شمس الدين ابن الإمام المهدي لدين الله رسالةً مفيدةً، وهي: مطالعة الملوك طليعة باله، ولسان حاله، وترجمة بلباله، وحديث سره، وبيان خبيئة صدره، مظهر غليل برحائه، ومصدر دخيل دائه، عبراتها أجرتْها عينُ جنانه في عبارة لسانه، وزفرةٌ صعد بها لوعة أشجانه، في إشارة بنانه، مهجةٌ أهدتها في أثناء سلامه لهبة أُوامه، وحشاشةٌ أسالتها في لسان أقلامه، **شعر**:

هي نفسٌ أودعتها نفس الشو ... ق وقلبي تجري به الأقلامُ

وهي دمع تفيض من لوعة البيـ ... ـن ومن أدمع المشوق كلامُ

بل هي رجع صدى، أو وسواس الشوق والنزوع، ومجرى الزفرات المرددة من وهج الضلوع، برهان ما أكنُّ الداء الدفين، وعنوان ما أجنُّ من كلف الفؤاد الحزين، **شعر**:

وهي مرآةُ صفاتي إنما ... أتراءى لك في مرآتها

وإذا ما شاهدتْها مقلةٌ ... شاهدَتْ نفسي على عِلاَّتها

مرآة نفس رقت وجداً وكآبةً، ولم تدع منها صَبابةُ الفراق غير صُبابة، فلو أنها عرضٌ، لكان جوًى في فؤاد مهجور، أو لوعةٌ في جرم، لكان ياقوتة نزاح، أو جوهراً، لما كان إلا من جواهر الأرواح، **شعر**:

رق قلبـــي ولفظـــي مـــن البـــين والنـــوى

واستوى قلبي المشوقُ وشكوى من الجـوى

فهمـا مثـلُ أدمعـي حـين تجـري مـن الهـوى

أنـا صَـبٌّ علـى الـصبابة قلبـي قـد انطـوى

سـاهر العـين لـوعتي تـوهن الـصبرَ والقـوى

لـم يـسقني لِـوى العقيـق ولا جيـرة اللـوى

لا ولا غرّنـي الـصبا بالحـديث الـذي روى

ما شجاني هوى الغزال لا ولا البدر كي هوى

لـيس بـي ذائـلُ القَـوام إذا مـال واسـتوى

لستُ أنوي هـوى المِـلاح وللمـرء مـا نـوى

إنمـا دائـي الـذي قـد تمـادى فـلا دوا

وغليـــل الـــذي إذا بلَّـــه المـــاءُ وارتـــوى

من فراقـي لكعبـة العلـم والحلـم لا سـوى

أروعٌ يبهـر الـورى حَـسَنُ الـسمتِ والـرُّوا

ألمعـيٌّ بـه يقـومُ مـن الأمـر مـا التـوى

سـيدٌ راح والفخـارُ علـى رأسـه لـوى

بـدرُ علـم يلـوح فـي أُفْـقِ حلـمٍ فـلا

هـوى قلبُـه طـودُ حكمـةٍ لا مَـنْ قلبُـه هـوى

ذلك شمسُ الفضل المستوي على عرش الكمال، وقمر الفخر السابح

في فلك السؤدد والفعال، مركز السماحة والحماسة، وقدوة الملوك الساسة، شعر:

فتـــى مـــن طيبـــةِ المجـــدِ ومـــاءِ الـــسؤددِ العـــدِّ
جـــواهرُ مجـــده انتظمـــتْ نظـــامَ جـــواهرِ العقـــدِ
كـــريمٌ عَـــرْفُ ريَّـــاه يفـــوح بنفحـــةِ النَّـــدِّ
مـــساعيه مـــشنفةٌ يواقيـــتٌ مـــن المجـــدِ
فمـــن حَيَّـــا بغُرَّتـــهِ غـــدا بالكوكـــب الـــسعدِ

شمائله مفترةٌ من برد النسيم، وأخلاقه منسجمةٌ من الروض الوسيم، ومحاورته محتسبةٌ من الدر النظيم، وأنواره تقتبس منها محيا المجد في الليل البهيم، ذكره أطيب من نفس الحبيب، وروحه أخف من مغيب الرقيب، ومفاكهته أشفى من رشف الثغر الشنيب، وأخلاقه أوسع من الأفق الرحيب، شعر:

رحيبُ فِناءِ الصدر ليس بضيقٍ ولا حرجٍ لكن يُعيد كما يُبدي
ففيه مجالٌ للتواضع والعلا وفيه نصيبٌ للفكاهة والجِدِّ

نور العترة وفخرها، وملاك الأمة وسرها، وسيد الأسرة بأسرها، ابن بجدتها، وأبو عذرتها، الطيبُ اللُّبّ، السريُّ النَّدْب، الواضع الهنا موضع النقب، الندسُ المهذب، الحُوَّلُ القُلَّب، عُذَيقها المُحَكك، وحجرها المونب، جُنَّة الدهر، ودُرَّة تقصاره الفخر، الرحلة، العلامة الشهير، مصباح زين النبوة، وسيد أرباب الفتوة، فحسبه صميم، ونسبه كريم، وآباؤه أهلَّة المحامد، وأقمار المشاهد، وشجى فؤاد الحاسد، فهم المجلُّون في جلبات

العليا، والفائزون بالفذِّ والتوام من أزلام الدين والدنيا، والمحلِّقون في فضاء العز غايته القصوى، **شعر**:

قـوم غـذتهم لبـانُ العـزِّ والكـرمِ — مـشوبة بـسهاد الحلـم والحكـم

بيضٌ بَهاليلُ يـستقى الغمـامُ بهـم — في المحل إن ضنَّ يوماً هاطلُ الدِّيَمِ

تبـوؤوا بيـتَ مجـد مـن يلـوذ بـه — كأنه من صروف الدهر فـي حَـرَمِ

لا يدفع الخطبُ يوماً بحرَ سـاحتِه — ولا يمــر لديــه غيــرَ مبتــسمِ

ولا يــدير إليــه عــينَ حادثــةٍ — ولا يمــد عليــه كهــفَ مهــتطمِ

أُسْدٌ إذا لمعت فـي جُنْح معتـرَكٍ — سـيوفُها أمطرتهـا مـن عَبـيطِ دمِ

مُـدَّرعون دِلاصـاً مـن شـجاعتهم — مقلَّــدون بأســيافٍ مــن الهِمَــمِ

قد أُلبسوا من بُـرودِ الفخـر أرديـةً — بجيـدها كـرُم الأخـلاق والـشيمِ

كادت تخرُّ نجومُ الأرضِ سـاجدةً — لهم وقد طلعوا من مشرق الكـرمِ

يفوح عَـرْفُ المعـالي إن ذكـرتَهُمُ — ويعبق الأفقُ مسكاً من حديث فَـمِ

أولئك القومُ الصابة، والمعشر الذي تأسى به همم أرومة، سيد الأسرة، وجرثومة سرة البسرة، من علماء العترة، غرة أبناء البطين، وناظورة أهل البيت الأمين، محيـي الدين المفضـل عبدالله أميـر المؤمنين، المهدي لدين الله، رضوان الله عليهم أجمعين، **شعر**:

سلــــسلةٌ مــــن ذهــــبِ — منوطــــــةٌ بالــــــشهبِ

ونــــسبةٌ تــــرددتْ — بــــين وَصِــــيٍّ ونبــــي

ســـبحانَ مـــن قدَّســـها — عـــن ســـيئات النـــسب

لا برح نسبه تميمةً في أجياد الحسب، ولا انفك حسبه رقيةً في لبات المكارم والأرب، وأدبه حليةً لعاطل الأدب، وجمالاً لشرف الأسماء والنسب، ولا برحت أردية العليا محبرة بمساعيه، وريطة الفضل معلمةً بأياديه، وركاب الفواضل والفضائل معكوفةً بناديه، ولا فتئ عاكفاً تحت سرادق الكرم، واقفاً في رواق من حسن الشمائل والشيم، تخفق عليه أعلام العلم، وتنشر أمامه ألوية الحلم، ما طلع نجم في برجه، ونجم طالع في مرجه، **شعر**:

دامــت فــي روضــة النعيــ ــم تغنيه على أيكة الهنا أفراح

لا خـلا مـن هلالـه فلـك المجـ ـد ولا غـاب نجمُـه الوضَّـاحُ

فلجيـد العليـاء منـه عقـودٌ ولِعطْـفِ الفَخـار منـه وشـاحُ

فلا أصابته عين الكمال، ولا سلب الدهر بفقده ثوب الجمال، ولا برح كعبةً للجود، ونصـرةً للمنجود، ونـوراً يلوح في أبناء الوجـود، آمين اللهم آمين.

أما بعد: فإنها لما فاحت نسمات الأشواق، ودارت على كؤوسها دور الرفاق، قدمت كتابي إلى الحضرة، ينهي إلى مولاي أن شوقي إلى مرآه البهي، ومحيَّاه السني، شوقَ الغريب إلى الوطن، والنازح إلى السكن، والمهجور إلى العناق، والممنوع إلى الكأس الدِّهاق، والصِّديان إلى الماء القراح، والحيران إلى تبلج الصباح.

ويحدثه أني من بينه فقيد الجَلَد، عميد الخلَد، جديد الكمَد، بالي الصبر والجسَد، يهزني إليه الأصيل، وينكيني مباسُم البرق الكليل، ويشجوني نوحُ الحمام على الهديل، وأني لا أزال من فراقه متلفعاً بأبراد الضنى، متعلقاً

بأذيال المنى، لا يجمعني والسلوانَ فِناء، ولا يفرق بيني وبين الأسف إلا القرب والغناء، **شعر**:

مــا بدعــة إن جــرّ حَيْنــي	جزعــي وأجــرى المقلتــينِ
طــال الثــوى والليــل طــال	وبــت أرعــى الفَرقَــدَينِ
ولقــد شــجاني مــا شــجا	قلبــي هــديلُ حمــامتينِ
يتناوحـــان فيفرحـــا	نِ جــوانحي بــالنغمتينِ
مــا ناحتــا إلا وملــ	ــت تمايُــلَ الــرمحِ الرُّدَيْنــي
أبكــي بكاؤهمــا العيــو	نَ ومــا أســالا عــينَ بينــي
جمــدتْ عيونُهمــا فقلــ	ــتُ إليكمــا عبــرات عينــي
وســمحت بالــدمع الغزيــ	ــر وبحــتُ بالــسر المــصون
لفــراق منقطــع القريــ	ــن بكيــت وانقطعــت قرونــي
لــم يبكنــي ســفحُ العذيــ	ــبِ ولا رســومُ الــرَّقْمتينِ
لكــنْ فــراقُ مهــذَّب الــ	أخــلاق هَــيْنِ الطبــع لَــيْنِ
لفــراقِ عبــدِالله همــ	ــتُ شــوقاً وهمَــتْ شــؤوني

ولعمري! لولا علمي أن رأفة سيدي بولده، وعطفه على بضعة جسده، وفلذة كبده، قد فضل كل بر مألـوف، وأربى على عطف كل أب عطـوف، لأرخيت عنـان العلم[1] في ميادين الشكوى، ونشرت دفين الألم الذي عليه قد انطوى.

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: القلم.

لكنني ذممت جناحه، وكسرت جناحه، وحظرت عليه مسرحه ومراحه، فرقاً أن تألم نفسُ سيدي مولاي، وإشفاقاً أن يلتاح قلبه من جرّاي، وأمرته أن يرد فناء سيدي مسروراً فرحاً، وأن يسحب ذيله في ساحته مرحاً، وينشر طلاقة وبشراً، ويفتر ثم بمبسم خريدة عَذْرا.

ملتثماً للأرض بين يديه، قاضياً بعض ما يجب من الثناء عليه، إذ ليس بممكن أداء الثناء بوجهه، ولا بلوغ غايته وكنهه، هيهات هيهات، ذاك أعز من بيض الأنوق، وأبعد من العيوق، والأبلق العقوق، غير أن الحياء مع عظمة تلك العقوة، والجلال لأبهة تلك الربوة، قد كسرت من نشاطه، لما ضربه بسياطه، فلم يقدم إلا مدهوشاً فشلا، مصوناً ناصيته خجلا، فها هو قد قد ذلك النديّ، وهو أحي[1] من هدي، شعر:

ها قد أتى يسحب أذيال الخجلِ ... يبسط كفاً للرجاء والأملِ

يسأل خيرَ الناس طُرّاً عن كمل ... أسباب أذيال التعاطي والكلل

عما حوتْ من خطأ ومن خطل

فليضْرب سيدي عن ذنبه صفحاً، ويصرف عن تبعاته عفواً وصفحاً، فقد جاء متلفعاً بالمعاذير، معترفاً بالقصور لا بالتقصير، وسيدي أكرم شنشنة، وأولى من ستر سيئة ونشر حسنه، فلعل سيدي أن تغمض عيناه على قذى القاضي، ويلاحظه بعين محب راضي؛ فإن الرضا عيونه عن العيوب حسيرة، كما أن عين السخط بالذنوب بصيرة، والكريم من أقال عثرات الكرام، واللئيم

(١) كذا في الأصل، ولعلها: أحيا.

على هفوات المقترفين نَمَّام، والإنسان إلى شاكله يجمح، وكل إناء بالذي فيه ينضح، **شعر**:

مـــا كــــريمٌ مــــن لا يقبـــل عِثـارَ الكـريم ويـستر العَــوْراءَ
إنمـا الحـرُّ مـن يجـر علـى الزلــ ـاتِ منـــه ذيــلاً ويُغــضي حَيــاءَ

وأنا أسأل الله أن يجمع الشمل عن كثب، ويبلغنا أقصى الأمنية وقصارى الأرب، وأن يهدي إلى حضرة سيدي سلاماً لذيذ الورود، رقيق البرود، ألطف من ورد الخدود، وأحسن من تفاح النهود، وأعذب من ماء البارق، وأرق من فؤاد العاشق، وأوضأ من نَوْر غيضة، وأبهى من بَضَّة في روضة، وأبهج من خريدةٍ مشنفةٍ في حبراتٍ مفوفةٍ، وأنظر من الدهم المعزفة، والنمارق المزخرفة، وأحلى من رشف الثغور، وأسنى من الدر في بحور النحور.

سلام لو تصور، لكان مسلكاً نافحاً، ونوراً لائحاً، لو كان نوراً، لكان إيماناً في قلوب الصالحين، ويقيناً في سرائر القوم المفلحين، **شعر**:

ســــلام لــــه لــــذة الـــواردات يــروق علــى المـؤمن المحــسن
فلـــو لاح كـــان ســنىً يــستكن القلـوبَ ويعلـو علـى الأعــينِ
ولـــو كـــان نـــوراً لكـــان اليقـــين فـــي ســـر كـــل فتـــى مـــوقنِ

سلام يفوح من مقعد صدق قدسي، ويلوح من فوق عرش كرسي، تهبط به السكينة بأسراره المصونة، وتنزل به الملائكة والروح، إلى تلك الربوات والسوح، وتعينني تلك النفس التي ساورتها رجس النفوس، بتقدير من الملك القدوس، ويُحيًّا بها عن الحي القيوم، بختام الرحيق المختوم،

ورحمةِ الله سبحانه ورَوْحِه وريحانه، آمين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلَّمَ تسليماً.

وليعلم سيدي أني أعفيت فواصلَها، وعريت فقرها عن تفصيلها بشعر ليس من قريحتي، وبنات فكرتي، وذلك أستر لشتامتها، وأخفى لدمامتها، فعساني لو أودعتها نتائج قرائح البلغاء، وأفكار الفصحاء، وسوانح رواياتهم، وشوارد بدائههم، لأكون كمن نصب مناراً على غيبها، وأقام دليلاً على بهرجها وزينها، أو كمن قلد سوقها[1] بعقود الدر المصون، ووشحها بأوشحة الإبريز المفصل باللؤلؤ المكنون، وألبسها أرجوانيات الإبريسم، وحبرات الوشي المعلم، وأكون كمن نظم حصاة إلى شذوره، وأضاف فحمة إلى دره.

ومن المعلوم أن الطبع للتطبع يقهر، وأن فضل الضد عند ضده يظهر، وخسر من بذل دينار غيره بفلسه، والإنسان بصير على نفسه، أوضحت ذلك لمولاي؛ كيلا ينسب عند انتقادها إلى سواي بهرجها وزيفها، أو يعزو إلى غيري خطلها وحيفها، فالسفيه جد السفيه، من يرمى برياء يعيب هو فيه، والاعتراف كفارة في الاقتراف.

والأمل طامح أن يحملها سيدي على كاهل التسامح، ويقلها على صهوات القاضي، ويمشي بها في جادة التجاوز، ويسلك بها سبيل الصفح عما تضمنته من العيوب، لسيدي قدوة أرباب العفو، وإمام أهل التجاوز، وقبلة ذوي السماح، ودليل أولي الفضل للفضل، بعد السلام، وهو في كنف رعاية الله وفناء حياطته، وظلال حفظه، آمين.

---

(١) في الأصل: سوها.

فأجابه والده عبدالله، بكتاب، وهو:

رجوعُ شبابٍ أو ورودُ كتابِ ... أزالا خُطوباً للنوى بخطابِ

وأبدل وهني قوةً وأعاد لي ... وقد كنت شيخاً عُنفوانَ شبابي

صدور بها شرح الصدور وجدتُها ... طلاسم قد جاءت بكلُ عجابِ

تعلقتها عند الكروب تميمةً ... لتفريج هَمٍّ أو لنيلِ طِلابِ

وما ذاكَ نفث السحرِ إذ هو باطلٌ ... وهذي أتت ملأى بكل جوابِ

ومنها:

فإني ترى لي في الإجابة مسلكاً ... يناسبها إن رمت ردَّ جوابِ

فبسطاً لعذري أيها الولدُ الذي ... بخفض جنابي عنه رفعُ جنابي

روضة بلاغةٍ أنيقةٍ، وحديقة فصاحةٍ عذيقةٍ، رشفتْ سماءُ المعالي أرض ألفاظها، فزكا نباتها، وهبتها لواقح البيان، فنتجت في أحسن الصور أبناؤها وبناتها، وتبختر فيها بديع زخرف أنواره، فاهتزت وربت بزواهي زواهر مكنونات أسرارها، فأوراقها من أوراق الجنة، وأزهارها ضاحكة مفترةٌ مفتنةٌ، تفتر عن كل ثغر بديع.

وكل فصولها دائمة الفواكه، دانية القطوف، فكل فصل منها ربيع يتبارى فرسان نفائس المعالي على مضمرات مراكيب مراكيبها من يكون المجلِّي والسابق، ويتنافس منظومها والمنثور في السبق إلى ما بين العُذَيب وبارق، فكلها مُحَلٍّ هناك لا مُصَلٍّ ولا لاحِق،، فقد تبالغت في البلاغة إلى أن غذت الفرائد سالمتها خوارق، موشحةً بسموط نظمٍ لها من نفسها معبد ومُخارِق.

خرائد لم ترض همةُ منشئها بين أبكارها لا ما هو مبتكرها، وأبت قريحة التزين بعواريِّ العواري، فما حلا لذوقه مكَّرُرها، فبـرزت للجنان جنان، حورُها عِينٌ لم يطمثهن إنسٌ قبلهم ولا جان، فلا ينفك المتنعم بها في كل آن هو في شـان، حتى ينتهي منهـا إلى ما لا عيـن رأت، ولا أذن سـمعت، ولا خطر على الأذهان.

ولـم لا تكون كذلك، ومنشيها ذو اليد البيضاء في معجزات البلاغة، الذي آنس من جانب الطور ناراً، والضارب بقلمه نحرَها فانفلق، فلم يقبل الدر إلا كباراً، فلذلك رجع وهو من نفثة سحرها الكريم الكليم، فأصبح وعصيُّ حجته تلقف ما صنع كل سحّار عليم، حتى أُلقي سحرتُها سجّداً مؤمنين، برب حديثها القديم، قد رأوا من آياته عجباً من أسرار كهفه والرقيم.

لا، بل هو قاموس البلاغة خاتمهم الأحمـد المحمد، كيف لا يكون ذلك وهو من العترة الطاهرة المحمدية ابن عبدالله محمد، فعليه من السلام أسنى سلام، ومن الإكرام إكرام ذي الجلال والإكرام، ومن التحيات أحيا تحيات الحي القيوم، ومن الرحمة رحمة الرحمن الرحيم المدخرة لذلك اليوم المعلوم، ومن البركـات أنمى بركـات وأدومها وأزكاها، وأطيب الطيبات وأذكاها.

وبعد: فإن الولد الفذ البذ، المتخلق من أطيب الخلال، بما طاب وعذب ولذَّ، نوّر مصابيح زجاجات القلوب، وروّح الأرواح، وهز معاطف الأعطاف، ورنح أغصان الأشباح، وسر سرائر أسرار نفيس الأنفس، بروح ريحان الارتياح، وشرح صدور الصدور، بنفائس عرائس حور تلك المعاني المقصورات، من الإعجاز في القصور، التي اعتقدت مقاعد الصدق من سطور تلك الصدور،

التي كل مواضع مفرداتها ومركباتها، من المنظوم والمنثور، بملوك مغانيها العزيزة في مقاعد أعجاز الغريزة كلها صدور.

فهي سموات فضل دارت أفلاك فخرها بدراري أنوار فصل الخطاب، وأردان منبع رفيع رقيمها بمصابيح السليقة العربية، التي اختارها الله لأفضل شيء وأجلّ كتاب، فلا برحت قريحة لواحق آداب من تأدب، ذلك أنها أخذت بجميع مجامع أحاسن القول وفصوله، ولم تدع نوعاً من إحسان الإحسان، إلا وأحاطت بذاتيةٍ وعرضيةٍ، مقطوعةٍ وموصولةٍ، ولا غادرت تهيج زخرف بديع، إلا وسحبت فواصل حبر حسنه، في ميادين إعجاز الإعجاز وتطويله، محيطةٌ بفنون الافتنان.

فلذلك انتظمت في أساليب الحسن كل فن، مفعمةً بلطيف الإدماج المثير بلطيف طريفه إلى إستعياب كل معنىً حسن، لم تترك طريقاً من البلاغة إلا طرقته، ولا معنى ذا أسلوبٍ من البلاغة إلا خرقته، فلم تدع لمتكلمٍ في قوس المعاني منزعاً، ولا أبقت لِمنْطيقٍ من مواضع الإحسان موقعاً.

فبماذا يحبى من حاول الجواب لذلك القول الجامع، وقد أخذ من جميع طرق الإحسان بالمجامع، إلا عسى بالإعادة على ما حوته من اللفظ والمعنى، والقنوع بهنات السرقات، ومن ذا بالسرقات استغنى؟ ولو شاء موشيها لترك للإجابة طريقه، ووسع لمخاطبته في الإشفاء لمطارحته طريقه.

فكم أردت ذلك، فتبين بُعد المناسبة بين بناته وبناتي، وكنت كلما حاولت ذلك، يضيق صدري، ولا ينطلق لساني، فلم أر في شرع البلاغة محبراً لأن أقابل بحديد فكري من ذهن منشيها ذهبا إبريزاً.

لكن لزوم الإجابة، أوجبها مع الإصابة، وغير الإصابة، فلو استوى الابتداء والجواب في حسن المخاطبة، وأن لا يتفاوتان في كمال المناسبة، لما سمي رجع صدى جواباً، ولا عدت حركات الحواجب، وغمزات الجفون بين الأحباب خطاباً.

لكن ذلك عجزٌ ملأ حوض سري سردرايه، حتى قال: قطني، فلم أقرع على ما فاتني من الإحسان سني؛ إذ كان فخراً ممن يقول: أنا منك وأنت مني، وأقول: أنا أبوك وأنت ابني، وأنّى لي بالشكر، وهو ممن يقول: أنت شجري، وأقول له: أنت ثمري، فغير بديعٍ أن تفضل الثمرة الشجرة، فليجعل الولد أكثرَ من بره، إن تعذر في الإساءة إياه، فضلاً عن الإحسان فإنه أباه.

ولكنه أعاد الفرح به شباب السرور، وشب نار الحياة في القلب فشبت في سبح الروح والحبور، فلا برحت غريزتك في العلوم النون، ولسانك في البيان القلم، وصدرك اللوح وما يسطرون.

واللهَ سبحانه أسأل أن يجعلك ممن هو على خلق عظيم، وأجره غير ممنون، وأن لا يقطع عنا وعنك المرغبات بمعقبات رعايته، إنه حميد مجيد، وصلوات الله على جدنا محمد المختار، وعلى آبائنا الأبرار، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقد سر أباك ما حققت في كتابك الأخير، مما أنعم الله به عليك، وعلى الولد العلامة لقمان بن أحمد، من ختم الكتاب النبيل، الكاشف لخرائد نكت القرآن وبيان التنزيل، والتلذذ بعرائس بدائع دقيقه والجليل، على حضرة من هو في الدنيا وارث النبوة، أشباه الأنبياء كالخليل، بقية الصالحين من علماء الأمة المحمدية، ومن هو أمة وحده، ولانفراده عد فيه وحده إجماع الأمة

المصطفوية، فخر الملة والدين، عبدالله بن القاسم، أطال الله بقاءه في الخيرات، وعلى غرته أفضل التحيات والصلوات، فليهنكم تلك النعم الكاملة، ونسأله أن يديم لكم ما خولكم من تلك الفواضل الفاضلة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. **تمت الرسالة**.

وذكره السيد محمد بن عبدالله ابن الإمام شرف الدين السيد الجليل عيسى ابن لطف الله بن المطهر ابن الإمام شرف الدين، في كتابه «روح الروح فيما حدث في المائة التاسعة من الفتن والفتوح»، فقال:

كان أوحد دهره في النظم والنثر، إن نظم، آمن به المتنبي، ودعا إليه، وإن نثر، أسلم الصابي بين يديه، احتفلت بجمع شعره المتفرق، وألفت شارده المتمزق، وتعبت في تحصيله من أيادي الناس، والتمسته من المنتدين غاية الالتماس، فلما بلغه ذلك، ونمى إليه ما هنالك، عمل إلي قصيدةً جملتُها قوله:

دمتَ تبني شرفَ الآ	لِ فتسمو وتطولُ
أنت عيسى وهو روح	لضنى الجسمُ يزيلُ

وكان نظمه يفوق الجواهر المنظومة، ويفعل في العقول ما تفعل الأسحار المرقومة.

فمن شعره وقد تزوج بامرأة من بنات الأروام، وكان أبوها من جند المطهر ابن الإمام، فقال:

غزالةٌ تبعث أنفاسَها	كلُّ قتيل لرُناها ذبيحُ
وكيف لا تبعث أنفاسُها	قتلى هواها وأبوها المسيح

وله رحمه الله تعالى:

هـــم التـــرك حـــبُّهم يتلـــفُ | أمـــا والـــذي باســـمه أحلـــفُ
جمـــالهم يـــسترقُّ النفـــو | سَ وحـــبُّهم للنُّهـــى يـــشغفُ
فـإن لبـسوا الحـسنَ مـستظرفاً | بـــديعاً كمـــا يلـــبس المُطـــرَفُ
فـــلا غـــروَ أُمُّهـــمُ ســـارةٌ | ولا بِـــدْعَ عَمُّهُـــمُ يوســـفُ

وله أيضاً فيها، وهي تزيد على مائة بيت، منها:

علقتها من بني الأتـرك قبـل صـبا | سنا ويقـصر عنهـا كـل مـن بلغـا
كأنهـا حاجـبٌ قـد لاح مـن قمـر | يجلو الدجى أو كقرن الشمس إذ بزغا

ونظم «كفاية الطالـب في مناقـب علي بن أبي طالب» ـ كرم الله وجهه في الجنة ـ، ونظم المائة الكلمة التي لأمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ، وسماها: «سمط الحكمة»، و«نظم نظام الغريب في لغة الأعاريب».

ومن أحسن ما قال وأوعظه.

تمنيـتُ فـي عـصر الـشبيبة أنني | أعمَّـر والأعمـارُ لا شـكَّ أرزاق
فلمـا أتـاني مـا تمنيـتُ سـاءني | وصولُ الذي قد كنت أهوى وأشتاقُ
يخيل لي فكري إذا كنـت جالـساً | ركوبي على الأعناق والسيرُ إعناقُ

ومنها:

ويُـذْكِرني مـر النـسيم وروحـه | حفائرَ تعلوها مـن التـرب أطبـاقُ
وها أنا في إحدى وتـسعين حجَّـةً | لهـا فـيّ إرعـادٌ مهـولٌ وإبـراقُ

يقولـــون دريـــاقٌ لمثلـــك نـــافعٌ ومـــا لـــي إلا رحمـــةُ الله دريـــاقُ

وكان سيداً جليلاً، فاضلاً نبيلاً، ورعاً تقياً، براً حفياً، **توفي** ـ روّح الله روحه ـ في جمادى الأولى، سنة ألف وعشر.

[٢٤٢] محمد بن عبد العليم بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن أحمد ابن عبد الرحمن بن أبي بكر ابن الشيخ علي الملقب بالأهدل ـ بفتح الهمزة وسكون الهاء وفتح المهملة آخره لام ـ؛ كما ضبط بعضَ ذلك الإمام اليافعي في «نشر المحاسن»، ويكنى بأبي الأشبال، وهو ابن عمر بن محمد بن سليمان بن عبيد بن عيسى بن علوي بن حمحام بن عون بن الحسن بن الحسين ـ مصغراً ـ ابن زين العابدين، وفي موضع آخر، وهو الظاهر: عون ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ[1].

كذا ذكر نسبه الأهدل جماعةٌ، وجزموا به، منهم: السيد الحسين بن الصديق الأهدل، ومحمد بن الطاهر بن حسين الأهدل، في كتابه «بغية الطالب في ذكر أولاد علي بن أبي طالب»؛ حيث قال بعد ذكر موسى الكاظم، وكونه خلف من الولد نحو ثلاثين، ما بين ذكرٍ وأنثى.

ومن أولاده: عون، وإليه يرجع نسب سيدنا الشيخ الكبير، صاحب الكرامات الظاهرة، أبي الحسن علي الأهدل؛ لأنه علي بن عمر إلى آخره صاحب «المراوعة» ـ بفتح الميم، وكسر الواو ـ القرية المشهورة، على مرحلة قبلي بيت الفقيه ابن عجيل.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٨).

وأول من توطنها منهم: محمد بن سليمان؛ فإنه قدم من العراق، هو وجد السادات آل باعلوي أحمد بن عيسى، في حدود سنة أربعين وخمسمائة، فأقاما عند بني عمهما من النسب، أشراف «الحسنية» البلدة التي إلى اليمن، على قدم التصوف، بوادي سُرْدد ـ بضم السين المهملة، وسكون الراء، وبدالين معجمتين، الأولى منها تضم وتفتح ـ، وهو معروف باليمن.

ثم بعد ذلك، انتقل محمد بن سليمان المذكور إلى وادي سهام، وتوطن المراوعة، وذهب ابن عمه أحمد بن عيسى، إلى حضرموت، واستوطنها، وحصل لكل منهما شهرةٌ وذريةٌ طيبةٌ ـ رحمهم الله تعالى ـ.

كان المترجم سيداً جليلاً، له رياسة الحُدَيدة، الثغر المشهور باليمن، ذا جاهٍ ومكارم أخلاق رضيةٍ، ودنيا واسعة، صحب السيد الطاهر ابن بحر، وتوفي بالحديدة عام سبعة أو ثمانية وألف، وصلى عليه إماماً بالناس السيدُ الطاهر المذكور.

ومعنى الأهدل كما قال بعض العارفين: الأدنى الأقرب، يقال: هدل الغصن: إذا دنا وقرب، ولان بثمرته، وفيه إيماءٌ إلى ما كان عليه الشيخ رضي الله عنه من كمال التواضع لله سبحانه، ولعباده، الناشئ عن كمال معرفته بالله تعالى، وقال بعضهم: لقب الأهدل؛ لأنه على الإله دل. انتهى.

وفي كتاب الطاهر «عقد الجواهر النقية في بيان العصابة الأهدلية»، حكايةً عن بعض أهل المعرفة، ما لفظه: أصل هذه الكلمة ـ أعني: الأهدل ـ: على الإله دل، كلمتان، فصارتا ـ لكثرة الاستعمال ـ كلمةً واحدةً؛ كأنه كان يقال: علي على الإله دل، فاستثقلت الكلمة، وأدرج بعضها في بعض؛ لخفة

النطق، فقيل: علي الأهدل؛ كما قيل في النسب إلى عبد شمس: عبشمي، وإلى عبد الدار: عبدري، والله أعلم. انتهى بحروفه.

وقال السيد أبو بكر بن أبي القاسم الأهدل، في كتابه «نفحة المندل»: وسمعت من بعض فضلاء الأهل: أنه يقال في سبب تلقيب الشيخ بالأهدل: أنه في حال صغره، علقت أرجوحته بسدرة[1]، فهدلت؛ أي: تدلت عليه أغصانها؛ لتقيه من حر الشمس ونحوه. انتهى.

[٢٤٣] القاضي محمد بدر الدين بن يحيى بن عمر بن أحمد بن يونس النابلسي الأصل، المصري، القرافي، الأنصاري، المالكي[2].

قاضي قضاة المسلمين، وأولى ولاة الموحدين، وينبوع العلم واليقين، وخاتمة العلماء الراسخين، ومدقق أئمة الدين، وبدر العلوم الشارق، وبحرها العذب الرائق، العادل الأعدل في أحكامه، المراقب لله[3] في فعله وكلامه، عين إنسان الزمان، وإنسان عين البيان، ورئيس السادة المالكية، وشيخ القاهرة المعزية، ومهذب مذهب إمام دار الهجرة الأصبح مالك، ومن أصبح لازمه الخلاف دون أصحابه مالك. **شعر:**

رأيت به بدراً أضاء بطلعةٍ لبهجتها كلُّ البدورِ استسرَّت

فيا له من فقيه مالكي المذهب جليله، لا يضاهيه من أصحاب مالك

---

(١) في الأصل: بدرة.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٥٨)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٤١).

(٣) في الأصل: المرقب الله.

إلا خليله، ما قُرن به فاضل بمصر إلا رجحه، ولا أُلقي إليه مهمٌّ في العلم إلا كشفه وأوضحه، له صادقاتُ عزائم، لا تأخذه في الله لومة لائم، إلى عفةٍ ونزاهةٍ وديانةٍ، وهمةٍ عليةٍ وصيانةٍ، وطلاقة وجه، وخلق وضيء وخُلقٌ رضيّ.

فهو الجواد الذي لو جاراه أشهب العلوم، لكبا عن مجاراته، أو باراه بهرام النجوم، نبا عن مباراته، هذا إلى عاطر سجايا كفاعمة الرياض النواضر، وباهر مزايا تحار فيها الأعين النواظر. **شعر:**

فكأنهـــا زهـــرُ الريـــاض	تنفـــست عنـــه الكِمـــام
أو ثغـــرُ باســـمة الأقـــاح	مـــن الحيـــا فيـــه ابتـــسام
أو شـــرخُ مقتبـــل الـــشباب	ســـقى معاهِـــدَه الغمـــام
وشـــدت بألحـــان الغريـــ	ـــض ومعبـــدٌ فيـــه الحمـــام

أقام سوق الأدب بشوارع مصره؛ بما أحيا من سنن شرائعه، وحط عن بنيه ما تحمل من أثقال إصره؛ بما أبداه من سنن بدائعه.

مولده بمصر في رمضان، عام تسعة وثلاثين وتسعمائة، وأخذ عن الأجهوري، والتاجوري، والزين الجيزي، وسمع الحديث على الجمال يوسف ابن شيخ الإسلام زكريا، والنجم الغيطي، والصالح بن عبدالله بن أبي الصفا البكري الحنفي.

وولي قضاء المالكية، وألف كتباً منها: «عطاء الله الجامع الجليل لما عليه شرح جميل على مختصر خليل»، و«القول المأنوس على القاموس»، و«تعليق على أوائل ابن الحاجب»، و«ذيل الديباج» لابن فرحون، فيه نيف وثلاث مائة شخص، في أربعة كراريس أو خمسة، و«شرح الموطأ»، و«شرح

التهذيب» بين فيه المشهور، خصوصاً ما في «التقييد» من الخلاف، هكذا ذكر هو في «فهرسته».

ولم يزل في القضاء على سنن السلف سائحاً، ولمحل رقها الموشى بالكتابة مالكاً، حتى **توفي** بمصر، يوم الخميس، ثاني عشري رمضان، سنة ثمان وألف، عن اثنتين وسبعين سنة ـ رحمه الله ـ.

ومن شعره: ما كتبه إلى سري الدين بن الصائغ، رئيس الأطباء بمصر، وقد دفع عنه ديناراً في مصلحةٍ، فأرسله إليه؛ ظناً منه أنه يقبله بقوله:

ماذا جنيتُ لتلقاني بمنقَصَة ... مضمونُها الشيخُ في أخذي لديناري
إن كنتُ لم انتسب يوما لمكرمة ... فأين علمي وحفظي حرمة الجار

فأجابه السري بقوله:

يا بدرَ تَمٍّ بلا نقصٍ وإقتار ... وقاضياً في البرايا حكمُه ساري
لقد صرفت عن القاضي نقيصَتَه ... فكيف تبدل ديناراً بدينارِ
حاشاك تُنسب للوفا ولذا ... جرتْ بحارُك بالنعمى على الجارِ
منك البداءةُ بالإحسان حاصلةٌ ... ملكتني الرقَّ فضلاً منك لي ساري
ألهمتني بعده عتقا لتكرمتي ... فاختم بخير به عنقي من النار

وكتب إليه العلامة الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن الدنوشري:

أتينا لكم قصداً لتقبيلِ أقدام ... يا من على خير له حسنُ إقدامِ
ويا من هو البدرُ المنير أبو الهدى ... غدا مشرقاً في أُفْق سعدٍ وإعظامِ
نظرتُم إلينا في الطريق وما لنا ... سواكم لنُجْح في الأمور وإعلامِ

قطفْنا زهوراً من رياضِ علومِكم وفاحَ شذاها مذْ قطفنا لأفهامِ[1]

فسحباً لذيلِ الصفحِ والعفوِ والرضا على عيبِ مثلي بل على نشر أوهامي

أيا عالمَ الإسلام يا عَلَمَ الهدى ويا قِبلةً للفضل زِينَ بإفهامِ

عليك سلامُ الله ما هَبَّتِ الصَّبا وما دبَّجَ الأوراقَ وشيٌ لأقلامِ

نشرْنا لواءَ المدح والحمدِ والدعا لكم لا برحتم منهمين لأعلام

فأجابه صاحب الترجمة:

زواهر بداها[2] لنا خير أعلام وأبدى مقالاً فيه أبلغُ إعلام

قريضٌ أتانا بارعاً بفصاحةٍ وأحكمِ إحكامٍ كدرٍّ نظامِ

فيا أيها المفضالُ إني عالِمٌ بأنك في أوج المعالي بإقدامِ

وإني على دهري لأثني بهمة لفضلٍ به زانت مفاخر أقلامِ

وإنا أحطنا أن ما قد نظمتَه لموفٍ طريقاً فيه أحسنُ إعظامِ

محامدُ أبداها جليلُ مقالهِ عبيرٌ به قلبٌ يُسر بإنعامِ

وإني لما أبديته لمقصرٌ وخيرُ رداءٍ فيه ستر لآلامِ

بقيتَ لإبداء الفرائد دائما ودمتَ لأهل الفضل دهراً بإكرامِ

بحرمة خيرِ الخلق أكملِ كاملٍ ورحمةِ ربِّ العالمين لأسقامِ

ولما قدم العلامة محمد درويش الطالوي دمشق، لازمه للأخذ عنه، وكتب إليه مستجيزاً منه بقوله:

---

(١) في الأصل: الأفهام.

(٢) كذا في الأصل، ولعلها: أبداها.

كيـف أرضـى لمهجتـي بـتلاف وهــو لا يرضــى لهــا بتلافــي

شــادنٌ مــن ظبــاء وَجْــرَةَ ريــمٌ نــاعسُ الطـرفِ نـاعمُ الأطـرافِ

كـم لَـوى بـاللِّوى عهـودي لَمَّـا راح عـن وصـلِ صَبِّــه متجـافي

ظبيُ إنـس يرعـى حشاشةَ نفـس فـي هــواه قــد آذنــت بــتلافِ

بِــتُّ منــه مــسهَّداً جــنَح ليــلٍ ناشــر طولُــه جنــاحَ غُــدافِ

خــصَّ منــه قــوادم النــسرِ لمــا مــدَّ فيــه غرابــه بخــوافي

وهــو فــي الــوكر واقــع إن تــراه قلــتَ فــي مهمــه ثــلاثُ أثــافي

فكــأن الظـــلامَ لجـــةُ بحـــرٍ مــا يــرى المــرج دائــم الترجــافِ

وكــأن المجــرَّ فيــه خلــيجٌ والــدراريَّ عليــه دُرٌّ طــافي

وكــأن النجــومَ عقــدُ لآلٍ ســرت فــي غــدير مــاءٍ صــافي

وكــأن الجــوزاءَ فيــه وشــاحٌ والثريــا عقــدٌ بجيــد صــوافي

منها:

سأل الـنجمُ مـن دجـاه عـن البـد ر يــا ليــلُ مــا لبــدرِكَ خــافي

قــال قــد غــاب خجلــةً عنــدما لا ح محيّــا بــدر العلــوم القرافــي

الإمــامُ الجليـل مَـنْ حـقّ أن ينــ ـقل عنـه الخليـلُ علـمَ الخـلافِ

من بـه مصر أشـرقت فاسـتنار الــ ـفـسطاطُ منهـا وسـائرُ الأكنـافِ

مــالكيٌّ لــو أن أشــهبَ جــارا ه كبــا دونــه علــى الإيجــافِ

عــالمٌ زانــه التقــى وكــساه الــ ــحلمُ ثــوبَي صــيانةٍ وعفــافِ

ثاقــبُ الفكــر والرويــة والــرأ يِ حليـفُ النـدى أليـفُ القـوافي

قلت لما أتيت مصر وجاءت ... منه نحوي كرائمُ الألطافِ
دمتَ بدراً بمصر تنشر علماً ... صيتَه عَمَّ سائرَ الأطرافِ

منها:

فلذا يممت حماكَ قوافٍ ... عن سِنادٍ عرتْ وعن إصرافِ
طالما استوطنت دمشقَ محلاً ... بين قصرٍ وروضةٍ مينافِ
حين تجلى عرائسُ الدوح في جنـ ... ـب نِميرٍ عليه ظلٌّ صافي

منها:

يا سقاها دنو عهديَ فيها ... ورعى من بها لعهدي وافي
من أناس حَلُّوا بقلبي محلاً ... بين سودائهِ وبين الشغافِ
قصدت تمسك الفرات فقلد ... جيدها من لآلئِ الأصدافِ
وأجزها روايةً من علومٍ ... حزتَها من مشايخٍ أسلافِ
لا أغبَّ رباك سحبُ الغوادي ... وسقتها بوابلٍ وَكَّافِ
وكساها الربيعُ خلعةَ وشيٍ ... سندسيٍّ من بردِهِ الأفوافِ

[٢٤٤] محمد بن يحيى، الترجمان عند قضاء العسكر بمصر، منهم: ابن الياس أفندي مملوك السلطان قايتباي المصري.

الورع الزاهد، الناسك العابد، أصله من الجراكسة، ونشأ على زيهم من المنافسة، ثم ترك ذلك الزي، وجلس بمكتبٍ يقرئ الأطفال، ثم حبب الله إليه سلوك سبيل الرجال، وطلب صحبة أرباب الأحوال.

فأخذ عن الشيخ يوسف الكردي طريقته السنية، وطريقتُهم تسمى: طريق الخواطرية؛ لكون أسلوبهم إذا أراد إنسان أن يسأل عن شيء، ابتدأ بقوله: يا سيدي خاطر! ثم يذكر ما خطر له من خير أو شر، فيتكلم عليه الشيخ، ويأمره وينهاه بما رأى فيه صلاحه، ويأتي له بآياتٍ قرآنيةٍ، وأحاديث نبويةٍ، فيها ترغيبٌ وترهيبٌ يناسب حاله.

ولما مات شيخه، تقرر في الإمامة بجامع إسكندر باشا، بباب الخرق[1]، وعمل فيه مجلساً عقب صلاة الصبح إلى طلوع الشمس، وبعد صلاة العصر، وحضره خلق كثير، انتهى أمره، وعلا ذكره، وقبلت شفاعته، واحتُرمت جماعته.

ولم يزل على هذه الحال العظيمة إلى أن دعاه الباشا إلى وليمةٍ عظيمةٍ، فحضرها بعد الغروب، ثم نزل من القلعة شاكياً وهو مكروب، فما مضى نصف الليل، إلا وقد قضى نحبه، سنة أربع بعد الألف، ودفن قبالة تربة قايتباي بالصحراء، وعمل عليه بعض أركان الدولة ضريحاً ظاهراً ـ رحمه الله ـ.

ومن ورعه: أنه لم يأكل من عسل القصب مدة حياته، وشفع لإنسان عند بعض الأمراء، فأهدى له ذلك الإنسان هديةً اشتراها بثمانين نصفاً، فأبى أن يقبلها، فألح عليه كثيراً، فقبلها منه جبراً لخاطره، ثم أعطاه مائة نصف.

وأعطى مرةً بعض تلامذته دانقاً يشتري به زيتاً، فلما حضر بالزيت ورآه،

---

(١) جاءت في الأصل: «باب الخرق»، ولعل صوابها: «باب الخلق» المعروف بالقاهرة.

قال: كم الذي زدته من عندك؟ فسكت، فكرر القول، فأخبره بالزيادة، فدفعها له، وكان ينهى إخوانه عن شراء الحوايا والرؤوس والكوارع والفريك والكشك وبيض القمار ـ رحمه الله، ونفع به ـ آمين.

ورأيت في «تاريخ الشيخ مدين»: أنه كان إماماً بمدرسة إسكندر باشا، بخط باب الخرق، وأنه كان خطيباً بمدرسة حاجي كتخدا، وكان على قدم عظيمةٍ من حفظ القرآن، والتعبد بالسنة الشريفة، قال: وكنا نحضر مجلسه بعد صلاة العصر بالمدرسة المذكورة، مع جملة من الناس، فيقول الإنسان: يا سيدي خاطر! فيقول له: قل، فيقول الإنسان ما خطر بباله، فيجيبه عنه بآياتٍ قرآنيةٍ، وأحاديث نبويةٍ، ويرشده إلى الصواب.

وكنا أيضاً نحضر نحن وإياه، وشيخنا أحمد المتبولي، شارح «الجامع الصغير»، عند الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ عبد الوهاب الشعراني، في المقعد الذي بجوار قبة والده؛ لأجل مقابلة الشيخ أحمد المذكور، شرحه على الكتاب المذكور، بحضور الشيخين المذكورين.

وكان لا يتردد على أحد من أرباب الدولة، وكان معتدل القامة، أبيض اللون، نير الوجه، حسن الثياب، حسن الصوت في المحراب، محباً للناس، وله من المؤلفات: «قطع العلائق عن الخلائق».

قال: وكانت **وفاته** في شهر رمضان، سنة ست وألف، عن خمس وستين سنة، ودفن تجاه تربة المرحوم السلطان قايتباي، قال: وأخذ عن الشيخ يوسف الكردي، وعن الشيخ عبد الوهاب الشعراني. انتهى.

قلت: وكان امتناعه عن عسل القصب؛ لأن الغالب عليه النجاسة.

[٢٤٥] محمد بن داود الأطرش[١].

أحد الموالي الرومية، قاضي دمشق، كانت له معرفةٌ بالفنون العقلية، واختصر «تاريخ ابن خلكان»، وكان لطيف الطباع، سليم الصدر، وله زوجةٌ مشغولةٌ باللهو واللعب، سمع ليلةً وجيب الآلات، واجتماع النسوة، فقال: ما هذا؟ فقالت: أذان المؤذنين يذكرون في المنارة، فصدق قولها، وما أحراه بقول القائل:

بُلينا بقاضٍ له زوجةٌ ... عليه أوامُرها قاضيهْ

فيا ليتَه لم يكن قاضياً ... ويا ليتها كانتِ القاضيهْ

مات في حدود سنة ثمان وعشرين وألف بالقسطنطينية، ذكره النجم الغزي في «الذيل».

[٢٤٦] محمد بن داود بن سليمان العناني الشافعي[٢].

نزيل الجنبلاطية خارج باب النصر بمصر، كان من أكابر العلماء العاملين، والأولياء الصالحين، قطع شبيبته وشيخوخته في الاشتغال بالعلم ونشره، مع ملازمة الكتابة للكتب النافعة.

قرأ بالروايات على عبد الرحمن اليمني، وأخذ الحديث على إبراهيم اللقاني، وأحمد المقري، ولازم العلامة علياً الحلبي مدة، واختص به، وأخذ عن الشهاب أحمد الخفاجي، وأجازه بمروياته، وكان بينه وبينه مودةٌ أكيدةٌ،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٢٤) (٣٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٦٣).

(٢) «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٢٠).

وكان يبيض له مسودات مؤلفاته، ويعتمد عليه في ذلك؛ لكمال معرفته وإتقانه، وكنت أتردد عليه كثيراً ـ رحمه الله ـ في منزله، وكان يدعو لي كثيراً ـ نفع الله به ـ.

توفي سنة خمس أو ست وتسعين وألف بمصر، ودفن خارج باب النصر، والعِناني: نسبة إلى الشيخ العارف بالله محمد بن عنان، المترجم في «طبقات الشعراني»؛ لأنه من ذريته ـ رحمه الله تعالى ـ. آمين.

[٢٤٧] محمد بن دغفان الصنعاني(١).

قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: هو من آل أبي عمرو، الذين كانوا أهل البلاغة والمكانة في الفضل بصنعاء، منهم: ابن فراس، ودعشم، وغيرهما، وكان شاعراً مجيداً، محمود المقاصد، وله في الإمام القاسم فرائد من الشعر، **من ذلك قوله يوم فتح صنعاء:**

هِمَمُ الخطير جليلةُ الأخطار ... محمودةُ الإيرادِ والإصدار

وتفاضُل العزماتِ في أربابها ... يجري بحسبِ تفاضُل الأقدارِ

والناسُ مشتبهو الذواتِ وإنما ... ليسَ المعادنُ كلُّها بنُضارِ

إنَّ اليواقيتَ الثمينةَ لم تكُنْ ... مما يُقاس بسائر الأحجارِ

جاء ابنُ حمزةَ في القياسِ بمعجزٍ ... من جنسِ مفخرِ جدِّهِ المختارِ

وأتى ابنُ بنتِ محمدٍ كمحمدٍ ... ما أشبهَ الآثارَ بالآثارِ

كنا عن المنصور نرجو مخبراً ... حتى بدا يغني عن الأخبار

وهي طويلةٌ، وله قصائد منتخبات ـ رحمه الله ـ.

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٨٤) (٢٤٣).

[٢٤٨] محمد، ويكنى بأبي الطيب، ويلقب نجم الدين بن رضي الدين ابن يحيى بن مكرم بن المحب محمد بن الرضي محمد بن المحب محمد ابن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الحسيني الطبري الشافعي المكي.

ولد ليلة السبت تاسع عشري رمضان، سنة سبع وتسعين وتسعمائة، وحفظ القرآن العظيم، وصلى به التراويح بمقام إبراهيم، وهو ابن اثنتي عشرة سنة، في سنة تسع بعد الألف، وصلى به أيضاً سنة ثلاث عشرة.

وحفظ «الأربعين النووية»، في الأحاديث النبوية، و«الإشارات النووية»، و«الأربعين السيوطية»، و«الآجرومية»[1]، و«الزبد»، و«منظومة شروط الاقتداء»، وكان له ذكاءٌ وفطنةٌ.

مات شاباً، في حدود سنة عشرين بعد الألف، ودفن بالمعلاة، بتربة جماعة الطبريين ـ رحمهم الله تعالى ـ.

[٢٤٩] محمد بن زين العابدين بن محمد بن أبي الحسن محمد، وتقدم أول الكتاب رفعُ نسبه إلى الصديق ﷺ البكري، الأشعري، سبط آل الحسن.

شمس الملة والدين، شيخ الإسلام والمسلمين، الطاهر الأصل والأحساب، والظاهر الوصف والانتساب، السلالة الصديقية رداؤه، والأصالة القرشية ابتداؤه وانتهاؤه، جمع ـ قدس الله روحه ـ بين كمالي الشرف والنسب، وجمالي المجد والحسب، وتصاعد في درج الشرف والسيادة، ولم يبق لغيره محلاً للزيادة.

---

(١) كذا في الأصل.

ولد رضي الله عنه بمدينة مصر المحروسة، سنة خمس بعد الألف، وكناه والده: أبا الأفراح، ونشأ بها، وحفظ القرآن، وتأدب بوالده، ونشأ في حجر سعادته، واشتغل بطلب العلوم، وأتقن المعقول والمنقول، وبرع في كثير من الفنون، سيما علم التفسير، وحج.

وله في علوم القوم وأصول الطريق القدم الراسخ، وكانت الولاية لائحةً عليه رضي الله عنه، وأنوار الهداية ظاهـرةً لديه، مع الدين المتين، والعقل الرصين، والتظاهر بالنعمة في ملبسه ومأكله.

وصحبه أكابر العلماء، وسراة الرؤساء، ولازمه خلق من اللطفاء، فكانت حضرته في جميع الليالي والأيام، معمورة بالعلماء الأعلام، والأدباء الفخام، وكان رضي الله عنه من أحسن الناس خَلقاً وخُلقاً.

رئيسَ السادة البكرية، مجللاً عند الوزراء والكبراء بالديار المصرية، ذا جاهٍ عريضٍ، معتقداً عند عامة الناس وخاصتهم، مسموع الكلمة، مقبول الشفاعة، إليه يرجع في مشكلات الأمور، رافلاً في حلل المسرة والسرور، قائلاً في ظل عيشٍ ظليلٍ، ومجدٍ أثيلٍ، كريم الأخلاق والشيم، رفيع المجد والهمم، قطف زهرة عمره، فكانت أوقاته كلها أصيلاً وسحراً، وأيامه ولياليه في وجه الدهر غُرراً.

وكان في ريعان شـبابه يقـرئ في الجامـع الأزهـر الأنـور في الليالي المشهورة؛ كليلة المولد، والمعراج، والنصف، على أسلوب سلفه الكرام، ويسحر الألباب ببديع تقريره، ولطيف تحريره، ثم ترك ذلك لكبر سنه، ومشقة المجيء عليه.

وقد اجتمعت به، وتشرفت بحضور مجلسه في بيته كثيراً، وقبلت يده

الشريفة، وحصلت لي بركة دعائه، وكان جماعتنا من المنسوبين في مصر إليهم، ومن الملازمين لهم في مجالسهم.

وله شعر أرق من السحر الحلال، وأعذب من الماء الزلال، وديوان جمع فيه ما نظمه، من قصائد وموشحاتٍ، ومقاطيع ومعمياتٍ.

فمن ذلك قوله ـ قدس الله روحه ـ يمدح شيخ الإسلام يحيى المنقاري، وأرسلها إليه من مصر، بعد عزله عنها، وتوليته منصب فتوى السلطنة الشريفة بالقسطنطينية، سنة ثلاث وثمانين بعد الألف:

أمسكيةُ الأنفاس أم عبقةُ النـدِّ ... وناسمةُ الأزهار أم نفحةُ الوردِ

ونشوانةُ الألحاظ أم ريمُ حاجرٍ ... وثغرُ الغواني الزهرِ أم لؤلؤ العقدِ

ومياسةُ الأعطاف أم خوطُ بانةٍ ... ووجهُ الذي أهواهُ أم قمرُ السعدِ

أعزَّ بني الدنيا قدراً ورفعة ... ومن رفع السماء من رتبِ المجدِ

ومعتقدٌ من صهوة المجد سابقاً ... إذا ما ونى حَدُّ المُطَهَّمَةِ الجُرْدِ

ومعتقلٌ للعز صهوة عزمه ... أنابيبُها رعافةٌ يومَ الأسدِ[1]

ومرسلُ أرسالِ العطايا مبارياً ... بأيسرها وَطْفَ الغمائم بالرفدِ

ومنها:

أيا مفتيَ السلطانِ إنك واحدٌ ... كمالاً وهذا لستُ أشهدَه وحدي

وأنتَ ومن يهواك في ذروة العلا ... بفخرٍ ومن يشناك في وهدة الطردِ

وإنك والرحمن حلفةَ صادقٍ ... لأمثلُ من أهدي له دررَ الحمدِ

---

(١) كذا في الأصل، والشطر الثاني غير موزون.

فلا زالَ أصلُ العلم يحيا بفرعِكم ... بفضلِ إلـهٍ فيضُه زادَ عـن جـدِّ

رعـى الله أيامـاً مـضينَ كأنمـا ... أتتْ خلسةً للناس من جنة الخلـدِ

توليتَ فيهـا مـصرَ توسِـعُ أهلَهـا ... نوالاً يفوق النيلَ فـي واسعِ المَـدِّ

وعـززت فيهـا الـشرع أيـةَ عـزةٍ ... بحدِّ حسامٍ سُلَّ بـالعزم عـن جـدِّ

ومنها:

فيا من له ودِّي مـن النـاسِ كلِّهـم ... ومن هو لي من بينهم غايةُ القصدِ

ومن صرتُ في مدحي علاهُ كأنني ... حمامـةُ جَرْعـا فـوقَ ميالـة الملـدِ

على أنني مـا فُهـت يومـاً لماجـد ... سـواه بـشعرٍ لا بقـربٍ ولا بعـدِ

ولكن دعاني الشوق لبيت مـسرعاً ... وهذا وما أخفيه بعض الذي أُبدي

أَلِيَّةُ مَحْنِيِّ الـضلوع علـى الأسـى ... يحار الأسى فيما يراه مـن الوجـدِ

لـه زفـراتٌ مـن فـؤاد تـصرَّمَتْ ... به نارُ شوقٍ دونها النار فـي الوَقْـدِ

لأنتَ الذي ما حلَّ في القلب غيرُه ... ولا حـال فيـه مـن ذلـك العهـدِ

ولـم تـرَ عينـي مثلَـه بعـدَه وهـلْ ... يميل إلى غورٍ فتى عاش في نجـدِ

ولي بنجيب الـدهر نجلِـكَ عُلْقَـةٌ ... إلهيـةٌ مـضمونةُ الـنجحِ والرشـدِ

هـل الـشبلُ عبدُالله لا زال هاديـاً ... أميناً ومأموناً رشـيداً بكـم مَهْـدي

أقـومُ إذا مـا الليـل مـدَّ رُواقـه ... وأسأل ربَّ العرش في شأنه جَهْدي

ومنها:

وإنـي أرجـو الله أنـي أراكمـا ... كما أبتغي واللهُ ينجز لـي وعـدي

أنـا نجـلُ زيـنِ العابـدينَ محمـدٍ وصِدِّيقُ خيرِ المرسلين غدا جَدِّي

وسبطُ رسـولِ الله أشـرفِ مرسـلٍ لأبوابه تـسعى الكـرامُ مـن الوفـد

عليــه صـــلاةُ الله ثــم ســـلامه وآل وأصحاب ثنـائي لهـم أُهـدي

علـى مـدة الأيـام مـا قـال شـيقٌ أمـسكيةُ الأنفـاسِ أم عبقـةُ النَّـدِّ

وله غير ذلك من الرسـائل والمنظوم والمنثـور، ولـم يزل ـ قدس الله روحه ـ على أحسن حال، وأنعم بال، إلى أن توفي ـ رحمه الله ـ ليلة الجمعة، ثاني عشري شهر ربيع الأول، سنة سبع وثمانين وألف، وصلى عليه بالجامع الأزهر إماماً بالناس، شيخُنا العلامة الشيخ منصور الطوخي ـ رحمه الله ـ بين الظهر والعصر، في مشهدٍ عظيمٍ حافلٍ، لم تر العين مثله، وما منّ الله به عليّ حضور غسـله، والصـلاة عليه ـ حشرنا الله في زمرته ـ آمين، ودفن بالقرافة الكبرى، في قبة آبائه وأجداده المعروفة هناك.

ومما اتفق له ـ رحمـه الله تعالى ـ: أنه أرسـل لغازي محمد باشا بعد عزله من ولاية مصر، حين كان بالسجن في مصر، في شأن بعض مال أخذه منه تعدياً، في زمن دولته، رسالةً من جملتها:

إن كان الذي أخذ منا من المال، عاد عليكم، فأنتم في حل منه، وإن كان عاد إلى الغير، فلا بأس بالإعلام به؛ لنسترجعه، فكتب إليه الجواب بيتاً، ولم يزد عليه، وهو:

شربْنا وأهرقْنا على الأرض جرعةً وللأرض من كأس الكرام نـصيبُ

وهذا من أحسن الأجوبة اللطيفة المسكتة، فرحمه الله ما كان ألطفه! ثم ورد بعد أيام أمرٌ بقتله، وهو في السجن، فقتل ـ عفا الله عنه ـ.

[٢٥٠] محمد بن بيري.

أحد أكابر دمشق ورؤسائها، كان حسن الخط، وافر الفضيلة، له معرفةٌ تامةٌ بكتابة الديوان، ومعرفةِ أساليبه، وكان عند كاتب الولايات، أول ما دخل الشام، وكان عنده دفترٌ بأراضي الشام وضواحيها، وقراها ونواحيها، وأملاك الناس وأوقافهم؛ بحيث صار آخر أمره مرجعاً لأهلها.

وكان يتردد إليه العلماء، ويرونـه من أصحاب الرأي، ويشاورونه في المهمات، وربما أصلح بين من يقع بينهم، وكانت الحكام ترجع إلى رأيه، وكانت له شفقةٌ على الناس، وستر على عوراتهم، وأعتق عبيداً كثيرةً بعد أن يحسن إليهم، ويجعل لهم ما يكفيهم، وله معرفةٌ تامةٌ بفنون العربية، وكان يعتني بكتب التاريخ والأدب والتفاسير وغيرها، وملك كتباً كثيرةً.

وبالجملة: كان من محاسن دمشق، **توفي** بالعرار، راجعاً من البقاع، بين ربيع وجمادى، سنة خمس عشرة بعد الألف، عن نحو ثمانين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ. ذكره النجم الغزي في «الذيل».

[٢٥١] محمد بن سعيد باقشير المكي الشافعي(١).

أديبٌ بارعٌ، وشاعرٌ له من مناهل الأدب مشارع، علت رتبته في القريض، وسمت ثغور محاسنه وابتسمت، كل ذلك من غير تكلف نحو وعروض، بل قريحة تذلل له جواهر الكلم وتروض، فجاء نظمه السهل الممتنع، ونزهة الناظر والمستمع، **توفي** بمكة، سنة سبع وسبعين بعد الألف،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٦٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١٤٨) (٢٩٠)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٢١٨)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٣٩).

ومولده سنة ست بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

ومن شعره قوله:

بذي العَلَمينِ من شرقيِّ حاجرٍ　　تَوَقَّ أخا الغرام ظُبا المحاجِرْ
فكمْ برباه من صَبٍّ عميدٍ　　يُسائل دمعهُ الثجاج ناهِرْ
به السودُ التي في السودِ منها　　فِعالُ السُّمرِ والبِيضِ البواتِرْ
فأيُّ حَشًا تمرُّ به خلياً　　وقد رمقته هاتيك الجآذِرْ
به البيضُ العرابيبُ السوافرْ　　وآسادٌ بقسورةٍ مساوِرْ

ومنها:

لعمرُكَ ما سيوفُ الهند يوماً　　بأمضى من بواترها الفواتِرْ
عيونٌ ما مُنِحْنَ السُّقْمَ إلا　　لِقَدّ القلبِ أو شَقِّ المرائِرْ
مرضْنَ وما مرضن سدًى ولكن　　لسلبِ قلوبِ أربابِ البصائِرْ
بأمي ثم بي وأبي ربيبٌ　　غضيضُ الطرف مكحولُ النواظرْ
نحيلُ الخصر عبلُ الردفِ أحوى　　أَزَجُّ الحاجبينِ أغرُّ نافرْ

ومنها:

يميل بمثل غصن البان لَدْنٍ　　ترنِّحه الصَّبا والغصنُ ثامرْ
ويسفر عن محيًّا لو رآه　　صباحاً والهداية ضل حائِرْ
ويبسم عن شهيِّ الظَّلْمِ عذبٍ　　ترقرقَ فيه سلسالُ الجواهِرْ
جفا جفني الكرى مذ بان عني　　فجفني مذ نأى ساهٍ وساهِرْ

وقوله:

ألآلٍ مــــا أرى أم حَبَـــبُ ... أم أقـــاحٍ لا ولكـــن شَـــنَبُ
حَرُمَـتْ وهـي حـلالٌ قـد جـرى ... فـي خـلالِ الطَّلـع منهـا الـضَّرَبُ
مـا درى بـارقُ ذيـاك اللَّمَـى ... أن لـي قلبـاً بـه يلتهـبُ
دع لمـا نقـل التـراك لنـا ... عـن لمـاه مـا روتـه الكتـبُ

وقوله:

آهِ مـا أعذَبـه مـن مبسمٍ ... وهـو لـو أجـاد بـه لـي أعـذبُ
ليـت لـو أنَّ منـالاً منـه لـي ... غيـر أن البـرق منـه خُلَّـبُ
جُـؤْذَرٌ يرنـو بعينَـيْ أغيـدٍ ... مـن مهـا الرمـل أغـنُّ أغلـبُ
ومحَيَّـا كلـفَ الحسـنُ بـه ... فغـدا ينـشدُ أيـن المـذهبُ
هـزَّ عِطفيـه فلـم يـدر النقـا ... أَقَنـاً مـا هـزَّه أم قُـضُبُ
رقَّ فاسـتعبد أربـابَ الهـوى ... فلـه فـي كـل قلـب ملعـبُ
يـا لهـا مـن نعمـة فـي ضـمنها ... مهلـكٌ هـان وَعـزَّ المطلـبُ

وقوله:

كيف التخلصُ من حبِّ المِلاح وقد ... تبـادت لفنـائي أعـينٌ سَـحَرَهْ
تغزو لواحظُها في العاشقين كما ... تغزو جيوشُ بني عثمان في الكَفَرَهْ

[٢٥٢] محمد بن سعد الكُلْشَني الصوفي الدمشقي[1].

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٦٨)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٣٨٨).

عارفٌ شاد ربوع المعارف، وسالك نهج أوضح المسالك، صافى فصُوفي حتى لقب الصوفي، وله شعرٌ وسطٌ.

منه قوله: مادحاً للشيخ أحمد المقري، حين قدم دمشق، بقصيدةٍ أولها:

ظبــيٌ بوســطِ الفــؤاد قائِــلْ ... أعجــزَ بالوصــفِ كــلِّ قائــلْ

ظبـــي بأجفانـــه ســـباني ... وســـحرُها ينتمـــي لبابـــلْ

يرمـــى بـــسهم اللحـــاظ لمـــا ... يرمـــي فيـــصمي الفـــؤادَ عاجـــلْ

قـــد فـــتنَ العقـــلَ مـــن تجـــنٍّ ... علـــيَّ حتـــى غـــدوتُ ذاهِـــلْ

لـــه قـــوامٌ كخـــوطِ بـــانٍ ... أو كالقنـــا مائـــدٌ ومائـــلْ

بـــدرٌ بـــدا كامـــلَ المعـــاني ... فـــي القلـــب والطـــرف راحَ نـــازلْ

قـــد أســـر القلـــبَ فـــي هـــواهُ ... ومطلـــقُ الـــدمع فيـــه ســـائِلْ

ومـــا بقـــي لـــي منـــه خـــلاص ... ســـوى مـــديحي مـــولى الأفاضـــلْ

أحمـــدَ المقـــري مَـــنْ قـــد ... ســـما علـــى البـــدر فـــي المنـــازلْ

مـــولى جـــواد لـــه أيـــادٍ ... كالغيـــث تهمـــي لكـــل ســـائلْ

عَلاَّمـــةٌ حـــاز كـــلَّ فـــضلٍ ... مديـــدُ جـــودٍ لكـــل آمـــلْ

[٢٥٣] محمد بن سعيد بن محمد بن يحيى بن أحمد بن أبي بكر الميرغني السوسي ثم المراكشي(١).

إمام مسجد المداسين بها، كان إماماً في فقه مالك، وفي العربية،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٧٢)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٦٠٨)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٣٩).

والتفسير، وإليه النهاية في فن الحديث وروايته، وغالب علماء العصر، من سمعنا به من أهل المغرب، يروي عنه الحديث، أو عن تلامذته، وأما علم الميقات، والحساب، والفرائض، والأوفاق، والرمل، والزايرجا، فلم يكن له فيها نظيرٌ في عصره بالمغرب، وله فيها منظوماتٌ شهيرةٌ.

قرأ ببلاده بالروايات، على عالم المغرب في عصره، السيد الشريف أبي محمد عبدالله بن علي بن طاهر بن الحسن الحسني السجلماسي، وسمع عليه ربع البخاري، بقراءة ابنه المحقق أبي محمد عبد الهادي، وسمع عليه كثيراً من سيرة رسول الله ﷺ، وكثيراً من التاريخ، والفقه، وعلوم الحديث، وعلوم القراءة، والرسم، وغير ذلك؛ من النحو، والبيان، واللغة، وتفسير القرآن، والناسخ والمنسوخ، والغريب، والتأويل، وسبب النزول، والإعراب والتصريف، والتصوف والإشارات، وغير ذلك مما يطول ذكره.

وحدثه بذلك كله، وأباح له روايته عنه، ورواية ما رواه عن شيوخه، وما وضعه من التآليف والفوائد، في كل علم، نثراً ونظماً، وكان ذلك عام سبعة وثلاثين وألف، بأغيا في جبال مدغرة، أيام محنة شُرفاء سجلماسة، وكتب له بخطه إجازةً حافلةً، وأخذ عنه أيضاً فهرس شيخ الجماعة ابن غازي، وفهرس العلامة أبي العباس المنجور الفاسي، مع العلوم الشرعية، التي قال فيها شيخه أبو بكر بن يوسف السكتاني:

تفقــهْ بتفـسير الحـديث مؤرخــاً | بوقت بيان الإرث أصـل المحجَّـةِ
ولا تُغفلَــنْ نحــواً بـضمنِ لغاتــه | تصوَّفْ بـسرٍّ فـي علـوم الـشريعةِ
تنل منه مرقًى مـن مراقـي أفاضـلٍ | وتحــظَ بنيــل المجـد أبلـغَ منـةِ

وقوله: «بسر» يشير به إلى أن علم التصوف، هو سرُّ هذه العلوم ولبابها، وعنوان السعادة المطلوبة به وبابُها.

وأجازه أيضاً بـ «فهرس الحافظ ابن حجر العسقلاني»، وابن مرزوق، والإمام المنتوري، والعلقمي، وأخذ عن العلامة أبي بكر بن يوسف السكتاني العلومَ الشرعية، التي أنشد فيه ما تقدم، وقرأ عليه جميع «صحيح البخاري»، و«مسلم»، و«الموطأ»، و«مختصر خليل»، و«مناسكه»، و«مناسك يحيى الحطاب»، و«الأنوار السنية في الألفاظ السنية» لابن جزي، وسمع عليه من لفظه جميع «الجامع الصغير»، و«ألفية الزين العراقي» في المصطلح، و«النخبة» لابن حجر، وحضر دروسه في كثير من العلوم، وسمع منه مسائل كثيرة، وفوائد جمة، وقيد عنه كثيراً من الفنون.

ومن شيوخه بفاس: الإمام العلامة اللغوي النحوي السيد عبد الواحد ابن عاشر، ومنهم: عاشر الزمان، ومصباح الأوان، القاضي الشهير، الجهبذ النحرير، أبي[1] سالم إبراهيم الكيلالي المزياتي، الفقيه ببلدة عمارة.

وله «فهرسٌ» في مجلدٍ حافلٍ بجميع مروياته وشيوخه، وله «منظومة بديعة في علم الفلك وشرحها»، و«منظومة في المخمس الخالي الوسط» و«منظومة في علم الحجر»، و«منظومة في التصوف»، و«منظومة في الفقه»، و«أخرى في النحو».

وكان ملازماً للتدريس والإقراء، وانتهت إليه بمراكش في عصره في العلوم الرياسةُ، وكان يكثر من إقراء الكتب الستة، و«الشفا»، وإسماعها لطلبة

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: أبو.

الحديث النبوي، وأخذ عنه خلقٌ لا يحصون، وتخرج به في طريق التصوف كثير.

ولازمه أفاضل عصره، من المغرب الأقصى والأدنى، وممن أخذ عنه، وتخرج به: الشيخ العلامة محمد بن سليمان الروداني، وشيخنا العلامة إبراهيم ابن محمد السوسي، ومحمد النوفراني، وكانا كثيراً ما يذكرانه، ويحاضران بأخباره الغريبة.

منها: أن رجلاً شكا إليه والي بلده، وذكر له مظلمته، فقال له: سر إليه وقل له يقول لك محمد بن سعيد: لا تجلس في البلد، فلم يلبث بها، وفارقها، ولم يرجع إليها، فبلغ السلطانَ خروجُه منها بغير إذن منه، فطلبه، وسأله عن السبب، فقال له: لما أرسل إلي، لم يستقر لي قرار بالجلوس، وخرجت بغير اختياري، فأرسل السلطان والياً للبلد غيره.

ومنها: أن رجلاً اجتمعت عليه ديونٌ كثيرةٌ، وعجز عن قضائها، فشكا إليه ذلك، فقال: اذهب إلى المكان الفلاني، واقرأ سورة الإخلاص، إلى أن يأتيك رجلٌ صفته كذا، فقل له: يقول لك محمد بن سعيد: أعطني، واطلب منه ما تريده، فذهب، فأتاه الرجل، وأعطاه ما طلبه.

توفي شهيداً بالطاعون، سنة تسعين وألف، بمراكش، وصلي عليه بجامع المداسين، ودفن بتربة باب غُماة، وعمره خمس وتسعون سنة، وله شعرٌ وإنشاءٌ كثيرٌ، عاقت عن تقييدهما المقادير.

[٢٥٤] محمد بن عبد الرحمن بن عبد الوارث البكري الأشعري المالكي المصري.

كان من أعيان علماء عصره وأجلائهم، **توفي** يوم السبت ثالث عشري

صفر، سنة عشرين بعد الألف.

[٢٥٥] محمد أبو عبدالله، الملقب بعبد العظيم المكي، ابن منلا فروخ ابن عبد المحسن بن عبد الخالق المُوروي، نسبةً إلى «مورة» بلدةٌ بالروم، وهو من ناحيةٍ منها تسمى «فكوريّه».

كان عالماً عاقلاً، **ولد** بمكة سنة ست وتسعين وتسعمائة، وبها نشأ، وتربى في حجر والده، وحفظ القرآن وهو صغير، وقرأه وجوده على الشيخ علاء الدين المصري، تلميذ التعزي، تلميذ الشيخ زين بن نجيم.

وأخذ العلم عن جماعةٍ، منهم: الملا علي قاري، والشيخ أحمد بن علان، وأخذ «صحيح البخاري»، وبقية الكتب الستة، عن الشيخ خالد المالكي الجعفري، وكتب له إجازةً حافلةً، بطريقين: أحدهما[1]: عن الشمس محمد الرملي، والأخرى عن سالم السنهوري.

وكان فقيهاً، يحب الفخر، لقب نفسه بـ: فقيه النفس، وبإمام الهدى، وشمس الأئمة، وبعبد الرحيم، وبعبد العظيم؛ تبركاً بالحافظ عبد العظيم المنذري، وله في ذلك نظمٌ قرضه[2] له علماء عصره، منهم: الشيخ عبد الرحمن المرشدي، والإمام عبد القادر الطبري، وابنه الزين الطبري، وكذا ابنه الإمام علي، وغيرهم.

وكتب على الفتوى، وهو ابن عشرين سنة، ويفتي حسبة، وتجمعت فيه

(١) كذا في الأصل، والصواب: إحداهما.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: قرظه.

جملة من المناصب السنية، بمكة البهية، منها: أنه كان مدرساً بمقام الحنفي، وظيفةً وظفها السلطان أحمد خان، ومدرساً بمدرسة محمد باشا، ثم بالمدرسة المرادية، وإماماً بمقام الحنفي، بالمسجد الحرام، وخطيباً به، وبمسجد نمرة، ومسجد المشعر الحرام.

ثم في آخر عمره ترك الفتوى، وكتب على بابه بالمنع؛ لما اعتراه من خلط السوداء، واعتراه شك زائدٌ في الطهارة، وقويت عليه السوداء؛ بحيث كانت تبدر منه بوادر غير لائقةٍ مع كل أحد.

وله عدة رسائل في مذهبه، منها: «القول السديد في مسائل الاجتهاد والتقليد»، و«إعلام القاصي والداني بمشروعية تقبيل الركن اليماني»، و«رسالة في حكم صوم الست من شوال»، و«رسالة في حكم الاقتداء من سطح خلاوي السلطان قايتباي»، واختصرها وسماها: «المقتدى في الاقتدا»، وله كتاب على «شرح النقاية» للبرجندي سماها: «إعلام الأعلام بما وقع للبرجندي من الأوهام» من أوله إلى باب الأذان، وكتابة سماها: «القول الجهر فيما يتعلق بالحب والضر»، توفي ليلة الأحد، ودفن صبيحتها في المعلاة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٥٦] محمد بن عبد القادر النحراوي الحنفي.

عالم الحنفية بالديار المصرية، قدم مكة سنة تسعين وتسعمائة ـ بتقديم التاء فيهما ـ، وجاور بها سنةً، وأخذ عن أكابر علمائها، منهم: الإمام عبد القادر الطبري، كتب له إجازةً حافلةً، ذكرها في كتابه «إنباء البرية بالأنباء الطبرية»، ورجع إلى مصر، وأقام بها، إلى أن توفي بعد الألف.

[٢٥٧] محمد بن عبد القادر المقاطعجي العدني[1].

أحد سَحَرة القريض، المقتطفي[2] نور روضة[3] الأريض، نطق عن لسان الإحسان، ونشر من البلاغة رفرفها الخضر، وعبقريها الحسان، إلى مجدٍ ونسب، ومنطقٍ يملك الأسماع إذا مدح أو نسب، وله ديوانٌ يشتمل على غرر وقلائد، وفرائد تحسدها عقود الولائد.

ومن شعره متغزلاً:

أحوى حوى البرق مني ثغره الشنب ... ومبسمٌ لاح في جرياله الحَبَبُ

حلوُ التثنِّي إذا ريحُ الصَّبا عطفت ... معاطفَ القدِّ منه تخجلُ القضبُ

مهفهفُ القدِّ مياسُ القوام إذا ... ما اهتزَّ كالغصن ليناً هزني الطربُ

ومنها:

دمي مباحٌ لسيفٍ من لواحظه ... إن كان غير هواه للحشا أربُ

ومنها:

لا تعذِلوني إذا ما همتُ من شغفٍ ... بمن سباني أيها العربُ

قد بان عذرُ غرامي في محبته ... عندَ العذول وشأني في الهوى عجبُ

[٢٥٨] محمد بن عبد القادر الجعد اليمني.

سلك عند أبيه مدةً، ثم رباه العارف بالله الشيخ محمد فُقَيّه، إلى أن

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٤٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٥٤٣) (٢٥٨).

(٢) كذا في الأصل، ولعلها: المقتطف.

(٣) كذا في الأصل، ولعلها: روضه.

أكمل الطريقة، وتزوج ابنته، ثم قام مقـام أبيه بعده، وله تصرفاتٌ وأحوالٌ عجيبةٌ، توفي بعد الألف.

[٢٥٩] السيد محمد بن عقيل بن شيخ بن علي بن عبدالله وَطْب ـ بفتح الواو وسكون الطاء المهملة آخره موحدة ـ باعلوي الحسيني(١).

ذو الوصف الجميل، والفضل الجزيل، والسيد الذي لم يسمح الدهر له بمثيل، إمام الصوفية، وشيخ طائفة العصرية، المشهور بالديار الحضرمية، الحائز قصب السبق في العلوم الشرعية، القائم بوظائف السنن على طريقة الكمال، وبأنواع الطاعات في الغدو والآصال.

ولد بمدينة «تريم»، وحباه الله بفضله الجسيم، فحفظ القرآن العظيم، وتلاه على طريقة التجويد، واشتغل بعلم التوحيد، وقرأ العلوم الشرعية، وحقق طريقة الصوفية، فتفقه على القاضي محمد بن محمد ابن الشيخ علي، وأخذ عن السـيد شهاب الدين بن عبد الرحمن، والشيخ حسين بن عبدالله بافضل عدةَ علوم.

ثم لازم إمام زمانـه، وفارس ميدانـه، أحمدَ بن علوي ملازمةً تامةً، واقتدى به في أحواله الخاصة والعامة، فكان يجتهد في جميع المقاصـد، بالورع والزهد والعفاف، منهمكاً على التلاوة والاعتكاف، ملازماً للمسجد المشهور بمديحج ـ تصغير مدحج ـ، لا يخرج منه إلا لعذرٍ مانعٍ، أو لصلاة جمعةٍ في الجامع.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣٨)، «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٥١)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٧).

مواظباً على الجماعات، ويصلي في جميع الصلوات، في أول الأوقات، وكان يحضر الصلاة خلفه خلقٌ كثيرٌ، وجمعٌ غفيرٌ؛ بحيث إن المسجد يضيق بالمصلين، ويصلي كثيرون في شارع المسلمين، ومن لم يكن متوضئاً قبل الوقت، لم يدرك معه الصلاة؛ لأنه يأمر بإقامتها بعد صلاة الراتبة، عقب الأذان.

وتصدى لنفع العباد، وقُصد من أقاصي البلاد، وطاب للوارد من منهل علومه صفاء المشرب، وطاف حول كعبته من الوافدين من يريد وفاء المأرب، وتباهت به مدينة تريم، وانهلت بها سحائب النعيم.

وإذا تكلم في علم التصوف في المجالس، أتى من درر بحر صدره بالنفائس، وممن تخرج به: السيد أبو بكر بن علي معلم خرد، والسيد عبد الرحمن ابن عقيل، والسيد عبد الرحمن بن عمر بارقبة، وبنو أخيه عبدالله: عقيل، وعلي، ومحمد، وأحمد.

وكان له اعتناءٌ تامٌ بكتاب «إحياء علوم الدين»، فكان يقرأ منه جزءاً كل يوم، سوى غيره من الكتب، وكان عارفاً بعدة فنون، ملازماً للتقوى في الحركة والسكون، وله اجتهاد في أنواع الطاعات، وكثرة رياضات في سائر القربات، وهو كشيخه حصور، تقديماً للأهم من الأمور.

وله كرامات، لكن عند الضرورات، وكان قليل النوم والكلام، كثير الصوم والقيام، معرضاً عن العَرَض، مشغولاً بالمسنون والمفترَض، طاهر اللسان، وافر الإحسان، لطيف الذات، لا يعرف اللذات.

ولم يزل مقيماً على الإرشاد، وأمره دائماً في ازدياد، حتى وافاه الحمام،

وبكى عليه أهل الإسلام، فكانت وفاته سنة خمس بعد الألف، وحضر الناس تشييع جنازته من كل البلدان، حتى ضاق بهم المكان، ودفن بمقبرة زنبل ـ رحمه الله، وأعاد علينا من بركاته، ونفحنا بنفحاته ـ.

[٢٦٠] السيد محمد بن عقيل باعلوي.

ترجمه تلميذه السيد شيخ بن عبدالله في «السلسلة»، فقال: كان عظيم الجاه، منقطع القرين، كثير المجاهدة، ملازماً للعبادة؛ بحيث ما كان له شغلٌ غيرها، منقطعاً إلى الله بقلبه وقالبه، متخلياً عن العلائق كلها.

لم يتزوج قط، ولا غرس نخلاً، ولا بنى بيتاً، ولا تعلق بشيءٍ من من أسباب الدنيا، فراراً من قوله ﷺ: «من غرس نخلاً، أو بنى بيتاً، فقد ركن إلى الدنيا»، وهكذا كان ﷺ، ومن تبعه من السلف الصالح، لم يضع لبنةً على لبنةٍ، ولا قصبةً على قصبةٍ، إلى أن فارقوا الدنيا، وسبب ذلك: أنهم رأوا الدنيا جسراً منصوباً على نهر عظيم، وهم عابرون عليه، راحلون عنه، ولا غرو أن من بنى على مثل ذلك، فقد تعرض للتلف.

ولقد سمعت عن الشيخ المجذوب صندل الحبشي، صاحب «المخا»، حكايةً تؤدي إلى ذلك، وذلك أن بعض ملوك الهند أرسل إلى فقراء الشيخ صندل بمالٍ، وأمرهم أن يبنوا له بيتاً يسكنه، ويكون بإشارةٍ منه، في أي موضعٍ يريد.

فلما أعلموه، والتمسوا منه الإشارة إلى أي موضعٍ يريد؛ ليقوموا في العمارة، فقام وخرج بهم إلى ساحل البحر، ثم أشار إلى الباحة في البحر، وقال: ابنوا هناك، فتحيروا في ذلك.

فسأل الفقيه علياً الجازاني، فتعجب من ذلك، وأشار عليهم بالذهاب إلى الفقير، وكنت إذ ذاك بالمخا، عند رجوعي من الحج، سنة سبع عشرة بعد الألف، فقلت لهم: الله أعلم أن مقصود الشيخ صندل، بالإشارة إلى البحر: الإشارةُ إلى فناء الدنيا وزوالها، وأن من بنى فيها، فكأنما بنى على أمواج البحر.

ولم يزل صاحب الترجمة على خيرٍ، حتى **توفي** سنة ست بعد الألف - نفع الله به -.

[٢٦١] محمد بن عقيل الضمدي[1].

القاضي الفاضل، العالم الكامل، من أجلّ قضاة اليمن الميمونة، ومن الذين يقضون بالحق، وبه يعدلون، مع الملازمة لكتاب الله العظيم، وقراءة القرآن، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والانهماك على طاعته تعالى آناء الليل، وأطراف النهار.

مولده ليلة الاثنين، ثاني عشر ربيع الأول، سنة سبع - بتقديم السين - وأربعين وألف، بوادي ضمد، من أعمال صبيا، وحفظ القرآن وجوده، وهو ابن ثمان سنين، وأخذ عن كثيرٍ، منهم: عمه عبدالله بن علي النعمان الضمدي، ولازم السيد يحيى بن أحمد الشرفي خمس سنين، وكان لا يفارقه حضراً أو سفراً، وقرأ عليه النحو، والأصلين، والبيان، وغيرها، وأجازه بمروياته، قال: ورباني بالحال أعظمَ مما رباني بالمقال.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٥٨) (٥١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٣١).

ثم رجع إلى بلده، وعظم بها قدره، وتولى القضاء بالمخا، وكلما مر ببلدٍ، يكون هو القاضي فيه، ونفذت كلمته، وقويت شوكته، حتى كانت حكام الأقاليم، يخشون سطوته؛ لما هو عليه من سلوك طريق الحق والاستقامة.

اجتمعتُ به عام أربع وتسعين وألف بالمخا، وصحبته ولازمته، وصار لا يفارقني في غالب الأوقات.

ومما كتبه إلى شيخه السيد المذكور، في صدر كتابٍ متمثلاً بقول الصفي:

أَستطلعُ الأخبار من نحوكم وأسأل الأرواحَ ردَّ السلام
وكلما جاء غلامٌ لكم أقولُ: يا بشرى هذا غلام

[٢٦٢] محمد بن عبد الملك البغدادي[١].

أحد أعاظم المحققين، له «حاشيةٌ على البيضاوي» جعلها ذيلاً على «حاشية الملا خسرو»، إلى سورة البقرة، أرّخ تأليفها سنة اثنتي عشرة بعد الألف، ذكره صاحب «كشف الظنون».

[٢٦٣] محمد بن منصور التايب البغدادي[٢].

كان فاضلاً ملازماً للشيخ أحمد العيثاوي، وفرغ له عن تولية مدرسة شيخ الإسلام أبي عمر بالسفح القاسيوني، ثم ولي نيابة القضاء، ووقع بينه وبين النجم ما يقع بين المتعاصرين، فقال فيه النجم:

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣١).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٥٧) (٥٠).

إن ابــنَ منــصورٍ علــى جهلــه	قــاضٍ وهــذا الأمــر لا يُرتَــضَى
يحكـــم فـــي النـــاس بآرائـــه	فليــت كــان المــوت قبـل القـضا

توفي سنة عشر بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٦٤] محمد ابن الشيخ العلامة المحدث منصور بن محب الدين، الشيخ العلامة شمس الدين الحنفي الفقيه المقري(١).

مولده سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة؛ كما نقلته من خط المحيوي الشيخ عبد القادر النعيمي، وحفظ القرآن وجوده، وأخذ القراءات عن الشيخ الطيبي، وحسن الصلتي، وغيرهما، والفقه عن شمس الدين البهنسي، وغيره، وانتفع به في الفقه ولداه: إبراهيم، ويحيى، والشيخ عبد الرحمن العمادي.

وكان منقطعاً في بيته، يتلو كتاب الله تعالى، وكان يغلب عليه الصلاح، **وتوفي** سنة ثلاثين بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٦٥] محمد بن عبد المنعم الطائفي المكي(٢).

الشيخ الإمام العلامة، الفقيه المتبحر، كان إماماً فاضلاً، مشهوراً بالخير والصلاح، والعلم والعمل، مواظباً على الطاعات، والاشتغال بما يعنيه من أمور الدارين.

مولده بمكة سنة أربع بعد الألف، وحفظ القرآن، ثم نسيه، فقيل له:

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٥٨) (٥١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٣١).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣٣)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٦٢).

لم لا تحفظه ثانياً؟ فقال: أخشى أن أنساه ثانياً، اشتغل بالعلم، فقرأ على السيد العلامة عمر بن عبد الرحيم البصري، وبه تخرج وانتفع وبرع.

وكان والده من تلامذة الشمس الرملي، فسأله أن يجيز ولده المترجم، فأجازه وهو في بطن أمه، وأخذ عن الشيخ أحمد بن إبراهيم بن علان، وعن أحمد الحكيمي، وعبد الملك العصامي، وأجازه غير واحد من شيوخه.

وأخذ عنه جماعةٌ، منهم: السيد محمد بن عمر البار، وعبد الجامع بن أبي بكر بارجا، وكان الشيخ أبو الحسن النبتيتي - مع جلالته - يحضر درسه، وكذلك الشيخ أبو الجود المزين كان يحضر درسه.

وكان حسن الأخلاق، الغالب عليه الوفاق، وكان براً بوالدته، لا يخالفها في كل ما أمرته به، وترك الزواج؛ خوفاً من أن يتكدر خاطرها، وكان كثير العبادة والتهجد، شديد الخوف من الله سبحانه، يحب الفقراء والمساكين، ويفر من الأمراء والسلاطين، قانعاً من الدنيا باليسير، متجنباً في أموره كل عسير.

وكان ملازماً للتدريس بالمسجد الحرام، وحصل به النفع للخاص والعام، وكتب على «التحفة» لابن حجر حواش[1] لطيفةً مفيدةً، وهي غايةٌ في الحسن لو جردت، وله «شرح حسن على الآجرومية» أملاه على بعض طلبته، و«حاشية على شرح المنهج»، و«كتابات على النهاية» للشمس الرملي، وكان بينه وبين الشيخ غرس الدين الخليلي محبةٌ أكيدةٌ، وله فيه قصيدةٌ مطلعها:

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: حواشيَ.

والله إنـــي مغـــرمٌ بالطـــائفِ لـم لا وذاكـم كعبـةُ الطـائف[1]

أَصْلي خليلي القدسِ من شامٍ سَمَت لا بدعَ أن أُشـربتُ حـبَّ الطـائف

توفي يوم الخميس حادي عشري رمضان، سنة اثنتين وخمسين وألف بمكة، ودفن بالمعلاة.

[٢٦٦] محمد بن عبد الواحد النزيلي.

كان من أكابر أهل العلم والفضل والنسك، لازم المسجد في «هجرة المحويت»، وأحياها بضروب العلوم، ووفدت إليه الطلبة، وولي بها القضاء إلى أن توفي.

[٢٦٧] محمد بن عباس المهذَّب ـ بفتح الذال المعجمة ـ الزبيدي الشافعي.

كان إماماً عالماً، فقيهاً محدثاً محققاً، حريصاً على تفهيم الطلبة، معتنياً بإقراء العلم وتدريسه، لا يضن على أحدٍ بكتبه للمطالعة والتحصيل؛ إقتداءً بقول شيخ الإسلام الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ـ رحمه الله تعالى ـ:

كتبـي لأهـل العلـم مبذولـةٌ أيـديهم مثـلُ يـدي فيهـا

مهمـا أرادوهـا بـلا منـة عاريـةً فليـستعيروهـا

أعارنـا أشـياخُنا كُتْـبَهم وسـنةُ الأشـياخ نحييهـا

(١) كذا في الأصل، ولعلها: اللطائف.

وكان مجداً على اكتساب الفضائل، في الضحى والأصائل، مشتغلاً بعبادة ربه، تاركاً الدنيا وأهلها، أخذ العلوم عن كثير، من أجلِّهم: السيد أبو بكر بن أبي القاسم الأهدل، صاحب المحيط، وأخيه[1] سليمان، وكانت **وفاته** سنة إحدى وألف ـ بزبيد، ودفن بباب سهام ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٦٨] محمد بن عبد الهادي الهروي الطباطبي.

نزيل المدينة الشريفة، الشيخ الإمام العلامة الصوفي المحقق المسلِّك، كان أحد مشايخ الطريقة، الجامعين بين الشريعة والحقيقة، قرأ في بدايته العلوم على فنونها، وبرع فيها، ودرس بإذن من شيوخه ببلاده سنين، واشتهر ذكره، ثم طرقه طارق الخير، فاشتغل بالعبادة، وسلك طريق القوم، ومطالعة كتبهم، وصار من أكابر العارفين، ولم تطب له بعد الإقامة بالعجم؛ لكثرة البدع فيها، فتوجه إلى بلاد ما وراء النهر، وأقام مدة، ثم ذهب بأهله وأولاده إلى الحرمين الشريفين، وانقطع إلى الله، ولزم بيته، واشتغل بعبادة ربه، وكف عن الناس، وآثر الخمول على الظهور، فأقام بمكة نحو سنتين، ثم زار المدينة، وأقام بها إلى أن قضى نحبه، ولقي ربه، **فتوفي** بها سنة ألف ومائة واثنتي عشرة، ودفن بالبقيع.

ولما قدم مكة، لازمته، وأخذت عنه شيئاً من علوم الطريقة، وتلقيت منه الذكر، وأجازني، وألبسني الخرقة ـ نفع الله به ـ، وكانت له في الطريق قدمٌ راسخةٌ؛ فإنه أخذ عن بعض تلامذة الأستاذ اليارساه. . .[2].

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: أخوه.

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذا سطران بياض بالأصل».

[٢٦٩] محمد بن عبد الهادي العُمَري الشافعي[1].

شيخ دمشق وواحدُها في عصره في طريق القوم، المربي العابد الزاهد، الصوام القوام، المتهجد بالليل والناس نيام، وأحاطت به المعارف والأسرار، وشهر شهرة تغني عن التعريف في سائر الأقطار.

كان ـ نفع الله به ـ إذا رُئي، يقضي مشاهِدُه بأنه من أهل الجنة؛ لما حواه من اتباعه للكتاب والسنة، وإذا قرر المسائل العلمية، رسخت في القلوب، وإذا لمح إنساناً بإكسير نظره، فتحت له أبواب الغيوب، وإذا صلى، صلى مخبتاً خاشعاً، كأنما يقطر دماً تضرعاً وخشوعاً، جمع الله له بين العلم والعبادة، وملئ قلبه علماً وحكمةً.

ومن أخلاقه: دوام الفكر، وطول الصمت، وقلة المحادثة، وهذا من أوضح العبارات على علم الباطن، وصـدق المعرفة، ولقد أنصف من قال في حقه: إنه رجل وصل إلى مقصوده.

ولد سنة ثمان وتسعين وتسعمائة، ونشأ على طاعة الله، لم يعهد له صبوةٌ قط، واشتغل بالفنون العلمية، حتى بلغ فيها النهاية، ثم طرقه طارق الخير، فسـاح سياحةً طويلةً، وأخذ الطريق عن شيوخ كبار، حتى صار من أهل الكمال، وبلغ مبلغ الرجال.

وزهده الله في الدنيا، وحقرها في عينه، فكان لا يلتفت إليها بطرفه، وجاءته صاغرةً راغمةً، وهكذا جرت عادة الله سبحانه في خلقه: أن من طلبها منهم، أبته، ومن تركها، أتته.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٩٣).

وبلغ من العز؛ بحيث إن جميع معاصريه من علماء وكبراء خضعوا له، وأذعنوا بعظيم فضله، واستمدوا من مدده، وهو ـ مع ذلك ـ من التواضع بمكان لا يشاركه فيه غيره، ومن اللين واللطف للكبير والصغير بما لا يمكن وصفه.

وكان بيننا وبينه محبة، وكان أهلنا من فقرائه، والملازمين له، والمختصين بصحبته، وكان يأخذنا معه إلى بلدته عقربا، من قرى الغوطة، ونجلس عنده أياماً للنزهة، وإذا خرج معنا، يخرج ماشياً مع كبر سنه، وما قطُّ ركب معنا دابة، مع عرض الدواب عليه، ويأبى ركوبها، وأعطاه الله من القوة على المشي شيئاً عجيباً، وكل ذلك من أثر التقوى، وقيام الليل؛ فإنهما مجربان لذلك.

وكنت ـ وأنا صغير ـ لا أفارق بيته في غالب الأوقات، وكان يدعو لي كثيراً، وأرجو قبول ذلك ـ إن شاء الله ـ، وكانت **وفاته** سنة ثمان وتسعين وألف.

[٢٧٠] محمد بن عبد الوهاب النبلاوي الدمياطي.

فاضلٌ أديبٌ، وعالمٌ أريبٌ، مؤثرٌ للخمول، مشتغل بنفسه، وما يعنيه من أمور دينه ودنياه، ملازمٌ للعبادة وطاعة الله، معتكفٌ في بيته لا يخرج إلا لحاجة.

اجتمعت به بمكة سنة اثنتين وتسعين وألف، ثم بجدة، وكان مقيماً بها، وأخبرني أن **مولده** سنة ثمان وثلاثين وألف بدمياط، وبها نشأ، وقرأ القرآن، وأخذ فنون العلوم عن جماعةٍ، منهم: العلامة محمد البيروتي نزيل دمياط، وعبدالله الديري، ومحمد القياني، وغيرهم.

ثم قدم القاهرة، وأخذ عن جملةٍ من علمائها، منهم: الشهاب أحمد القليوبي، وسلطان المزاحي، وأجازوه، وحج سنة أربع وخمسين بعد الألف، وجاور بمكة، وأخذ بها عن محدث عصره محمد علي بن علان الصديقي، وأجازه بمروياته ومصنفاته، وعنه أرويهما إجازةً، وله شعرٌ كثيرٌ وسطٌ، وغالبه يلتزم فيه الجناس.

ولما حصل بمكة في ثاني وعشري ذي الحجة ختام سنة إحدى وتسعين وألف، يومٌ شديدٌ على الحاج المصري، السيلُ الذي لم يُعهد مثله في هذه الأعصار؛ بحيث إن الماء وصل في المسجد الحرام إلى قريب حزام البيت الشريف، وهدم نحو ثلاثمائة بيت، وغرق به خلقٌ كثيرٌ، وذهب من الحاج المصري خلقٌ كثيرٌ، وعظمت المصيبة بأم القرى، وذهبت أموال كثيرٍ من الناس ممن كان بيته في ممر السيل، وكانت مدته نحو ساعتين، ووقته ضحى.

قال فيه المترجم:

بحمدِ إلهٍ إليه الهربْ	بدأتُ ليأمنني من رَهَبْ
له الأمرُ ما شاءه كائنٌ	وما لم يشأ لم يكن يُرتقَبْ
ولا يُسأل الحقُّ عن فعلِه	وهو يُسألون رضىً وغضبْ
وثَنَّيْتُ صلَّى على المصطفى	سلامٌ بأزكى السلامِ الأحَبّْ
محمدِ الحاشرِ العاقبِ	الرؤوفِ الرحيمِ الكريمِ النسبْ
ومن سادَ إنساً وجناً وزاد	وجادَ على عجمِها والعربْ

ومنها:

به الغيثُ والغوثُ يومَ المعاد	وعنهُ المعاش لأمر حَزَبْ

وآلٍ وصــحبٍ نجــومِ الهــدى رُجـومِ العـدا يـومَ كـرّ الكـربْ

إذا لاح بــرقٌ لــدى الأبــرقينِ ونــاح ضُـحًى ورقُها بـالطربْ

وبعــدُ فــإنَّ الهـوى للهـوانِ يجـرُّ ويجـري ببحـر العطـبْ

ومـن يرتكِبْـهُ غـدا فـي ارتبـاكٍ يغرِّقْــهُ عــرقُ اللبــبْ[1]

ويقـضي بـإهلاكِ حـرثٍ ونـسلٍ ويقـضي بـسوءِ الأسـى والسَّغَبْ

بــه عــمَّ كـلَّ الـبلادِ الـبَلا وأُمَّ القـرى أَمَّهـا مـا وَصَـبْ

وألقــى بــلالاً بمــسجدها كـالقِلال بلاهـا تـلاه تعـبْ

ويـا ليـتَ حَـفَّ وخلـفَ المقـام عليـه عـلا فـارتقى وارتقـبْ

وطـافَ بـه نحـوَ طوفـان نـوح فكـم نـاح صَـبٌّ بـه وانتحـبْ

ومنها :

وكـم مـن رديـمٍ عـديمٍ وكـم بـه مـن غريـقٍ عريـقِ النسبْ

وكـم مـن قـصور تخـرُّ وكـم تُجَـرُّ صـخور كجـدرِ الخـشبْ

ولمـا طغـى المـاء فيهـا عـلا ثلاثـاً وعـشرين شـبراً نـصبْ

أعـلَّ القلـوبَ وكـرَّ الكـروبَ وأغلـى الحبـوبَ فقـلَّ الـذهبْ

ومـن فـوقِ منبـرٍ قـد رقـى[2] بعيـرٌ لكـربٍ وخطـب خطـبْ

وعـمَّ الـسواري وعـمَّ الـذراري وما سر حتى سرى في السربْ

وهـذا الجليـلُ قليـلٌ بجنـب العقـوقِ الكثيـرِ ومـا يجتنـبْ

---

(١) كذا في الأصل، والشطر الثاني غير موزون.

(٢) كذا في الأصل، والشطر الأول غير موزون.

ومنها:

فإنــــا إلـــــى رَبِّ الـــــورى	راجعــونَ فُــرادى ليــومِ النَّــصَبْ
وتـــم لألـــفٍ وعـــامٍ وتـــسعين	يـــوم بـــدور الحجـــيج انتـــدبْ
بـــالاثنين إذ ودعـــوا أرخـــوا	(تـــوالى بمكـــةَ ســيلٌ ســكبْ)
والحمـــدُ لله ختمـــي وبـــدئي	بحمـــد إلـــه إليـــه القـــربْ

وقد أرخ هذا السيل ـ أيضاً ـ صاحبنا الشيخ حسين بن أحمد بن محمد شاجور اليمني، بقوله سبحانه: (فلا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحمه) بزيادة فاء في أوله، وهاء في آخره[1].

وتوفي صاحب الترجمة يوم الثلاثاء، ثالث أو خامس رمضان، سنة ألف ومائة وتسع بجدة، وبها دفن ـ رحمه الله ـ.

[٢٧١] محمد بن عثمان بن محمد بن علي الهُوش، الصالحي مولداً، الدمشقي منشأ، الشافعي[2].

صاحبنا الفاضل الأريب، البارع الكامل الأديب، ذو العقل المتين، والعلم والتمكين، والمعارف والعوارف، والظرائف واللطائف، والهمة العلية، والشيم المرضية، مع خلقٍ حسنٍ، وصدرٍ سليمٍ، وتواضعٍ للعدو والحميم، والحفظ للسانه، والإقبال على شانه، والمحاضرة اللطيفة البديعة، والتمسك من المحامد بأقوى ذريعة.

---

(١) جاء في الحاشية: «لا معنى لزيادة الفاء في أوله، بل تم التاريخ بزيادة الهاء في آخره؛ كما هو ظاهر».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣٧).

ولد سنة ثلاثين بعد الألف، وقرأ القرآن وجوده، وأخذ عن جماعةٍ من العلماء، منهم: عبد الباقي الحنبلي، ومحمد بن بلبان، ثم رحل إلى مصر، وأكثر تردده إليها، وكان من أخيار التجار الواردين، وأخذ عمن بها من فضلائها.

وحج مرات، وجاور بالحرمين كذلك، وقد كان صديقاً لي صادقَ الوداد، ورفيقاً لي من الرفقاء الأمجاد، وبيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ، ومحبةٌ خالصةٌ شديدةٌ، وطلاقة الوجه، وفصاحة اللسان، ما يطول شرحه.

وله شعرٌ وشعورٌ، هما من خير الأمور، وتخميس لامية ابن الوردي، حفظت منه قوله بعد قوله:

والْهُ عن آلةٍ أطربتْ ... وعن الأمردِ مرتجِّ الكَفَلْ

أعربتْ عنه لغاتُ الفصحا ... إنه كالبدر بل شمس الضحى

قل للعاذل إذ فيه لحا ... إن تبدى تنكسفْ شمسُ الضحى

وإذا قِسناه بالبدر أَفَلْ

حلَّ بالقلب وعظمي وَهَنا ... ونفى عن ناظريَّ الوَسَنا

مذْ تبدَّى ولعِطفيه ثنى ... زادَ إن قِسناه بالشمس سَنا

وعدلناه ببدر فاعتدلْ

ولم يزل ممتعاً بدنياه، شاكراً الله على ما حباه، حتى ناداه داعي أجله فلباه، فرحل من مصر إلى دمشق، بعد أن فارقها سنين، فوافاه حمامه حين وصوله إليها، ولقي رب العالمين، وتوفي ليلة الخميس ثاني عشر رجب،

سنة إحدى وتسعين بعد الألف، وصلي عليه ظهر يومها بمسجد بني أمية، في مشهدٍ حافلٍ ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٧٢] محمد أمين الدين بن عثمان الصالحي(١).

أحد العدول بالمحكمة الكبرى بدمشق، كان لطيف الذات، حلو النادرة، ينظم الشعر والزجل.

ومن ألطف ما وقع له: ما كتبه على خاتمه:

يرجو ابنُ عثمانَ الأمينُ الصالحي ... من ربه حسنَ الختام الصالحِ

وكان يكثر من الهجاء، فقيل له: مالك لا يجود شعرك إلا في الهجاء؟ فقال: خاطري لا يغرف إلا من البحر المنتن.

وهجا يوماً أهل مجلسه، فقال:

قضاتُنا أربعة ... جميعُهم لا يفقهون
شهودُنا عِدَّتُهم ... تسعةُ رهطٌ يفسدون
والكنجيا والترجمان ... في جهنمَ خالدون

ودخل على أبي السعود الكاتب، فقال:

يا من به رقَّ شعري ... وجال بالفكر وصفه
قد مزق الدهرُ شاشي ... والقصدُ شاش ألفه

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٣١) (٤٠)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣٤).

فكساه شاشاً، توفي أوائل شعبان سنة أربع بعد الألف ـ رحمه الله ـ، ذكره النجم في «الذيل».

[٢٧٣] السيد محمد بن عز الدين المفتي بن محمد بن عز الدين بن صلاح الدين بن الحسن ابن أمير المؤمنين علي ابن الإمام المؤيد المؤيدي[1].

إمام العلوم المطلق، ومنتهى المحققين، وبقية المدققين، كان فارس العلوم في كل فن، مع حسن تأديته وتعليمه، ولطفه وترغيبه، وبذله لنفسه لكل طالب.

قرأ «الحاجبية» على أحمد الضمدي، المسمى بالخصيب، من آل النعمان، و«المطول» على عبدالله المهلا، وبعض «الرضي» على ابن بنت الناصر، وفي أصول الفقه، على السيد صلاح بن أحمد الوزير، وعنه أخذ طرق الحديث.

وقرأ في أصول الفقه على والده، وفي الفروع على أخيه المهدي، وعلى سيد العلماء عبدالله بن أحمد بن الحسين المؤيدي، وقرأ الحديث، على الشيخ الخاص الحنفي الزبيدي، وأجازه فيه وفي غيره، وعلى العلامة الصابوني، وعلى محمد شلبي الرومي، وقرأ «الشمسية» بمكة على أحمد ابن علان الصديقي.

وكان والده عز الدين أولَ من خرج من صعدة إلى صنعاء، أخرجه الأروام قسراً، وبقي في الحبس حتى أخرجه بعد أن أخرج الأمراء أولاد الأمير أحمد بن الحسين بن أحمد، وأحمد وعبدالله والحسين، وجده محمدُ بن عز

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ١٠٢١) (٦٤٣)، «البدر الطالع» (٢/ ٢٠٣)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٦٧).

الدين هو جامع «الحاشية المفيدة على الحاجبية»، **توفي** بصنعاء يوم الاثنين، ثاني عشر شعبان، سنة خمسين بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٧٤] الدرويش محمد بن علي بن علاء الدين المقدسي الحنفي، عرف بابن غزالة[١].

كانت له فضيلةٌ ظاهرةٌ، وحشمةٌ وافرةٌ، ومحاضرةٌ حسنةٌ، وسافر إلى الروم غير مرة، واشتهر بها، وحسن حاله فيها.

وكان يميل إلى مطالعة كتب ابن عربي، ويعرف علم الحرف، وحل الزايرجة، وأعطي تدريس بقعةٍ بالجامع الأموي، ورحل إلى مصر، واجتمع بالأستاذ الشيخ محمد البكري وغيره، ثم قطن دمشق، وسكن بحجرة بالبادرائية، وكان كثير التردد إلى الأمير محمد بن منجك.

قال النجم الغزي: وحدثني أن الأستاذ الشيخ محمد البكري حدثه قال: كنت مولعاً بمطالعة «الفتوحات»[٢]، فدخل علي والدي الأستاذ الشيخ أبو الحسن، فقال لي: ما هذا الكتاب؟ فقلت: فتوحات الشيخ محيي الدين بن عربي، فقال: هذه فتوحاته، فأين فتوحاتك أنت؟ فأثر كلامهُ في قلبي، ثم تركت مطالعة الكتب، وأقبلت على ملازمة الوالد، وعلى الاجتهاد، حتى فتح الله لي.

ثم سافر هو والأمير محمد بن منجك من دمشق إلى القسطنطينية،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٣٩) (٤٥).

(٢) سبق الكلام حول هذا الكتاب، وتحذير العلماء من مطالعته، وما فيه من الزندقة والإلحاد، والله الهادي إلى سواء السبيل.

صحبةَ مصطفى أفندي بن بستان قاضي دمشق، فتوفي بآق شهر، من أعمال قزمان، ووصل خبر موته إلى دمشق سابعَ محرم، سنة خمس بعد الألف، عن خمسين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٧٥] محمد الباقر بن عمر بن عقيل بن محمد بن أحمد بن عبدالله ابن جمل الليل محمد بن حسين ـ رحمهم الله تعالى ـ، اشتهر كسلفه بـ: باحسن[١].

ذكره شيخنا السيد محمد الشلي في «مشرعه»، فقال: باقر العلم ومحرره، وناشر الفضل ومقرره، ذو الشرف الذي ينطح النجوم، والكرم الذي يفضح الغيث السجوم، والعزم الذي يروع الأشبال، والعز الذي يقلقل الجبال.

ولد سنة ست وعشرين وألف بـ «تريم» المحروسة، ونشأ في أرجائها المأنوسة، وحفظ القرآن، وفاق في حفظه ولدان الزمان، وسعى في نيل غايات الفضائل والآداب، وكرع من حياضها مما هو أشهى من رشف الرضاب.

وأخذ عن أخويه: عقيل، وعلوي، والشيخ زين العابدين، والشيخ عبد الرحمن العيدروسيين، والشيخ عبدالله بن زين بافقيه، وحضر درس الشيخ أحمد بن عمر عَيْديد، والشيخ أحمد بلفقيه.

ثم اشتاقت نفسه إلى السفر والارتحال؛ لبلوغ المقاصد والآمال، فارتحل إلى الحرمين الشريفين، وأدى النسكين، وزار جده سيد الكونين، وأخذ بهما عن جماعة من السادة، ورجا بصحبتهم نيل السعادة.

ودخل الهند، واتصل بولاتها، فوصلته بأسنى صلاتها، ثم رجع إلى

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٠٣)، «لفت النظر» للجيلاني (٥٧٧).

بلده بالسلامة، ولكن لم تطب له به الإقامة، فدخل الهند ثانياً، وأقام بها زمناً طويلاً، وشمر في نيل الفضائل ذيلاً، وأكثر في نواحيها الترداد، يرحل من بلاد إلى بلاد، والمعالي تناديه من كل ناد، إلى تقدس نفس وذات، ومداعبات مستلذات.

وحظي من العربية والأدب، وتميز بهما نظماً ونثراً بأعلى الرتب، ومنحه الله تعالى مكارم الأخلاق، الطيبة الأعراق، وإحساناً للخاص والعام، متصل الدوام، لا يعتريه ملال ولا سآم.

اجتمعتُ به في الديار الهندية، وقد اجتمعتْ فيه الصفات العلية، واشتملت على كرم الطباع شمائلُه، ودلت على النجاح والفلاح مخائله، فتعاشرنا معاشرة صديق صدقٍ ووفاءٍ، وتراددنا وداد محبةٍ وصفاءٍ، ثم عاد إلى وطنه، واستقر به النوى، وألقى من يده العصا.

ثم عكف على العلوم الصوفية، عكوفَ مَيَّةَ على حبِّ الأخيلية، ولازم قراءة كتاب «الإحياء» ملازمة غيلانَ دار مَيَّة، ولزم صحبة شيخ البلاد والعباد، صاحب الإرشاد والإمداد، السيد عبدالله بن علوي الحداد، فحصل له الإسعاد، وفتحُ الجواد، وتجرد عما كان عليه من تلك الأوصاف، ولم يتطلع إلى ما فوق الكفاف، ولبس ثوب القناعة والعفاف، فأسفرت له وجوه المحاسن سافرة النُقب، ظاهرة الجمال من وراء الحجُب، ولم يصادف إلا من قال: أهابك إجلالاً، وناداه كل محب: هكذا هكذا وإلا فلا لا، وكان صدر المحافل إذا عقدت، وصيرفيَّ الأمور إذا انتقدت.

ولم يزل في جميع أوقاته محفوظاً، وبعين عناية الله ملحوظاً، إلى أن دعاه داعي المنون فأجابه، وانتقل إلى رحمة الله، فوفاه حسابه، وكانت **وفاته**

سنة تسع وسبعين وألف بتريم، ودفن بمقبرة زنبل ـ رحمه الله عز وجل ـ.

[٢٧٦] محمد بن عيسى الميموني الشافعي[١].

الشيخ الإمام، عالم عصره، وواحد مصره، كان جليل المقدار، لا يُشق له غبار، مولده في نيف وثلاثين وتسعمائة، وقرأ على والده، وبه تخرج، وأخذ عن الشمس محمد الرملي، والشيخ شهاب الدين البلقيني، والشيخ أحمد قاسم العبادي، والشيخ محمد شمس الدين الصفوي الشافعي الواعظ، والشيخ عبد الحميد السمهودي.

وعنه: كثيرٌ، منهم: ولده محمد، وشيخنا سلطان، ومحمد البابلي، ومن في طبقتهم، وله من المؤلفات: «مختصر الآيات البينات» للفهامة ابن قاسم، و«رسائل تتعلق بآياتٍ شريفةٍ قرآنيةٍ».

توفي في شهر صفر سنة ثلاث وعشرين وألف، ودفن في تربة المجاورين ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٧٧] محمد بن علي بن محمود بن يوسف بن محمد بن إبراهيم الشامي العاملي[٢].

قال السيد في «سلافته»، كعادته في تعظيم شيعته: شيخنا العلامة، البحر الغطمطم الزخار، والدر المشرق في سماء المجد بسناء الفخار، الهمام البعيد الهمة، المجلوةُ بأنوار علومه ظُلَم الجهل المدلهمَّة، فضلٌ تغلغل في شعاب

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٠٥).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٦٥)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٣٢٣)، «نسمة السحر» للصنعاني (٣/ ٩٣) (١٥٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٣٤٦) (١٠٢).

العلم زلاله، وتسلسل حديث قديمه فطاب لراويه عذبُه وسَلسالهُ.

وأطنب في ترجمته إلى أن قال: وأمـا الأدب، فعليـه مـداره، وعليه إيراده وإصداره، فما الدر النظيم، إلا ما انتظم من جواهر كلامه، ولا السحر العظيم، إلا ما نفثت به سواحر أقلامه.

ولد بالشـام، ونشـأ بها، ثم توجه إلى الديار العجمية، فأقام بها برهة من الدهر، عاكفاً على بث العلم ونشره، ثم استدعاه بعض وزراء الهند إلى حضرته، وأحله من كنفه في بهجة العيش ونضرته.

ثم قصد الحج، وأقام بمكة سنين، ورجع إلى الهند، فأقام بها مدةً، ثم رجع إلى العجم، **وتوفي** في نيف وسبعين وألف.

وذكر نبذةً من شعره، **فمنه قوله**:

قفْ بالمنازل حيث أوقفَكَ الهوى ... وكِلِ البكـاءَ إلـى الحمـامِ الفيـفِ
إنـي غـسلتُ مـن العيـون أنـاملي ... ونفضتُ مـن ألـم البكـاءُ كفـوفي

ومنها:

وقفت بـيَ الوَجْنـاءُ بـين طُلـولهم ... لولا مكـانُ الـذيبِ طـالَ وقـوفي
أرتـــادُ فـــي عرصـــاتهنَّ كـــأنني ... طيــفٌ ألــمَّ بنــاظرٍ مطــروفِ
فصممْنَ حتـى لا يجـبنَ مُـسائلي ... وعَمِـينَ حتـى لا يـريْنَ عكـوفي

وقوله:

إذا أبـصرتُ شخـصَكَ قلـتُ بـدرٌ ... يلـــوح وأنـــتَ إنـــسانُ العيـــونْ
جـرى مـاءُ الحيـاة بفيـك حتـى ... أمنـتُ عليـك مـن رَيْـب المنَـونْ

وقوله:

أجدكَ شايعتَ الحنينَ المرجعَّا ... وغازلتَ غزلاناً على الخيفِ رُتَّعا

وطالعتَ أقماراً على وَجْرَةِ النَّقا ... وقد كنتُ أنهى العينَ أن تتطلَّعا

ولم أرَ مثلَ الغيدِ أعصى على الهوى ... ولا مثلَ قلبي للصبابة أَطوَعا

ومن شِيَمي والصبرُ مني شيمةٌ ... متى أرَ أطلالاً بعينيَّ تدمَعا

وقورٌ على رأس الهوى ورجائه ... فما أتحسَّى الهمَّ إلا تَجَرُّعا

ومنها:

خليليَّ ما لي كلما هبَّ بارقٌ ... تكاد حصاةُ القلب أن تتصدَّعا

طوى الهجرُ أسبابَ المودةِ بيننا ... فلم يُبقِ من قوس التصبُّرِ منزعا

إلى الله كمْ أغضي الجفونَ على القذى ... وأطوي على القلب الضلوعَ توجُّعا

ألا حبذا الطيفُ الذي قَصَّر الدجى ... وإن كان لا يلقاك إلا مودِّعا

ألمّ كَحَسْوِ الطيرِ صادف منهلاً ... فأزعجه داعي الصباح فأسرعا

ومنها:

وناضلته باللحظ حتى إذا رمى ... بسطتُ له حبل الهوى فتورَّعا

قسمتُ صفاءَ الودِّ بيني وبينه ... سواءً ولكني حفظتُ وضَيَّعا

وحزّت نياطَ القلب أسبابُ نأيه ... فلله قلبي ما أرقَّ وأجزعا

وقوله:

هاتِها هاتِها سنيةَ حولٍ ... قد توانَتْ ولاتَ حينَ تواني

كسقيطِ الندى على وجنات الـور | د أو كالـدموع فـي الأجفـانِ
من يَـديْ شـادن رقيـقِ الحواشـي | فـوق خدَّيـه وردةٌ كالـدِّهانِ
هـي فـي خـده سـبيكُ نـضارٍ | وبفيـه عـصارةُ العِقْيـانِ
نـسجتْ سـحرَ بابـل مقلتـاه | فتنبّـى فـي فتـرة الأجفـانِ
فـي ربـوعٍ كـأنهن جِنـانٌ | عطفـتْ حورُهـا علـى الوِلـدانِ

ومنها:

وريـاض كـأنهنَّ سـماءٌ | أطلعـت أنجمـاً مـن الأُقحـوانِ
بـين وُرْقٍ كـأنهنَّ قيـانٌ | رُكِّبـت فـي حلـوقهنَّ مثـاني
وغـصونٍ كـأنهنَّ نـشاوى | يترقَّـصن عـن قـدودِ الغـواني
وأقـاح كـأنهن ثغـورٌ | يتبـسمن فـي وجـوه الحِـسانِ
ونـسيمُ الـصَّبا يَـصِحُّ | ويعتـلُّ علـى بـرده حَـرُّ جَنـاني
كلَّمـا غنـت البلابـل فيهـا | رَقَّـصَ الـدمعُ بالبكـا أجفـاني

ومنها:

عطفتنـي علـى الريـاض قـدودٌ | خلعـتْ ليلَهـا علـى الأغـصانِ
يتلقـاني الأقـاح بنـشرٍ | وغـصونُ النقـا علـيّ حـداني
قـل لعتـبٍ ومـا أظـن نـوالاً | عنـد عتـب لواجـدٍ أسـيانِ
أيـن قلبـي لا أيـن إلا طلـولاً | أذهبْتهـا الريـاح منـذُ زمـانِ
أذكرتنـي معاهـداً وربوعـاً | كـاد يـدمى لـذكرهن بنـاني

حيث غُصني من الشباب رطيبٌ / وعيونُ المها إليَّ رواني
أطردَ النومَ عن جفونٍ نَشاوَى / بحديثٍ أرقَّ من جُثماني
وقوافٍ لو ساعد الجدُّ نيطتْ / موضعَ الدرِّ من رقابِ الغواني
سائراتٍ بيوتُهنَّ عن الألسن / سيرَ الأمثالِ في البلدانِ
قصدٌ كالفِرنْد في صفحات / الدهر أو كالشّنوف في الآذانِ
عاصياتٌ على الطباعِ ذلولٌ / يُتغنى بهنَّ في الركبانِ
ساقطت والندى يُطلُّ علينا / من عيونِ المها حصا المرجان

. . .[1].

[٢٧٨] محمد بن علي بن قيس الصنعاني[2].

كان هذا القاضي مشاركاً في الفنون، أخذ عن السيد محمد بن إبراهيم المفضل، ومن في طبقته.

[٢٧٩] محمد بن علي الشاه بندر الحلبي[3].

هذا الأديب من أبناء أكابر التجار، له طيب خيم، وشرف أصل ونجِار، **ولد** بحلب، وبها نشأ من صغره، في رياض النعم، مقتطفاً ثمرات المجد والحلم ببنان الجود، ولطف الطبع، وحسن الشيم.

صارفاً أكثرَ أوقاته في فنون الآداب، مغتنماً لذيذ العيش في غفلة الدهر

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا البيت الأخير سطران بياض في الأصل».

(٢) «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ١٠٤١) (٦٥٦).

(٣) «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ٣٨٦) (١٠١٠).

بمنادمة الأحباب، لم يزل يتقلب من حال إلى حال، حتى آذنت شمس فضله بالزوال، فتوفي سنة سبعين وألف.

ورأيت له نبذاً من أشعاره، تـدل على علو مقامه في الآداب، ورفعة مقداره.

منها: قصيدةٌ أرسلها لبعض من تملَّك حبُّه سويداه، ولم يسمح به الدهر الخؤون بعد بعده بلقياه، وهي:

ذَرِ الصَّدَّ إني لستُ أقوى على الصدِّ ... وعُدْ للذي عَوَّدتني منك من ودِّي
فطـامي عـن ثـدي الـولا متمنّـعٌ ... وطفـلُ نزوعـي لا يُعلَّـل بالمهـدِ
حَنانَيْـك مـا هـذا التجنِّـي فـإنني ... لفي نُكُرٍ من مـزجِ هزلِـكَ بالجِـدِّ
لئن بك شَـطَّ الـوهمُ عني لهفـوةٍ ... فعدّ وعد وابـشرْ فغفرانُهـا عنـدي
وحَقِّك لم أحـسبك قـطَّ مفـارقي ... ولـم يك ظني فيك خُلفـكَ للوعـدِ
فكيف ثنائي ويـح غيـرك هاشـما ... حباك بمحض الودِّ في القرب والبعدِ
فـوالهفي لـو كـان يغنـي تَلَهُّفـي ... وواأسفي إذ صرتُ أبطـأَ مـن فنـدِ
فما هكـذا عهـدي بفقـدك إلفَتـي ... أأحدثت أمراً لم يكن ذاك في عقدي
لقد كنتَ لي حسبَ اقتراحي ومُنيتي ... مفَدًّى إذا أشكو وأنت الذي أفدي
مجيبـاً بمطلـوبٍ ملـبٍّ بـدعوةٍ ... مزاح بمرغوب سريعاً إلى رفْـدي

ومنها:

فماذا عسى أنكرتَ مني وما الذي ... أباحكَ تعذيبي وقتلي عـن عمـدِ
أراك وقـد خلَّفتنـي ذا لـواعجٍ ... من البين ذا قلب أشدَّ مـن الـصلدِ

لمن صرتَ لا زلَّتْ بك النعلُ غادياً حليفاً وذا أهل وقد كنتَ لي وحدي
فيـا ناسـياً للـوُدِّ إنِّـيَ ذاكـرٌ ويا ناقضَ الميثاق إني على العهـدِ
أبى الله أن أرعـى ذِمامـك جاهـداً وتبخَسَني حقِّي وتكثرَ في جهـدي

ومنها:

فلا كـان لـي قلـبٌ بغيـرك جـانحٌ ولا صحبتني مقلةٌ فيـك لا تنـدي
فقـدتُك إبـراهيمُ فقـدانَ آدمٍ على دَعَـةٍ مـن أمـره جنـةَ الخلـدِ
أُعَلِّـل قلبـاً لا تحيـل تعلـة به عنـك ذا تـوق جزيـل وذا وقـد
وأنشدُ بيتاً سـالفاً حسبَ لـوعتي إذا هاج تَهْيامي وقد فاتني قصدي
لعـلَّ الـذي أبلـى بحبـك يـا فتـى يردُّكَ لي يوماً على أحسنِ العهـدِ
أقلِّـبُ طرفـي لا أراك فيثنـي بوابلِ دمعٍ كالجُمـانِ علـى خـدي

ومنها:

وددتك تدري ما الذي بي من الجوى عسى كنتَ ترثي لي من الهم والوجد
أما تذكرون مـا دارَ بالوصـل بيننـا أبـاريقَ لـذاتٍ ألـذَّ مـن الـشهدِ
لأيـةِ حـال قـد تناسـيتَ خُلَّتـي وكيف استجزتَ الهجرَ والنكثَ للعهد
سلامي على اللذاتِ بعدَك والهوى وحلوِ التـصابي والتـشوقِ للمُـرْد

ومنها:

فيا ليت شعري من تبدَّلْتَ بي ومن غدا يحاسدني في القرب بالبين والبعـد
فما أُمُّ خِشْفٍ راعهـا حبـلُ صـائدٍ فأذهلَها عنه وغابـتْ عـن الرشـدِ

تحـنُّ فتـستهدي الأسـودُ لغابهـا فـلا أثـراً تلقـى ولا هاديـاً يهـدي
بأفجعَ منـي حـين فارقتـه ضُـحًى حليـفَ أوارٍ لا أعيـدُ ولا أبـدي
لئن كنتَ أخلفتَ العهودَ وخُنْت بالـ ـمواثيقِ عن جهلٍ وملتَ عن الرشدِ
فحبُّك في قلبي وذكرُك فـي فمـي وأنت لعيني ما حييتُ إلـى اللحـدِ

[٢٨٠] محمد بن فضل الله البرهانبوري الهندي الحنفي.

سلطانُ الصوفية الأبرار، وملاذ علماء تلك الديار، كان إماماً فاضلاً، زاهداً عابداً ورعاً، اشتهر بالصلاح والورع والزهادة، وبلغ في ذلك مبلغاً لم يبلغه أحد، وذلك أنه كان يحاسـب نفسـه كل يوم في آخر نهاره، وكان من طريقته: أن يكتب جميع ما يقع منه، وتصرف فيه، وكان عظيم الخوف من الله تعالى، يتوقع الموت كل وقت.

وبالجملة: فإنه كان سـيد الصـوفية وحجتهم، وبطانة خالصة للعلماء بالقول والفعل سالكاً محجتهم، وإمام أهل الشريعة.

أخـذ عن كثير من العلماء بالهند، من أجلِّهم: الشيخ وجيه الدين ابن القاضـي نصـر الدين العلـوي الأحمـد آبادي، به تخرج، وكان رفيقاً للسيد صبغة الله البروجي الحسيني، في سلوك طريق المحققين.

ومن أكابر القائليـن بالوحـدة الوجوديـة، التي عليها إجمـاع محققي الصوفية[١]، وألف فيه رسالةً سماها: «التحفة المرسلة إلى النبي ﷺ»، وشرحه شرحاً لطيفاً، أتى فيه بالعجب العجاب، واعتذر فيه عما يقع من هؤلاء الطائفة

---

(١) سبق التنبيه على فساد هذه العقيدة، وتكفير العلماء لمنتحلها، وفيما سبق كفاية، والله الهادي إلى سواء السبيل.

من التشحطات الموهمة خلاف الصواب، اعتذاراً يقبله من أراد الله له الزلفى وحسن المآب، وقد قرأهما[1] تحملاً بالهندي، شيخنا محمد قاسم الكجراتي، نفع الله به.

وسمى الرسالة بـ: «التحفة المرسلة»؛ لكون عادة العلماء في بلاد العراق والهند ومصر والشام والحجاز، إذا ألف أحدهم كتاباً أجاد فيه وأتقنه، أتحف به ملك قطره، وجعله برسمه واسمه.

وهذا الإمام ـ أجزل الله ثوابه ـ لم ير في الوجود أعظمَ ولا أفخمَ قدراً من رسول الله ﷺ، فجعل رسالته هذه تحفةً مرسلةً إلى روحه ﷺ؛ لكونه أصلَ ومنبعَ فيضها ومددها، على اختلاف أجناسها وامتداد فروعها؛ لأن روحه المقدسة أول مخلوق على ما جاء في الأحاديث.

فكأن الرسالة موضوعة فيه ﷺ، فناسب إرسالها إليه، ولقد أصاب مرسلها، وأتى البيوت من أبوابها، ووفق لما ذهل عنه غيره، ممن همُّه الدنيا وزهرتها، ولذلك عَمَّته بركة هذه الرسالة.

ولقد أخبرني شيخنا خاتمة المحققين إبراهيم الكوراني: أن بعض أصحابنا الجاويين، وكان يقرؤها عليه إذ ذاك، ونحن عنده: أنه أخبره: أن هذه الرسالة ببلادهم قد طار صيتها، واشتهر أمرها، فصارت تقرأ في المكاتب، ويتعملها الأولاد كالرسائل الصغار التي في مبادئ العلوم.

ولقد علم كل منصفٍ: أن ذلك إنما حصل لها ببركة نسبتها إلى النبي ﷺ، وبركة نية مؤلفها، وإلا، فهذا العلم قد صار من الغرابة؛ بحيث أنكرته أذواق

---

(١) في الأصل: قرأتهما.

كثير من فحول العلماء المحققين، فضلاً عمن دونهم من المترسمين، فضلاً عن العوام، فضلاً عن صبيان المكاتب.

ولكن إذا أراد الله بعبدٍ خيراً، حبب إليه الإيمان، وزينه في قلبه، وزين إليه أسبابه، فكما يوفق العبد إلى أخذ العقائد الدينية الواجبة على عامة المؤمنين، فيتلقفها تقليداً، من غير أن يحصل له كبير فهمٍ لمعانيها، حتى إذا تكامل عقله، وبلغ مبلغ المدركين لحقائق العلوم، سهل عليه إدراك معانيها، وانشرح صدره لقبول أنوارها، لإلفها له قبلُ تقليداً.

فكذلك عقائد الأكابر، التي لا يدركها عوام الخلق، إذا وُفق العبد لأخذها في صغره تلقيناً، ثم خلق الله له في كبره استعداداً لفهمها، وجمعه معارف عدة بأنوارها وتحقيقها، انشرح صدره لقبول ذلك وفهمه، وإدراكه بسرعةٍ بلا كبير مؤنةٍ؛ لإلفه لسماعه، واعتقاده تقليداً.

لكن ظهر لي أنه الحق، وأولى بالصواب، وأظنه هو الواقع عندهم في بلادهم، أن يلقن الصبي أولاً العقائد المشهورة المألوفة، التي كلف بها سائر الخلق، الظاهرة من نصوص الكتاب والسنة، وأقوال السلف الصالح، ويؤمر بقراءة صغير الرسائل المؤلفة في ذلك لأئمة أهل السنة.

ثم بعد ذلك، إن شاء وليه أن يقرئه أيضاً شيئاً مما هو خاص بعقائد الأكابر؛ تيمناً بهم، وتبركاً بكلامهم، ويعلمه أن هذا الذي لقنه الآن ليس هذا أوان فهمه، وأن له رجالاً مخصوصين، هم صفوة الحق من عباده، وخلفاء أنبياء، قلوبهم مملوءةٌ بمعرفته ومحبته، لم يبق فيها مساغ لغيره.

ويكون فائدة تلقين ذلك في الصغر: أن لا ينشأ على جمود القريحة،

على ما اعتادته أولاً وتلقفته من الصغر، فيعتقد أن ليس هناك أمرٌ وراء هذا، ولا فهمٌ أعلى منه، ولا ذوقٌ أحلى، يمنحه الله من شاء من خُلَّص أحبابه، زيادة على ما علمه غيرهم، من عوام الخلق، غير منـاف لما في الكتاب والسنة، ولا مباين لما أمر باعتقاده عوام البشر، ولا أنه أعلى منه وأدق وأرق، وأصفى وأحلى وأغلى؛ فإن اعتقاد العبد أن ليس وراء ما أدركه من العلوم والمعارف مَرْقًى ولا مطلب، أعظمُ حجاب، وأكبرُ مانع له من الوصول، إلى ما وصل إليه غيره، خصوصاً هذه العلوم التي هي أذواقٌ ومعارفُ، وكشوفاتٌ حقيقيةٌ، وإدراكاتٌ وهبيةٌ غير مكتسبة بتعمّل، ولا متسلق عليها بمجرد بضاعة العقل، فقلما تحصل لمن لم يتقدم له حسنُ ظن بأهلها، واعتقادُ وجودها، وتعظيمُ أربابها.

ولذلك ـ والله أعلم ـ زاد المتأخرون من العلمـاء في ذكر العقائد التي ينبغي اعتقادها، وإن لم تكن من الإلهيات، ولا من النبويات: اعتقادَ أن الأئمةَ أربابَ المذاهب على هدًى من ربهم؛ لئلا ينشأ المكلف على رديء التعصب، المؤدي إلى تضليل الباقين، فيُحرم بركة الانتفاع بأقاويلهم وأقاويل أصحابهم، فيفوته جانب عظيمٌ من علوم الديانة؛ إذ ما من فن من علوم الشريعة إلا وقد ألف فيه أرباب المذاهب كلهم، والمشتغل بذلك الفن لا يقتصر على كتب أهل مذهبه فيه، فكم من مالكي ـ مثلاً ـ انتفع بكتب الشافعية في التفسير والحديث والتصـوف، وبالعكس، فلو أن المشتغل بقراءة هذه الكتب لا يعتقد تعظيم صاحبها، ولا هدايتهم، لقلّ انتفاعه بها، أو عُدم رأساً.

ولأجل ذلك ـ أيضاً ـ ينبهون في العقائد على أن طريق الجنيد رضي الله عنه وصحبه

طريقٌ مقوَّمٌ مقدَّمٌ، وكذلك الشاذلي، والجيلي، وأضرابهم من رؤساء أئمة الصوفية، الذين لهم مذاهب معروفة في طريق القوم، وآراء منتخبةٌ.

إذا اعتقد الإنسان ـ في حال صغره ـ عظمتهم ومحبتهم، وأنهم على هدى، ساقه ذلك في كبره إلى الاقتداء بهم، واتباع طريقتهم، واعتقاد ما يسمع من كلامهم، ولو لم يفهم معناه؛ لعلمه أن قائليه أهل حقٍّ وهدى، وبصائر نافذة، وقلوب مطهرة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

توفي المترجم ببلده، سنة تسع وعشرين وألف تقريباً، وخلف أولاداً أمجاداً، وهم إلى عصرنا موجودون ببرهانبور، سالكون لطريقة سلفهم، لهم شهرةٌ عظيمةٌ هناك ـ نفع الله بهم ـ آمين.

[٢٨١] محمد أبو الخير بن عموش الرشيدي الشافعي الفرضي الميقاتي.

الشيخ الإمام العلامة، مفتي المسلمين، ومعيد الطالبين، كانت له اليد الطولى في العلوم النقلية والعقلية، وإليه النهاية في الميقات والعلوم الرياضية، وله مؤلفات، منها: «نزهة الأفكار في عمل الليل والنهار».

وهو أحد المعمَّرين المسنِدِين، ولنا رواية عنه، وهي الحديث المسلسل بالأولية، فحدثنا شيخنا أحد البنا الدمياطي، وهو أول حديث سمعته منه: حدثنا محمد بن عبد العزيز المنوفي، وهو أول حديث سمعته منه: حدثنا محمد ابن عموش، وهو أول حديث سمعته منه، في ربيع الأول، سنة اثنتين بعد الألف: حدثنا شيخ الإسلام والمسلمين، أبو يحيى زكريا الأنصاري، وهو أول حديث سمعته منه، فذكره، وبقية السند مذكورٌ في «فهرس» شيخ الإسلام المذكور ـ نفع الله به ـ.

[٢٨٢] أبو السعود محمد بن الشرف يحيى بن أحمد أبي السعود بن تاج الدين أبي السعود بن جمال الدين القاضي الجمال محمد بن أحمد صفي الدين بن محمد بن روزبة بن أبي الثناء محمود بن إبراهيم بن أحمد الكازروني المدني الزبيري، نسبة إلى الزبير بن العوام ﷺ، الشافعي إمام الشافعية بطيبة الطيبة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ[1].

ولد عام ثمانين وتسعمائة بالمدينة، وحفظ القرآن العظيم وجوده وكتباً في الفقه والأصلين، و«ألفية ابن مالك»، و«الشاطبية»، و«الرحبية»، وغيرها، وقرأ على كثير من المشايخ؛ كالسيد حسين السمرقندي المدني، وأخذ عن عمه الإمام محمد تقي الكازروني «المنهاج وشرحه» لابن حجر، وعن خاتمة المحققين عبد الملك العصامي، ومولات المالكي، وأحمد بن منصور، والعلامة عبد الرحمن الخياري، وغيرهم.

وكان ذا همة عالية، ونفس مطمئنة، ومحاضرة لطيفة، وجاه عريض، مع خشية الله تعالى، والتورع في كثير من أمور الدنيا، والتقلل فيها، والتعفف عنها، خطبته المناصب السنية، فأباها، ورفعت له عن نقاب زخرفها، فنهاها.

وكان له همة علية في النسخ، لم يضيع أوقاته بلا شيء منه، فجمع بذلك كتباً نفيسة بخطه، وكان ملازماً لورد العارف بالله سيدي أحمد بن موسى العجيل؛ كما أوصاه به والده، من حين خرج من المكتب إلى وفاته، وأوصى هو به ولده صاحبنا الفاضل الخطيب عبد الرحمن، وكان يقول له: إنه درهم الكيس.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (١/ ١٢٤).

وكان ملازماً لصلاة الجماعة في المسجد النبوي؛ بحيث لا يفوته معها فرض إلا لعذر، وكان لا يخرج من المسجد إلا آخر الناس، خصوصاً بعد صلاة العشاء، ويقول: أحب أن أكون آخر الناس خروجاً، وأولهم دخولاً.

وكان والده يلزمه ـ وهو مراهق ـ بحضور صلاة الصبح مع الجماعة، وحضور قراءة الوظائف، واستمر على ذلك، ومن عادة أهل المدينة ـ غالباً ـ إذا جاء وقت الصيف، يخرجون إلى النخل.

قال: وكان لوالدي نخل بالقعرة، عند المال الأسود، فطلعه، وطلعنا معه، والوقت صيف، فانتبهت ليلةً من النوم، وكانت مقمرة، فتوهمت أن النهار أسفر، وفاتني حضور الجماعة، ثم توضأت، وفتحت باب النخل، وذهبت إلى أن وصلت محل الراعي بباب الجمعة، فإذا الرئيس أول ما ابتدأ في التهليل على المنارة، فتحيرت حينئذٍ، واعترفت أني اغتريت بالقمر، وأن الليل باقٍ، ولا يمكنني الرجوع إلى المحل؛ لأني أهاب الدخول بين تلك النخيل، ولا أجد قدرةً على الدخول إلى البقيع في تلك الساعة؛ لكون المحل مهاباً عادةً.

ثم ألهمني الله تعالى، وقوى جناني، إلى أن عزمت على التقدم إلى البقيع، فتقدمت باسم الله، إلى أن جلست على باب عمات النبي ﷺ، واتكأت على باب القبة، ووضعت العباءة على رأسي.

فبعد ساعة لم أشعر إلا بفانوسٍ، أقبل من جهة سيدنا أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى وقف به حامله بالقرب مني، ومعه جماعةٌ مبيضون، ثم بعد ساعة أقبل فانوس آخر من جهة قبة العباس رضي الله عنه، ووقف به حامله بالقرب من باب الجمعة، ومعه جمع مبيضون أيضاً.

ثم بعد ساعة أقبلت جماعةٌ كثيرون من الدرب الذي أتيت منه، إلى المحل الذي أنا به، من درب الغنم، ومعهم فانوس، ولهم حركةٌ عظيمةٌ، فسلم واحدٌ منهم على الجمع الأول، فردوا سلامه.

قال: فرأيت باب الجمعة قد فتح، فدخلوا جميعاً، فدخلت معهم، فمروا على الحارة، حتى وصلوا إلى باب الجبر، فإذا هو مفتوح، فدخلوا ودخلت معهم، فقصدوا باب السيدة فاطمة ﵂، فإذا هو مفتوح، فدخلوا ودخلت معهم.

وقصدوا جهة الصحابة، فأردت الدخول معهم، فوقف لي رجلٌ منهم وقال لي: هاهنا حدُّك، فوقفت عند قبر السيدة فاطمة أتهجد ساعة، ثم خرجوا من باب الجبر، ثم من باب الجمعة، وخرجت معهم، فوقفوا هناك، بعد أن توجهوا إلى القبلة، ودعوا وأنا معهم.

فالتفت إليّ رجلٌ منهم وضيء، وقال لي: من أنت؟ فقلت: أبو السعود ابن يحيى الكازروني، فرفع يده، وطبطب بها بين كتفي، وقال: بارك الله فيك، حصلت لك العناية ولذريتك.

ثم تفرقوا على أسرع ما يكون، حتى كأنه لم يكن، والوقت باقٍ، فرجعت للمكان الذي كنت فيه بقية ليلتي، فبعد هنيهةٍ، إذا أنا بحس قافلةٍ مقبلةٍ، أسمع ولا أرى، ثم بعد ذلك رأيت رجلاً مقبلاً من جهة درب الجنائز يقود جملاً، عليه شُقْدفٌ[1] عليه ثوب أبيض، ورجل من خلف الجمل يسوقه، وهما في

---

(١) قال الزبيدي ـ رحمه الله تعالى ـ في «تاج العروس» (٢٣/ ٥٢٥): «الشُّقْدُفُ؛ كقنفذ: مركب معروف بالحجاز، يركبه الحجاج إلى بيت الله الحرام، والجمع شقادف».

صـفة يمانييـن بإزار فقط.

فقلت: هذه قافلة لبعض أهل الحارة تحط هنا، أتونَّس بها إلى أن يفتح الباب، فإذا هما طلعا إلى البقيع، وأخذوا في السير، فبقيت معجباً من هذين الرجلين، من أين؟ وإلى أين؟ إلى العُريض، فما هو وقته، أو إلى العوالي، فما اتفق أن أحداً يذهب إليه بشقدف.

فإذا هم قصدوا جهـةً بالقـرب من سـيدنا إبراهيم بن رسـول الله ﷺ، فبركوا الجمل، ثم أخذوا في الحفر، وأنا أراهم من مكاني، والوقت مقمر، والبقيع لم يكن به جَذْر خطير ولا عبرة، حتى انتهى الحفر، أراهم أخرجوا من ذلك القبر شـيئاً، وأدخلوه في الشـقدف، وأخرجوا من الشقدف شيئاً، وأدخلوه في ذلك القبر، ثم دفنوه، وأنا أنظر إليهم من مكاني، وبعد ساعة أثاروا الجمل فقام، وإذا بالشقدف وعليه ثوبٌ أسودٌ بعد ذلك البياض الأول، فمروا عليّ، فلما حاذوني، قمت لهم، فمسكت قائد الجمل من يده، وقلت له: من تكون؟ فقالا: إليك عنا، نحن الملائكة النقالة، فتأخرت عنه، واقشعر جلدي، وذهب لبّي.

ثم أذن الرئيس للصبح، وفُتح الباب، فكنتُ أول من دخل، فقصدتُ المسجد، وزرتُ الحضرة الشريفة، وصليتُ سـنة الفجر، ثم قامت الصلاة المفروضة، فصليتُ مع الجماعة، ثم حضرتُ وظائفي، فقرأتُ مع أصحابي، ورجعتُ للنخل، وأخبرتُ والدي بذلك كله، فقال: لا بقيت تذهب، أنا أقيم في وظائفك نائباً عنك، وناب عني. انتهى.

هكذا أخبرني ولده صاحبنا الخطيب الفاضل عبد الرحمن ـ سلمه الله تعالى ـ.

ولصاحب الترجمة نظمٌ ونثرٌ ثابتٌ في مجاميعه، ولم أقف على شيء منه، وله تذكرةٌ لطيفةٌ، جمع فيها من كل غريبةٍ ونـادرةٍ، ولما وقف عليها صاحبه الفاضل علي بن غرس الدين الخليلي ثم المدني، قال مادحا له:

لله دَرُّ بـــــــــــارعٍ	أتحفَنــــــا بتــــــذكرهْ
حــــوت علومـــاً جمــــةً	علـــى التقـــى مـــذكرهْ
تغنـــي عـــن المغنـــي فـــي	نحـــو لمـــا قـــد ذكـــرَهْ
وفقهُهـــا يكفـــي الفقيـــهَ	عـــن كتـــابٍ حـــررَهْ
وشـــعرُها ربُّ الـــشعورِ	مـــن كـــلام الخيـــرَهْ
عروضُـــها يعـــرض أن	يـــدعى لـــه بـــالمغفرَهْ
فيهـــا أحاديـــثُ عـــن	المـــولى علـــيٍّ حيـــدرَهْ
أبـــي الحـــسين مـــن زكـــا	أصـــلاً وضـــاءت زهـــره
وكـــم حـــديثٍ ثابـــتٍ	عـــن حـــافظٍ قـــد قـــررَهْ
وطرفـــةٍ طريفـــةٍ	بظرفهـــا مطفـــرَهْ
ونكتـــةٍ بديعـــةٍ	علـــى العـــدا مظفـــرَهْ
وتحفـــةٍ نفيـــسةٍ	بروضِـــها مـــسطَّرَهْ
قـــد نُقلـــت عـــن مـــسندٍ	مـــن صـــحفٍ مطهَّـــرَهْ
وكتـــبٍ مرفوعـــةٍ	بـــين الـــورى محـــررَهْ
لا ســـيما وهـــي علـــى	أيـــدي كـــرام بـــررَهْ
وجـــوهُهم وجيهـــةٌ	علـــى الـــدوامِ مـــسفرَهْ

مبيـــضَّةٌ مـــن التقـــى	ضـــاحكةٌ مستبـــشرَهْ
وقـــد أنـــارَ ســـلكها	بـــدرةٍ وجـــوهرهْ
مـــن نظمِـــه البـــديعِ مـــعْ	نثـــرٍ لـــه قـــد نثـــرَهْ
أبـــو الـــسعودِ الفاضـــلُ	المفـــضالُ نجـــلُ الخيـــرَهْ
أعنـــي الحـــواريين	والـــصديقَ نعـــمَ المِـــدَرَهْ
وهـــو الإمـــامُ للـــورى	فـــي طيبـــةَ المطهـــرَهْ
فـــدامَ محفوظـــاً مـــع	النجـــلِ وأبقـــى عمـــرَهْ
مـــا أظهـــرَ الـــنظم	يراعـــي فيهمـــا ونثـــرَهْ

توفي في ذي القعدة، سنة ثمان وخمسين بعد الألف بالمدينة، وصُلي عليه بالمسجد النبوي بعد صلاة العصر، ودفن بالبقيع الغرقد، بقرب تربة والده وأسلافه، عند قبر سيدنا إبراهيم بن رسول الله ﷺ.

[٢٨٣] السيد محمد بن عبد الرسول بن عبد السيد بن عبد الرسول بن قَلَندر بن عبد السيد بن عيسى بن بايزيد بن عبد الكريم بن عيسى بن بابا علي بن يوسف بن منصور بن عبد العزيز بن عبدالله بن إسماعيل المحدث ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ البرزنجي الحسيني الموسوي، وأمه الشيخة النقية البرة الزكية المعمرة فاطمة بنت شكر الله بن نور الله بن شكر الله بن أسد الله الكورانية الخالدية، لها أسانيد عالية في الحديث، ذكرها ولدها المترجم في معجمه[1].

(١) «سلك الدرر» للمرادي (٤/ ٦٥)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٠٣).

شيخنا علامة المعقول والمنقول، وإمام أهل الفروع والأصول، الجامع للفنون العلمية، المتضلع من أذواق السنة النبوية، الذي سار ذكره مسير الشمس والقمر، وعم فضله البدو والحضر.

واجتمع عنده من الفضائل، ما يعجز عن ذكره الناقل، إلى كرم نفسٍ وشيمٍ، وفصاحةٍ مع علو هممٍ، وخوفٍ من الله تعالى في السر والإعلان، ووقوفٍ مع الحدود الشرعية، وجمعٍ للكمالات الإنسانية، وتواضعٍ وسكينةٍ وحميَّةٍ.

مولده ليلة الجمعة، ثاني عشر ربيع الأول، سنة أربعين بعد الألف، بـ «شهرزور»، وبها نشأ، وقرأ القرآن وجوده على والده، وبه تخرج في بقية العلوم، وقرأ ببلاده على جماعةٍ، منهم: الإمام المحقق الملا محمد شريف الكوراني الصديقي، ولازم شيخنا خاتمةَ المحققين إبراهيم بن حسن الكوراني، حضراً وسفراً.

ودخل همدان، وبغداد، ودمشق، والقسطنطينية، ومصر، وأخذ عمن بها من العلماء والأعيان، وأجازوه، فأخذ بـ «ماردين» عن أحمد السلاحي المارديني، وبحلب عن أبي الوفاء العرضي، ومحمد الكواكبي، وبدمشق عن عبد الباقي الحنبلي، وعبد القادر الصفوي، وببغداد عن الشيخ مدلج، وبمصر عن شيخنا البابلي، والشبراملسي، وسلطان المزاحي، ومحمد العناني، وأحمد العجمي.

وبالحرمين عن الوافدين إليهما؛ كالشيخ إسحاق بن جعمان الزبيدي، وعلي الربيع، وعلي العقيبي التعزي، وعيسى بن محمد الجعفري، وعبد الملك

السجلماسي، ومحمد بن ناصر، وغيرهم، وعن علي بن الجمال، وعبدالله باقشير، وغيرهما.

ثم توطن المدينة الشريفة، وتصدر بها للتدريس في المسجد النبوي، وصار من سراة رؤسائها، وكبار علمائها، وله الكلمة النافذة فيها.

وألف التصانيف العجيبة، المفيدة الغريبة، منها ـ وهو أجلها ـ: «أنهار السلسبيل في شرح أسرار التنزيل» للبيضاوي، و«الإشاعة في أشراط الساعة»، و«النواقض للروافض»، وشرح على ألفية السيوطي، في مصطلح الحديث، سماه: «المصطبح لإيضاح ألفية المصطلح».

و«العافية شرح الشافية» لم يتم، و«خالص التلخيص» مختصر تلخيص المفتاح، قرأت عليه طرفاً كبيراً منه، و«مرقاة الصعود في تفسير أوائل العقود»، و«الضاوي على صبح فاتحة البيضاوي».

ورسالة ألفها في الانتصار لمذهب الشافعي، في الجهر بالبسملة أول الفاتحة، أو أنها آية منها، ذكر أن سبب تأليفها: أن بعض طلبة الحنفية قال له: لا مستند للشافعي قطعي في ذلك، أحسنَ فيها كلَّ الإحسان، وتصرف فيها تصرفاً حسناً، وذكر الأدلة الواردة في ذلك، وبنى القطع بها على ما اشتهر عند متأخري المحدثين: أن ما اشتمل عليه الصحيحان البخاري ومسلم، يلحق بالمتواتر؛ لتلقي الأمة لهما بالقبول، شرقاً وغرباً واشتهار أحاديثهما عند علماء النقل.

وكانت له قوة اقتدار على الأجوبة عن المسائل المشكلة، في أسرع وقت، وأعذب لفظ، وأسهله وأوجزه وأكمله، حتى إنه لما تنازع علماء العصر

من أهل الحرمين، في تكفير أحمد السرهندي وعدمه، بسبب الرسائل الفارسية التي ألفها، فالمكفرون يزعمون أنه تكلم فيها على النبي ﷺ، إلى أشياء منكرة، والمؤولون أولوها، وأبقوه على إيمانه، فألف في تكفيره عشر رسائل، بعضها عربية، وبعضها فارسية.

وألجئ إلى التوجه سنة أربع وتسعين وألف إلى الهند رسولاً من شريف مكة سعيد بن بركات، إلى السلطان محمد أورنك زيب ملك الهند، ورجع من عامه، ولم يحصل له من السلطان إذن بوصوله إليه، وسببه: أن شريف مكة المذكور استولى على الصدقة المرسلة إلى الحرمين من سلطان الهند، ولم يفرقها على أربابها، فبلغه ذلك، فغضب، وأمر برد شيخنا من بعض الطريق، وتشفع فيه بعض الأمراء، فلم يفد ذلك شيئاً، وتعب في هذه السفرة تعباً شديداً لم يتفق له مثله.

ورجع إلى اليمن، وخرج إلى المخا، واجتمع بالعلامة السيد حسن بن مطهر الجرموزي أمير المخا، فبالغ في إكرامه، وحصلت بينهما محاورات علمية، منها: مراجعةٌ في الجمع بين أحاديث الابتداء، ودارت بينهما مكاتباتٌ أدبيَّةٌ، وأشعارٌ رائقة.

ثم توجه إلى مكة المشرفة، وكنتُ باللحية، فركبت معه في سفينة واحدة إلى جدة، ثم حج وتوجه إلى المدينة، وأقام بها مدة، حتى حصلت له بها كائنةٌ مع أكابرها، فرفعوه إلى القاضي، وأراد بعض المتعصبين قتله، وسلمه الله، وحُبس أياماً لإطفاء الفتنة، فخرج إلى مكة، ثم منها صحبة الحاج الشامي إلى الروم.

وكانت له في الروم منزلةٌ عليةٌ عند كبرائها؛ لأنه تكرر ذهابه إليها، فشكا ما حصل له من أناسٍ في المدينة عينهم، وأخرج فيهم أوامر سلطانية على ما أراد، ورجع إلى المدينة الشريفة، ومرض قبل وصوله إليها أياماً، ووصل إلى المدينة أول النهار، وهو مريض، ومات ظهر ذلك اليوم، وأراد الله سبحانه به خيراً، إذ لم يجر على يديه أذية أحدٍ بها.

وكانت **وفاته** غرة محرم سنة ثلاث ومائة وألف، وهو أحد شيوخي الذين لازمتهم سفراً وحضراً، مع المحبة الشديدة، والمودة الأكيدة، ورأيت منه من الإجلال والاحترام لي ما لم أره من أحد من أصحابي، فضلاً عن الشيوخ.

فإنه كان ـ رحمه الله ـ من الكمال بجانبٍ عظيمٍ، متواضعاً سليم الخاطر، خصوصاً لمن ألان له جانبه، وسلم له أحواله؛ فإنه كان حاد المزاج، يغضب لله، ويرضى له، وينكر المنكر، ولا يستطيع السكوت عنه، ولذلك عاداه غالب الناس، ولكن الله سبحانه أجرى عادته معه أن ينصره على أعدائه، وينفذ كلمته في الغالب.

كل ذلك من حسن نيته، وسلامة طويته، وكتب ـ رحمه الله تعالى ـ إجازةً حافلةً بمروياته وسنداته ـ رحمه الله تعالى، وأفاض علينا من بركاته ـ آمين. آمين. آمين.

[٢٨٤] محمد بن عبد السلام بن عبد الملك بن حسين النزيلي.

الإمام العلامة الشهير، فاق الأوائل، وجمع الفضائل، وكان غايةً في الحفظ والفهم، أخذ عن والده، وعن علي بن محمد مطير، وبرع وفاق،

ومات في حياة والده في شهر ربيع الآخر، سنة ثلاثين وألف.

[٢٨٥] محمد بن عبد العزيز المفتي الحبيشي التعزي الشافعي.

الشيخ الإمام العلامة، انتهت إليه رياسة العلم والفتيا بتعز، والبلاد اليمنية، وكانت أحواله حسنةً، وترد عليه السؤالات من جميع الجهات.

وبالجملة: مات وليس في اليمن أفضل منه، **توفي** يوم الاثنين سادس جمادى الآخرة، سنة خمس وألف ـ رحمه الله ـ.

[٢٨٦] محمد أبو مفلح بن فتح الله بن محمود البيلوني الحنفي(١).

القاضي الفاضل، وشاعرٌ لواء شعره على رؤوس الأشهاد منشور، طيب الأعراق، دمث الأخلاق، كثير الدعابة، حسن التودد للناس، منصفاً في البحث، خبيراً بالقضاء، حسن السيرة، طاهر السريرة، له سمتٌ وهديٌ حسن، وطريقٌ سديدٌ، ومحبةٌ للصوفية، وملازمةٌ لأهل الخير والصلاح، وترداد لمجالس العلم.

ولد بحلب، وبها نشأ، وتأدب بوالده، وأخذ عن أبي الوفا العرضي، ومن عاصره، ثم رحل إلى الديار الرومية، وتولى قضاء المناصب الست، واحداً بعد واحد بالديار المصرية، واجتمعت به بمصر، سنة خمس وثمانين، وقد ناهز الثمانين.

ومما أنشدني من شعره قوله:

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٠٥)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٤٧)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٤٧٧) (١١٢)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ٣٢٩) (٩٩٤)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٣٢٧).

دمت يا مربعَ الأحبة تندى … كاسياً بالزهورُ بردا فبُردا

يا له مربعاً إذا جاءه النو … ءُ مساءً في الصبح يقطف وردا

وإذا انساب في جداوله الما … ءُ حساماً جلا النسيمُ الفِرِنْدا

جنة والغصون في حلل الأز … هارِ حورٌ بها ترنح قَدّا

وتهادى معاطفِ البانِ سكراً … تهادي العناق أخذاً وردًّا

ويدير الصَّبا كؤوسَ شدا النو … ر على نغمة البلابل سَرْدا

كيف جزت الطريق نحوي ومن خوفـ … ـك دمعي بالدمع سدَّ لك سَدَّا

منها:

لو رعيت العهود أحسنت لكنْ … قلما تحفظُ المليحةُ عهدا

ومن شعره: قوله يمدح شيخ الإسلام عبد الرحمن بن حسام الدين مفتي القسطنطينية:

صبابةٌ لااصطبارَ يُضمرها … ومهجةٌ لا خليل يغدُرها

ودمعةٌ لا الزفير يُنضبها … وزفرة لا الدموع تُضمرها

وعشقةٌ قد بان أولُها … أن هلاك المحب آخرُها

وكل نار وإن علت خمدتْ … سوى التي وجنة تسعِّرُها

منها:

ويحَ جريحِ اللحظ علَّته … في الطبِّ حيثُ الطبيب خنجرُها

تبات عينُ الحبيب ليلته … كالنجم لكن أبيت ساهرها

لـولا الكـرى قامـت مرنحـةً ... لم تكن أيـدي الجفـون تهـصِرُها
لـي زفـرة لـم أزلْ أصـعِّدُها ... ودمعـةٌ لـم أزل أُقَطِّرُهـا
والـدمعُ لـولا الـدما تحمِّـرُه ... بـسقمه وجنتـي يـصفِّرُها
مـا العـشقُ إلا كالكيميـا وأنـا ... دونَ الأنـام جابِرُهـا
تبـسمُ إن كلّمـتْ مـشاكِلَها ... ودرٌّ دمعـي غـدا يناظرُهـا
هيفـاءُ مـا الغـصنُ مثـل قامتِهـا ... لكـنَّ أعطافَـه أشـايُرها

ومنها:

أعـشق مـن أجلهـا الكثيـبَ أمـا ... تـضمُّ أمثالـهُ مآزرُهـا
وأحـسدُ البـدرَ فـي محبتهـا ... فغيـرُه لا يكـاد ينظرُهـا
وألـثم المـسكَ والعبيـرَ عـسى ... يكـون ممـا فتّـتْ ظفايُرهـا
لله مـا فـي الهـوى أعـالجُ مـن ... لـواعجٍ فـي الجفـا أصـابُرها
يـا حبـذا خلـسةٌ ظفـرتُ بهـا ... فـي غفلـةٍ للزمـان أشـكُرها
حيـثُ لعهـدٍ غـدتْ تمـدُّ يـداً ... لـم تـدرِ أسـرارَها أسـاورُها
يـسألها خـاطري الوصـالَ ولا ... تجيـبُ عنـه إلا خواطرُهـا
لا ينطـق اللفـظُ باسـمه فَرَقـاً ... عليـه مـن زفـرةٍ يجاورُهـا
ليـتَ ليـالي الوصـل لـو رجعـتْ ... وليـتَ قلبـي معـي فيـذكرُها

ومنها:

تلـك عهـود مـضت أوائلُهـا ... وسـابَقْتها فيـه أواخرُهـا
خلـت فلـم يبـقَ للحُـشاشة مـن ... ملـكٍ لـنفسٍ إلا تحـسُّرُها

سقاكَ يا معهدَ الأحبةِ من ... سحبِ دموعِ العينِ زاخرُها

ما شاقني مذ ظعنتُ عن حلبٍ ... أرضٌ ولا راقني نواظرُها

ومنها:

وهل يطيبُ المقام في بلدٍ ... للنفسِ في غيره تفكُّرُها

لولا ظنونُ اللقا قضيتُ أسًى ... لكنْ تعلِّلني فيه بشايُرها

كلُّ أمانٍ لم تقضَ في حلبٍ ... غيرَ لقاءِ الإمام أُنكرُها

ومنها:

فخرُ الموالي العظام ركنُهم ... وابنُ كبيرِ الورى وأكبرُها

الشهمُ عبدُ الرحمن ذو هممٍ ... يردي كبيرَ الخطوب أصغرُها

السيدُ الوارثُ المفاخرُ لا ... تنفكُّ أفعاله تؤزِّرُها

ملاذُ أهل النهى مبلِّغُهم ... مقاصدَ الأرجاءِ يحصرُها

أخلاقُه كالرياض مزهرة ... ما زالَ غيثُ النهى يباكرُها

وَجودُه كالسيلِ شيمتُه ... من شتم أخلاقه تحدُّرُها

شيدَ للمجد والعلا دُوَلا ... تحيا بأنعامه مآثرُها

تنظمُ أيدي نداه عقدَ نَدًى ... تُنثر في مدحه جواهُرها

وفضلُه كالبحر قد طمى درراً ... ألفاظُه في القلوب تسطرُها

إن مسّ طرساً للمشكلِ اتضحتْ ... فيه معانٍ بالفهم تسحرُها

فالفضلُ واللطفُ والمحامدُ ... والجودُ صحابٌ له يُسامرُها

والعزُّ والفخرُ والمآثرُ ... والمجد أرقاؤه يُحَرِّرُها

لـذتُ بـه والـصروفُ تعـدِلُ بـي عـن طُـرقِ نجـح المـرام جائرُهـا
فاسـتلّ مـن جـوده سـيوفَ عُـلاً لمثـلِ هــذا المقــامِ يَــذْخَرُها
إذْ لَــهُ همــةٌ يــذلّ لــدى صــغيرِها فــي الأنــام أكبرُهــا
تُنطقنــي بالمــدح أنعمُــهُ فهــي كمــا شِــمْتُها أقرِّرُهــا

ومنها:

قلـدتُ جيـدَ الزمـانِ مـن مـدحي فيــه عقــوداً تبغــى مفاخرُهــا
مــا كــلُّ مــن يَـنظِمُ القـصائدَ إن بـدتْ لـشمسِ النهـار يبهرُهـا

ومنها:

لـو لـم يكـن فـضل الجـدير بـأن يكرمُهــا مــا بــدا مُخَــدَّرُها
يَهنيـك يـا سـيدي قَـضا حلـبٍ ويَهْنهــا مــن نــداك عامرُهــا
فمعـدِنُ المجـد والوفـا حلـبٌ وأنــت بالمكرُمــات تفخرُهــا
كنـا نـرى الفخـرَ للـولاةِ بهـا وفخرُهــا حيــث أنــت آمرُهــا

ومنها:

مــولاي دهــري ذنوبُــه كثـرتْ أنــت بعــون الإلــه تغفرُهــا
لـي حاجـةٌ لـم تـزل تخاصـمني الأيــامُ فيهــا وأنــتَ تزجرُهــا
أنــتَ وحــقِّ النهــى وحقِّــك للمطــالع الباليــات ناشــرُها
تلـك ظنـوني ومـا عهـدتْ بـأن يكــذبني فــي المقــال مخبرُهــا
فاسـلمْ ودمْ ظـافراً بـرغم عِـدًا تجيــر أهــلَ النهــى وتنــصرُها

[٢٨٧] السيد محمد أمين بن فضل الله بن محب الله ابن القاضي العلامة مفتي دمشق وعالمها محب الدين، الحموي الأصل، الدمشقي المنشأ والمولد، العلواني الطريقة، الحنفي، الشهير بالمحبي[١].

سيد لا حدَّ لفضله فيحصر، ولا غاية لمجده فتذكر، فهو كما قلت فيه من قصيدةٍ:

ورثَ المعالي عن أبيه وجدِّه ... وتفاخرت بعلومه آباؤُهُ

كريم الأخلاق والشيم، ليس له قرين في علو الهمم، دمث الأخلاق، طيب الأعراق، بحر علم لا ساحل له، وروض أدب لا نظير له، وخليل للمجد ليس له في الفضل مثيل، إلى ذات شريفة، وطلعة منيفة، ووجه علوي، ونور نبوي، **مولده** بدمشق سنة اثنتين وستين وألف، وبها نشا، وقرأ فنون العلوم على جماعة، منهم: إبراهيم الفتال، حتى حصل منها الكثير الطيب، وألف التآليف النافعة المفيدة، منها: في «التشبيه» في مجلد، وكتاب «اعتراضات على القاموس»، وتاريخ لأهل عصره في مجلدين، ورسائل كثيرة، ومقامات شهيرة، وديوان شعر فاخر، ومن شاهد شيئاً منها، قال: كم ترك الأول للآخر!

قدم مكة حاجاً سنة ألف ومائة وواحد، وجاور، وناب في الحكم بها مدة، محمود السيرة، طاهر الظاهر والسريرة، وصار من أهل مكة كالروح من الجسد، وأجلَّه كل أحد؛ لما هو عليه من الفضل والكمال، والمجد والجلال،

---

(١) «سلك الدرر» للمرادي (٤/ ٨٦)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٤٩٦)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٤١).

وفي أثناء تلك المجاورة كاتبه أدباء مكة وشعراؤها وأجابهم بقصائد طنانة، وإني وصفته، وهو يقيناً فوق ما وصفته، وغالب ظني أني في التعريف بفضله ما أنصفته، ولما جاور، اتخذني سميره، فكنت أسيرهَ، ثم رجع إلى دمشق الشام، وفرقت ما بيننا الأيام، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير، ثم بلغني خبر **وفاته** ببلده، في شهر رجب، سنة ألف ومائة وعشرة، وبيني وبينه مكاتبات كثيرة.

منها ما كتبه إلي وهو بمكة قوله:

من يُصَب في الحب من نظره ... أيُّ نفعٍ منه في حذَرِهْ
خَلِّه إن رمتَ تنصحُه ... نفعهُ بالنصح من ضررِهْ
ربَّ ليل يأته أرقاً ... قارحَ الأجفانِ من سهرِهْ
مغرمٌ لو زراها خبره ... كان أغنى الناس عن قمرِهْ
يشتكي طولَ الظلام إذا ... ما اشتكى الخالونَ من قصرِهْ
لو يشحُّ النوءُ عوَّضَهُ ... بوليِّ الدمع عن مطرِهْ

ومنها:

من عَذيري في هوى رشأٍ ... قتلُ من يهواه من وطرِهْ
مسكرٌ بالسحر منطقُه ... لذةُ الألباب في سمرِهْ
غصنُ بانٍ فوقَ رابيةٍ ... تجتني الأحداقُ من زهرِهْ
منيتي والحبُّ أكبر لو ... زِيدَ من عمري إلى عمرِهْ
ملكٌ بالتيه مشتملٌ ... وملوكُ الحسنِ من نفرِهْ
علَّموه ليتهم رفقوا ... مهلكَ العشاقِ في صغرِهْ

خلـــتِ الأيــــامُ مـــن فِـــتَنٍ   لـــو خلـــتْ عينـاه مــن حَـــوَرِهْ

ومنها:

ضـــلَّ عنـــدي مـــن يُـــشَبِّهُهُ   بظبـــاءِ الـــوحش أو عَفَـــرِهْ

صـــاحَب المـــوتُ الحيـــاةَ فيـــا   أعجـــب الأشـــياء فـــي نظـــرِهْ

واصـــطفاه الخلـــقُ حـــين حكـــى   مـــصطفى فـــي الطبـــع مـــن بـــشرِهْ

ماجـــدٌ لـــو شـــئتَ مِدحْتَـــهُ   قـــصرَ الإغـــراقُ عـــن قـــدرِهْ

ســـادَ أهـــل الفـــضل قاطبـــةً   قبـــل خَـــطِّ الـــشيب فـــي شَـــعَرِهْ

مـــن كـــرام لا يدنِّـــسُهم   مُفْحِـــمٌ فـــي يـــوم مفتخـــرِهْ

نـــسبٌ فـــي المجـــد منـــتظمٌ   كانتظـــام العقـــد مـــن دررِهْ

ومنها:

كـــم لهـــم فـــي الـــدهر مـــن سِـــير   تنـــسخُ المحفـــوظَ مـــن ســـيرِهْ

رســـخوا والنـــاسُ طائـــشةٌ   أيـــن فـــضلُ الحبـــر مـــن شـــررِهْ

وإذا عـــدَّ الكـــرام بهـــم   عقـــد المُحْـــصي علـــى عـــشرِهْ

منـــذُ حيَّـــاني بزورتـــهِ   قـــد أمنـــتُ الـــدهرَ فـــي خطـــرِهْ

ولقيـــتُ الفـــضلَ أجمعَـــهُ   غايـــةً فـــي البـــاب مـــن أثـــرِهْ

خَـــصّني بـــالجود مبتـــدئاً   فـــوقَ مـــا لُقِّيـــتُ مـــن خبـــرِهْ

فأنـــا فـــي روضِ مِنّتِـــهِ   أجتنـــي الأمـــالَ مـــن ثمـــرِهْ

ومنها:

ســـيدي يـــا مَـــنْ بنائِلـــهِ   نـــالَ كـــلَّ منتهـــى وَطَـــرِهْ

هاكَهــــا ورقـــــاءَ مطربـــــةً طــرب الـــشحرورِ فــي ســحرِهْ

واغتفــرْ جهـــدَ المُقِـــلِّ أتـــى بفـــضولِ القـــول مـــن هَـــذَرِهْ

مـــا ثنـــاكَ الجَـــمُّ يقـــدرُهُ نـــاطقٌ يُعـــزى إلـــى حَـصَرِهْ

وابـــقَ فـــي دهـــرٍ تـساعفُ مـــنْ غالَــــه بالخطـــب مـــن غِيَـــرِهْ

فأجبته بقولي:

بـــاح بالـــشكوى علـــى حـــذرِهْ مـــذ بـــراه الحـــبُّ فـــي صـغرِهْ

عاشـــــقٌ كتمـــــانُ حالتِـــــه لـــيسَ يُغنيـــه علــــى خطـــرِهْ

ليلُـــــه إن جَــــنَّ أرقـــــه شـــوقُه والـــدمعُ فـــي أثـــرِهْ

لا يُقاويــــــــه تـــــــصُبُّرُهُ بـــل يبـــت حيـــرانَ فـــي فكـــرِهْ

فجيــــوشُ الـــصبر مركبُهــــا بـــين نـــابِ الليـــثِ أو ظُفُـــرِهْ

مـــا لـــدى الأشـــجانِ أرفـــعُ مـــن ذُلِّـــــه للحــــبِّ أو نفـــــرِهْ

ومنها:

ســـيَّما إن كـــانَ خـــامره دَلّ معـــــشوقٍ علـــــى أثـــــرِهْ

مَـــرَّ لـــي عـــصرٌ بجِلَّـــقَ كـــم طـــالَ ليلـــي فـــي هـــوى قمـــرِهْ

عــــذّبت قلبــــي محبتُــــه وبقيــــتُ الآن فــــي أَسَـــــرِهْ

نـــامَ عـــن ليلـــي وأســـهرَني لـــيس مـــن ليلـــي ولا ســـمرِهْ

ليتــــه وافــــى لمدَنفِــــهِ فيزيـــد الوصـــلُ فـــي عُمُـــرِهْ

مـــا رقيـــت القلـــب مـــن لِمَمِـــه ومـــسحتُ الجفـــنَ مـــن ســـهرِهْ

ومنها:

ولــــئن راودت مــــن ســــنة … إنمـــا أرتـــادُ مـــن نظـــرِهْ
فــي خيــالٍ لــو ســرى لخفــى … مــا يــصدر الــصب مــن ضــررِهْ
لــست أنــسى نــورَ طلعتِــه … بــينِ بــيضِ الحــيِّ مــن سُــمُرِهْ
وزمانـــاً لـــي بعـــشرتِهِ … عيبــهُ مــا كــان مــن قِــصَرِهْ
فـــسقى الـــرحمنُ جيرتَنـــا … بـــينَ جيـــرونَ ومنهـــدرِهْ

ومنها:

ويكـــى بـــاكي الغمـــام بـــه … بـــين منهـــلٍّ ومنهمـــرِهْ
فلكـــمْ خِـــلٍّ هنـــاك لنـــا … قـــد جنينـــا الـــودَّ مـــن ثمـــرِهْ
بكـــلام رقَّ جانبُـــه … بـــين منظـــومٍ ومنتثـــرِهْ
قـــسماً بـــرّاً يـــشفعه … قـــسمي بالبيـــت مـــع حَجَـــرِهْ
قـــد ســـلوتُ الكـــلَّ أجمعَـــهُ … بفريـــدِ العـــصرِ فـــي غُـــرَرِهْ
وقـــرينِ البحـــرِ فـــي دررِهْ … الـــسريِّ البـــرِّ فـــي ســـيرِهْ
المُجِبّـــيُّ الأمـــينُ علـــى … سُـــنَّةِ المختـــارِ مـــع أثـــرِهْ
الإمـــامِ الحبـــرِ ســـيدِ مَـــن … خبـــر الأخبـــارُ مـــع خبـــرِهْ
الـــشريفِ المنتمـــي نـــسباً … لأبـــي الـــسِّبطينِ مفتخـــرِهْ
ملا[1] نفـوسِ الـدهرِ مـن شـرفٍ … نـــورِ عـــين المجـــد مـــشتهرِهْ

(١) كذا في الأصل، والصواب: ملء.

نـشأةُ الـشيخ الـرئيس لـه فلـهُ العليـاءُ مـن صـغرِهْ
أذرتْ بـالنجمِ همتُـهُ وهـو زاكـي الفهـم فـي كبـرِهْ
كامـلُ الأوصـافِ لـيس لـه مـن مُـدانٍ فـي عُـلا قـدرِهْ

ومنها:

وكـريمُ الطبـعِ مـا وجـدت مثلَـه الأيـامُ فـي خفـرِهْ
وأجـلُّ النـاس فـي حـسبٍ بـين أيـاديهم[1] ومحتـضرِهْ
وعريـقٌ طـاب مغرسُـه مـن محـبِّ الـدينِ منتـصرِهْ
سـيدُ الـسعدُ يخدمُـه فـي مُطَوَّلِـهِ ومختـصَرِهْ
شـرفُ النظـارِ فـي سـفرٍ طابـت الأخبـارُ مـن سِـيَرِهْ
كـلُّ مـا فـي النـاس مـن شـرفٍ فهـو منـسوبٌ إلـى خطـرِهْ

منها:

غـرةُ الـدنيا وزهرتُهـا مـا حوتـه الآنَ مـن غُـرَرِهْ
لـيس طـولُ المـدح يرفعُـه إنمـا اللـذاتُ فـي ذكـرِهْ
صـرتُ مملوكـاً لحـضرته فـي ورودٍ منـه أو صَـدَرِهْ
مـذْ أتتنـي منـه غانيـةٌ أسـكرتْ فكـري علـى سَـكَرِهْ
أخجلتْ شمسَ الضحى وحكت وجهَـه الزاهـي علـى قمـرِهْ
وأتـتْ تختـال فـي شـرفٍ كبهـاء الملـكِ فـي سـررِهْ

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: باديهم.

أشـــبهتْ فـــي الـــشهر غُرتـــه		وأصـيلَ الوقـــت مـــع ســـحرِهْ
أو كـــشمسِ الأفـــقِ مـــشرقة		أو كَعْـــرفِ الـــروض فـــي بُكـــرِهْ
حركـــتْ منـــي رســـيسَ هَـــوًى		كـــان قبـــلَ الآن فـــي فِكَـــرِهْ
وصـــفا وقتـــي بزورتهـــا		حـــين جـــاءتني علـــى قَـــدَرِهْ
فبلغـــتُ الجهـــدَ مبتـــدراً		بجـــوابٍ غيـــر معتبـــرِهْ

ومنها:

يـــا طويـــلَ البـــاع معـــذرةً		لقـــصيرِ الـــسعرِ محتقـــرَهْ
أيـــن درُّ اللفـــظ مـــن صَـــدَفٍ		أيـــن فـــصلُ القـــول مـــن هَـــذَرِهْ
عفـــوُكَ المـــأمولُ يجملـــه		أن يـــساوى النـــاس فـــي عُجَـــرِهْ
ثـــم فـــضلٌ فيـــك منتقـــلٌ		مـــن أصـــولٍ غيـــرُ مبتكَـــرِهْ

ومنها:

دمـــتَ فـــي عِـــزٍّ مؤبـــدةٍ		مـــا بـــدا صـــبحٌ لمنتظـــرِهْ
وأمـــالَ الغـــصنَ ريـــحُ صَـــباً		حـــركَ القُمـــري علـــى شـــجرِهْ

وله المقصورة البديعة، الشهيرة الذكر الرفيعة، مدح بها النبي ﷺ، وهي قوله:

دع الهـوى فآفـةُ العقـل الهـوى		ومن أطاعـه مـن المجـد هـوى[1]

---

(١) جاء في الحاشية: «وفي ترجمة العالم العلامة عبد الباقي بن أحمد الدمشقي، الشهير بابن السمان، قال المترجم له الشيخ عبد الرحمن الذهبي، بعد أن أطال =

وفـي الغـرام لـذةٌ لـو سـلمت ... مـن الهـوانِ والمـلامِ والنـوى
وأفـضلُ النفـوس نفـسٌ رغبـت ... عـن عَـرَض الـدنيا وفتنـة الظِّبـا
والعـشقُ جهـلٌ والغـرامُ فتنـةٌ ... ومَيـِّتُ الأحيـاءِ مغـرمُ الـدُّمى
قـالوا لنـا الغـرامُ حِلْيَـةُ الحِجـى ... قلنا لهـم بـل حليـةُ العقـلِ التقـى
وهل رأيـتمْ فـي الـورى أذلَّ مـن ... معـذبٍ تلهـو بـه يـدُ الهـوى
أو أحـداً أغـبنَ مـن متـيمٍ ... تقـودُه شـهوته إلـى الـردى
وللقـوافي فتنـة أشـدُّ مـن ... قتل النفوس والفتـى مـن ارعـوى

ومنها:

ومـا علـى سـاجي الجفـونِ راقـدٍ ... مـن دَنَـفٍ يبيـتُ فاقـدَ الكـرى
ومـن أعـدَّ للـشتا كافاتـه ... فـلا تريعُـه بـرودةُ الهـوا
مظنـةُ الجهـل الـصِّبا وإنمـا ... مفـسدةُ المـرءِ الـشبابُ والغنـى
والـنفسُ مـا علمتهـا فـإن تجـدْ ... ذا عفـة فزهـدُه مـن الريـا
والنـاسُ إمـا ناسـكٌ بجهلـه ... أو عـالمٌ مفـرِّطٌ أولا ولا
كـأنهم أفيـالُ شـطرنجٍ فـلا ... يظـاهرُ المـرءُ أخـاه فـي عَنـا
وإن خفيـت بيـنهم عـذرتهم ... فـشدةُ الظهـور تـورثُ الخفـا

= مدحه، قال: فمن قصائده الدرية، وفرائده الفردية، مقصورته التي امتدح بها سيد الأنام ﷺ، وعلى آله وصحبه الغر الميامين الكرام، وهي:

دع الهـوى فآفـة العقـل الهـوى ... ومـن أطاعـه مـن المجـد هـوى

وفي الغرام لذة... إلخ، فتبين أنها لعبد الباقي المذكور العالم المشهور.

وفدفـــدٍ طويتُـــه بـــضامرٍ يـسابق البـرقَ ويـسبِقُ القـضا

يقـبض رامـي سـهمهِ عنانَـه خـشيةَ أن يـصيبه مـن القفـا

ومنها:

وليلـةٍ بـتُّ أعـدُّ نجمَهـا والليلُ قاني الصبغ محلولُ الوِكـا

ولـم يطـل ليلـي ولكـنَّ الجـوى يعيد ليل الـصيف مـن ليـل الـشتا

والـشوقُ كالليـل إذا الليـلُ دجـا والليـلُ كـالبحر إذا البحـرُ طمـى

كأنمـا المـريخُ عـينُ أرمـدٍ أو جمرةٌ من تحتِ فحمةِ الـدجى

كأنمـا الـسُّهى أخـو صـبابةٍ يكـادُ يخفيـه الـسقامُ والـضَّنى

كأنمـا سُـهيلُ راعـي نعَـمٍ أو فـارسٌ يقـدُم جـيشَ الـوغى

كأنمـا الجـوزاءُ عقـدُ جـوهرٍ أو سبحةٌ أو مبسمُ العـذبِ اللَّمـى

كأنمـا مـنقضُ النجـومِ شـررٌ نثيرُه الريـاح مـن جمـر الغَضى

ومنها:

كأنمـا الـسحبُ سـتورٌ رُفعـت أو مـوجُ بحـر أو شـوامخُ الفـلا

كأنمـا الرعـدُ زئيـرُ ضـيغمٍ قد فقـدَ الـشبالَ أو صـوتُ رحـى

كأنمـا البـرقُ حـسام لاعـبٍ يـديره فـي يـده كيـف يَـشا

كانمـا القَطْـرُ لآلٍ نُثـرت علـى بـساطِ سـندسٍ يـومَ جـلا

والـثلجُ كـالقطنِ أجـادَ ندفَـه قوسُ السحابِ فـوقَ حُلَّـةِ الربـى

كأنـه بـرادةُ الأفـلاك مـن كثـرةِ دورِهـا بقبـةِ الـسما

كأنمـا الـسهمُ غـريمٌ مقـسِمٌ أن لايغيـبَ لحظـةً عـن الحـشى

كأنمـــا القلـــبُ مكلَّـــفُ بـــأن ... يحمـــل منـــه مـــا تحمـــل الـــورى
كأنمـــا وجـــهُ البـــسيط شـــقةٌ ... لا تنطـــوي ولا لِحَـــدِّها انْتِهـــا
كـــأنني موكَّـــلٌ بـــذرعِها ... مـــن قبـــل الخـــضرِ بـــأذرعِ الخطـــى
لا أســـتقرُّ ســـاعة بمنـــزل ... إلا اقتـــضا أمـــرٍ يجـــدد النـــوى
ولا ترانـــي قـــطَّ إلا راكبـــاً ... في طلب المجد وتحـصيل العـلا

ومنها:

والحُرُّ لا يرضـى الهـوانَ صـاحباً ... ولـيس دارُ الـذلِّ مـسكنَ الفتـى
والعقـلُ فـي هـذا الزمـانِ آفـةٌ ... وربمـــا يقتـــل أهلَـــه الـــذكا
وذو النهـــى معـــذَّبٌ لأنـــه ... يريـد أن تـرى الأنـامُ مـا يـرى
والناسُ حمقى مـا ظفـرت بينهم ... بعاقل في الـرأي إن خطـبٌ دهـى
وكلمـــا ارتقـــى العـــلا سـريُّهم ... كـفَّ عـن الخيـرات كفـاً وطـوى
يهـــوى المـــديح عالمـــاً بنقـــده ... ودون نقـــده تنـــاول الـــسهى
وإن طلبـــتَ حاجـــةً وجدَتـــه ... كمسحبٍ من حيث جئتَ فهـو لا

ومنها:

إن وعـدوا فالفعـلُ قبـل قـولهم ... أو وعـــدوا فـــإنهم كالـــشعرا
والآن قـد رغبـتُ عـن نـوالهم ... وتبـتُ مـن مـدحهم قبـل الهجـا
لا ينبغـي الـشعر لـذي فـضيلة ... كيف وقد سُـدَّت مـذاهبُ الرجـا
وخابـت الآمـالُ إلا فـي الـذي ... حِمـاه مَلْجـا العفـاة الـضعفا
محمـدِ الحبيـبِ صـاحبِ اللـوا ... ومنبـعِ الجـود ومـشرقِ الهـدى

خلاصـــةِ الحـــقِّ وسِـــرِّ آدمٍ ... وخيـــرةِ الخلـــق وقبلـــةِ الـــدعا
ومـــن رأى بعـــينِ رأســـه ... ولـم يكـن بنـاطقٍ عـن الهـوى

ومنها:

لـولاه مـا كـان الوجـودُ جملـة ... هـل تظهـر الأشـياءُ إلا بالـضيا
شُـقَّ لـه البـدرُ وشُـقَّ صـدرُه ... وفـاض مـن كفيـه جـدولُ النـدى
أبـى الفحـولُ مدحَـه لأنهـم ... لـم يجـدوا معنًـى يليـق بالثنـا
وكيف يـستوفي البليغ مـدحَ مـن ... مادحُـه ربُّ الـسمواتِ العـلا

ومنها:

يا خيرَ من يشفع في الحشر ومـن ... أفلـح قاصـدٌ لبابـهِ التِجـا
يـا سـيدَ الخلـق وملجـأَ الـورى ... وخـاتمَ الرسـل وخـاتمَ الـسخا
بحقِّ مـن خـصَّك بالفـضل الـذي ... بجمعُـه أصـبحتَ واحـدَ المـلا
بالصاحبِ الصدِّيق خيرِ من مـشى ... بعـدَ النبيـينَ علـى وجـه الثـرى
بعمـرَ الفـاروقِ ضـيغَمِ الـورى ... خليفـةِ العـدلِ وفـاتحِ القـرى
بجـامعِ القـرآنِ عثمـانَ الـذي ... يقطُـر مـن وجنتـه مـاءُ الحيـا
بالفـارسِ الكـرار معـدِنِ الوفـا ... وزيـرِكَ العـدلِ الإمـام المرتـضى
بزوجِـه البتـولِ مـن كـان بهـا ... علـى الرجـال يتقـدم النـسا
بالحـسنَيْن نيـِّري أفـقِ العـلا ... وغـصَنِي المجـدِ وبحـرَيِ العطـا
بيـومِ كـربلا الـذي تأسـفا ... فـي كـل قلـبٍ منـه كـربٌ وبَـلا

ومنها:

بليـــثِ ديـــنِ الله حمـــزةَ الـــذي ... حمـى النقـا بالمرهَفـات والقنـا

بعمّـك العبـاسِ ذي الـسقيا ومـن ... يخجل نورُ وجهه شمسَ الـضحى

بآلِــكَ الأطهـــارِ آســادِ الــوغى ... بـصحبك الأخيـارِ زهـرِ الاهتـدا

كـنْ لـي شـفيعاً يـومَ لا مـشفَّعٌ ... سواك يُنجي الخـائفين مـن لظـى

قـد عظُـم الخـوفُ لمـا جنيتُـه ... والعفـوُ عنـد الأكـرمين يُرتجـى

ولـيس لـي عـذرٌ سـوى تـوكلي ... على الكثيـرِ العفـوِ للـذي عـصى

ومنها:

لولا الـذنوبُ ضـاع فـيضُ جـودِه ... ولـم يـبنْ فـضلُك بـين الـشُّفَعا

وهاكَهـــا خريـــدةً مقـــصورةً ... علـى معاليـك ومهرُهـا الرِّضـا

إن قُبلـــت فيـــا لهـــا مـــن نعمـــةٍ ... وهـل يخـاف واردُ البحـر الظَّمـا

صـلى عليـك ذو الجـلال كلمـا ... صـلى عليـك مخلـصٌ وسَـلَّما

وبـاكرت ذاك الـضريحَ سـحرةً ... حوامـلُ المـزن يحثهـا الـصَّبا

ما سُلَّ عَضْبُ الفجرِ من غمدِ الدجى ... وما سـرى ركـبُ الحمـى مـدلجا

ولما توجه المترجَم إلى قسطنطينية الروم، اختص بصحبة قاضي العساكر الإسلامية العلامة المولى شيخ محمد بن لطف الله المعروف بعزتي، وأنزله عنده خير منزل، وكان يتفقده بالإحسان، فألبسه يوماً فروة من ملبوسه، **فكتب إليه يمدحه بقوله:**

شـأن المولَّـهِ أن يعـيش مُتيَّمَـا ... والحـبُّ مـا منع القـرارَ المغرَمـا

هو ما علمتُ غـرامُ صَـبٍّ دمعُـه ... مـا زالُ يُظهـر سِـرَّه المتكتِّمـا

وإذا الصبابةُ خامرتْ قلبَ امـرئٍ ... وجدَ العذابَ مـن الحبيـب تنعُّمـا

ولـربَّ مغبـرٍّ الأديـمِ قطعتُـه ... مـن فـوق مبيضٍّ القـوائمِ أدهمـا

لا تـستطيع الـشمسُ ترسـمُ ظلَّـه ... مهما مشى سبقَ القـضاءَ المبرَمـا

والليـلُ بحـرٌ قـد تـدافع موجُـه ... وترى الكواكبَ فيه تـسري عُوَّمـا

وقال:

وكـأن وجـهَ الأفـق منقـدُ فـضةٍ ... والبـدرُ تحـسبُه عليـه درهمـا

وكأنمـا المـريخُ شـعلةُ قـابسٍ ... أو رأسُ نـصلٍ خـضبته يـد دمـا

أسري وشخصُك لا يزال مُسامري ... وأرى التـصبّر عنـك مُـرًّا علقمـا

يـا آفـةَ الأرواحِ مـا ألهـاكَ عـن ... دَنِـفٍ لـذكرِ هـواك يهـوى اللوَّمـا

لله عهـدٌ كنـت بـدرَ ضـيائه ... أيـام نلقـى كـل وقـت موسِـما

فـي روضـةٍ لبـست رداءَ زمـردٍ ... صـبغتْ جوانبَـه الـشقائقُ عَنْـدَما

وأيضاً:

وكأنَّ قاماتِ الغـصون كواعـب[1] ... أظهرْنَ عِقـداً فـي النحـور منظَّمـا

لا تـسمعُ الآذانُ فـي أرجائهـا ... إلا هـديرَ هَزارِهـا مترنِّمـا

وشـربتُها صـهباءَ مـن يـدِ شـادنٍ ... فضحتْ محاسنُه الغِـزارُ الأنجُمـا

نادمتُـه والـراحُ يعطـف عِطْفَـه ... كالغـصن مَـرَّ بـه النـسيمُ وهَيْنَمـا

---

(١) في الأصل: كواعباً، والصواب ما أثبت.

فهصرتُ قدّاً كالقضيبِ مهفهفاً ولثمتُ خداً كالأقاحِ ومبسما
مهلاً فلستُ بمن يقود زمامَهُ إلا الصبابةُ مُنجِدًا أو مُتْهِما
وأظنُّ لي في الدهر حظاً كاملاً كالنار أُودِعَتِ الزنادَ الأبكما

وقال:

ما لي وللأيام أبغي مَنَّها وإلى جناب العِزَّتي ليَ انِتما
علامةِ الثقلينِ أفضلِ ماجدٍ حلفِ الزمان بمثلِه لن ينعِما
مولى إذا ظلم الزمان فما يرى إلا إلى عزماته متنظِّما
جارى الملوكَ إلى مقامات العلا فتأخروا عنه وكان مقدَّما
لو مدّ راحتَه لثغرِ مقبّلٍ أنف الثريا أن تكون له فما
أو تنطقُ الدنيا بمدحةِ ماجدٍ نطقَ الزمانُ بمدحه وتكلَّما
دعواتُه تجلو القلوبَ وعزمُه لو يلتقيه الموتُ مات توهُّما
ولو استجارَ به النهارُ من الدجى لم تبصرِ الأحداق شيئاً مظلما

ومنها:

قد حَكَّم المعروفَ في أمواله والرعبَ في أعدائه فتحكَّما
يعطي الألوفَ سماحةً متكتماً والجودُ ليس بممكن أن يُكْتَما
ومتى تخيلَتِ القرائح مدحةً سبقت جوائزهُ القريضَ تكرُّما
متوقدٌ كالبدر ليلةَ تَمِّهِ فإذا تحركَ للعطاء تبسَّما
ملأ الزمانَ مهابةً من عدلِهِ حتى أخاف الظبيُ منه الضَّيْغَما
وسرت له سِيَرٌ معطرةُ الربى فكأنما كانت صَبًا متنسِّما

ومنها:

يـا مـن نلـوذ مـن الزمـان ببابـه ونـرى نـداه لمـا نؤمِّـلُ مغنَمـا
مـاذا نقـول سـموْتَ عـن أفهامِنـا حتى استوتْ فيـك البريـةُ أعجمـا
لله أنعُمُـك التـي مـن بعـضها لـم تبـقِ فـي الـدنيا فقيـراً معـدما
وخصالُك الزُّهْر التي لـم يُرضـها أن تجتلـي قمـمَ المراتـب أنجُمـا
ألبستَني نعمـاً رأيـتُ بهـا الـدجى صبحاً وكنت أرى صباحي مظلِمـا
فبقيتُ يحـسدني الـصديقُ وقبلَهـا كـان العـدوُّ يمـرّ بـي مترحِّمـا
مـا عـذر مَـن شَـرَّفْتَهُ بفـضيلةٍ أن لا ينـال بهـا الـسُّهى والمرزَمـا

ومنها:

هيهاتَ لستُ بشائمٍ جـودَ امـرئٍ من بعدِ ما عاينْـتُ جـودَك منعِمـا
فاليكَهـا زهـراءَ ذاتَ بلاغـةٍ لـو رامَهـا قُـسٌّ لأصـبح أبكمـا
مـن كـل بيـتٍ لـو تجـشم لفظـه لرأيتـه وشـياً عليـك مهنتَمـا
وتهـنَّ بالعـامِ الجديـد ممَّتعـاً بـسعادةٍ رحـبَ الجَنـان معظَّمـا
واسـلمْ لنـشرِ فـضيلة معلومـةٍ لولاك طال على المـلا أن تُعْلَمـا
إن العـلا بـدأت بـذكرك مثلمـا آلت بغيرك في الورى لـن تختمـا

ومن مقاطعيه قوله:

لـم أنـس لـيلاً حيّـا وقـد غفلَـتْ عنـا عيـونٌ تبيـتُ ترمُقُنـا
بتنـا كَـرُوحَين فـي حـشا جـسدٍ تحيّـر النـومُ كيـفَ يطرُقنـا

[٢٨٨] محمد بن فواز الشافعي[١].

الشيخ الفاضل البارع، كان من علماء دمشق وأفاضلها المشهورين، لقي العلماء، وأخذ عنهم، وكان من أخص الناس بالشيخ محمد الحجازي، وولده عبد الحق بل اشتهر أن عبد الحق، إنما برع بصحبته ـ رحمه الله ـ، ذكره النجم الغزي في «الذيل».

[٢٨٩] محمد بن شمس الدين بن قاسم المنقار، الحلبي المولد والمنشأ، ثم الدمشقي الحنفي[٢].

مولده بحلب سنة أربع وثلاثين وتسعمائة، وقرأ بحلب على ابن الحنبلي وغيره، ثم وصل إلى دمشق في أواسط المائة العاشرة.

ورافق الشيخ إسماعيل النابلسي، والشيخ عماد الدين، والملا أسد، وطبقتهم في الاشتغال على الشيخ علاء الدين بن عماد الدين الشافعي، وعلى الشيخ أبي الفتح الشبستري، وغيرهما، وحضر دروس شيخ الإسلام البدر الغزي.

وكان علامةً متميزاً على أقرانه، سريع الغضب، سريع الرضا، وإذا

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٨٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٧٤) وسماه المحبي: «محمد بن عمر بن فواز الملقب شمس الدين الدمشقي الشافعي»، وذكر وفاته فقال: «ومات وله من العمر نيف وخمسون سنة تقريباً، وورد خبر موته إلى دمشق في عشري صفر سنة ست بعد الألف».

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٤٣) (٤٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١١٥)، «عرف البشام» للمرادي (٤٠) (١٢)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ١٢٨) (١٣)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ١٤٨) (٩٣٧).

غضب، لا يقوم لغضبه شيء، وإذا داراه الرجل، يصفو له، وبسبب حدته وقع له مع علماء دمشق وقائع كثيرة.

منها: أنه وقع بينه وبين الشمس محمد الداودي عند بعض القضاة مشاجرةٌ، فقال للداودي: أنا صخرة الوادي إذا هي زوحمت، وأنت يا ابنَ داود

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنها   فلم يضرْها وأوهى قرنَه الوعلُ[1]

ووقع بينه وبين النجم الغزي منافسةٌ وخصومةٌ، وظهر عليه النجم فيها، وقامت العوام على المترجَم، وكادوا يقتلوه، وكسفت الشمس ذلك اليوم، فقال النجم:

بعامِ ثمانٍ بعدَ تسعينَ حجَّة   وتسعِمائة مرَّتْ جرى الأمرُ والحُكْمُ

بأنْ حضرَ الشمسُ بنُ منقارٍ الذي   تحرَّى حلالاً حين زايله الحُرْمُ

وناظرنا يومَ الكسوفِ فلم يطقْ   لنا جدلاً بل خانَه الفكرُ والفهمُ[2]

فقيل وبعضُ القوم لا شكَّ حكمةٌ   وعندَ كسوفِ الشمسِ قد ظهرَ النجمُ

ولولا تلافي الله جل جلاله   أصاب تِلافاً حين تابعه الرَّجْمُ

وكان سليماً من الصبوات، ناهضاً إذا استنهض في المَهمات، لا يبخل بالشفاعات عند الحكام، وله جرأةٌ عليهم وإقدام، وكان يفتي، ويدرس الدروس الخاصة والعامة.

---

(١) في الأصل: الوعلا، والصواب ما أثبت.

(٢) في الأصل: الفهم والفكر، والصواب ما أثبت.

وله شعرٌ مستحسنٌ، **ومنه قوله في «شرح الكافية» للجامي:**

ألا قد جلا الجامي ببستانِ شـرحِه   لكافيـةِ الإعـرابِ كـأْسَ مُـدامِ
فحـافظْ عليـه تلـقَ سـعداً مؤبـداً   وخـذْ جامَـهُ واشـربْ بغيـر مَـلامِ

توفي عند غروب الشمس يوم الثلاثاء، رابع عشري شوال، سنة خمس بعد الألف، وصـلي عليه من الغد، بعد صلاة الظهر، ودفن غربي تربة باب الصغير ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٩٠] محمد بن قاسـم بن محمد بن علي القيسي، الغرناطي أصلاً وأباً، القصار لقباً[1].

مفتي فاس، وريحانة ذلك الكِناس، ومحدث المغرب الأقصى، الذي فضائله لا تعد ولا تحصى، وفقيه عصره، وعلامة قطره.

ولد سنة تسع وثلاثين وتسـعمائة ـ بتقديم التاء فيهما ـ وحفظ القرآن العظيم وجوَّده، وأخذ علوم الفقه والحديث عن ولي الله أبي النعيم رضوان ابن عبدالله الحمولي الفاسي، وعن المنفرد بالمنطق والكلام، وأصول الفقه والتبيان بفاس، جار الله محمد خروف الأنصاري التونسي، وعن الأستاذ أحمد النسُّولي، وعن أبي عبدالله محمد بن جلال، وغيرهم، من مشايخ المغرب.

وأخذ بالإجازة العامة عن شـيخ الإسـلام البـدر الغزي مفتي دمشق

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٢١)، وذكر وفاته فقال: «كانت وفاته في فاس سنة اثنتي عشرة بعد الألف ـ رحمه الله تعالى برحمته ـ»، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٦)، «الإعلام بمن حل مراكش» (٥/ ٢٢٧)، «موسـوعة أعلام المغـرب نشر المثاني» (١١١٤).

ومحدثها، وعنه أخذ علماء العصر من أهل المغرب؛ كالشيخ العلامة أحمد المقري، ومحمد بن أبي بكر الدلائي القشتالي، والسيد عبد الهادي السجلماسي الحسني، وأبي عبدالله محمد بن يوسف أبي المحاسن العربي الفاسي.

وكان سوق المعقول كاسداً في فاس، فضلاً عن سائر أقطار المغرب، فنفق في زمانه ما كان كاسداً من سوق الأصلين، والمنطق، والبيان، وسائر العلوم؛ لأن أهل المغرب كانوا لا يعتنون بما عدا النحو والفقه والقراءات، مما يوصل إلى الرياسة الدنيوية، وكان من قبل هذا القرن فيه ـ أيضاً ـ كذلك وأكثر.

إلى أن رحل البيستني إلى المشرق، فأتى بشيء من ذلك، ثم ورد الشيخ خروف التونسي، وكان إمام ذلك كله، والمقدم فيه، إلا أنه جاء من غير كتب؛ لابتلائه بالأسر، وغرقِ كتبه في البحر، ومع ذلك كانت بلسانه عُجمة، مع ميله إلى الخمول، فلم يقدروا قدره.

وإنما انتفع به الشيخ أحمد المنجور، والشيخ القصار صاحب الترجمة، وكانت للمنجور مشاركةٌ في فنونٍ كثيرةٍ، وتنقيح عبارةٍ ومعرفةٍ بالتدريس، وكان للقصار عبارة قاصرة، مع زيادة تحقيق، وكمال معرفة وتحرير، وغوص على المسائل، فما انتفع به إلا من صلحت نيته، ولم يثنه عنه عبارةٌ ولا خمول، وإليه وإلى المنجور مرجعُ شيوخ المغرب، مع ملازمة القصار أكثر؛ لانفراده بعده.

ومن نظم القصار قوله:

تـــسعٌ أبـــى منهـــا أولـــو الأحـــلام والهمـــم الـــسنيهْ

إلا بحـــــالِ ضــــــرورةٍ تــدعو لهــا مــع حــسن نيــهْ

وهـــــي الـــشهادةُ والوســـا طــةُ والحكومــةُ فـــي القــضيهْ

وكـــــذا الإمامـــةُ والوديـــــ ـــعةُ والتعـــرُّضُ للوصـــيهْ

ثـــم الإجابـــةُ للطعـــا مِ والـــــولائم والهديـــــهْ

فـــسدَ الزمـــــانُ وأهلُـــه إلا القليـــلُ مـــن البريـــهْ

[٢٩١] السلطان محمد خان بن مراد خان بن سليم خان بن سليمان خان[١].

سلطان البرين والبحرين، وخادم الحرمين الشريفين، تولى السلطنة بعد والده سنة ثلاث بعد الألف، وكان عمره خمس عشرة سنة، وكانت سلطنته خالية من الكدر والاختلاط.

وغـزا الكفـار، ففتـح أكرى، بعد أن تجيشت عليه عساكر النصارى المجـر، في عدد يزيـد ـ على ما قيل ـ، على أربعمائة ألف مقاتل، وفر عن السـلطان أكثر عسـاكره، حتى نزلت النصارى على خزينته، وطلب الخوجا سعد الدين، وكان صحبته، فحضر بين يديه، فجعل يثبته، ويستنهض عساكره الخاصة.

فلم يكن بأسرع من أن كُسرت النصارى، وولوا منهزمين، ووقع السيف فيهم وهم فارون، حتى قتل بعضهم بعضاً من الزحام وغيره، وحصل الفتح

---

(١) «لطف السـمر وقطف الثمـر» للغزي (١/ ١٥٢) (٤٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢١٦)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٩٦)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١١٢٤)، «منائح الكرم» للسنجاري (٣/ ٥٢٥)، وذكر وفاته في ١٠١٢هـ.

والنصر، وشاهد جماعة من الصلحاء الأعيان سيدَ ولد عدنان محمداً ﷺ، وجماعةً من الصحابة يقاتلون معه هؤلاء الكفرة.

وقد أُفرد لذلك مؤلفٌ باللغة التركية، وآخر بالعربية، وجاء تاريخ موته: (مات السلطان محمد بن مراد) وقيل في تاريخ سلطنة ولده: (وسلطن السلطان أحمد على العباد) ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٩٢] السيد محمد بن موسى بن محمد الحجّازي؛ نسبة إلى الأمير عز الدين حجاز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن داود بن قاسم بن عبدالله بن طاهر بن يحيى بن جعفر بن عبيدالله بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ، الحسيني المالكي المدني[1].

أحد الفضلاء الأعيان، وواحد أئمة البيان، أحرز من الأدب طرفاً، وحوى منه جانباً مستظرفاً، كانت له بمصر منزلةٌ ومكانةٌ، وتولى بها النيابة في القضاء بمحكمة طولون، وقصد الناس محله ومكانه.

وكان ملازماً للاشتغال بالعلم، ومن شيوخه: محمد بن محمد العزي الحنفي، وخاتمة الفقهاء علي الأجهوري، لازمه سنين عديدة، وعبد الواحد الرشيدي إمام برج مغيزل، والشيخ مرعي الحنبلي، وله مؤلفاتٌ مفيدةٌ، منها: «شرح الأندلسية في العروض»، و«نظم أم البراهين»، وكانت **وفاته** بمصر سنة خمس وستين وألف.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٣٤)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٦٣٦) (٣٦٠)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٣٩٩)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ١١٩).

ومن شعره قوله في النعال الشريفة النبوية:

مذ شاهدتْ عيناي شكلَ نعاله		خطرتْ عليَّ خواطرٌ بمثالِهِ
فغدوتُ مشغولَ الفؤاد مفكِّراً		متمنياً أني شِراكُ نعالِهِ
حتى ألامسَ أَخْمَصيه ملاطِفاً		قَدَماً لمن كسف الدجى بجمالِهِ
يا عينُ إن شطَّ الحبيبُ ولم أجد		سبباً إلى تقريبه ووصالِهِ
فلقد قنعتُ برؤيتي آثارَهُ		فأمرغُ الخدينِ في أطلالِهِ

وأصل هذا قول علاء الدين بن سلام بن جلال الدين بن خطيب داريّا:

يا عينُ إن بعدَ الحبيبُ ودارُه		ونأتْ مراتعُه وشطَّ مزارُهُ
فلقد ظفرتُ من الزمان بطائلٍ		إن لم تَرَيْهِ فهذهِ آثارُهُ

ومثله قول لسان الدين بن الخطيب السِّلماني:

إن بانَ منزلُه وشطَّ مزارُه		قامت مقامَ عيانِه أخبارُهُ
قَسِّمْ زمانَك عَبرةً أو عِبرةً		هذا ثراهُ وهذه آثارُهُ

ومن شعره أيضاً يمدح السيد زكريا نقيب الأشراف بمصر:

إن بُعدي وغُربتي واشتياقي		وافتراقي كفرقةِ الاعتزالِ
واصطباري على المقام هواناً		بين قومٍ كعصبةِ الدجَّالِ
لم يُفيدوا علماً ولم يَستفيدوا		إن فيهم تهافتاً مع جدالِ
وتقضّى الزمانُ في تُرَّهات		آفةُ العلم قلةُ الاشتغالِ
لا حياة هنية في عيالٍ		وارتكابٍ لأخبثِ الأعمالِ

وهي طويلةٌ.

ومن شعره: قوله ينبئ عن حاله:

لو أن ما بيَ بالأقلام ما مُشقت ... وصيّر الصّمَّ مثلَ العهن وامتشقت

وكُوّر الشمسُ والبدرُ المنير معاً ... والنجمُ يُطمس والأيامُ لا اعتسفت

أو بالمياه لغاضت من بحيرتها ... أم مزنِ سحبٍ لأفناها وما غدقت

أو بالنباتِ وبالأشجار وما خضلت ... كذاك بالدهرِ والأفلاكِ ما خلقت

ومنها:

توهم الدهرُ أني قد فضلْت به ... حكمُ الظنون لعمري وهي ما صدقَتْ

استعملَ الدهُر جثماني له غرضاً ... بأَسْهُمٍ وسطَ أحشائي لقد رشقَتْ

صبرٌ جميل وحسنُ الظن لي أملٌ ... فقسمة الرزق تأتي حسبما قُسِمَتْ

فإنني أرتجي حسناً لخاتمتي ... فالنفسُ من رِّبها بالفوزِ قد وَثِقَتْ

لم نتعظْ بنذيرِ الشيب مع هرمٍ ... فإنها في بحورِ الذنب قد غرقَتْ

ومنها:

فحسبها فطرةُ الإسلام معتقَدٌ ... وخوفُ نار لأهل الزيغ قد حرقَتْ

نجاتُها الفوزُ بالجنات في غُرَفٍ ... حتى أراها نسيم العَرف قد نشقَتْ

شفاعةُ المصطفى الهادي الذي ثبتت ... له الشفاعةُ والآيات قد نطقَتْ

عليه أزكى سلامٍ طاب منشقها ... مع السلام بطيِّ النشرِ قد عبقَتْ

والآلِ والصحبِ رضوانٌ لهم أبداً ... بحسنِ نظمٍ على طول المدى اتسقَتْ

[٢٩٣] محمد بن موسى بن علي العُسيلي الشافعي المقدسي[١].

كان من أجلاء علماء بيت المقدس في عصره، أخذ عن محمد شرف الدين، وعن العارف بالله محمد الدّجاني، شارح الألفية، وقدم مصر، وأخذ بها عن جماعةٍ، منهم: الشمس محمد الرملي.

وله مؤلفاتٌ، منها: «نظم القطر لابن هشام»، و«حاشيةٌ على شرحه للفاكهي»، و«حاشيةٌ على شرح القواعد للشيخ خالد»، و«حاشيةٌ على شرح الألفية لابن الناظم».

ولم أقف على وفاته، إلا أني وقفت على تقريظٍ على «حاشية الفاكهي» للعلامة أحمد بن محمد الكواكبي، أثنى فيه على المترجم كثيراً، وأرخه سنة ألف وأربع عشرة، وكان موجوداً ـ رحمه الله تعالى ـ[٢].

[٢٩٤] محمد بن موسى البوسنوي[٣].

كان إماماً فاضلاً، له براعة في علم المعقولات، له «تعليقةٌ على البيضاوي» وصل فيها إلى آخر سورة الأنعام، وكتبها على طريق الإيجاز، بل على سبيل التعمية والإلغاز، و«حاشيةٌ على شرح المفتاح للسيد»، وله «شرح على الشمسية» ممزوجٌ بديعٌ.

توفي سنة ست وأربعين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٣٤)، وذكر وفاته فقال: «وكانت وفاته في سنة إحدى وثلاثين وألف»، «الأعلام» للزركلي (٧/ ١١٩).

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذا بياض ثلاثة أسطر».

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣٠٢)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ١١٩).

[٢٩٥] محمد أبو عبدالله بن موسى السريعي الفجاج المغربي المالكي.

كان شيخاً جليل القدر، كثير المكاشفات، أخذ عن أبي عبدالله الصباغ القصري وغيره، وعنه كثير؛ كالشيخ عبد القادر الفاسـي، وكانت وفاته سنة اثنتين وعشرين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٢٩٦] محمد بن نور الدين الجَيْلاني.

صاحب العمشة، وهي قريةٌ بأعلى الصلبة، من المخلاف[١] السليماني، كان من أعيان العلماء المفيدين، عابداً ناسـكاً، يختم في رمضان القرآن كل يوم بين الظهرين.

انتهت إليه في عصـره رياسـة الفقه والتدريس، في بلاد لاعة، وممن أخذ عنه: علي بن محمد مطير، في سـنة عشر وألف، ومولده سنة عشرين وتسعمائة[٢].

[٢٩٧] محمد أبو سرْين بن المقبول بن عثمان بن أحمد بن موسى ابن أبي بكر بن عيسى ابن الشيخ صفي الدين أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي، صاحب اللُّحَيَّة[٣].

ليست تحضرني عبارة تنبئ عن محله، وعلو منزلته في العلم والولاية، والقدم الثابت في مراقبة الله والرعاية، سـارت بذكـره الركبان، وبلغ الشرق والغرب ما له من علو المكانة.

---

(١) في الأصل: المخالف، والصواب هو المثبت.

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذا سطران بياض».

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٢٢٨).

كان في عصره مرجع «اللحية» وما والاها من القرى، والعرب مطيعون له إطاعة الأمراء، وكانت دولة الأتراك لا تصدر إلا عن رأيه وإشارته، ولا تخرج جميع الحكام عن طاعته، وكان رئيساً عالي الهمة، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، صاحب عبادة وزهادة، مُمَدّاً من الله سبحانه بالسعادة، حافظاً للقرآن العظيم عن ظهر قلب، كثير التلاوة له، عظيم القيام به.

وكانت «اللحية» في زمنه كالحديقة المزهرة، ووجوه بني الزيلعي بنور وجهه ضاحكةٌ مستبشرة، وهو مرجعُهم في المهمات، والمدار عليه من بينهم في الملمات، وله المهابة في القلوب، والجلالة في النفوس، وبرؤيته ينجلي كل هم وبوس، وكان من الكرم في ذروته العالية، ومن التواضع بمكانةٍ عاليةٍ، مقدماً في قومه، معظماً في عشيرته.

ولد سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ وخمسين وتسعمائة باللحية، وبها نشأ على خير وفي خير، وكنى بأبي سرّين؛ لأنه كان له سرتان، ولما وُلد، واجتمع الناس من أصحاب والده لتسميته في سابعه، أتى به أبوه إليهم، ووضعه بينهم، وقال لهم: من يقدر منكم يرفع رأسه من الأرض فأخذ كل منهم برأسه، فلم يقدروا على رفعه، فقال لهم والده: هذا صاحب المنصب بعدي، وكان له إخوة كبار أمهم عربية، وصاحب الترجمة أمه أم ولد، فأراد والده تنبيههم على ذلك، وأنه الأحق بما هنالك، وفضل الله يؤتيه من يشاء.

وله مع الأتراك وقائع كثيرة، وكراماتٌ شهيرة، وكان لا يتعرض له أحد بسوءٍ إلا عطب، وتصرفه في عصره مشهور، وعند جميع الناس مذكور، وكانت **وفاته** ثاني شهر رمضان، سنة ثمان وأربعين وألف، وعمره ثمانون سنة.

ومن كراماته: أنه وُشي به إلى السيد الحسن ابن الإمام القاسم: أنه يُعين الأتراك، ويُمدهم بمال من عنده، ويقدم لهم الهدايا، ويحثهم على محاربة الأئمة، فأرسلَ إليه جماعةً من أتباعه يأمره بالوصول إليه، فأتوا به إليه، وهو مريضٌ محمولٌ على سرير، وكان أراد قتله بمجرد وصوله إليه، فلما أتوا به إليه، ورآه، أجلَّه وأكرمه، واعتذر له من فعله، وأمر برجوعه إلى بلده مجللاً معظماً، ثم اشتغل عنه، فأرسل إليه: إني مريض، ومرادي أموت ببلدي فجهزني سريعاً، واعلم أنك ميت على أثري، فجهزه لوقته، ورجع إلى بلده «اللحية»، فلما وصل إليها، جلس أياماً قليلةً، وتوفي إلى ـ رحمة الله ـ، ومات في إثره السيد الحسن بن القاسم؛ كما ذكر المترجم له ـ رحم الله الجميع بمنّه ـ.

[٢٩٨] محمد بن إلياس المدني الحنفي الخطيب[1].

أحد الفضلاء الأكياس، المثرين من نقود الآداب الفائقة، على نفود الأكياس، طابت أنفاسه بأنفاس «طابه»، وملأ من نفائس الآداب والفضائل وِطابهَ، فهو إذا خطب، خطب عرائس الأفكار، وأجيب إليها، ونصت عليه في أرائك البلاغة، فبنى عليها.

وإذا كتب، كبت العدوَّ والحسود، وأقر بفضله السيدُ والمَسود، لم يزل في جوار رسول الله ﷺ، حتى انتقل إلى جوار ربه ليلة الأحد، ثاني شهر ربيع الثاني، سنة ست وسبعين بعد الألف، بالمدينة الشريفة، ودفن بالبقيع.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٩٧)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٦٩).

ومن شعره: ما كتبه مجيباً للقاضي تاج الدين المالكي، وقد أرسل إليه بهدية قوله:

مــــولايَ قـــدرُك أعلـــى	مــن كــل شــيء وأغلــى
وقـــد بعثـــت بمـــا إن	ينــسبْ لقــدرِكَ قَــلاًّ
ولا أراه يـــــــوازي	نــداك حاشــا وكَــلاًّ
مـــن ذا يبـــاري كريمـــاً	فـــي الجـــود حـــاز المُعَلَّـــى
أَمْ مَـــنْ يجـــاري جـــواداً	فـــي حِليـــةِ الفـــضل جلَّـــى
فاقبـــلْ لتـــشفعَ فـــضلاً	بـــه تَطَوَّلْـــتَ فـــضلا

فأجابه القاضي تاج الدين بقوله:

يـــا ســـيداً وإمامـــاً	قـــد طـــاب فرعـــاً وأصـــلا
حـــزتَ المكـــارمَ قـــدماً	وطبـــتَ قـــولاً وفعـــلا
غمـــرْتَ بـــالجود عبـــداً	لا زلْـــتَ للفـــضلِ أهـــلا
ودمـــتْ مـــولًى كريمـــاً	فأنـــت أحـــرى وأولـــى

[٢٩٩] أبو السعادات محمد بن محب الدين بن يحيى بن مكرم بن المحب محمد بن الرضي محمد بن المحب محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الحسيني الطبري المكي، إمامُ المقام الشريف[١].

وُلد ليلة الخميس، سابع عشري رمضان، سنة سبعين وتسعمائة، وكان

---

(١) «إنباء البرية بالأنباء الطبرية» مخطوط، الورقة: ٤٣.

طالع ولادته، كما وجد بخط أبيه البطين، في برج الجوزاء.

وحفظ القرآن العظيم، وصلى به التراويح في مقام إبراهيم، وأمّ بالناس، وحفظ عدة متون، منها: «البهجة الوردية» في الفقه، و«ألفية ابن مالك»، وعرض محفوظاته على مشايخ عصره، وكتبوا له الإجازات، وكان حسن الخَلق والخُلق، جميل السيرة، أخذ عن الشيخ أبي البقاء العمري.

وتوفي سنة ست بعد الألف، ودفن في تربة جماعة الطبريين ـ رحمهم الله تعالى ـ، ذكره الشيخ عبد القادر الطبري، في «إنباء البرية بالأنباء الطبرية».

[٣٠٠] محمد ابن الفقيه معروف بن عبدالله بن أحمد العصبي باجمّال(١).

أحد عباد الله الصالحين المواظبين على طاعة رب العالمين، كان ورعاً زاهداً قانعاً، يحب الخمول، ويكره الشهرة، محباً للصالحين، حسن الظن بالمسلمين، صحب خالداً العارف بالله عبدالله بن عمر باجمّال، وحصلت له نظرات ولحظات ودعوات، ظهر عليه بسببها عظيم البركات.

وله صدقات كثيرة، وأوقاف شهيرة، منها: بناء المسجد المعروف بالحمام في وسط مدينة «الغرفة»، وآبار كثيرة وقفها على المسلمين، وله أوقاف على مساجد بمدينة «هَيْنَن» وأوقاف على قرابته، وصدقات تقسم على الفقراء يوم عاشوراء، وحصل كتباً كثيرة، ووقفها، ووقف على عمارتها، هذا مع قلة ماله، وليس له صنعة ولا تجارة، وكان إذا رئي، ذكر الله، محبوباً عند الناس، معتقداً مقبولاً، **توفي** ليلة السبت منتصف صفر سنة اثنتين وعشرين بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٣٥).

وآلُ باجمّال، قال الفقيه عبد الرحمن بن سراج في كتابه «مواهب البر الرؤوف بمناقب الشيخ معروف»: من المعلوم قديماً وحديثاً أنهم بيت علم وصلاح، ولهم من شرف النسب وكرم التقوى الحظُّ الأوفر، لم تزل رفعتهم وعظمتهم واحترامهم عند السلاطين والملوك وكافة الأنام أشهر من الشمس في رابعة النهار، لا يجهل مقدارهم، ولا يضام جوارهم، وأموالهم مصونة محترمة، وأعراضهم مبجَّلة مكرَّمة إكراماً وتعظيماً لشعائر الدين؛ إذ هم موضحو شريعة سيد المرسلين.

وقال الفقيه أحمد بن محمد باجمّال الأصبحي في كتاب «مطالع الأنوار في بروج الجمال ببيان مناقب آل باجمّال»: إن باجمَّال ـ بتشديد الميم ـ ينسبون إلى كِنْدَة القبيلةِ المشهورة، وكانوا ملوك حضرموت في الجاهلية.

ونقل عن محمد بن عبد الرحمن بن سراج: أنه قال في «مواهب البر الرؤوف»: إن جد آل باجمّال ثور بن مُرَتِّع ـ بضم الميم وفتح الراء وكسر المثناة الفوقية المشددة ـ ابن معاوية بن ثور بن عفير، وثور بن عفير هذا هو كندة كما في «التهذيب»، وكانوا ولاة ثور، فأخذها آل بانجار، فانتقلوا إلى شبام، وجدهم الجامع لجميعهم هو الشيخ أحمد بن إبراهيم، فجميعهم منسوبون إليه، وكان معاصراً للشيخ عبدالله بن محمد باعبّاد القديم.

ثم قال: فإذا كانت القبيلة منحصرة في جدٍ معلومٍ، وتشعب أولاده أفخاذاً، فإذا مات واحدٌ منهم، وجُهل أقربهم إليه، مع تحقق أن جد هؤلاء الموجودين والميت زيد، لكن جهلت الوسائط، فقد اختلف المتأخرون، فأفتى أبو قضام: بأنه لا بد من ذكر المتوسطين، بين الميت والجد المذكور والأحياء والجد هذا؛ لتعرف اتصالهم المعدودة.

وأفتى به جماعة من الفقهاء، تبعاً لأبي قضام، وخالف العلامة عبدالله ابن عمر بامخرمة، وقال: هذا من الإرث المحصور بالاستحقاق، قال: ومحل معرفة الوسائط في القبيلة المنتشرة، وأما مع الانحصار المحقق، فلا يحتاج لمعرفة الوسائط.

فإن عُلم أعلى درجة من أولئك، فالإرث له، وإن لم يُعلم، وادعى ذلك كل واحدٍ من أرباب الميراث المحصورين، في ذلك الجد المذكور، فيوقف الميراث إلى تقارّهم بالأقرب، أو مناقلتهم بالنذر لأحدهم؛ لأن ـ الإرث والحالة هذه ـ محققٌ محصورٌ فيهم.

وجرى على ما قاله أبو مخرمة الفقيهُ عبدالله بن سراج، قال: وفي كلام العلامة الشهاب أحمد بن حجر ما يشهد لذلك، والذي نعتمد: ما قاله أبو مخرمة؛ لأن العلة مقتضيةٌ لذلك، والله أعلم.

[٣٠١] الإمام المؤيد بالله محمد ابن الإمام الملقب بالمنصور بالله القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد ابن الأمير الحسين بن علي بن يحيى بن يوسف الملقب بالأشل بن القاسم ابن الإمام يوسف الداعي ابن الإمام المنصور يحيى ابن الإمام الناصر أحمد ابن الإمام الهادي يحيى بن الحسين صاحب «صعدة» ابن القاسم بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ[1].

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٢٢)، «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ١٠٤٩) (٦٦٤)، «البدر الطالع» (٢/ ٢٣٨)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٢٤٨) (١٩٥)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٦).

كتب إلي شيخنا القاضي العلامة الحسين بن الناصر المهلا في ترجمته:
إنه السيد الذي ظهرت فضائله في البلاد، وأذعن لها كل حاضر وباد، وأوتي من الإحاطة بالعلوم، وصدق الفراسة، وتنوير القلب، وصفاء الخاطر، ما لم يؤتَ غيرُه.

ولي الإمامة بعد والده، فقام بأعبائها، مباشراً للأمور بنفسه، لا ينام من الليل إلا قليلاً، وكان محباً للفقراء، حافظاً للبلاد، أصلح الله بولايته بين الخلق، العدو وعدوه فإنهما إخوان، وأمَّن الله الطرقات في أيامه ببركة نيته.

ومكث في الإمامة نحواً من سبع وعشرين سنة، لم ينكب فيها، ولم يشاجر إلا قليلاً، واجتمعت كلمة اليمن إليه، وأخرج منه عساكر الروم، الذين كانوا من بقية جند السلطنة بأسرهم، وأقبلت عليه الفتوحات، من كل الجهات، وقام بنصرته إخوته: الحسن، والحسين، وأحمد أبو طالب، وإسماعيل.

واستوزر جماعةً، منهم: الناصر بن عبد الحفيظ المهلا، واختصه بمجالس النظر الخاصة في العلوم، ولم يزل في ازدياد، إلى أن توفي يوم الخميس بين الظهرين، سابع وعشري رجب، سنة أربع وخمسين وألف، بشهارة، ودفن بقبة والده.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، تشتمل على علمٍ واسعٍ، وأجوبةٍ في أنواع العلوم، مشهورةٍ بين الأفاضل.

ولما توفي، بويع بالخلافة ولي عهده، أخوه وشقيقه أحمد أبو طالب، بشهارة، ثم دعا أخوه إسماعيل إلى نفسه، بطوران، فبايعه جمعٌ من الناس، وكذلك دعا السيد محمد بن الحسن بن القاسم إلى نفسه، فبايعه أهل اليمن، في «أب»، و«ذي جبلة»، وما بينهما، ولقب نفسه بالهادي.

ودعا السيد إبراهيم بن محمد ـ عُرف بابن حورية ـ ببلاد صعدة، ثم بايع الإمام المتوكل، ولما تفاقم الأمر، وتفرقت الأحوال، اتفق رأي العقلاء، فاجتمع السيد محمد بن الحسن، وأخوه السيد أحمد، وجماعةٌ، وفوضوا الأمر إلى إسماعيل، فبايعوه.

وكان رأياً سديداً، وعزماً حميداً، فأقبلت عليه الناس، وأمراء البلدان من كل جهة، وأطاعوه، وجهز على أخيه السيد أحمد أبي طالب، السيدَ محمدَ ابنَ الحسين، فسار يريد مدينة «ثلا»، فلما علم بقدومه أحمد أبو طالب، أغار من «شهارة» بأعيان من فيها، وصحبته القاضي أحمد بن سعد الدين، وجماعةٌ من الكبراء، منهم: إبراهيم بن أحمد بن عامر، فالتقى الجمعان فيما بين الطريق إلى «ثلا»، واقتتلوا، فكانت الطائلة لجماعة إسماعيل، واجتاز أحمد أبو طالب في ثلا، فحصروه فيها.

ثم قدم أحمد أبو طالب إلى أخيه إسماعيل، من ثلا إلى ضوران، فسلم له الأمور، وبايعه يوم عيد الفطر، سنة أربع وخمسين وألف، وصحبته الأمير الناصر بن عبد البر صاحب «كوكبان»، والناصر بن راجح، وجمعٌ من الأعيان، وكان يوماً مشهوداً لاجتماع عصا المسلمين، وإصلاح ذات البين، ثم توجه أحمد أبو طالب إلى صعدة، متولياً عليها من قبل أخيه الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم ـ رحمهم الله ـ.

وكان في المترجَم من حسن الخلق والدهاء ما يعجز الوصف، وبَعُد صيته حتى قصده الناس من الهند والبصرة والأحساء والقطيف والعراق وبلاد فارس، واجتمعت عنده الأخلاط، وامتدت إليه الأطماع؛ لكرمه وإحسانه، وخضعت له الرؤوس، ودان له كل متمرد.

وكان شديد الانتقام لمجاوزة الحـدود، فطفيت نار الفسـاد، وخـاف المرتاب، وكان لا يشتغل عن خدمة العلم والقراءة طرفي النهار، ولما اتسعت عليه المملكة، ونظرت إليه العيون، صار بعيد المرام، لا يقضي الحاجة إلا بعد شهور، حتى كان بعض الوفاد يجلس نحو خمسة أشهر، إلا أن كفايته على الإمام، ثم إذا فسح له، وقَّع ما عليه من الديون وقضاها.

وكان شـديد الشكيمة، لا يبالي من أحد، ولو شُكاي عليه من نفسه، لأنصف منها، ولما شكا أهل «الحيمة» إليه من أخيه السيد الحسين، عزله عن عمله.

ومن حسن سياسته: أن أخاه لما عزله من الحيمة، جرت بينهما منابذة، ثم أتاه الحسين يزوره، في نحو ثلاثة آلاف وستمائة، فأقاموا ببيت القابعي أياماً، ثم طلب الإمام أهل الإدراك، وكساهم ألفاً[1] وسبعمائة كسوةٍ من الجوخ وغيره، وأعطى سائر العساكر، كل نفر قرشاً، ثم طلب رؤوس العساكر، وقال لهم: أنتم مستوفون معلومكم، في كل شهر، أم يماطلكم الحسين؟ فقالوا: بل يماطلنا، فقال: ليوقع كل واحد من الرؤوس ما بقي لأصحابه، ففعلوا، فأعطوهم جميع ما وقعوه.

فلم يعرف السيد الحسين، إلا والعسكر قد تفرق عنه، ولم يبق معه إلا ذووه[2]، فحينئذ طلبه الإمام المؤيد، وقال له: يا حسين! اطلع اقرأ في «شهارة»، فإني أخاف عليك أن تنسـى العلـم، فامتثل أمره، وطلع، وكُفي أمره وفتنته.

---

(١) في الأصل: ألف، والصواب ما أثبت.

(٢) في الأصل: ذويه، والصواب ما أثبت.

ومن حسن سياسته: كان من تمرد، هرب إلى خولان، فحموه، فطلب مشايخهم وقال: ائتوني بقبائلكم أجمعين، فكانت تأتي كل قبيلة نحو ألف وأقل، فيكسوهم، ويعطيهم حتى ملك قلوبهم، واستمال أهل يافع، ووفدوا إليه، وأعطاهم مالاً كثيراً حتى صاروا تحت طاعته.

وفي زمنه كان أكثر الحجاج يأتون طريق السراة؛ لأمانها، مع كثرة من بها من المتلصصين، وكان من أراد من قبائل قحطان فساداً في طريق الحج، منعه مشايخهم؛ خوفاً من الإمام.

وكانت مراكب الهند تدخل إلى «جدة»، ويقولون: إن درهم جدة مبارك، فلما ولي الإمامة، ورأوا منه العدل الزائد، تركوا جدة، وصاروا يدخلون سواحل اليمن، وكانت تجارة مصر والحرمين، تأتي إلى المخا وعدن، ويشترون من تجار الهند.

وكان الإمام المؤيد أعانه على أخذ اليمن من الترك: أمورٌ:

منها: طول الهدنة، فاجتمعت إليه أموال، وانساقت إليه البلاد، وسلط طريق العدل والإنصاف.

ومنها: عقلة حيدر باشا بشرب الخمور، عن النظر في عواقب الأمور، حتى أن المشتكي كان يقف في بابه الشهر والشهرين، ولا ينصفه، واتخذ لنفسه مثل المِحَفَّة، تجرها الجمال والبغال، ويجلس فيها، ويتمشى إلى نحو الروضة.

ومنها: الظلم الذي ظهر في البلاد من الأتراك، فكادت النار تشتعل في أرجاء اليمن.

ومنها: حسن أخلاق الإمام، وبذل النائل، وإعطاء السائل، ولين

الجانب، والرفق بالطالب، مع الحزم والنظر في عواقب الأمور.

ومنها: كون أعوانه، جميع إخوانه، وهم أطوع له من بنانه.

ولما عزم على نبذ العهد، الذي كان بينه وبين الأتراك، وسبب ذلك: أن الفقيه العثماني كان يقبض للإمام الزكاة من تجار صنعاء، والنذور، فأمر حيدر باشا بقتله، فقتله صالح سعدان، فكتب إليه الإمام المؤيد أن يرسل إليه بقاتله، فأبى حيدر باشا، وحينئذٍ أرسل أخاه الحسين، فأخذ من الشرف، وأحاط بالجبال، فمر منه إلى أسفل حفاش، ثم حراز، وأشرف من حَضُور، ووصل أسفل قبلة جبل تَيْس، ومرلاعة، ثم حراز، ثم الحيمة، فحضور.

وأرسل أخاه أحمد أبا طالب، فداس المشرف، إلى جبل مضبعة عيال يزيد، وأرسل أخاه الحسن، فاخترق المشرق، إلى ذراع الكلب، وشنَّ الغارات، من كل الجهات، وسُقط في أيدي الترك، وفُلَّ حدُّهم، وقُطع سيفهم[1]، وأفاق حيدر باشا من سكرته، وندم على تفريطه، وسلمت له حصون حجَّة، وعمران، وكوكبان، ومدينة ثلا، وما والاها من البلاد.

ولما استقر له الأمر، وتمت له الكلمة، ودامت الأمانة، ثقلت على الناس، حتى إن بعض فقهاء الزيدية كتب كتاباً ورماه في شهادة؛ ليصل إلى الإمام، فوصل، وهو صورة سؤالات:

منها: هل يجوز للإمام بقاء الشكاة الشهر والشهرين؟

ومنها: هل يجوز للإمام التفريط في بيوت الأموال، بالعمارات، فلا يزال يعمر منها؟

---

(١) في الأصل: سيفه.

ومنها: هل يجوز للإمام أن يعلم بمنكرٍ يقدر على إزالته، فلا يزيله؟ وأسئلة كثيرة.

فأجاب عن الأول: أن وظيفة الإمام أن لا يعطل أمور المسلمين، ونحن نقضي كل يوم حوائج ناس كثيرين، لا نعطل يوماً غالباً.

وأجاب عن الثاني: بأننا لا نبني إلا ما تحققنا أن لبيت المال فيه مصلحة.

وأجاب عن الثالث: والسائل أراد أنهم علموا أن في عسكر السيد الحسن نساء ضربن لهن أمكنة، ويتهمن بالفجور، فأجاب: بأنا بحثنا فلم نجد إلا طالبة، أو شاكية، أو متعيشة لا ريبة تشهد عليها.

[٣٠٢] محمد بن علي بن أبي بكر ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف ابن محمد ـ حوي الدَّويلة بوزن الطويلة ـ ابن علي بن علوي بن الأستاذ الأعظم الفقيه المُقدم بن علي صاحب مرباط بن محمد بن علي خالع قسم بن علوي ابن محمد بن علوي بن عبيدالله ـ بالتصغير ـ بن أحمد بن عيسى بن محمد ابن علي العُريض بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ، باعلوي الحسيني التريمي نسباً[١].

كان عليه من شمس الضحى نور[٢]، ومن فلق الصباح عمود[٣]، سيد جليل المطالب، اللدني المواهب، حميد الصفات والمناقب، حسن النظر في

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٦٦)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٧).

(٢) في الأصل: نوراً، والصواب ما أثبت.

(٣) في الأصل: عموداً، والصواب ما أثبت.

إصلاح العواقب، عالمٌ حَسُن عملُه، وزاهدٌ قَصُر أمله، آثار فضله مأثورة، ومناقبه في جهته مشهورة.

ولد بمدينة تريم، وحفظ القرآن العظيم، وأخذ عن والده، ولازمه حتى تخرج به، ولبس منه الخرقة، وسمع كثيراً من المحدثين، ولزم الطاعات، ولازم الجمعة والجماعات، وكان والده يثني عليه، ويشير إليه، ولما ولد، رأى والده وغيره في جبهته آية الكرسي، واعتقد بعض جهلة العوام: أنه المهدي المنتظر، ولم يزل مقيماً ببلده، حتى **توفي** عام اثنين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

وآل باعلوي منسوبون إلى علوي، وهذه النسبة ـ وإن لم تكن من وضع العربية ـ، ولكنها عُرفٌ لأهل الديار الحضرمية، فإنهم يلزمون الكنية الألف بكل حال على، لغة القصر، فيقولون لبني علوي: باعلوي، ولبني حسن: باحسن، ولبني حسين: باحسين.

وعلوي هو ابن عبيدالله بن أحمد بن عيسى؛ فإنه جدهم الأكبر، الجامع لنسبهم الأفخر، ونسبهم مجمعٌ عليه عند أهل التحقيق، متواترٌ عند أرباب التدقيق، مشهورٌ عند العلماء الأعيان، مذكورٌ في كتب هذا الشأن.

وقد اعتنى ببيانه جمعٌ كثيرٌ من العلماء، وجمٌّ غفيرٌ من الفضلاء، وذكر بعضهم أن السادة بني علوي، لما استقروا بحضرموت، أراد بعض أئمة ذلك الزمان أن يؤكد تلك النسبة المحمدية، والوصلة الأحمدية، فطلب منهم تصحيح نسبهم الشريف، وتحقيق شرفهم المنيف، بحجة شرعية، وأدلة مرضية.

فسافر الإمام شيخ الإسلام، الحافظ المجتهد، أبو الحسن علي بن محمد

ابن جديد، إلى العراق، وأثبت نسبهم، وأشهد على ذلك نحو مائة عدل، ممن يريد الحج، ثم أثبت ذلك بمكة المشرفة، وأشهد على ذلك جميع من حج من أهل حضرموت.

فقدم هؤلاء الشهود، في يوم مشهود، وشهدوا بثبوت نسبتهم المحمدية، وسلسلتهم النبوية، فعند ذلك انقشعت سحب الأوهام، وتبلجت غرة الشرف، وأميط عنها اللثام، ولقد أحسن من قال:

وجحودُ من جحدَ الصباحَ إذا بدا   من بعدِ ما انتشرت له الأضواءُ
ما ذاك أن الشمس ليس بطالع   بل أن عيناً أنكرت عمياءُ

وجديدُ المذكورُ ـ بفتح الجيم ودالين مهملتين بينهما تحتية ـ أخو علوي المذكور، وله أخٌ شقيقٌ آخر اسمه بصري، كانا إمامين عالمين، أفرد ترجمتهما بالتأليف، ولهما ذرية، اشتهر منهم جماعة بالعلوم الشرعية، والتفنن في العلوم العقلية، والاشتغال بالعبادة، وتوفي الثلاثة بقرية سُمَل ـ بضم المهملة وفتح الميم ـ وهي على نحو ستة أميال من مدينة تريم، سميت باسم الذي اختطها، ولا يعرف الآن إلا قبر علوي.

وقيل: إن جديداً انتقل ببيت جبير، وكانت رياسة العلم والفضل لبني بصري، ثم انقرضوا في أثناء القرن السادس، وانتقلت الرياسة لبني عمهم جديد بني عبيدالله، ثم انقرضوا على رأس المائة السادسة.

واختص الذكر المخلد، والثناء المنضد ببني علوي بن عبيدالله بن أحمد، فطبقوا الأرض، وعم نفعُهم الطول والعرض، ذكرُهم باقٍ على صفحات الزمان، معلوم عند القاصي والدان، وتوطنهم حضرموت، إن الله لما أراد

بأهلها خيراً، أهدى لهم السيد المذكور، استقر بها هو وأهله ومواليه قاطبةً، وتديرَّها.

وكان سبب هجرة جدهم أحمد بن عيسى من البصرة وما والاها من البلاد: ما حصل بها من الفتن والأهوال، حتى وجبت الهجرة منها، فهاجر منها سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وسافر معه ولده عبدالله لصغره، وتخلف ولده محمد على أمواله، واستمر محمد بالبصرة إلى أن توفي بها.

وارتحل مع الإمام أحمد المذكور من بني عمه اثنان:

أحدهما: محمد بن سليمان بن عبيد بن عيسى بن علوي بن محمد بن حمحام بن عون بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، جدُّ السادة بني الأهدل، وسيأتي الكلام عليهم.

والثاني: جد السادة الأشراف، بني قُديم ـ بضم القاف مصغراً ـ الذي اشتهر منهم كثيرون، وسيأتي ذكر جماعة منهم في هذا الكتاب.

وتوطن جد السادة المهادلة بوادي سهاد، والسيد الكبير جد بني قديم بوادي سُرْدُد، بضم المهملة ـ وسكون الراء، وضم الدال المهملة المكررة ـ.

وهذان الواديان مشهوران باليمن، خرج منهما كثيرون اشتهروا بالفضل والولاية، وقد ألف الشيخ العلامة محمد بن أبي بكر الأشحر رسالةً سماها: «در السمطين فيمن بوادي سردد من ذرية السبطين»، فقال جملة أبيات الحسنين. . .[1].

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «الحسنين» بياض، سبعة أسطر بالأصل، ومكتوب على الهامش: يكتب من المشرع».

ثم قدم المدينة الشريفة ـ على ساكنها الصلاة والسلام ـ وأقام بها ذلك العام، وفي هذه السنة دخل أبو طاهر بن أبي سعيد القرمطي مكة المشرفة بعسكره يوم التروية، والناس حول الكعبة، ما بين مصلٍّ وطائفٍ ومشاهدٍ، فدخل المسجد الحرام بفرسه، وركض بسيفه، وهو سكران ووضع هو وجماعته السيف، وقتلوا في المطاف ألفاً وسبعمائة، ورموا بهم في بئر زمزم، وقتلوا خارج المسجد أكثر من ثلاثين ألفاً، وملؤوا بهم الآبار والحفر، ونهبوا الديار، وسبوا الصغار، وأخذوا خزانة الكعبة، وما فيها من القناديل والكسوة والباب، وقسم ذلك بين أصحابه، وطلع على الباب وأنشد:

أنا باللهِ وباللهِ أنا ... يخلقُ الخلقَ وأُفنيهم أنا

ولم يسلم إلا من اختفى في الجبال، ولم يقف بعرفة ذلك العام إلا قليل، وأمر بقلع الميزاب، فطلع لقلعه رجلٌ، فأصيب بسهم من أبي قبيس، فخر ميتاً، وطلع آخر، فسقط ميتاً، فهابوا، فقال أبو طاهر: اتركوه حتى يأتي صاحبه، يعني: المهدي، الذي يزعم أنه منهم، وأراد أخذ المقام، فلم يظفر؛ به، لأن سدنته غيبوه في بعض الشعاب، وصار بزندقته يقول:

فلو كان هذا البيت لله رَبَّا ... لصبَّ علينا النارَ من فوقنا صَبَّا

لأنا حججنا حجةً جاهليةً ... مجللةً لم تبق شرقاً ولا غربا

وأنا تركنا بين زمزم والصفا ... جنائز لا تُبقي سوى ربها رَبَّا

وأول بلد أقام بها مدينة الهجرين، وهي من مدينة تريم على نحو مرحلتين منها، ثم سكن قارة بني جُشَير ـ بضم الجيم، وفتح الشين المعجمة، ثم ياء تحتية، ثم راء، تصغير جَشَر بالتحريك ـ وهو الرجل الغريب.

ولم تطب له، فرحل عنها، إلى الحُسَيِّسَة ـ بضم الحاء، وفتح السين المهملتين، بينهما تحتيةٌ مشددةٌ مكسورةٌ ـ، وهي قرية على نصف مرحلة من تريم، واستوطنها، وقام بنصرة السنة حتى استقامت بعد الاضمحلال، وطلعت شمسها بعد الزوال.

وأظهر إمامة الإمام الشافعي، بنشر مذهبه، وأقعد النسب الهاشمي في علياء رتبه، وتاب على يديه خلق كثير، ورجع عن البدعة إلى السنة جمٌّ غفيرٌ، ولم يزل كذلك حتى مات بالحسيسة.

واستوطن أولاده سُمَل، واشتروا بها أموالاً، ثم بعد برهة من الزمان، ارتحلوا عنها، وسكنوا بيت جُبَيْرْ ـ بضم الجيم، فموحدة، فتحتية، فمهملة، تصغير جبر ـ، ثم توطنوا مدينة تريم، وكان حلولهم بها سنة إحدى وعشرين وخمسمائة.

وأول من سكنها منهم: السيد علي بن علوي الشهير بخالع قسم، وأخوه سالم، ومن في طبقتهما من بني بصري وجديد، وهي ـ بمثناة فوقية، فراء، فتحتية، وآخرها ميم بوزن عظيم ـ، سميت باسم الملك الذي اختطها، وهو تريم بن حضرموت، وقيل: إن الذي اختطها سعد الكامل، ومن أسمائها: الغنّا ـ بفتح الغين المعجمة، والنون المشددة ـ سميت بذلك؛ لكثرة أشجارها وأنهارها.

وتسمى: مدينة الصديق ﷺ؛ لأن عاملها زياد بن لبيد الأنصاري، لما دعا لبيعة الصديق، أول من أجابه أهل تريم، ولم يختلف عليه أحد منهم، وكتب بذلك، فدعا الله تعالى لها بثلاث دعوات: أن تكون معمورةً، وأن يبارك في مائها، وأن يكثر فيها الصالحون، ولهذا كان الشيخ محمد بن أبي

بكر باعياد يقول: إن الصديق ﷺ يشفع لأهل تريم خاصةً، وكان إذا ذكرت عنده يقول: سعد أهلها.

وأعظم خصائص هذه المدينة العظيمة: هذه الذرية السنية الكريمة، فلقد شرفت بهم وسمت، واتسمت من الفضائل بما أتسمت، فهي بهم كالعروس، تتهادى بين أقمار وشموس، ومن ثم قال بعض الصوفية: إنهم المعنيون بقوله ﷺ: «إني لأجر نفس الرحمن من قبل اليمن»، فأكرمْ بها من بلدةٍ زكت بأطيب الفعال، وشرفت بأهل الكمال.

وما مدحت الديار، إلا لكونها محلاً للأخيار، وقد تكلم على جميع ما يتعلق بها، شيخُنا المقدسي الشريف العلامة محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي الحسيني، في كتابه «المشرع الروي في مناقب السادة بني علوي»، وبيّن أخبارها كل البيان، وأحسن كل الإحسان، فليراجعه من أراد الوقوف على ذلك.

[٣٠٣] محمد بن قاسم بن إسماعيل البقري المقري[1].

شيخُنا، نسبة إلى دار البقر على غير قياس، من قرى مصر، من أعمال المحلة، بناحية الغربية، وكناه الشيخ أبو الإكرام الوفائي بأبي حافظ، الإمام العالم، العامل الفاضل الكبير، البصير بقلبه، العارف بربه، المنفرد في عصره بعلوم القرآن، والمشهور فيها بمزيد الإتقان، مع الصلاح الظاهر، لكل باد وحاضر.

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٨٥)، «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١١٦)، «الأعلام» للزركلي (٧/ ٧).

ولد سنة أربع عشرة وألف، كما أخبرني من لفظه، وعَمِيَ بالجدري، وعمره نحو سنتين، وقرأ القرآن ببلده، ثم قدم مصر، وقرأ بالروايات على جمعٍ، من أجلِّهم: الشيخ الإمام عبد الرحمن بن شحاذة اليمني الشافعي، شيخ الفقهاء والقراء في زمانه، من طريق «الشاطبية»، و«الطيبة»، و«الدرة».

وبرع في علم القراءات والتجويد خصوصاً، واشتهر به بحيث إنه يستحضر جميع الوجوه من جميع الطرق، من غير مراجعةٍ وتكلف، واشتهرت بركته لمن قرأ عليه، وعم النفع به، وأخذ عنه خلق، وتخرجوا به، وانتفعوا الانتفاع التام، من المشرق والمغرب، وسارت بفضله وعظيم نفعه الركبان.

وروى الحديث والفقه، وغيرهما من العلوم النافعة، عن جمعٍ، منهم: شيخ الإسلام والمسلمين علي الحلبي، صاحب «السيرة النبوية»، والبرهان إبراهيم اللقاني، والشهاب أحمد المقري، والشمس محمد الشوبري، وعامر الشبراوي، وشهاب الدين القليوبي، ومحمد النحوي المشتهر بسيبويه، وسلطان المزاحي، ومحمد البابلي، وعلي الشبراملسي، وغيرهم من مشايخ الأزهر الأنور، ممن يطول ذكرهم، وأجازوه، وله في كل علمٍ سهمٌ مصيبٌ، وحفظ عجيب.

ومصنفاته كثيرةٌ مفيدةٌ، منها: «شرح على الآجرومية» حسنٌ سهلٌ لطيفٌ، جمع فيه فوائد غريبة، ونكاتٍ[1] عجيبة، قرأت عليه طرفاً منه، وأجاز لي سائره، ومنها: كتاب «غنية الطالبين ومنية الراغبين» في علم التجويد، في نحو خمس كراريس، قرأته عليه كاملاً، وكتب لي في آخر نسختي إجازةً بخط

(١) في الأصل: ونكاتاً، والصواب ما أثبت.

تلميذه صاحِبنا الفاضل، الشيخ محمد البديري الدمياطي، الشهير بابن الميت، سنة خمس وثمانين وألف بالجامع الأزهر.

وقرأت عليه جميع «شرح الجزرية» لشيخ الإسلام والمسلمين أبي يحيى زكريا الأنصاري، وأجازني به، وبجميع ما يجوز له روايته، وقرأت عليه غالب «ألفية السيرة» للحافظ عبد الرحيم بن الحسين العراقي، مع مراجعة شرحها، للشيخ عبد الرؤوف المناوي.

وطالعت معه كتباً كثيرةً، في فنون عديدة، وكنت كثير الاجتماع به، وبيني وبينه مودة أكيدة، وهو من المشهورين في الجامع الأزهر بالدين والعبادة، مواظباً للجماعة خلف الإمام الراتب، في الصف الأول فيه، مع ملازمة الصيام، وقيام الليل، وعدم التردد إلى الناس، إلا في مجالس الخير والقرآن ـ نفعني الله ببركاته، وأعاد عليّ وعليهم من بركات علومه، وجزاه خير جزائه ـ.

توفي في العشر الأول من شهر رجب، سنة ألف ومائة وعشرة بمصر، وصلى عليه ضحًى، بالجامع الأزهر، إماماً بالناس، الشيخُ أحمد المرحومي، ودفن بتربة المجاورين، بقرب تربة شيخنا البابلي ـ رحم الله الجميع بمنّه ـ آمين.

[٣٠٤] محمد بن صالح بن محمد بن صالح بن عبدالله بن حنش.

كان من أفضل أهل وقته، في سمته الحسن وخلقه، وإعراضه عن الدنيا وأهلها، طاهر القلب، قد اتفقت القلوب على محبته، والرضا بحكمه، وكان حاكم «ذيبين»، في أيام الإمام المؤيد بالله، وصدرٍ كبيرٍ من ولاية أخيه المتوكل

على الله، وكان راضياً بميسور العيشة، مع كمال العبادة، **وتوفي بذيبين قبيل** فجر ليلة الأحد، ثامن عشر رجب، سنة ثمان وستين وألف.

[٣٠٥] محمد بن مبارك باكُراع الحضرمي محتداً، المدني مولدا[١].

قال صاحب «السلافة»: أديبٌ مستعذب الموارد، مقتنص الأوابد والشوارد، إلى أدبٍ سندُ حديثه مسلسل، وعتيقُ رحيقه تسلسل، ومحاضرةٍ تنسى معها محاضرات الراغب، ومحاورة بوسى[٢] باستراوحها اللاغب، ونظمٍ نَظَم به عقود الجمان، وقلد بفرائده نحر العصر وجيد الزمان.

فمنه: ما كتبه إلى القاضي تاج الدين المالكي، مهنئاً له بالزيارة:

إكليلَ رأسِ المجدِ والفضلِ والتقى ... وسابقَ شأوِ السعدِ والعزِّ والبَها
ومن عُقد الاجماعُ واللهُ شاهدٌ ... على فضله عقلاً ونقلاً ولا ازدهى
قدمت بحمد الله تاجاً لدينه ... ودمتَ بشكر الله في حيمة السهى
وزرتَ رسولَ الله والحالُ منشدٌ ... هنيئاً مريئاً نالَ فضلك ما اشتهى

فأجابه بقوله:

أيا مَنْ حوى الإفضالَ والفضلَ والنهى ... وحاز التقى والدين والحسنَ والبَها
وأصبح فرداً في الكمال كأنما ... تصوّر في تكوينه مثل ما اشتهى
تطوّلْتَ لما أن بعثتَ برقعةٍ ... إذا ما حكاها الروضُ قيل تشبَّها
وكللتَ تاجي من جواهرِك التي ... تعالى بها قدراً على مفرق السهى

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٤٢)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٢٨٨).

(٢) كذا في الأصل، ولعلها: يوصى.

فدمتَ ولا زالت صفاتُك كلما تلاها محبٌّ زاد فيكَ تولُّها

توفي بالمدينة في نيف وسبعين وألف، ودفن بالبقيع ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٠٦] شيخ محمد مرزا الرومي الحنفي.

من أحسن قضاة الدولة العثمانية في عصرنا، وأعفهم، وأصلحهم سيرة، قرأ على والده، وبه تخرج، وأخذ عن سليمان الواعظ، وخليل بن حسن، وغيرهم، في الفقه والتفسير والعربية وفنون العلوم، وبرع وترقى في المدارس، على عادة الروم.

وولي قضاء «أدرنة»، ثم قضاء مكة سنة ألف وعشرين، وكان بها في قيام الحق، ونصرة الدين، سيفاً ماضياً، وصار كل من أهل الصلاح به راضياً، وكانت سيرته في قضائه، في غاية الحسن؛ بحيث يضرب به المثل في العفة وحسن الخلق، أظهر فيه اليد البيضاء، ولم يلتفت بهمته المَسُودة إلى البيضاء والصفراء. **شعر:**

وما سمعنا قَطَّ أن امرءاً أهدى إليه شيئا ولا قد رشاه

ولم يزل في القضاء على سنن السنة سالكاً، ولمحرر رقها الموشى بالكتابة مالكاً.

وبالجملة: فهو من العلماء العاملين، وهو ـ والله ـ عفيفٌ نزهٌ، وله عرض مصون ما اتهم، وخبير بمداراة الورى، ومداراة الورى أمر مهم، حليم إلى الغاية، إلا في أمر الدين، ومصالح المسلمين، فإنه صلب يغضب لله تعالى، ويسمع غالب الدعاوى بنفسه، ولم يقبل من أحد هدية ولا رشوة على حكم، وانكسفت الظلمة في زمانه.

وجلستُ بمكة عمراً، ولم أر قاضياً أعفَّ وألطف وأورع منه، إلى فصاحة في العربية، وحسن طوية.

ولما عزل من مكة، وتوجه إلى قسطنطينية، بكى الناس عليه، وتأسفوا لعزله، وتمنوا لو دامت ولايته عليهم، ولجلالة قدره، وعظيم خطره، صاهره شيخُ الإسلام فيضُ الله أفندي المقتول، فزوجه ابنته، ولما قتل شيخ الإسلام، لم يحصل له من الدولة مكدر، كل ذلك لحسن سيرته، وسلامة طويته.

ولما كان قاضياً بمكة، أقرأ بمدرسة قايتباي «تفسير البيضاوي» قراءةً عجيبةً، يناظر فيها بين الحواشي، ويحكم بينهم، ووصل في القراءة إلى آخر سورة الفاتحة، وكنت ممن حضره فيه ـ زاده الله رفعة ـ.

ومما كتبته إليه، متمثلاً بقول بعض المتأخرين، وهو قاض بمكة:

يا مفردَ العصر في علمٍ ومعرفة	وعفةٍ ما عهدتُها لمن سلفا
ورفعةٍ لمقام العلم مغترفاً	من نهله ولأهل العلم معترفا
قد عز مقدارهُ أيامَ دولتكم	وازداد مع شرفٍ فيه لكم شرفا

وبلغني أنه تولى قضاء القسطنطينية الآن.

[٣٠٧] محمد بن إسحاق ابن الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسن ابن الإمام القاسم بن محمد بن علي(١).

من أجلاء الأئمة القاسميين، وفضلاء العصر المشهورين، والأدباء

---

(١) «البدر الطالع» (٢/ ١٢٧)، «نسمة السحر» للصنعاني(١/ ٣٣١) (٢٨)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٣٠). ووفاته في ١١٦٧هـ.

المذكورين، مولـده. . .[1]، اشـتغل بما يعنيه، من أمور دينه ودنياه، وقرأ بصنعاء على مشايخ منهم. . .[2]، فأورق عودُه وأثمر، وإذا عُدَّت السجايا عرضاً، فسجاياه جوهر[3].

وبرع وأفاد، ونظم الشعر المستجاد، وأقر بفضله الأضداد، إلى حسن أخلاق، وطيب أعراق، ولا بدع في ذلك، فإنه من أهل بيت النبوة، ومعدن الفضل والفتوة، وماذا عسى يبلغ في المدح المثني عليهم، وقد قال أبو نواس، وقد ليم على عدم مدح الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ:

قيل لـي أنـت أشـعرُ النـاس طُرًّا ... بمقـــالٍ مـــن البـــديعِ نبيـــهِ
فلمـاذا لـم تمـدحَنَّ ابـنَ موسـى ... والـصفاتِ التـي تجمَّعْـنَ فيـه
قلـتُ لا أسـتطيع مـدحَ إمـام ... كـان جبريـلُ خادمـاً لأبيـه

وحاصـل شـأنه: أنه روض فضل خصيب زاهر، وبحر علم لا ساحل له، وكم ترك الأول للآخر، ولأدبه وكماله، وعفة نفسه وجلاله، ولاه عمه إمامُ العصر، المهدي لدين الله محمد بن أحمد بن الحسن ابن الإمام القاسم، الأعمالَ المهمة، وسمعت عنه أنه يثني عليه كثيراً في مجالس عامة، ويصفه بالأوصاف الجميلة، وكمال العلم والتقوى، ومن شهد له خُزَيمة فحسبهُ.

وهو الآن ـ سلمه الله ـ متولي البلاد الوصابية، من مشاهير البلاد اليمانية، ولم يتفق لي الاجتماع به، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾[الشورى: ٢٩]،

---

(١) ورد في الحاشية: «لم يذكر التاريخ».

(٢) ورد في الحاشية: «لم يذكر المشايخ».

(٣) في الأصل: جوهراً، والصواب ما أثبت.

وقد وقفت على كثيرٍ من شعره بمدينة ذمار، فمنه قوله: . . .[1].

[٣٠٨] السلطان محمد أوْرَنـك زيـب عَالَـم كير بن خُرّم شان جهان ابن جهان كير بن شاه أكْبَر بن أبي نصر محمد همايون بن أبي الفيض رواح الدين محمـد باكير بن عمر شـيخ بن أبي سعيد بأقران بن محمد بن محمد شاه بن مران شاه جهان كير ابن أمير تيمورلنك[2].

السلطان المشهور، سلطان الهند في عصرنا، وأمير المؤمنين وإمامهم، وركن المسلمين ونظامهم، المجاهد في سـبيل الله، سـلطان الهند، العالـم العلامة، الصوفي العارف بالله، الملك القائم بنصرة الدين، الذي أباد الكفار في أرضه، وقهرهم وهدم كنائسهم، وأضعف شوكتهم، وأيدَّ الإسلام، وأعلى في الهند مناره، وجعل كلمة الله هي العليا.

وقام بنصرة الدين، وأخذ الجزية من كفار الهند، ولم يأخذها منهم ملكٌ قبله؛ لقوتهم وكثرتهم، وفتحَ الفتوحات العظيمة، ولم يزل يغزوهم، وكلما قصد بلداً، ملكها، إلى أن نقله الله إلى دار كرامته، وهو في الجهاد.

وصرف أوقاته للقيام بمصالح الدين، وخدمة رب العالمين؛ من الصيام والقيام، والرياضة، التي لا يتيسـر بعضها لآحاد الناس، فضلاً عنه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وكان موزعاً لأوقاته، فوقتٌ للعبادة، ووقت للدرس، ووقت لمصالح العساكر، ووقت للشكاة، ووقت لقراءة الكتب والأخبار الواردة عليه كل يوم

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «قوله» بياضٌ صفحة وثلث».

(٢) «سلك الدرر» للمرادي (٤/ ١١٣)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٤٦).

وليلة من مملكته، لا يخلط شيئاً بشيء.

والحاصل: أنه كان حسنةً من حسنات الزمان، ليس له نظير في نظام سلطنته ولا مُدان، وقد أُلفت في سلطنته، وحسن سيرته الكتبُ الطويلة بالفارسية وغيرها، فمن أرادها، فليطلع عليها.

مولده سنة ثمان وعشرين وألف، وجاء تاريخه بالفارسية: (أفتاب عالم تاب)، وربي في حجر والده، واشتغل بحفظ القرآن من صغره، حتى حفظه وجوده، واشتغل بالخط، حتى كتب الخط المنسوب، الذي يضرب بحسنه المثل، وكتب مصحفاً بخطه، وأرسله للحرم النبوي، وهو معروف.

ثم شرع في تحصيل العلوم، حتى حصل منها الكثير الطيب، وصار مرجعاً للعلماء، وحضرتُه محطُّ رحال الفضلاء، ثم اشتغل بعلوم الطريق، وأخذ عن كثيرٍ من أهله، العارفين بالله، حتى حصلت له نفحةٌ من بعض أولياء الله تعالى، وبشره بأشياء حصلت له.

واشتهر ذكره في حياة والده، وعظم قدره، وولاه الأعمال العظيمة، فباشرها أحسن مباشرة، ثم حصل على والده فالجٌ، عَطلَّه عن الحركة، وكان ولي عهده من بعده، أكبر أولاده دارَشَكُوه، فبسط يده على البلاد، وصار هو المرجع، والسلطان معنى.

فلم ترضى نفس المترجَمِ، وأخيه مراد بخش بذلك، فاتفقا على أن يقبضا عليه، ويتولى المملكة منهما مراد بخش، فقبضا عليه، فاحتال أورنك زيب على مراد بخش أيضاً، وقبض عليه، ووضع أخويه في الحبس، ثم قتلهما، لأمور صدرت منهما، زعم أنهما استوجبا ذلك، وحبس والده،

واستقل بالمملكة، من سنة ثمان وستين وألف.

وأراد الله بأهل الهند خيراً، فإنه رفع المظالم والمكوس، وطلع من الأفق الهندي فجره، وظهر من البرج التيموري بدرُه، وملكُ مجده دائر، ونجم سعده سائر، وأسر غالب ملوك الهند المشهورين، وصارت بلادهم تحت طاعته، وجبيت إليه الأموال، وأطاعته البلاد والعباد.

ولم يزل في الاجتهاد في الجهاد، ولم يرجع إلى مقر ملكه وسلطنته، بعد أن خرج منه، وكلما فتح بلاداً، شرع في فتح أخرى، وعساكره لا يحصون كثرةً، وعظمته وقوته لا يمكن التعبير عنها، بعبارة تؤديها حقها، والملك لله وحده، وأقام في الهند دولة العلم، وبالغ في تعظيم أهله، حتى قصده الناس، من كل البلاد.

والحاصل: أنه ليس في عصره نظيرٌ في ملوك الإسلام؛ في حسن السيرة، والخوف من الله سبحانه، والجد في العبادة، وأمرَ علماءَ بلاده الحنفيه أن يجمعوا باسمه فتاوى، تجمع جلَّ مذهبهم، مما يحتاج إليه من الأحكام الشرعية، فجمعت في مجلدات، وسماها بـ: «الفتاوى العالم كيرية»، واشتهرت في الأقطار الحجازية والمصرية والشامية والرومية، وكتبتْ منها نسخ عديدة، وُجهت للأقطار، وعم النفع بها، وصارت مرجعاً للمفتين، ولم يزل على ذلك، حتى توفي بالدَّكن في شهر ذي القعدة، سنة ثمان عشرة ومائة وألف، ونقل إلى ترب آبائه وأجداده، وأقام بالملك خمسين سنة.

[٣٠٩] محمد بن علي الحصكفي الحنفي[1].

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٣٣) (٤١).

الشيخ العلامة شمس الدين، كان فاضلاً نحريراً، مدرساً بالعمرية، والجاركسية، كلاهما بالصالحية، سافر إلى الروم كثيراً، وأخذ عمن بها من علمائها، وكان كريماً، شهم النفس، له همةٌ عليةٌ في تحصيل الكمالات.

مات يوم الثلاثاء رابع عشري ربيع الثاني، سنة سبع ـ بتقديم السين ـ بعد الألف، عن نحو تسعين سنة ـ رحمه الله ـ.

[٣١٠] السيد محمد بن علي بن أحمد باقليد بن عبدالله الأعين ابن السيد العارف بالله محمد مولى عيديد، اشتهر جدُّه ببا فقيه[1].

أحد السادة الأفاضل، المشار إليهم بالأنامل، السالك طريق القوم، بالصلاة والصوم، **ولد** بمدينة تريم، وحفظ القرآن، وصحب جماعةً من أولي العرفان، وجمع بين المجد والدين، وسلك سبيل الأقدمين، وتمسك بالسبب الأقوى، من الدين والتقوى، وأكثر أنواع العبادات، والفضائل والقربات، إلى أن **توفي** في ربيع الأول سنة سبع بعد الألف، ودفن بمقبرة زنبل.

[٣١١] محمد بن علي العَلَمي المقدسي الحنفي سبط ابن أبي شريف[2].

الشيخ العلامة شمس الدين، طلب العلم ببيت المقدس، ثم رحل إلى مصر، وقرأ الفقه على أمين الدين بن عبد العال الحنفي، والزين بن نجيم صاحبِ «الأشباه»، وعلي المقدسي، وغيرهم، وأخذ النحو عن محمد الفارضي، وغيره.

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٦٧)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٥١).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٣٤) (٤٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٤٣).

ثم دخل دمشق، وقطنها آخراً، وصحب زين الدين بن سلطان، وكان يتردد إليه كثيراً، وعلى القاضي محب الدين الحموي، وكان القاضي محب الدين يعظمه كثيراً، وكان يفتي بعده.

وولي تدريس القضاعية الحنفية، بعد الشمس محمد بن المنقار، وكان صالحاً متواضعاً، حسن الاعتقاد في الناس، ليّن العريكة، حسن المودة، منصفاً في البحث، حسن الاستحضار.

قال النجم الغزي في «الذيل»: أنشدني المترجم، قال: أنشدنا شيخنا محمد الفارض المصري الحنبلي، وذكر أن القاضي البيضاوي خطّأ من أدغم الراء في اللام، ونسبه إلى أبي عمرو، فقال:

أنكر بعضُ الورى على من ... أدغمَ في اللام عند راء

ولا تخطئ أبا شعيب ... والحقُّ يغفر لمن يشاء

قال: وأنشدنا له:

اجرزْ محلاً وانصبَنْ وارَفعْنا ... في ربنا مع أننا سمعنا

توفي يوم الاثنين، سابع ذي القعدة، سنة ثمان عشرة بعد الألف، ودفن بمقبرة باب الصغير، وصلى عليه أحمدُ العيثاوي، ولقَّنه ـ رحمه الله ـ.

[٣١٢] محمد بن علي بن محمد البعلي الشافعي(١).

الشيخ العلامة شمس الدين بن علاء الدين، كان مفتياً ببعلبك زمناً

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٣٧) (٤٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٤٤).

طويلاً، وكان فاضلاً متمكناً، له اطلاع على علومٍ كثيرةٍ، لكنه كان قليل الحظ في الدنيا، فألجأته الضرورة، حين تداعت بعلبك للخراب، بعد فتنة ابن جانبولا، وجلا أهلها عنها، فصار كاتباً بمحكمتها، ثم دخل إلى دمشق وتوطنها، ثم ألجأته الحاجة، وحب الوطن، فرجع إليها، وصار كاتباً بالمحكمة إلى أن مات يوم الاثنين، سابع عشري ربيع الآخر، سنة أربع وعشرين بعد الألف ببعلبك وصُلي عليه غائبةً بدمشق، في الشهر المذكور ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣١٣] محمد بن علي بن إبراهيم الاسترابادي[١].

صاحب «كتب الرجال» الثلاثة المشهورة، نزيل مكة، كان عالماً كبيراً، له مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها: «شرح آيات الأحكام»، ورسائل مفيدة، **توفي** بها، لثلاث عشرة خلون من ذي القعدة، سنة ثمان وعشرين وألف ـ رحمه الله ـ.

[٣١٤] محمد بن علي بن أحمد الحرفوشي الحريري، الشافعي العاملي[٢].

قال السيد علي في «سلافة العصر»: منار العلم السامي، وملتزَمُ كعبة الفضل وركنُها الشامي، ومشكاة الفضائل ومصباحها، المنير به مساؤها وصباحها، وخاتمة أئمة العربية الذي ألف بتآليفه أشتات الفنون، وصنف بتصانيفه الدر المكنون، وكان قد انتقل من الشام إلى ديار العجم، وقطن بها إلى أن **توفي** بها في ربيع الثاني سنة تسع وخمسين بعد الألف، ومن مصنفاته: «شرح الزبدة

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٤٦)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٩٣).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٤٩)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٣١٥)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ١٨٩) (١١)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٩٣).

في الأصول واللآلي السنية في شرح الآجرومية»، و«شرح على شرح القواعد الهشامية للكافيجي»، و«المختلف في النحو»، و«ظرائف النظام ولطائف الانسجام في محاسن الأشعار»، و«رسالة في الحال»، وغير ذلك.

وله الأدب الذي أينعت ثمارُ رياضه، وتبسمت أزهار حدائقه وغياضه، فحلا جناها لأذواق الأفهام، وأنشقَتْ عَرْفَها كلَّ ذي فهم فهام.

فمن مطرب كلامه، الذي سجعت به أغصان على أنامله عنادلُ أقلامه: قوله مادحاً شيخه نور الدين الدمشقي، سنة ست وعشرين وألف:

إذا ما منحت جفوني الفرارا[1] ... فمرْ طارقَ الضيفِ يُدني المزارا

فعلَّكَ تُثلج قلباً به ... تأجَّجَ وجداً وزادَ استعارا

وأنى يزورُ فتًى قد براهُ ... مقام يُمِضُّ ولو زار حارا

خليليَ عَرِّجْ على رامةٍ ... لأنظرَ سلمى وتلك الديارا

وعُجْ بي على ربعِ مَنْ قد نأى ... لأسكبَ فيه الدموعَ الغِزارا

فقلبيَ من منذ ذم المطي ... ترحَّلَ عني إلى حيثُ سارا

فهل ناشدٌ لي وادي العقيـ ... ـقِ عنهُ فإني عدمتُ القرارا

بروحي رَشَأ فاتكٌ فاتنٌ ... إذا ما انثنى هامَ فيه العذارى

وإن ما رنا باللِّحاظِ انبرتْ ... قلوبُ الأنام لديه حَيارى

ومن عجب أنها لم تزلْ ... تعاقبُ بالحَدِّ وهي السُّكارى

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: القرارا.

وأعجبُ من ذا رأينا لها انـ ... ـكساراً يقودُ إليها انتصارا

ومنها:

ولم أر من قبله سافكاً ... دماً ولم يخشَ في القتل ثارا

يُعيرُ الغزالةَ من وجهه ... ضياءً ويسلب منها القرارا

وتحمي بمرهفِ أجفانِه ... ضياء من الورد والجلنارا

تملكنني عنوة والهوى ... إذا ما أغارَ الحِذارَ الحِذارا

يروق العذول إذا ما رأى ... غرامي ويمنحني الاعتذارا

ومن رشقه سهام اللحاظ ... فقد عزّ بزّ وناء اصطبارا

ومنها:

حنانيك لستُ بأولِ من ... دعاهُ الغرام فلبَّى جِهارا

ولا أنتَ أول صبٍّ جنى ... على نفسِه حين أضحى حيارى

ترفَّقْ بقلبك واستَبْقِهِ ... فقد حكم الوجد فيه وحارا

وعُجْ عن حديث الهوى وافزعَنْ ... إلى مدحِ من في العلا لا يجارى

ومنها:

إمامٌ توحّد في المكرمات ... ونال المعاليَ والافتخارا

وأدركَ شأوَ العلا يافعاً ... وألبس شانيه منه الصغارا

سما في الكمال إلى غايةٍ ... وناهيك من غاية لا يبارى

مناقبُه لا يطيق الذَّكِيُّ ... بياناً لمِعْشارها وانحصارا

غـــدا كعبـــةً الاقتـــدا للـــورى وأضـحى لبـاغي الكمـالِ المنـارا

ومنها:

إليــــه المفـــــاخرُ منقـــــادةٌ أبـت غيـرة أن تكـون الوجـارا

هـــو البحـــر لا ينقــضي وصــفهُ فحـدث عـن البحـر تلـقَ اليسارا

إذا أظلـــمَ البحـــرُ عـــن فكـــره توقـــد غـــاد لديــــه نهـــارا

يفيــد لراجـــي المعـــالي العـــلا ويمـنح عمـا فـي يديـه النـضارا

وبكـــــــر تجــــــرِّرُ أذيالهــــــا إليـــك دلالاً وتـــسعى بـــدارا

أتتـك مـن الحـسن فـي مطـرف تثنـــى قوامـــاً أبـــى الاهتـــصارا

تَـــضوعُ عبيـــراً وتختـــال فـــي ملابـسِ وشـي أبـتْ أن تعـارا

ومنها:

تَـــشَكَّى إليـــك زمانـــاً جنـــى عليهـــا بنـــوهُ وكـــانوا الـــذمارا

وهَمُّـــوا بإطفـــاء مـــصباحها فلـم يجـدوا حـين رامـوا اقتـدارا

فبـــاؤوا بخفَّـــيْ حُنـــينٍ وقـــد علاهـــم خـــساراً ونـــالوا وبـــارا

وكيـف وأنـت الـذي قـد قـدحت زنـــاد ذكاهـــا وأوريـــتَ نـــارا

فهـــاك عروســـاً ترجِّـــي بـــأن يكـــونَ القبـــولُ لـــديها اليـــسارا

ومنها:

ومنـكَ إليـكَ أتـتْ إذ عـدوت[1] لهـــا منـــشأ واضـــحاً والنجـــارا

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: غدوت.

ودمْ واحــدَ الــدهر فــردَ الــورى ... تنــالُ ســموًّا وتحــوي وقــارا

مدى الدهر ما لاحَ شمسُ الضحى ... ونــاوحَ بلبــلُ دوحٍ هَــزارا

ووَاصَــل صــبا حبيــبٌ ومــا ... تــذكَّر نجــداً فحــنّ ادكــارا

ومن مقاطيعه قوله:

كأنما الخالُ فوقَ الثغـر حـين بـدا ... وقـد غـدا فتنـةَ الألبـاب والمُقَـلِ

هــذا[١] سـعى فـي روضـةٍ أُنُـفٍ ... لمنهــلٍ راجيــاً رِيّــاً فلــم يَـصِلِ

وقوله:

أقامــت.....[٢] لأن فــي خــده ... تحــرس ذاك الــورد والجلنــارْ

كأنهــا حبــاتُ مــسكٍ علــى ... لــوحٍ مـن اليـاقوت أو مـن نُـضارْ

وقوله:

من لي بهيفاء أذكَتْ مـن تباعُـدِها ... في القلب ناراً ولم تسمح لمضُناها

واهاً لها من فتاةٍ إن رنـت فعلَـتْ ... مـا لـيس يفعلُـه الهنـديُّ عيناهـا

وقوله:

يقولون في الغليون أفرطتَ رغبـةً ... ولــيس بــشيء تقتنيــه وتختــار

فقلــتُ لهــم مــا ذاك إلا لكونــهِ ... مضاهي ما لا ينفكُّ في قلبه النـارُ

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٢) بياض في الأصل.

[٣١٥] محمد بن علي بن صلاح بن محمد العباني.

ونسبه مذكورٌ في ترجمة أبيه، كان من وجوه أهل عصرنا، على منهاج آل محمد، يعرف نصوص العلماء، وأحوالهم وآثارهم، وله أشعارٌ حسنةٌ.

منها قوله:

مـــن خالفـــت أقوالُــه أفعالَــه	تحولَــتْ أفعالُــه أفعــى لَــهْ
من أظهرَ السِّر الـذي فـي صـدرِه	لغيـــرِه وَهَـــى لـــه وهَالَـــهُ
مـن لـم يكـنْ لـسانُه طوعـاً لـه	فتركُـــه أقوالَـــه أقـــوى لَـــهُ
ومـــن نـــأى عـــن الحـــرامِ طالبـــاً	عـــن رشـــدِهِ حـــلا لـــه حلالُـــهُ

توفي سنة ستين وألف.

[٣١٦] محمد بن علي بن عبدالله العيدروس، صاحب الشبيكة، ابن محمد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الأستاذ الأعظم الفقيه محمد المقدم ـ رحمهم الله ـ، المشهور كأبيه وجده بالعيدروس[1].

وهو السيد الذي رقي من المكارم ذراها، وتمسك من المحامد بأوثق عراها، ولد بمكة المشرفة، ونشأ بها، وأسبلت عليه الكعبة ستورها وثيابها، ورباه حجر السيادة، وحرك عهده ساعد السعادة، وحفظ القرآن، ولزم عبادة الرحمن، وتفقه بالشيخ عبد العزيز الزمزمي، والشيخ عبد القادر الطبري، وصحب أباه وغيره من أكابر الأولياء، وأئمة العلماء الأصفياء.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٥٦)، «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٦٨).

وظهر في حلل الجمال، ورتع في رياض الكمال، وكان واحدَ عصره في مصره بالإجماع، وشيخ زمانه الذي تصغي لما يقوله الأسماع، وانتهت إليه الرئاسة، فملك أعنة المحاسن، وورد مناهلها عذباً غير آسن، وكان يلبس الملابس الفاخرة، وتهابه الملوك إذا جلس للمحاضرة، لا ترد له شفاعة، ولو تكررت منه كل ساعة، وكانت الملوك تهدي إليه العطاء الفائق، فيجازيهم به الجزاء اللائق، وكان يقيم بمنى المدة المديدة، والأشهر العديدة، فيفد عليه الأعيان، من القاصي والدان، فيكرمهم بالأطعمة الفاخرة، ويعمهم بخيراته المتصلة الوافرة، وكان يعطي عطاء جزيلاً، ولا يقبل له جزاء ولا بديلاً، وكانت سيرته سيرة الملوك في اقتناء الأموال، ومحاسن الأرقاء ومشاهير الرجال.

ثم شملته العناية الإلهية، وأحاطت به المنح الرحمانية، فانخلع عن تلك الحالات، وترك اللهو والملذات، وتجنب صحبة أهل الظواهر، وصحب العارفين والأكابر، وتجرد للطاعة والعبادة، ورغب في صحبة بني عمه من السادة، فانفصلت من ذلك النظام عروته، وقلت بعد تلك الأموال ثروته، ثم ابتلي في آخر عمره بمرض لم ينفع فيه طب ولا طبيب، ورثى له كل بعيد وقريب، ولم يزل على أحسن سيرة، وما يرضاه عالم العلانية والسريرة، إلى أن شرب كأساً يشربه كل طائع وعاصي، وولج باباً يلجه كل دان وقاصي.

وكانت **وفاته** سنة ست وستين وألف، ودفن في قبر والده في مشهدهم الشهير، وحضر جنازته جم غفير، من كل فج عميق، حتى ضاقت بهم الطريق.

وكانت له كرامات، خوارق للعادات:

منها: ما نقله شيخنا الإمام محمد الشلي باعلوي في «مشرعه الروي»، قال: كنت جالساً عنده، فجاءه بدوي، فسألني عنه، فأشرت إليه، فلما سلم عليه، قال له: هات النذر الذي معك، فبهت البدوي، ثم قال: أخبرني ما هو؟ فقال له: هو كذا كذا، فأكب البدوي على رجله يقبلها، ثم قال لي: ما علم أحدٌ بنذري إلا الله.

ومنها: أن بعض الفقراء شـكا إليه حاله، فقال له: اذهب إلى شريف مكة يحصل لك مطلوبك، فذهب إلى الشريف، وأنشده قصيدةً وافقت ما في ضميره، فطرب لذلك، وأمر له بكسوة عليه، وجائزة سنية.

ومنها: أن طعامه أنفس الأطعمة، ويحضره جماعة كثيرون؛ بحيث إن بعض البدو إذا رآه يقول: آكلُ هذه الأطعمة وحدي؛ لنفاستها وقلتها بالنسبة لمن حضرها، فيأكل كل من يحضرها؛ لأنها كانت مبذولة لكل من حضر، حتى يشبع الحاضرون، وتبقى بقية كثيرة.

ومنها: أن حاكم مكة مات، وطلب مرتبته من شريف مكة جماعة من المتأهلين لها، ووقفوا على باب الشـريف، ينتظر كل واحد منهم أن يوليه إياها، وكان الأمير سليمان بن مَنْدَيه يعتقد صاحب الترجمة، فجاء إليه، وأخبره بذلك، وكان لا يرومها؛ لضعف حاله، وقلة ماله، فألبسه السيد ثوباً من ثيابه، وقال له: اذهب الآن إلى الشريف، فأنت حاكمها، فلما دخل على الشريف، وجده متفكراً فيمن يوليه من الطالبين للحكومة، فلما رآه، انشرح صدره، وانحل ما عنده من الغيظ والفكرة، وخلع عليه خلعة الإمارة، وتألقت شموسه وأقماره، وترنمت على أغصان السرور أطياره، فعلم القوم أنها منحة ربانية، وعطية رحمانية.

ومنها: أن عين مكة انقطعت، وقرب مجيء الحجاج، والبرك فارغة، وكان الشريف بعيداً، فكتب لحاكم مكة أن يجتهد في ملء البرك بأي وجه، وعلم الحاكم عجزه عن ذلك؛ لقرب المدة، فأتى إلى صاحب الترجمة، وشكا حاله عليه، فقال له: أعط الخادم خمسة حروف، يتصدق بها على الفقراء، فلما أصبحوا، أمطرت السماء، وسالت أودية، وامتلأت البرك من السيل[1].

وغير ذلك من الكرامات ـ رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه دار القرار ـ.

[٣١٧] محمد بن علي بن محمد بن مطير.

العلامة الشهير، الولي الكبير، أما العلم، فلا يختلف فيه اثنان، وأما الصلاح، فمن حين عُرف ما قطع صلاة الجماعة، وقد قال ﷺ: «من صلى الخمس في جماعة، فقد ملأ البر والبحر عبادة». نجب في حياة أبيه، وأقر عينه، ودرس في كل فن، فهو البحر المحيط، والقابوس الوسيط، ورزق حس الأخلاق، والسمت الحسن، والأجوبة الشاهدة بفضله.

[٣١٨] السيد محمد بن علي بن حفظ الله بن عبد الرحمن بن يحيى ابن علي بن أحمد بن عيسى بن محمد بن سليمان بن محمد بن سالم بن يحيى ابن مهنا بن سرور بن نعمة بن فليتة بن حسين بن يوسف بن نعمة بن علي ابن داود بن سليمان بن عبدالله البر بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ

---

(١) وهذه الحكايات ومثلها يُصورها أصحابها أنها من الكرامات والخوارق، وإنما هي صناعة بشريةٌ مكشوفة، لا تسوغ إلا على ضعاف العقول وأهل الجهل.

الحسني النعمي، نسبةً إلى جدهم نعمة[1].

ولادته كانت بقرية الدهنا، من أعمال صبيا، باليمن الميمون، فيما كتب إلي صاحبنا الأديب علي بن الهادي المنسكي، عام ست وعشرين بعد الألف.

ووفاته في عشري جمادى الآخر، سنة تسع وسبعين بعد الألف، وبها دفن، وكان جمالَ العلماء، وتاج الحكماء، سيداً جليلاً، وأديباً نبيلاً، علم المعاني الحسان، والناسج من وشي البليغ ما يقصر عنه بديع الزمان.

له الشعر الرائق، والنثر الفائق، عني بجمعه ابن أخيه صفي الدين أحمد ابن الحسن بن علي بن حفظ الله في ديوان، فمنه قوله ـ رحمه الله ـ متغزلاً:

مــن لقلــبٍ مزاجُــه الأهــواءُ ... وعيــونٍ أودى بهــنَّ البكــاءُ

لــشجيٍّ متــيمٍ مــستهامٍ ... همُّــه النــوُح ذائبــاً والأَســاءُ

ومنها:

يــا خليلــيَّ بالبكــا ســاعدا لــي ... فــي عــروضٍ ربــوعُنَّ خــلاءُ

دارُ ليلــى ودارُ نُعْــمٍ وهنــدٍ ... وديــــارٌ تحلُّهــــا أســــماءُ

وقفــا بــي هُــديتما لــو وقوفــاً ... فوقــوفي علــى الطــلالِ شــفاءُ

ومنها:

أيهــا الرســمُ هــل تجيــبُ ســؤالا ... لمــشوقٍ أودت بــه البُرَحــاءُ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٥٧)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٢١) (٢٢٨)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٣٠)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٩٤)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٣١٤).

كانيـا عـن ودادِ ليلـى بهنـدٍ وبـنعمٍ وشـوقه أسـماء

وكـذا كـلُّ مولَـعٍ بحبيـب يتكنّـى وهـل يفيـد الكنـاءُ

بـحْ غراماً إن كنـت حلسَ ودادٍ وقـل اللـوم فـي الحسان هـذاءُ

أنـا حلـفُ الغـرام فـي كـل حيـنٍ وفـؤادي مـن السلوّ هـواءُ

كلمـا أزمـعَ الفـؤادُ سُـلُوّاً أذكرتنـي وهناتِـه هيفـاءُ

عيطمـوسٌ كأنهـا فـرعُ بـانٍ حللتـه[1] عمامـةٌ سـوداءُ

ومنها:

وعيـونٌ فـواتٌر سـاجياتٌ رُسـلُ المـوت بينهـا كُمَنـاءُ

قـائلاتٌ لمـن تمنـى لِقاهـا لا بقـاءٌ مـع اللقـاء لا بقـاءُ

وقـدودٌ بميلِهـا تتثنـىَّ ضـامياتٌ أكفـالهن رواءُ

يُطمـع الصبَّ ليُّهـا فـي لقاهـا وهـل الصبُّ صخرةٌ صمـاءُ

لـم أنلهـا بالعيـب إلا اختلاسـاً ردَّ عينـي عـن الصفات الضياءُ

ومنها:

وعـداني عـن ازديـاري حماهـا رُقَباهـا وصـدَّها الرقبـاءُ

فتراني أهـوى الممـاتَ طماعـاً لازديـاري منهـا وبـئس الرجـاءُ

أو أرجـي يـومَ النشور لقاهـا وكثيـرٌ مـن الرجـاء هبـاءُ

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: جللته.

إنمـــا الحـــبُّ ذلـــةٌ وغـــرورٌ   وسَـــقامٌ يكـــلُّ عنـــه الـــدواءُ

وقوله:

سمحَتْ بوصل المستهامِ العاشـقِ   هيفـاءُ خُـصَّتْ بالجمـالِ الفـائقِ
بيـضاءُ صـامتةُ الموشَّـحِ طفلـةٌ   تـزري القـضيبَ بلـينَ قَـدٍّ باسـقِ
من بعدِ ما شحَّتْ بطيـبِ وصـالِها   نحوي ولم تـسمحْ بطيـفٍ طـارقِ

وقوله:

وافت وثوبُ الليـل أسـودُ حالـكٌ   في جـسم عاشِـقها وزيِّ الـسارقِ
باتَـتْ ذوائبُهـا الحـسانُ قلائـدي   وموسَّـدي نعـمَ الـذراعُ الرائـقُ
نشكو الجوى ونبـثُّ سـرَّ غرامنـا   فـي غفلـةِ الرقبـا ونـومِ الرامـقِ

وقوله:

لله مـــن وصـــلٍ هنالـــك نلتـــهُ   فـي جُـنحِ ليـلٍ غيهبـيٍّ غاسـقِ
فـي ليلـةٍ ظَلْمـا كـأن نجومَهـا   فـي لُـجٍّ بحـرٍ أُوثقـتْ بوثـائقِ
مـن شـادنٍ غـنجٍ أغـنَّ مهفهـفٍ   أحوى العيون بديعِ صـنعِ الخـالقِ
ملـكَ الفـؤادَ بدلِّـه ودلالـهِ   فجـوانحي كجنـاحِ طيـرٍ خـافقِ

وقوله:

تـا للهِ لا أنـساه ليلـةَ قـال لـي   لا تـنسَ منـي محـضَ ودٍّ صـادقِ
واسـأل فـؤادَكَ عـن فـؤادي إنـه   يُنبيـك عمـا جـنَّ قلـبُ الوامـقِ
وإليـكِ يـا سـبطَ المكـارم حلـوةً   عـذرا تَـضَوَّعُ عنبـراً للغاسـقِ

ألقــتْ إليــك زمامهــا منقــادةً وتبــرزتْ نحــو اللبيــب الحــاذقِ

فاجعــلْ إجازتهــا الجــوابَ فإنــه طــبُّ الفــؤادِ المــستهامِ العــالقِ

وقوله أيضاً:

تيمنتنــي ذاتُ الخــدود الرهــافِ وبرتنــي ذاتُ القــدود اللطــافِ

طفلــةٌ تفــضح القــضيبَ قوامــاً تسبلُ الليـلَ فـوقَ رمـل الحقـاف

صــوّر الله شخــصَها مــن ضــياء ولجــينٍ ولؤلــؤِ الأصــدافِ

أعَلَــى مَــن هــوي لتلــك مــلامٌ لا وربِّ الحديــد والأحقــاف

وقوله أيضاً: . . .[1].

[٣١٩] محمد بن علي بن محمد بن علي الشبراملسي المالكي[2].

الشيخ الإمام الجليل، الجامع للعلوم، صرف أوقاته في التحصيل، والتفريع والتأصيل، وانفرد في عصره بالديار المصرية، بالعلوم الحرفية، والأوفاق، والجفر، والزايرجة، والعلوم الرياضية، والميقات.

فكان بحراً زخاراً لا يجارى ولا يمارى، له مؤلفاتٌ كثيرةٌ، منها: «الدرة البهية في وضع بسائط فضل الدائر بالطرق الهندسية»، و«بهجة المحادث في أحكام جملة الحوادث».

أخذ عن إمام عصره أحمد بن علي الشناوي الخامي، وكثير، وعنه:

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد كلمة «أيضاً» نصف صفحة بياض».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٤٤)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٩٢).

شيخنا موسى القليبي، وعبد المنعم النبتيتي، **توفي** سنة إحدى وأربعين وألف تقريباً ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٢٠] محمد بن علي البُسْكري المغربي المالكي.

كان إماماً فاضلاً، وعالما كاملاً، قدم من المغرب إلى مصر، وحج منها، وجاور بمكة، وأخذ عنه كثيرٌ من العلماء بها، وكاتبهم وكاتبوه.

ومما كتب إليه، الشيخ العلامة، عبد الملك بن جمال الدين العصامي ملغزاً بقوله:

أيهذا العَلمُ المُفْرَدُ تحقيقاً وفضلاَ ... أين أضحى الرفعُ تقديراً لفتحِ اللام[1] نقلا

فأجابه بقوله:

يا إماماً حاز فضلاَ ... وزكا فرعاً وأصلاَ

وسما في المكرمات الـ ... ـغُرِّ يبغيها محلاًّ

لغزٌ منكم أتاني ... بمعانيكم تحلَّى

لم أكنْ لولا اقتباسٌ ... منكُم عن قولِ أهلاَ

نصُّه قد جاء في ... بيتٍ من النظم المعلَّى

أين أضحى الرفع تقديـ ... ـراً لفتح اللام نقلا

قلت في أفعله من ... بعد ما كدت تجلى

أصلُه أفعلها والحذف ... والنقل استقلا

علة في حذفِ لامٍ ... وهو مرفوعٌ محلاًّ

---

(١) في الأصل: باللام، والصواب ما أثبت.

وعلــــى هـــذا جــوابي فاصـــفحوا فـــضلاً وعـــدلا
وســـــقامي دون ذاكـــــم أنـــتم أســـمى وأعلـــــى
وســـــلامُ الله يغـــــشى رَبَعكُـــم طـــلاً ووبــــلاً

وحاصل اللغز: أي فعل مرفوع، وعلامة رفعه مقدرة لأجل النقل؟

وحاصل الجواب: أنه الفعل المضارع في قول الشاعر: «ونهنهت نفسي بعد ما كدت أفعلـه»، وذلك أن الأصـل: بعد ما كـدت أفعلها، فحذفت الألف اعتباطاً؛ أي: لغير علة، ثم نقلت حركة الهاء إلى اللام، التي هي آخر الفعل، بعد سلبها ضمتها التي هي علامة الرفع، فصار الرفع مقدراً؛ لأجل نقل حركة الهاء إلى محلها.

تنبيه: كتبتُ لفظ تجلى والمعلى وتحلى وأعلى بالألف، والقاعدة في مثل هذا: أن تكتب ألفه مقصـورة بصـورة الياء؛ لما ذكر بعض الأئمة، أن الاختيار عند علماء الكتاب، فيما إذا كان آخر البيت الأول كلمة حكمها أن تكتب بالألف، أن تكتب نظيرتها من الأبيات التي بعدها كذلك، وإن كان حكمها لو انفردت [أن] تكتب بالياء، تحصيلاً للمناسبة والمشاكلة، وحاصل ذلك: أن تلك القاعدة مخصوصة بغير الصورة المذكورة؛ للمعنى المذكور، وهو متجه حسن. انتهى[1].

[٣٢١] محمد بن علي بن محمد الأدفيني البحيري الشافعي[2].

كان إماماً فقيهاً، محدثاً فرضياً حيسـوباً، أتقن علوماً شتى، إلى زهد

---

(١) كتبت الكلمات المذكورة في الأصل بألف مقصورة؛ طبقاً للقواعد الإملائية.

(٢) «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٩٥).

وعبادة، وتقللٍ من الدنيا، وإكبابٍ على الإفادة والتصنيف، مع شدة تواضع، وخشونة ملبس، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر.

أخذ عن النور الزيادي، ومن في طبقته، وألف تآليف منها: حاشيةٌ مفيدةٌ على شرح الرحبية للشنشوري، سماها: «اللؤلؤة السنية على الفوائد الشنشورية»، توفي في نيف وأربعين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ وإيانا.

[٣٢٢] محمد بن علي الدلجموني المالكي.

شيخ الفرضيين والحساب بالقاهرة، كان عالماً عاملاً، صالحاً متقشفاً، راغباً في الآخرة، زاهداً في الدنيا، جامعاً للعلوم الشرعية، إلا أنه غلب عليه الاشتغال بالفرائض والحساب، ملازماً للتدريس فيهما بالجامع الأزهر، منقطعاً فيه جميع نهاره، صارفاً أوقاته للخير، ولا يخرج عن الجامع إلا لحاجة مهمة.

أخذ الفقه والحديث عن البرهان اللقاني، والنور علي الأجهوري، وكان الأجهوري يقول في شأنه لتلامذته: اغتنموا دروسه في الفرائض والحساب؛ فإنه انفرد فيهما في عصره، وله شباكٌ في المناسخات، على أسلوب شباك ابن الهائم، في نحو عشر كراريس، و«حاشية على مختصر خليل» في الفقه.

وممن أخذ عنه: شيخنا العلامة الولي شعبان الفيومي، وصالح بن حسن الحنبلي الفرضي، وشعبان الفرضي، وعلي المنصوري، وكثير، وكان المترجم مختصاً لصحبة سيدنا الأستاذ العارف بالله علي بن أبي الإسعاد الوفائي، ومن الملازمين له، وكان الأستاذ من جملة من أخذ عنه.

وحضرت مجلسه كثيراً بالجامع الأزهر، وبلغني أنه حج، ورجع من

مكة إلى دمشق، وأقام بها شهوراً، وأخذ عنه كثيرون من فضلائها، **توفي** سنة خمس وثمانين وألف بمصر، ودفن بتربة المجاورين ـ رحمه الله ـ وإيانا.

[٣٢٣] محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي النقيب بن خليل بن عماد بن زهيف بن عثمان بن قيس بن علي الرئيس بن منصور بن طاهر النقيب بن المحسن بن علي بن الحسين بن حمزة بن محمد ابن علي بن الحسين بن الحسين بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم المرتضى ابن موسى الثاني الأصغر بن إبراهيم المرتضى ابن الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ، السيد الشريف الحسيني الشهير بالقُدسي نزيل دمشق[١].

كان من حسنات الدهر علماً وأدباً وفضلاً، ومن علماء العصر المشهورين، مجللاً معظماً عند عامة الناس وخاصتهم، مشهور الذكر، حليماً خيراً كريماً، حسن الصورة جداً، عظيم الهيئة، أبيض مشرباً بحمرة، يعرف شرفه بمجرد رؤيته؛ لبديع خلقته، وجمال طلعته، قرأ بدمشق على النجم الغزي ومَنْ في طبقته وبرع في فنون شتى، وصار مرجعاً للمشكلات العلمية، إلى طبع في الشعر، واطلاع على فنونه دقيق.

ومن شعره قوله:

يا أكرمَ الأكرمينَ كنْ لي   عوناً فإني ضعيف بُنيهْ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٦٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٣٣٦) (٢٠).

مـا لـي إذا شـكوت فقـري عـن بـاب مـولاي قـط غُنيـهْ

وقرأت بخطه: أنشـدني الأمير المنجكي بداره بدمشـق، سـنة خمس وأربعين وألف:

ولمـا طـارتِ الآمـالُ شـرقاً وغربـاً بـي ولـم أر لـي معينـا
بـسطتُ جنـاحَ ذلـي ثـم إنـي وقفـتُ ببـاب عـزِّكَ مُـستعينا

قـال: ثـم بعده تأملتهما، ومعناهمـا، وقلـت: ما أحـقَّ مثلي بهما، وما أحلاهما! وجعلت إذ ذاك بيتين من الوزن، وهما:

ولمـا ضـاقتِ الأيـام ذرعـاً بـأحوالي ولـم أر لـي نـصيرا
سـرحْتُ فـؤاد آمـالي بـذلِّي وقمـتُ ببـاب عزتـه فقيـرا

رأيته وأنا صغير بدمشـق، وكانت داره ملاصـقة لنا، قريباً من مشـهد السلطان نور الدين الشهيد، المعروف الآن بالنورية، وتوفي في نيف وثمانين بعد الألف بدمشق، ودفن بباب الصغير.

[٣٢٤] محمد بن علي الحُر العاملي الشامي[1].

قال السيد علي في «سلافته»: له شعرٌ يسـلب نهى العقول بسـحره، ويحل من البيان بين سحره ونحره، فهو أرق من خصر هيفاء مجدولة وأدق، وأصفى من صهباء يشعشعها أغن ذو مقلة مكحولة الحَدَق.

---

(١) «نسمة السحر» للصنعاني (٣/ ٨٩) (١٤٩)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٣٦٠)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٥٢١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٣٢)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٩٠).

قدم مكة سنة ثمان وثمانين بعد الألف، وفيها قتلت الأتراك بمكة جماعة من العجم لما اتهموهم بتلويث البيت الشريف، حين وُجد ملوثاً بالعذرة، في قصة يطول شرحها، وكان صاحب الترجمة قد أنذرهم قبل الواقعة بيومين، وأمرهم بلزوم بيوتهم؛ لمعرفته ـ على ما زعموا ـ بالرمل[1].

فلما حصلت الفتنة، خاف على نفسه، فالتجأ إلى السيد موسى بن سليمان أحد أشراف مكة وسأله أن يظهره من مكة إلى نواحي اليمن فأخرجه مع أحد رجاله، فأدركته منيته باليمن، في السنة المذكورة.

ومن شعره قوله:

يراكم بعين الشوق قلبي على النوى ... فيحسدُه طرفي فتنهلُّ أدمعي

ويحسدُ قلبي مسمعي عند ذِكرِكم ... فتزكو[2] حراراتُ الجوى بين أضلعي

وقوله مورياً بلقبه:

قلتُ لما لجئت إلى هجوِ دهرٍ ... بذلَ الجهدَ في احتفاظ الجهولِ

كيف أشكو صروفَ زمانٍ ... تركَ الحرَّ في زوايا الخمولِ

قلت: وللشعراء كثير أشعارٍ تتعلق بأسمائهم وألقابهم، من ذلك قول السراج الوراق:

---

(١) وهذا من ادعاء المغيبات والكشوف، وهو من الأباطيل والخرافات المنهي عنها شرعاً، والتعامل مع أهل الكهانة والسحر، ثم نجده لما تقع له الفتنة يلجأ إلى البشر لحمايته، ولم ينفعه ما يدعيه من علم الغيب.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: فتذكو.

بُنَـيَّ اقتـدى بالكتـاب العزيـز فـزادَ سـروراً وزدتُ ابتهاجـا
فمـا قـال لـي أفٍّ فـي عمـرهِ لكـوني أبـاً ولكـوني سـراجا

وقول الشهاب الخفاجي:

قـالوا نـراكَ سـقطتَ مـن رتـبٍ أتـرى الزمـان بمثـل ذا غَلطِـا
قلـتُ الـشياطينُ اللئـامُ علـوا ولـذا الـشهابُ مـن العـلا سـقطا

[٣٢٥] محمد بن علي المكتبي الشافعي الدمشقي[١].

كان من علماء دمشق المشهورين بها بالعفة والصلاح، وحسن السمت، **مولده** منتصف ذي القعدة، سنة عشرين وألف، وختم القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفظه في سنة واحدة، وحفظ «الشاطبية»، وقرأ بالروايات على عبد الباقي الحنبلي، وغيره.

وأخذ علم الحديث عن النجم الغزي، وبقية العلوم عمن عاصره من علماء دمشق، وحج سنة اثنتين وثمانين بعد الألف، واجتمعت به بمكة، وتأكدتْ بيني وبينه الصحبة، وأخذ بالحرمين عن عبدالله بن الطاهر العياشي، وعلي العصامي، وعلي الأيوبي، وعن شيخنا إبراهيم الكردي، والسيد محمد البرزنجي، والسيد محمد الشلي، وكتبوا له إجازات.

ورجع إلى بلده، وأقام بها على خير، وفي خير إلى أن **توفي** يوم السبت، ثاني عشري جمادى الآخرة، سنة ست وتسعين وألف.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٧٣).

[٣٢٦] محمد بن علوي بن محمد بن أبي بكر بن علوي بن أحمد بن أبي بكر ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف رحمهم الله[1].

نزيل الحرمين المشرفين، وإمام المغربين والمشرقين، المتفرع من دوحة السيادة، المترعرع في روضة السعادة، المرتقي إلى أشرف مقام، علم العلماء الأعلام، عين الأعيان، ونادرة الزمان، المشار إليه بالبنان، درة العقد الفريد، وغرة أطلعها الشرف في وجهه كما يريد، سطع نور فضله فأشرق، وأغصَّ الحسادَ بزلاله وأشرق.

ولد سنة اثنتين وألف ببندر الشحر المحروس، ونشأ بسرحه المأنوس، وحفظ القرآن، ولازم قراءته في أكثر الأزمان، وصحب العلماء الأعيان، فأول من صحبه: الإمام العارف بالله تعالى ناصر بن أحمد ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، وتربى في حجره، ولاحظه في جميع أمره، وأخذ التصوف والفقه عن الفقيه السيد عمر باعمر.

ثم رحل إلى مدينة الأشراف، تَريم المحفوفةِ بالألطاف، وأخذ عن شمس الشموس، زينِ العابدين بن علي بن عبدالله العيدروس، وعن السيد الجليل، عبد الرحمن بن عقيل، وعن السيد الكبير أحمد بن حسين العيدروس، والعارف بالله عبدالله بن أحمد العيدروس، والعارف بالله تعالى زين بن حسين بافضل، وغيرهم.

وأمره شيخه عبد الرحمن بن عقيل بالخلوة في زاوية مسجد الشيخ علي أربعين، ففعل، وحصل له الفتح الأنفس، والشرف الأقعس، وظهرت

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٤٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٠١).

له أمور كالصبح إذا تنفس، ثم رحل إلى قرية السادات، المشهورة بعينات، فأخذ عن إمامها المقدم على أقرانه، وقدوة أهل زمانه، الشيخ الحسين بن أبي بكر بن سالم، وعن إخوانه الحامد، والحسن، وغيرهم من السادة الكبار، وأخذ عن الشيخ العارف بالله الأريب، الإمام حسن بن أحمد باشعيب الأنصاري.

ورحل إلى الهند، وأخذ عن السيدين الجليلين: الشيخ عبد القادر بن شيخ بن عبدالله، والشيخ محمد بن عبدالله العيدروسيين، وأمره الشيخ عبد القادر بالرحلة إلى الشيخ الولي، السيد عبدالله بن علي، فرحل إليه وهو بالقرية الشهيرة بالوهط، بقرب عدن، ولازم صحبته، وألبسه الخرقة الشريفة، وأمره بالحج، فحج سنة تسع عشرة وألف حجةَ الإسلام، وزار جدَّه ـ عليه السلام ـ.

ثم عاد إلى شيخه، وقد أحرز من الفضل النصيب الأوفر، وتمسك بما أخجل طيبُ نشره المسكَ الأذفر، فأقبل عليه بوجهه الكريم، واختبره بامتحان عظيم، وعركه عركَ الأديم، حتى تحلى بأدب تثنى عليه الخناصر، وفضل تثني عليه العناصر، وكمال باهر، وزوجه ببنته، وأسكنه في باطن مهجته.

ثم انتقلِ شيخه سنة تسع وثلاثين وألف إلى رحمة الله تعالى، فحج عن شيخه حجةَ الإسلام، وزار طيبةَ ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ، فورد من منهل أمله العذب المعين، وفتح عليه من المدد النبوي المبين، ثم رجع إلى وهط اليمن، وأراد أن يجعلها محلاً للوطن، فلم تطب له الإقامة بها؛ لتغير أمرها، وظلم أميرها على مأمورها، وأنشد لسانُ حال معمورها:

أمــا الخيــامُ فإنهــا كخيــامِهم وأرى نــساءَ الحــيِّ غيــرَ نــسائها

فانثنى إلى وطنه بندر الشحر المعمور، وكان إذ ذاك بالفضل مغمور، وكان ـ رحمه الله ـ تعالى في غاية الخمول المبين، ويخفى حاله حتى لا يكاد يبين، فما مضى عليه زمن قريب، إلا حصل له ظهور عجيب، ظهرت منه خوارق البرهان، واشتهر في جميع تلك البلدان، وقصده الناس من كل مكان.

ثم قصد قطر الحجاز، ونصب فيه خيامه، وعزم فيه على التوطن والإقامة، واعتقده أهلُه، فوضعوه في المفارق تاجاً، وأطلعوه في أفقهم سراجاً وهاجاً، وانعقد على ولايته الإجماع، وتفرد بالكمال، فسر النواظر والأسماع، واصطفيت له الحدائق الزاهية، وشيدت له القصور العالية، فكان ملجأً للوافدين، وعلماً ظاهراً للقاصدين، ومن قصده، قام في ظل وريف، ومن لجأ إليه، ظل من ثمرات فضله في خريف.

وهو أحد مشايخ شيخنا السيد الجليل محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي، في علم الشريعة والطريقة، ومن أجل مشايخه في علم الحقيقة، وأخذ عنه الطريق، ولبس منه الخرقة الأنيقة كثيرون، لا يحصوهم عد، ولا يضبطهم حد، وكانت حضرته معدن المعارف والعلوم، ونزهة تزيل كل الهموم، وأما كرمه، فعباب لا يكدره الدلاء، وسحاب تتقاصر عنه الأنواء.

ومن كراماته الظاهرة العظيمة: استقامته على الطريقة المستقيمة؛ فقد قيل: الاستقامة أوفى كرامة، يواظب على الجمعة والجماعة، ولا تمضي عليه ساعة، إلا وهو مشتغل بطاعة.

ومنها: أن الدنيا لا تذكر في حضرته الحشيمة، ولا الغيبة ولا النميمة،

كما يشاهده العيان، ويشهد به الأعيان.

ومنها: أن من رآه، ذكرَ الله، ومن شاهده، ذهل عن آخرته ودنياه، وعمل بما يرضاه ربه ومولاه.

ومنها: أنه ما دعا لأحد من أصحابه، إلا استجيب دعاؤه، وحصل للمدعو له ما تمناه.

ومنها: ما قاله شيخنا محمد الشلي: أنه عند أول ملاقاته له، خطر بباله وفكره، أن يلقنه الذكر، فما استتم خاطره، إلا وقد نظر إليه، وأقبل بوجهه عليه، ولقته الذكر الذي خطر في نفسه.

وله كرامات وخوارق للعادات، لكنه لا يظهرها إلا عند الضرورات، أو عند المهم من الحاجات، وهي كثيرة، وعند أصحابه شهيرة.

ولم يزل ينتقل من حرم إلى حرم، وقد حل في رأس الكمال الذي لا يداس بقدم، إلى أن دعي فأجاب، وكأنه الغمام أمرع البلاد فانجاب، **فتوفي** بمكة المشرفة بعد صلاة الجمعة، لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الثاني، سنة إحدى وسبعين وألف، وحضر جنازته سلطان مكة فمن دونه، ودفن بمقبرة المعلاة، بقرب مشهد أم المؤمنين خديجة الكبرى رضي الله عنها.

[٣٢٧] محمد بن علاء الدين الطرابلسي الشافعي.

الشيخ الإمام، العلامة المشهور بالبلاد الشامية، **ولد** بعد عشاء ليلة الجمعة، مستهل جمادى الأولى، سنة سبع وتسعين وتسعمائة، **وتوفي** ليلة السبت، خامس عشر ربيع الأول، سنة أربع وأربعين وألف، ودفن بتربة والده ـ رحمه الله تعالى ـ.

[٣٢٨] محمد أبو عبدالله بن علاء الدين البابلي؛ نسبة إلى بابل، قرية بمصر، القاهري الشافعي الأزهري[1].

شيخنا شيخ الإسلام، جمال العلماء الأعلام، بقية المسندين الحفاظ، مالك زمام المعاني والألفاظ، علامة الزمان، المغني بشهرته في الأقطار الإسلامية عن وصف لسان القلم، وقلم اللسان.

كان ـ رحمه الله ـ نادرة من نوادر الدهر، ورحمة من الله على أهل هذا العصر، أما حفظه، فيعجز عن وصفه الواصف، وأما حسن تقديره وصوته، ووضع كل من المسائل في موضعه، ومعرفة أسلوب تقرير علوم الحديث، فأمر عجيب غريب، في القديم والحديث؛ بحيث إن الطالب يقابل ورقتين أو ثلاثاً من تقريره على الشروح، فيجده يقرر ذلك بحروفه، من غير تغيير ولا تبديل، وأما دقة نظره ـ رحمه الله ـ، وجودة فهمه، وحسن سبكه، وزيادة حلمه، وتواضعه مع جلالته، فأمر يطول شرحه، وأما حسن محاضرته، وبديع ألفاظه، فأحلى من الماء الزلال، وأرق من السحر الحلال.

انتهت إليه ـ رحمه الله تعالى ـ، رياسة العلم في عصره، وانفرد بعلوم الحديث، وبعد صيته، ووفدت إليه الناس من الممالك الإسلامية، وأخذوا عنه العلم، وكان ـ رحمه الله ـ ملازماً للدرس، وإقراء العلوم العقلية والنقلية، ونقله يزيد على تصرفه، سريع الحفظ، بعيد النسيان، مواظباً على تلاوة القرآن سريعها.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٣٩)، «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ١٦١٧) (٨٨٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٢٣)، «موسوعة أعلام المغرب نشر المثاني» (١٥٣٥)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٢٧٠).

متودداً للطلبة، متفقداً لهم بالإحسان، وإذا غاب عنه أحد منهم سأل عنه، فإن كان مريضاً، عاده، وإن كان مشتغلاً، أرسل إليه بالسلام، محباً للفقراء من طلبته خصوصاً، وجلالتُه في عصره أشهر من نار على علم؛ بحيث إن الأمراء والقضاة والحكام، يأتون إليه، ويجلسون بين يديه كالخدام، وإذا توجه إلى أحد منهم لشفاعة أو زيارة، يكون ذلك اليوم عنده من أشرف الأيام، ويبالغ في التعظيم له والإكرام.

ولد ـ رحمه الله ـ سنة ألف بمصر، وبها نشأ، وقرأ القرآن بالروايات، وحفظ «الشاطبية»، و«البهجة الوردية»، و«ألفية الحديث» للعراقي، و«ألفية ابن مالك» و«جمع الجوامع» و«تلخيص المفتاح» وغيرها من المتون النافعة، وكتب بخطه كتباً كثيرةً، منها: «شرح البخاري لابن حجر العسقلاني».

وأخذ العلوم الشرعية والعقلية عن جمع من شيوخ المذاهب الأربعة بمصر، منهم: النور علي الزيادي، وأبو بكر الشنواني، وأحمد الغنيمي، والنور علي الحلبي، وسليمان البابلي عمه، وأحمد بن خليل السبكي، وحجازي الواعظ، وصالح بن شهاب الدين البلقيني، وسالم الشبشيري، وعبد الرؤوف المناوي، وموسى الدمشيتي، وعبدالله الدنوشري الشافعيين.

وعن إبراهيم اللقاني، وعلي بن محمد الأجهوري، وسالم بن محمد السنهوري، وأحمد بن عيسى الكلبي شيخ المحيا بالجامع الأزهر، ويوسف الزرقاني، وأحمد السنهوري المالكيين.

وعن أحمد بن محمد الشلبي، وعبدالله بن محمد النحريري، ومحمد الجابري الحنفيين، وعن الشيخ سيف الدين المقري.

وأخبرنا ـ رحمه الله ـ أن والده جاء به وهو صغير دون التمييز، للشيخ الإمام خاتمة الفقهاء، الشمس محمد بن أحمد الرملي الشافعي، وهو منقطع في بيته، ودعا له، ودخل في عموم إجازته لأهل عصره.

وروى عنه جمع من الأكابر، **منهم**: شيخنا منصور الطوخي، وشيخنا أحمد البشبيشي، ومحمد بن خليفة الشوبري، ومحمد بن قاسم البقري، وعبد القادر الصفوري الدمشقي، وأحمد العجمي الشافعيون.

ومنهم: السيد أحمد الحموي، وشاهين الأرمناوي، ويحيى الشهاوي، وعبد الباقي المقدسي الحنفيون.

ومنهم: يحيى بن محمد الشاوي المغربي، وعبد الباقي الزرقاني، ومحمد الخرشي المالكيون.

ومنهم: محمد البهوتي الحنبلي، وغيرهم من علماء المشرق والمغرب.

وجاور بالحرمين لمدة سنين، وأخذ عنه جل علمائه المحققين؛ كالشيخ علي الأيوبي، وعبدالله العباسي، وعلي العصامي، وأحمد باقشير، والسيد الجليل محمد بن أبي بكر الشلي، والسيد أحمد بن أبي بكر شيخان، وشيخنا الفهامة الحسن بن علي العجيمي، والشيخ أحمد النخلي، وغيرهم ممن لا يحصون كثرة.

وكان شريف مكة السيد زيد بن محسن، يجله ويحترمه، ويحبه ويعظمه، ورجع إلى مصر، وأقام فيها على بث العلم ونشره، وطاعة الله وذكره، وأرسل يطلبه ملك الروم، السلطان محمد بن إبراهيم خان، فذكر له ذلك وزير مصر ـ إذ ذاك ـ عمر باشا، وأخبره بطلب السلطان له، وأنه يريد

التبرك به، فامتنع من الذهاب إلى الروم، واعتذر بكبر السن، وعدم الاستطاعة للسفر، فعرض وزير مصر للسلطان ما اعتذر به، فقبل ذلك منه.

وأُلجِئ من الوزير أحمد باشا الكبرلي في تأليف كتاب في الجهاد وفضائله، فألف فيه في أيام قليلة كتاباً حافلاً، أتى فيه بالعجب العجاب؛ من الآثار الواردة فيه، وأحكامه المختصة به، وكان ينهى عن التأليف، ويقول: التأليف في هذه الأزمان من إضاعة الوقت؛ فإن الإنسان إذا فهم كلام المتقدمين الآن، واشتغل بتفهيمه، فذاك من أجل النعم، وأبقى لذكر العلم ونشره، والتأليف في سائر الفروع مفروغ منه.

وإذا بلغه أن أحداً من علماء عصره ألف كتاباً، يقول: لا يؤلف أحدٌ تأليفاً، إلا في أحد أقسام سبعة، ولا يمكن التأليف في غيرها، وهي: إما أن يؤلف في شيء لم يسبق إليه يخترعه، أو شيء ناقص يتمه، أو شيء مستغلق يشرحه، أو طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه، أو شيء مختلط يرتبه، أو شيء أخطأ فيه مصنفه يبينه، أو شيء مفرق يجمعه.

قلت: ويجمع ذلك جميعَه قولُ بعضهم: شرط المؤلف أن يخترع معنى، أو يبتكر مبنى.

وأخبرني بعض طلبته: أنه صادف ليلة القدر، وكشف له عنها، ودعا الله أن يكون مثل الحافظ ابن حجر العسقلاني في الحديث، واستجاب الله دعاءه؛ بدليل أنه لم يشتهر أحد من علماء عصره شهرته في الحديث، وكثرة اشتغاله به، وإتقانه لأصوله وفروعه، وسعة حفظه فيه.

وكان إذا أراد بعض تلامذته يطالع له الدرس الذي يريد قراءته؛ لأنه

كُفَّ بصرُه قبل موته بنحو ثلاثين سنة، يقول له: أسرع في القراءة؛ بحيث إن الجالس لا يفهم ما يقرؤه التلميذ، ويقرر الشيخ ـ رحمه الله ـ في الدرس جميع ما طالعه التلميذ له حرفاً بحرف، من غير زيادة ولا نقصان، ولا تردد في العبارة، وكان من أحسن الناس صوتاً في التقرير.

والحاصل: أني لا أستطيع حصر ما فيه من الفضائل، وما رأيت ـ فيمن رأيت من أهل عصرنا ـ أحفظَ لمتون الأحاديث، وأعرفهم بتخريجها، ورجالها، وصحيحها وسقيمها منه، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك، وكان صحيح الذهن، جيد الفهم، ذا ذوق وفطنة، ومهابة وكرم نفس، وطيب أخلاق، وما اجتمع به أحد إلا استفاد منه، ديناً أو دنيا.

واتفق أني كنت يوماً عنده في بيته، وبعض جماعة يطالع له في شروح البخاري، لما كان يقرؤه في الجامع الأزهر، ويسرد القراءة؛ بحيث أن الحاضرين لا يفهمون ما يقول، فسألته بعد الفراغ: إن أحداً من الحاضرين لا يفهم ما يقول، فأنتم يا سيدي كيف تفهمون كلامه؟ فضحك وقال: يا ولدي! كل ما يقوله أحفظه، وإنما يطالعه لي؛ خشية أني نسيت شيئاً، فيذكرني به.

وما اتفق أني دخلت عليه، وهو وحده، إلا ورأيته مشتغلاً بقراءة قرآن أو ذكر، ورزقه الله من العزة، ما لمُ يرزقه أحدٌ من علماء عصره، حتى إنه إذا دخل مجلساً حافلاً بمصر، وهو غاص بأقرانه من العلماء، ومن هو أسن منه، يصدرونه عليهم، ولكنه يأبى من ذلك، ويجلس وسطهم، أو آخرهم، ويعظم علماء عصره ظاهراً وباطناً في غيبتهم وحضورهم.

ومجلسه محفوظٌ من الغيبة، مشحونٌ بالفوائد، ولا يقوم الإنسان منه إلا وهو ممتلئ ببركة أنفاسه الطاهرة ـ رحمه الله تعالى ـ، وأثرى في آخر

عمـره، وأقبلت عليه الدنيا من كل حدب، وكان يقول: إن الأجل قريب؛ فإن للعالم علامات، إذا علا مات.

واتفق له بمكة: أنه دخل على الشريف زيد بن محسن، أمير مكة، وعنده أعيان مكة، ورؤسائها وقضاتها وعلماؤها، فقام له الشريف ومن في المجلس، إلا أنهم لعظمهم في أنفسهم، لم يقدمه أحد عليه في المجلس، حتى جلس الشيخ حيث انتهى مجلسه.

فلما استقر، قام الشريف زيد من مرتبته، ونزل إلى مكان الشيخ، وجلس بجانبه، وقال: صدر المجالس حيث حلَّ رئيسها، وشرع في توبيخ الحاضرين، وزجرهم على قلة أدبهم، فمنعه الشـيخ من ذلك، وقـال: إني ما جـاورت بالحرم، إلا بقصد التبرك به وأهله، وأنا راض منهم بذلك، فقام جميع من بالمجلس وقبل يديه، واعتذر إليه.

وجاور مرةً بمكة خمس عشرة سنة، وختم بها إقراء البخاري، وأخرى سنين قليلة، وله وقائع كثيرة من هذا القبيل، يطول الكلام عليها.

سمعت عليه ـ رحمـه الله تعالى ـ بمجلسه بالجامع الأزهر، طرفاً من «صحيح البخـاري»، و«سـيرة ابن سيد الناس اليعمري»، وطرفاً من «شرح المنهاج» للمحلي، وغير ذلك بقراءة الشيخ العلامة محمد بن خليفة الشوبري، وله فهرسٌ بجميع مروياته وشيوخه ومسلسلاته، جمعها تلميذه العلامة عيسى ابن محمد الجعفري المغربي، في نحو خمـس كراريس، وقد أجازنا ـ ولله الحمد ـ، بجميع ما فيها من مروياته.

ولم يزل على أحسن حال، وأجل نوال، مشتغلاً بالعلم النافع وإفادته،

إلى أن توفاه الله إلى دار كرامته، يوم الثلاثاء، خامس عشري جمادى الأولى، سنة سبع وسبعين ـ بتقديم السين فيهما ـ وألف، وصلى عليه بالجامع الأزهر، إماماً بالناس شيخنا خاتمة المحققين، علي الشبراملسي، في مشهدٍ حافلٍ لم يعهد مثله في هذا العصر، وعظمت مصيبة المسلمين عليه؛ إذ كان آخر المجددين بالديار المصرية، ودفن بتربة المجاورين، ورثاه كثير من الشعراء، منهم: صاحبنا العلامة الأديب أبو بكر بن محمود العصفوري الشامي بقصيدة، وهي:

مـا أرى نقـصَها مـن الأطـرافِ غيـرَ مـوتِ الأئمـةِ الأشـرافِ

[٣٢٩] السيد محمد غَرْب بن عمر بن أبي بكر بن أحمد بن عمر ابن الغَرْب بن محمد بن يوسف بن محمد بن يحيى بن سالم بن عبدالله بن الحسين بن علي بن آدم بن إدريس بن الحسين بن محمد التقي، ويلقب أيضاً بالجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ[1].

السيد العارف بالله والدالُّ عليه، صاحب الكرامات المشهورة، والأحوال الخارقة المأثورة، أخذ في بدايته عن السيد محمد بن إبراهيم القُدَيمي، ودخل صحبته إلى زَبيد، وكان له مجلس فيها اتخذه للذكر، ووقع له في زبيد وقائع مع الخضر؛ لأنه اجتمع به، وبشره بأشياء حصلت له، وقال له: إن البركة صارت فيك مغروسة، وأمره بزيارة النبي ﷺ، وقصد التوجه إلى المدينة

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٧٧).

الشريفة، وحصلت له كرامات في طريقه، ولما وصل إلى القنفذة، واجتمع بمن فيها من بني الغرب، عرضوا عليه السكنى بها، فلم يرغب لذلك حتى رأى النبي ﷺ في المنام، وأمره بالسكنى بها، فلما رجع من زيارته ﷺ، ومضى إلى حَلى، اجتمع بالسيد الولي المُخَنْجَف بن إبراهيم، فأهّله، ورحب به، وزوجه بنته الشريفة زهراء، فرجع إلى القنفذة، وصار هو العمدة فيها، وعليه مدارها، وحصل له من الجاه والقبول ما لم يعهد لمثله مثلُه، وكان فيها سيفاً مسلولاً، لا يعارضه أحد في أمر إلا عُطب، وهابه الناس، وزاد اعتقادهم فيه.

وظهرت له الكرامات الكثيرة:

منها: أن الشيخ عمر بن علي الطواشي كان في أول أمره سالكاً غير طريق سلفه، مصاحباً للأعراب الجفاة، فلقيه المترجم، فلامه على ذلك، وأمره بترك ما هو عليه، فامتثل أمره، وأراه تلك الساعة مكة المكرمة والحرم، فوقع مغشياً عليه، فلما أفاق، أمره بالمسير إلى مكة، فسار، ورجع منها بمال عظيم، من لحظة نفع الله به.

ومنها أيضاً: أن إبراهيم بن سيف كان معه مرة بمكة، والناس في تعب شديد من الغلاء، وكان إبراهيم يعتاد الطواف بالليل، وكان المترجم في تلك الأيام مريضاً، فخرج إبراهيم من الحرم لقضاء حاجة، فلما خرج من باب إبراهيم، إذا بستة رجال أو سبعة، كلهم في الطول وحسن الهيئة سواء، وعليهم محازم إلى صدورهم، وهو يبكون ويتضرعون إلى الله تعالى، ويدعون بدعاء خفي، وهو مستقبلو الكعبة.

فوقف عند آخرهم، وقال كالذي رق لحالهم: الله تواب، الله غفور

رحيم، وهم على حالهم من الاشتغال بالدعاء، فذهب عنهم، فلما أصبح جاء إلى المترجم، فأخبره ابتداءً بخبر الجماعة وما كان من أمره معهم وهو يبكي، حتى غاب عن حسه، فلما أفاق، سأله إبراهيم عنهم، فقال: إني في تعب شديد من أجل ذلك، فإن الذين رأيتهم الأوتاد، أو قال: الأبدال، الذين هم أقرب أهل الأرض إلى الله ﷻ، ولا يدعون بشيء إلا استجيب لهم، والبارحة رُدَّ دعاؤهم، وما دعوا إلا والباب مغلوق، وهم هذا مقامهم عند الله سبحانه، وما دعوا الله إلا بالرحمة لعباده، فبكيت من هذه الحالة، وإن لم يحصل للناس رحمة إلى خمسة عشر يوماً، وإلا فالناس عليهم سخط من الله تعالى، ثم بعد أيام قال المترجم لإبراهيم: حصلت الإجابة من الله، وبعد أيام قليلة فرج الله سبحانه عن أهل مكة[1].

وكانت **وفاته** ليلة الاثنين، ثالث عشري صفر، سنة أربع عشرة وألف بالقنفذة، وقبره في القبة الملاصقة لزاويته، ومن دخل زاويته وهو خائف مستجير، أمن، ومن تعرض له، عاقبه الله سريعاً ـ نفع الله به ـ.

[٣٣٠] محمد شمس الدين بن عمر سراج الدين الحانوتي المصري الحنفي[2].

قال النجم في «ذيله»: **مولده** ـ كما وجدته بخطه ـ ليلة الجمعة،

---

(١) يتكرر في كتب الصوفية مثل هذه المصطلحات والمسميات، مثل الأبدال والأوتاد والأقطاب، وسوى ذلك من المراتب، ويجعلون لهم مرتبةً خاصةً، وتأثيراً في حياة الناس دنيا وآخرة، وهذا كله من الأباطيل والخرافات التي لا أصل لها في الدين.

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (١/ ١٤١) (٤٦) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٧٦)، «الأعلام» للزركلي (٦/ ٣١٧).

تاسع عشر صفر، سنة ثمان وعشرين وتسعمائة.

وأخذ عن شيخ الإسلام الفتوحي، وقاضي القضاة شمس الدين الشامي المالكي، وقاضي القضاة نور الدين الطرابلسي ثم المصري الحنفي، وشمس الدين أحمد بن يونس الشلبي، والشيخ ناصر الدين بن حسن اللقاني المالكي، والعلامة شهاب الدين الرملي، والشيخ أحمد بن عبد الحق السنباطي، والأستاذ الشيخ أبي الحسن البكري، والشمس محمد بن محمد الدلجي شارح «الشفا»، والعلامة محمد بن يوسف الشامي الصالحي ثم المصري صاحب «السيرة النبوية»، والشيخ محمد الداودي تلميذ السيوطي، والمظفري، وأخذ الفقه عن والده، وابن عمه، وكانت وفاته سنة عشر بعد الألف بالقاهرة ـ رحمه الله ـ وإيانا.

[٣٣١] السيد محمد بن عمر بن سالم بن أحمد بن شيخان بن علي ابن أبي بكر بن عبد الرحمن بن عبدالله بن عبود بن علي بن محمد مولى الدّوَيلة بن علي بن علوي ابن الفقيه محمد المقدَّم، عُرف جد جده بشيخان، باعلوي الحسيني(١).

ذكره شيخنا السيد العلامة محمد بن أبي بكر الشلي في «المشرع الروي في أشراف بني علوي»، فقال: فريد هذا المكان، ومن ألقت إليه الأقران، مقاليد السلم والأمان، الجامع بين الرواية والدراية، والرافع لخميس المكارم أعظم راية، حوى الفضائل والفواضل والنهى، وحاز الدين والحسن والتقى، وتفنن في كل الفنون، وافتخر به الأبناء والبنون.

---

(١) «سلك الدرر» للمرادي (٤/ ٦٨).

ولد بأم القُرى، وحظي بأوفر القِرى، وكانت ولادته ثاني عشر محرم، سنة إحدى وخمسين وألف، ونشأ بها والفلاح يشرق من محياه، وطيب أنفاسه يفوح من رياه، وحفظ القرآن العظيم، ونال به الفضل الجسيم.

ثم شرح الله تعالى صدره للعلوم شرحاً، وبنى له من رفيع الذكر في الدارين صرحاً، وحظي باستجلاء أنوار معاهدها، واستملاء تنزلات مناسكها ومعاقدها، وحفظ بعض «الإرشاد»، و«متن المنهج»، و«الألفية»، وغيرها من متون العلم والآلية، فأخذ عن الإمام العلامة أحمد بن عبدالله بن عبد الرؤوف المكي عدة علوم، ثم لازم الشيخ العلامة علي بن الجمال في دروسه الفقهية، وغيرها من العلوم الأدبية.

ثم حضر دروسي في الفقه والحديث، لا سيما «شروح الإرشاد»، التي اعتنى المتأخرون بالكلام عليها، في القديم والحديث، وقرأ «شرح المنهج»، و«المنهاج»، المرجوع إليهما عند تلاطم الأمواج، وجمعوا فيها الصحيح، وفاقوا بالترجيح، وأخذ عن الشيخ محمد بن سليمان عدة علوم، وأجازه بمروياته.

وهو الآن بمكة، لازالت شموس الفضائل في سمائها مشرقة من أعيان فضلائها، وأعاظم كبرائها، وله ـ مع ذلك ـ في الأدب طول باع، وفي العربية سعةُ إطلاع، وكرم نفس وحسن طباع، مع ما منحه الله من أدب أزهى من الأزهار، وخلق ألطف من نسيم الأسحار، ومنطق ألذ من تغريد الطيور على صفحات الأنوار، وتمسك بالسبب الأقوى من التقوى، واجتهاد في الأعمال الصالحة، لا تطيق أترابه حمله ولا تقوى، وإليه المفزع في كشف كل حادثة عجماء، وداهية دهياء، إلى كرم لا يقاس بحاتم، وصدع بالحق لا يخاف بطشة

ظالم، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم. انتهى كلامه.

قلت: وكان ـ رحمه الله ـ أجلَّ خدن لي، أتمتع في رياض فضائله بمقيل ظله الوريف، وأتضوع من عبير عَرْفه اللطيف، وصحبتُه مدة تزيد على أربعين سنة، حضراً وسفراً، لا أفارقه ولا يفارقني في غالب الأوقات، ولم أر منه إلا خيراً وإحساناً، وإفضالاً وامتناناً.

حتى **توفي** في الثلث الأخير من ليلة الجمعة، ثامن شهر ربيع الثاني، سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف، وصلى عليه ضحى يومها، بالمسجد الحرام، إماماً بالناس الشيخُ أحمد النخلي، في مشهدٍ حافلٍ، وكنت ـ ولله الحمد ـ من المباشرين لغسله وتكفينه ـ رحمه الله تعالى، وجمعني به في مستقر رحمته، مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً ـ.

[٣٣٢] محمد بن عمر بن حسن بن علي باعلوي الحسيني[١].

اشتغل بالعلوم على عمه القاضي محمد بن حسين، حتى شارك في كثير من الفنون، ثم حصلت له جذبةٌ إلهية، إلى أن **توفي** سنة تسع عشرة ـ بتقديم التاء بعد الألف ـ.

[٣٣٣] محمد بن عمر بن عبدالله بن أحمد باجمّال[٢].

أحد عباد الله الصالحين، والأولياء العارفين، صحب أخاه عبدالله المشهور، وأخذ عن غيره، وحصل طرفاً من العلوم، وجد في العبادة، ولازم ذكر الله، واعتزل الناس، وزهد فيما عندهم، وملأ الله قلبه من محبته.

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٧٠)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٢٤).

(٢) «لفت النظر» للجيلاني (٥٨٧)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٣٦).

وكانت له حركة عظيمة عند السماع، وكان يرفع صوته في حال الوجد، ويقول: والله! ما محبوبي إلا الله، وفي بعض الأوقات، يرمي نفسه من أعلى شاهق، ولا يضره[1].

توفي يوم الثلاثاء، في صفر، سنة اثنتين وعشرين بعد الألف، وآل باجمّال بيت سلف صالحين، مشهورين ببلاد حضرموت، وللناس فيهم اعتقاد كبير.

[٣٣٤] القاضي محمد بن عمر بن عاشق الأزبكي الأصل، ثم المدني الحنفي.

كان من أكابر علماء عصره، وممن بلغ رتبةً عليةً في علوم المنقول والمعقول، قرأ على الشيخ عبدالله الأنصاري، المعروف بمخدوم الملك ابن شمس الدين، وكان حسن الخط، وكتب بخطه كتباً كثيرةً، واجتهد في ضبطها وتصحيحها.

وتولى إفتاء الحنفية بالمدينة، وله مؤلفاتٌ منها: «شرح على الشمائل» جمع فيه بين شرحي الملا عصام الدين، والملا محمد حنفي، وأجاب عن غالب اعتراضاته، توفي بالمدينة، سنة اثنتين وعشرين بعد الألف.

[٣٣٥] السيد محمد بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن حسن بن عمر ابن محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن عمر ابن الشيخ علي بن عمر الأهدل الحسيني[2].

---

(١) وهذا من تلاعب الشيطان بالإنسان واستحواذه عليه، نعوذ بالله من الخذلان.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٧٧).

كان هذا السيد من كبار مشايخ الصوفية، أهل الحل والعقد، المستعان بهم في النوائب والشدائد والشفاعات، صاحب زاويةٍ وإكرامٍ، وإفضالٍ وإنعامٍ، وشهرته تغني عن شرح حاله.

أخذ عن والده، ونصبه جده عبد القادر وهو في سن الصغر دون التمييز شيخاً، فكان يقول له: يا شيخ! والله! إن لك جَدّاً، لو نظر إلى أهل الأرض، لصاروا كلهم مشايخ. انتهى.

وكان صاحب الترجمة كثيراً ما يتلو القرآن بالجهر، تلاوةً مجودةً، بترتيل وصوت حسن، مواظباً لزيارة جده الشيخ الكبير علي الأهدل كل يوم، ثم يقف عند كل قبر من القبور المعروفة هناك ساعةً، ثم يدخل مسجد التربة، فيصلي فيه ركعتين، ويدعو، وينصرف إلى بيته.

ولم يزل ذلك دأبه، إلى أن توفي ليلة الجمعة، رابع عشر شوال، سنة اثنتين وثلاثين وألف، وهو والد السيد طاهر الآتي ذكره.

[٣٣٦] محمد بن عمر بن أبي بكر بن يوسف بن محمد بن أبي بكر عُبادة بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر بن محمد بن إسماعيل بن محمد الأحنف، مصنف كتاب «الثمرة في الفقه» بن إسماعيل بن عمر بن يحيى بن عمر بن محمد بن أحمد بن علي بن الشَويش بن علي بن وهب بن صريف ابن دؤال، ويأتي إن شاء الله تعالى بقية النسب في ترجمة إسحاق بن جعمان، فبنو عبادة وبنو جعمان يجتمعون في عمر بن محمد[1].

كان صاحب الترجمة إماماً عالماً، فقيهاً ورعاً زاهداً، قام في محل آبائه

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٧٩).

في التدريس والفتوى أتم قيام، وموطنهم «بيت الفقيه ابن عجيل» ـ رحمه الله تعالى ـ، توفي في شعبان، سنة خمسين بعد الألف.

[٣٣٧] محمد بن عمر بن الصديق الحُشَيْبري[١].

مفتي الديار اليمنية ومحدثها، كان إماماً فقيهاً عالماً محققاً نقالاً ورعاً زاهداً عابداً، صاحب تربية وأخلاق رضية، وأفعال مرضية، وله أحوال وكرامات خارقة، وله رؤيا منامات تدل على تمكنه، وقرب منزلته عند الله تعالى وصلاحيته.

صحب السيد العارف بالله الطاهر بن بحر، وأخذ عن العلامة محمد بن أبي القاسم بن جعمان، والشيخ محمد بن أحمد صاحب الحال، وعبد الرحمن الخَلِّي، وكثير.

توفي في شهر ذي الحجة سنة خمسين بعد الألف، ودفن ببيت الفقيه الأيمن، في تربة جده الفقيه الولي علي بن أحمد حشيبر، وجدهم الفقيه الولي محمد بن عمر ـ رحمه الله تعالى ـ، وحصل بموته التعب الشامل لجميع المسلمين، ونزل العلم بموته درجة؛ لأنه لم يخلف بعده مثله في الحفظ والإتقان ـ رحمه الله تعالى ـ.

ورثاه السيد محمد بن الطاهر بقصيدة مطلعها:

دهتنا الليالي بموتِ الفقيهِ ... إمامِ الهدى غوثِ أهلِ الزمنْ

وبنو حشيبر...[٢].

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٨٠).

(٢) جاء في الحاشية: «هنا ثلاثة أسطر بياض بالأصل».

[٣٣٨] محمد بن عمر بن نور الدين بن عبد القادر الأحدب.

كان شاعراً مفلقاً، له «ديوان مدائح في النبي ﷺ»، **توفي** سنة خمسين وألف.

[٣٣٩] السيد محمد بن عمر بن محمد بن علوي بن أبي بكر بن علي ابن أحمد بن محمد أسد الله بن حسن بن علي ابن الأستاذ الأعظم الفقيه محمد المقدم باعلوي الحسيني، نزيل مكة المشرفة، واشتهر هو بالغزالي، وبالحبشي كسلفه[١].

صاحب المناقب المشهورة، والأحوال المأثورة، غزالي عصره وأوانه، وجُنيد دهره وزمانه، سالك نهج أوضح المسالك، وعارف بالعلوم النقلية والعقلية والمدارك، وعالم حوى اللطائف والطرائف، وكامل شاد ربوع المعارف، صافَى فصُوفي، حتى سمي بالغزالي، وارتقى بذلك الرتب العوالي.

ولد بتريم، وحفظ القرآن وغيره، وصحب السيد عبدالله ابن الشيخ العيدروس، والسيد القاضي عبد الرحمن بن شهاب الدين، والسيد عبد الرحمن ابن عقيل، والسيد أحمد بن محمد الحبشي، والسيد عبدالله بن سالم، وغيرهم؛ ممن يطول ذكرهم، وتفقه بجماعةٍ منهم: الشيخ محمد بن إسماعيل بافضل.

ولزم الطاعة، فتفيأ ظلها الظليل، وحمل كاهله من العبادة الحمل الثقيل، واعتنى بكتب الإمام الغزَّالي، المعاني منها والألفاظ، وقامت له

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٨٠)، «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٧١)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٦٢).

بها سوقٌ لا يدعيها ذو المجاز ولا عكاظ، واعتنى بالعمل بما فيها، ولا اعتناء الفقهاء والحفاظ، ومن ثم قُيل له: الغزالي؛ لكونه صار فيها الجوهر الفرد الغالي.

ثم رحل إلى الحرمين الشريفين، وصحب بهما جماعة من العارفين، وأخذ عن السيد عمر بن عبد الرحيم البصري، والعارف بالله أحمد بن علان، ثم صحب السيد صبغة الله، والسيد أسعد، والشيخ أحمد الشناوي، والشيخ تاج الدين الهندي النقشبندي نزيل مكة.

وترك علم التصوف والرقائق، واعتنى بعلم الحقائق، ورغب: [في] الشيخ محيي الدين بن عربي، ولزم طريقته، واعتقد مجازه وحقيقته، فوقف غرضه عليه، ووجه دواعيه وهممه إليه، وربما حصل منه بعض شطح، وتكلم فيه بعض الفقهاء بقدح.

وتوطن أم القرى، ومُنح له فيها أتمُّ القرى، وأكثر المحققين من العلماء العارفين، لم يثبتوا له قدماً في التربية والاقتداء، وجعلوه ممن يعتقد ولا يقتدى به أبداً، وله نظمٌ فائقٌ، وأكثره في الحقائق.

فمن نظمه الرائق قوله:

تجلَّـت عـن تحلِّيهـا فـسلْني ... فقابلهـا بمـا أعطـى التثنـيِّ
بـذاتٍ لاتـصالٍ فـي افتـراق ... بجمعِ الجمعِ في عينِ التجنيِّ
فكـان الفـرد والـزوجين لا مـت ... تلاهـت لاتهـا والفـردُ يثنـي
فكنـا فيـه بـل هـوَ كـان فينـا ... فطِبْنـا ربِّ زدنـي ربِّ زدنـي
فكأسـي لا تزيـده الروايـا ... وفـيض لاتـساع الفقـر يغنـي

ولـم لا والمحـيط الحـقُّ منـي	بمنزلـة النجـوم علـيّ منـي
سألت وما علمت سواي لكنْ	بحكم الفرق كنت رميت عني
فأسـهمُك التـي نفـذت بـإذني	وصنعُك صيُه من جرح إذني
ولـولا الرتـقُ بعـدَ الخـرقِ أبقـى	لـسحرِكَ فـي البيـان لكـلِّ فَـنِّ
لمـا كتـب المـدادُ سـوادَ عـينٍ	ولكـن بالنـضار قِـران قرنـي

ثم ابتلي ببعض الأسقام، منعه من طيب المنام، واستمر به إلى أن وافاه الحمام، **فانتقل** يوم الأربعاء، ثامن عشر صفر، وقد جاوز السبعين، سنة اثنتين وخمسين وألف، بمكة المشرفة، ودفن بالمعلاة، بحوطة السادة آل شيخان.

[٣٤٠] محمد بن عمر بن شيخ بن إسماعيل بن أبي بكر بن إبراهيم ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف ـ رحمه الله تعالى ـ اشتهر كسلفه بالبيتي؛ لكون جده الأعلى أبي بكر كان يسكن «بيت مسلمة»، من قرى تريم، فنسب إليها[١].

وهذا السيد هو طراز العصابة، وسهم الإصابة، المخصوص بأوفر حظ من العلا والإحسان، المقتفي لأهل الفضل والعرفان، السالك للطريقة الموصلة لرضا الرحمن.

ولد بتريم مدينة السادة، ونشأ بها في حجر السعادة، وحفظ القرآن العظيم، ومنحه الله عواطف بره العميم.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ٨١).

وصحب أكابر العارفين، وأخذ عن العلماء العاملين، فتفقه على الشيخ محمد بن إسماعيل بافضل، وأخذ عدة علوم عن الشيخ الكبير السيد القاضي عبد الرحمن بن شهاب الدين، والشيخ زين بن حسين بافضل، وعن الشيخ العارف بالله السيد عبدالله بن شيخ العيدروس، وابنه زين العابدين، ولازم صحبته.

ورحل إلى الحرمين الشريفين، وأخذ عن السيد العلامة عمر بن عبد الرحيم البصري، والعارف بالله أحمد بن علان، والشيخ سعيد بابُقَيّ المقبور بأبي قبيس، والشيخ الكبير عبد الرحمن باوزير، قرأ على هذين «الإحياء»، وأخذ التصوف عنهما، وعلى السيد الجليل عبدالله بن سالم حَبْلَه.

وأخذ باليمن وغيره عن جمٍّ غفيرٍ، وكان كثير التردد إلى الحرمين الشريفين، والمجاورة بهما، ثم لزم الإقامة بمدينة تريم، ولازم صحبة الشيخ العارف بالله السيد عبد الرحمن السقاف بن محمد العيدروس في دروسه، وكان يحضر درس السيد العلامة أبي بكر بن أحمد الشلي باعلوي العام، بعد العشاء في مسجد القوم المعروف ثَمَّ كلَّ ليلة، وصحبه ولد شيخه شيخِنا السيد محمد ابن أبي بكر الشلي زماناً طويلاً.

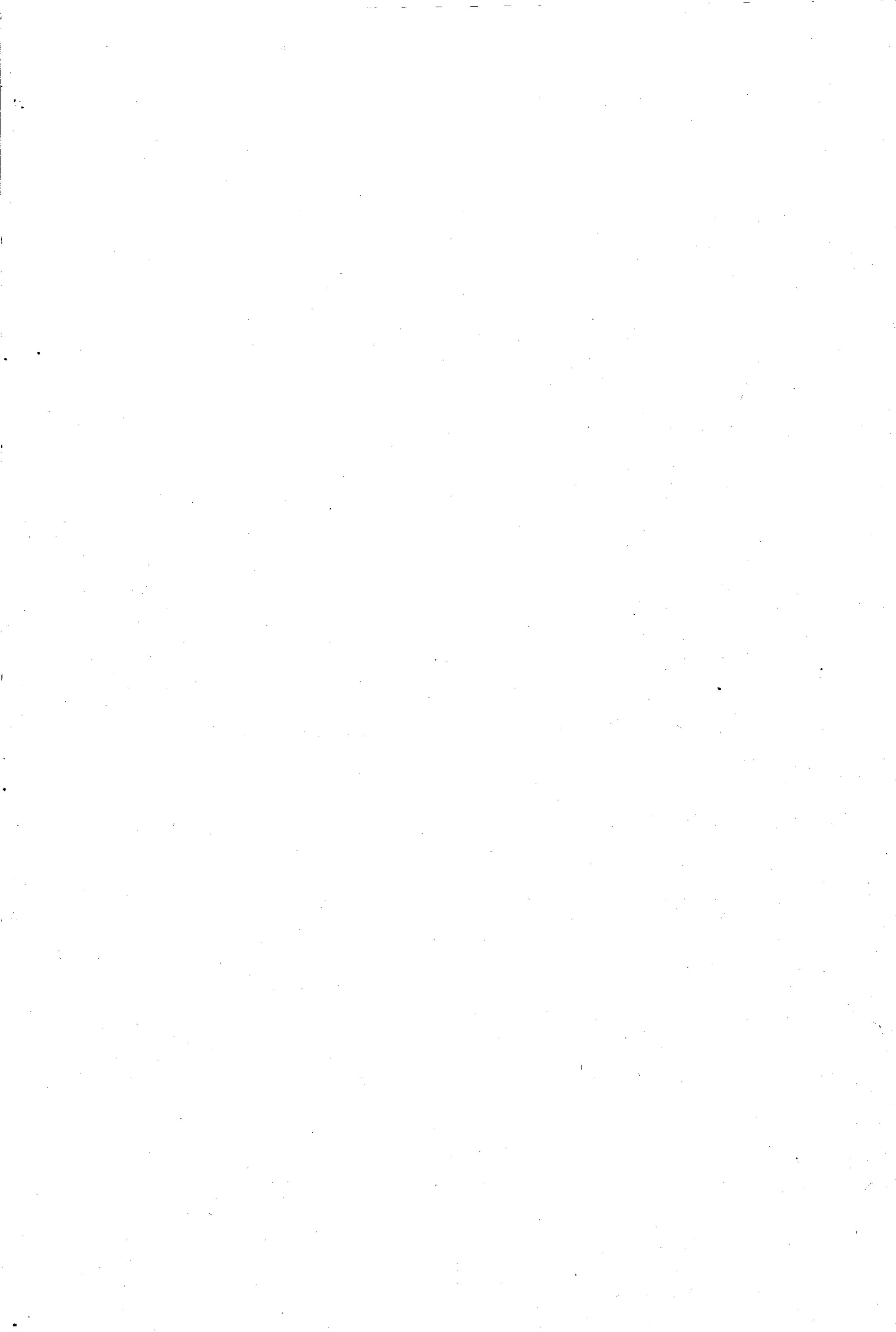
وكان كثير الأوراد والأذكار، لا سيما بما ورد في الأخبار، يتلوها في الليل والنهار، وكان مواظباً على الجماعات، في أول الأوقات، ولا يترك الجماعة في مسجد بني علوي، ومسجد السقاف، إلا عن عذر شرعي.

وكان كثير الزيارة للقبور، لا سيما قبر الأستاذ الأعظم الفقيه محمد المقدم، فكان لا يترك زيارته، إما بليل أو نهار، والغالب عليه العزلة عن

الناس، فلا يجتمع بهم إلا في مسجد جماعة، أو مجلس علم، وكان له خلقٌ أرق من نسيم الهبوب، ومحاسن تملأ العيون والقلوب.

ولم يـزل مواظباً على العلم والعمل، ما شـياً على طريقة لا عوج فيها ولا خلل، إلى أن دعاه مولاه، فأجابه ولباه، فانتقل إلى ـ رحمة الله، وكانت **وفاته** سـنة اثنتين وخمسـين وألف بتريم، ودفن بمقبرة زنبل ـ رحمه الله عز وجل ـ.

❐ ❐ ❐






فهرس الموضوعات

❐ ❐ ❐